مرکز القائمیة اصبهان للبحوث والتحریات الکمبیوتریة

السلام علیک یا صاحب الزمان

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

جمع القرآن

نقد الوثائق وعرض الحقائق

قراءة تحليلية نقدية جديدة

في عهد رسول الله ﷺ

الجزء الأول

تأليف

السيد علي الشهرستاني

بسم الله الرحمن الرحیم

جمع القرآن نقد الوثائق و عرض الحقائق

كاتب:

علی شهرستانی

نشرت فی الطباعة:

مولف

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵
جمع القرآن نقد الوثائق وعرض الحقائق المجلد ۱ ----- ۹
اشاره ----- ۹
اشاره ----- ۹
مقدّمه المؤلّف ----- ۱۳
تمهید ----- ۲۷
مدرسه الخلافه ومقدّماتها العشر فی جمع القرآن، والرؤیه التصحیحیه من قبل مدرسه أهل البیت لها ----- ۳۱
المقدّمه الأُولی: ----- ۳۱
اشاره ----- ۳۱
الرؤیه التصحیحیه: النبیّ صلی الله علیه و آله یعرف القراءه والکتابه، لکنّه لا یکتب: ----- ۳۱
المقدّمه الثانیه: ----- ۴۶
اشاره ----- ۴۶
الرؤیه التصحیحیه: وجود مصاحف کتبها الصحابه علی عهد رسول الله صلی الله علیه و آله: ----- ۴۷
المقدّمه الثالثه: ----- ۵۲
اشاره ----- ۵۲
الرؤیه التصحیحیه: قتلی الیمامه مقدّمهٌ لجمع أبی بکر للقرآن: ----- ۵۳
المقدّمه الرابعه: ----- ۶۰
اشاره ----- ۶۰
الرؤیه التصحیحیه: الغلوّ فی عثمان وإقصاء منافسیه: ----- ۶۱
المقدّمه الخامسه: ----- ۷۶
اشاره ----- ۷۶
الرؤیه التصحیحیه: تعدّد القراءات تخالف الوحده فیه، وهو المبرّر لتشریع القراءات الجدیده: ----- ۷۸
المقدّمه السادسه: ----- ۹۸
اشاره ----- ۹۸

الرؤیه التصحیحیه: مصادره الخلفاء لِجُهْد الأمه فی حفظ القرآن: ---- ۹۹
المقدّمه السابعه: ---- ۱۱۶
اشاره ---- ۱۱۶
الرؤیه التصحیحیه: جمع القرآن بید غیر المعصوم، کذبٌ وخیانه للدین والاُمّه: ---- ۱۱۷
المقدّمه الثامنه: ---- ۱۲۲
اشاره ---- ۱۲۲
الرؤیه التصحیحیه: القول بجمع القرآن فی زمن الفتنه!! یخدش فی حجیّته: ---- ۱۲۳
المقدّمه التاسعه: ---- ۱۳۳
اشاره ---- ۱۳۳
الرؤیه التصحیحیه: التّقلیل من شأن القرآن من جهه، والاهتمام بتواتر القراءات من جهه اُخری!! ---- ۱۳۳
المقدّمه العاشره: ---- ۱۳۸
اشاره ---- ۱۳۸
الرؤیه التصحیحیه: مصحفنا هو مصحف رسول الله صلی الله علیه و آله ومصحف جمیع الصحابه، ولیس بمصحف عثمان وزید فقط: ---- ۱۳۹
تاریخ القرآن الحکیم فی مراحله الأربع ---- ۱۵۳
اشاره ---- ۱۵۳
۱ - التنزیل: ---- ۱۵۷
اشاره ---- ۱۵۷
ما الفائده فی النزول التدریجی للقرآن؟ ---- ۱۶۴
۲ - الترتیب: ---- ۱۶۷
اشاره ---- ۱۶۷
معنی القرآن لغه ---- ۱۷۷
اختلاف ترتیب التلاوه عن ترتیب النزول ---- ۱۸۰
دور رسول الله وجبرئیل فی ترتیب الآیات ---- ۱۹۴
مصاحف الصحابه ---- ۲۰۰
عائشه تجیز التقدیم والتأخیر فی السور وآیها ---- ۲۰۲
الإنزال الدفعی والتدریجی ومواضع الآیات ---- ۲۱۳

حصیله البحث ----- ۲۱۹

۳ - الجمع والتألیف: ----- ۲۲۱

اشاره ----- ۲۲۱

۱ - الجمع فی عهد رسول الله صلی الله علیه و آله : ----- ۲۲۵

اشاره ----- ۲۲۵

الأخبار الدالّه علی وجود مصحفٍ أو مصاحف علی عهد رسول الله صلی الله علیه و آله : ----- ۲۲۹

مدی صحّه دعوی النسخ ----- ۲۴۴

هل حفظ القرآن شرف خارِق للجامعین أم لا؟ ----- ۲۴۷

علی علیه السلام .. الجامع الحقیقی للقرآن ----- ۲۵۵

أخبارٌ کاذبه: ----- ۲۸۱

۱- الإمام علی وجمع أبو بکر المصحف بین الدفتین ----- ۲۸۱

۲- الإمام علی ومدحه لعثمان فی المصاحف ----- ۲۸۳

من فضائل عثمان: حرق المصاحف!! ----- ۲۸۵

۲ - الجمع بعد وفاه رسول الله مباشرهً بواس–طه الإمام علی علیه السلام : ----- ۳۰۵

اشاره ----- ۳۰۵

ما استدلت به الإمامیه ----- ۳۰۵

مصحف الإمام علی علیه السلام فی مصادر الشیعه وکتب علمائهم: ----- ۳۱۷

النتیجه: ----- ۳۵۱

أخبار التحریف فی کتب الفریقین ----- ۳۶۷

عودٌ علی بدء ----- ۴۱۶

المصحف کلمه عربیه أم حبشیه؟ ----- ۴۳۰

موقف ابن مسعود وأبی بن کعب من السلطه: ----- ۴۷۵

المصحف المتداول هو مصحف رسول الله لا مصحف الخلفاء ----- ۴۹۹

سؤال وجواب: ----- ۵۱۰

الصحابه وتخوفهم من أسماء بعض السور: ----- ۵۲۴

سؤال وجواب ----- ۵۲۷

ارتباط جمع القرآن بموضوع الخلافه: ---- ۵۳۴
الفهرس ---- ۵۶۶
تعریف مرکز ---- ۵۷۰

جمع القرآن نقد الوثائق وعرض الحقائق المجلد ۱

اشاره

جمع القرآن نقد الوثائق وعرض الحقائق

قراءه عقديه تحليليّه جديده(۱)

جمع رسول الله صلى الله عليه و آله وأمير المؤمنين على عليه السلام

تأليف: السيّد على الشهرستانى

كربلا- ۱۴۳۵

ص: ۱

اشاره

جمع القرآن نقد الوثائق وعرض الحقائق

قراءه عقديه تحليليّه جديده

(۱)

جمع رسول الله صلى الله عليه و آله وأمير المؤمنين على عليه السلام

تأليف:

السيّد على الشهرستانى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمه المؤلّف

(الذكر المحفوظ)؛ كان عنواناً سابقاً لهذه البحوث، نشرناها فی مجلّه (تراثنا) الصّادره عن مؤسّسه آل البيت عليهم السلام لإحياء التّراث، وهو عنوانٌ منتزَعٌ من قوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) ((۱))، لسلسله مقالاتٍ بين الأعوام (۱۴۳۳ - ۱۴۳۶ ه-) فی الأعداد (۱۰۹ - ۱۲۰)، للدلاله على صَون الكتاب العزيز من التّحريف والتّزوير رَغْمَ كلّ المحاولات الفاشله.

وقد جاءت فكره كتابتها بياناً للآثار السلبيه التی رافقت الروايات الموجوده فی كتب الجمهور عن جمع القرآن والتی استُغِلّت من قبل بعض المستشرقين، فهی قراءه نقديّه تحليليّه جديده للمشهور المتناقَل على الألسن فی موضوعَين مهمَّين:

أحدهما: موضوع تاريخ جمع القرآن.

والآخر: روايات التّحريف الموجوده فی كتب الفريقين.

ولمّـا انتهينا من دراسه الجانب الأوّل منه، آلينا على أنفسنا طبعه على انفصال، بعد إجراء بعض التّعديلات المهمّه عليه ((۲))، تعميماً للنّفع والفائده، تاركين الكتابه فی الجانب الآخر منه إلى حينه.

فموضوع (تاريخ جمع القرآن) موضوع حساس وشائك، وقد بُحِث من قبل

۱- سوره الحِجر: ۹.

۲- بل يمكن أن يقال بأن المطبوع قد تغير بالكامل فصار شيئاً آخر.

المسلمين والمستشرقين قديماً وحديثاً، وقد بحثه المستشرق كوستاو ويل (۱۸۸۹ - ۱۸۰۸) (Gustav weil م) فى كتابه (Histoisch-Kritisch Einheitung) المطبوع فى سنه ۱۸۴۴ م.

وكذا المستشرق تيودور نولدكه (Theodor Noldeke) فى كتابه تاريخ القرآن (۱) ((Geschichte des Qorans)) والذى اتّمه تلميذه فردريش شوالى (۱۹۱۹ - ۱۸۶۳) (Friedrich schwally م).

ثم أعقبهم المستشرق اجتنس جولدتسهر (۱۹۲۱ - ۱۸۵۰) (Goldziher م) فى دراساته المتعدده منها (مذاهب التفسير الإسلامى).

كما كتب حول هذا الأمر بلاشير (Reges Blacher) كتابه (Introduction au Coran) وغيره.

وغالب تلك الدراسات الاستشراقيه قد استندت إلى الرأى المشهور عند الجمهور؛ والتى رويت فى كتبهم الحديثيه من قبل الحشويه لا الى الروايات الموجوده فى كتب الشيعه الإماميه.

فالمستشرقون عموماً أشكلوا على الإسلام من خلال وجود تلك الروايات فى الصحاح والمسانيد، فإنّهم حين يتساءلون أو يشككون فى بعض تلك النصوص والأقوال، إنّما مستندهم هو تلك الروايات الموجوده فى كتب الآخرين والمخالفه

۱-)طبع فى كوتينكن (Gottingen) (المانيا) سنه ۱۸۶۰ م وهو يقع فى ثلاثه أجزاء: الأول: فى أصل ومنشأ القرآن، والثانى: فى الجمع وتدوين القرآن، والثالث: فى تاريخ نص القرآن.

للعقـل والفطره والتى يـدركها كل باحث، ولا يقتصـر فهمها على النصـرانى أو المسـلم، لأنّ وجود التناقض أو التضاد، أو مخالفه الثابت الموجود هنا أو هناك يدركه كل من له شعور وعقل، ولا داعى للتنصل والتملص والتنكر عن بيان الحقائق.

فالـذى أدعـو نفسـى وإخـوانى إليه هـو الوقوف على مـدَّعيات المستشـرقين ومـدّعيات غيرهـم فى القرآن والحـديث - من حيث الموضوعيه أو سوء القصـد -، فقـد يكون هناك تساؤل نزيه يطرحه الباحث والمفكر، وقـد يكون وراءه هـدف مقصود، وهذا ما يمكن الوقوف عليه من خلال لحن الخطاب وطريقه الاسـتدلال، مع التأكد على وجود جهود مشـبوهه من قِبل بعض رجال الدين منهم، نصارى كانوا أم يهوداً، فهؤلاء همهم تشويه الـدين الاسـلامى وتسـخيفه والمساس بقيمه وأصوله، وهـذا ما يدركه كل من قرأ كتبهم.

وكلامى هذا ليس تبريراً للمستشـرقين أو لبعضهم بل هو بيان لحقيقه يدركها من التقى بهم أو قرأ كتبهم، فالمستشرق يعتمد أولاً فى أقواله وآرائه على ما عند المسـلمين، ثمّ يتبع بعد ذلك أسـساً عقليه فى محاكماته، فلو شاهد تناقضاً أو حصل له تساؤل فعلى العالم الاسـلامى الإجابه عن تلك الشبهات والأسئله، وليس له أن يتركها من دون جواب أو يتعامل مع المستشرق كعدوٍّ فى كل الحالاـت، فهنـاك بعض المستشـرقين قـد انتقـدوا زملاءهم فى هجومهم على الإسـلام مثـل تومـاس كارليل فى كتابه (الأبطال) والـذى دافع فيـه عـن النبى محمـد صـلى الله عليه و آله ، ولين بـول؛ كمـا أشـار إليه كرد على فى (الإسـلام والحضـاره الغربيه) وغيرهما.

بلى، إنّ بعض المستشـرقين قـد دافع عن جمع الخلفـاء الثلاـثه للقرآن وهم الأكثر، ومنهم من ذهب إلى أنّ جمعه كان على عهد رسول الله صـلى الله عليه و آله مثـل جان بِرتُن (١٩٧٧ م) (John Burton) فى كتـابه جمع القرآن (The Collection of the Quran)

راداً فیه روایات جمع أبی بکر وعمر للقرآن، داعماً الرأی المناقض له.

إذاً علینا التوجه إلی إشکالاتهم وتساؤلاتهم وعدم ترکها من دون جواب، ثمّ السعی بعد ذلک إلی تنقیه تراثنا منها، لأنّ من واجبنا الشرعی والأخلاقی عدم ترک النصوص عرضه لدعوی التضارب والتناقض.

نعم، إنّ علماء المسلمین وباحثیهم سنه وشیعه کتبوا فی نقد شبهات المستشرقین، کما کانت لهم کتابات مستقله فی تاریخ القرآن.

وإن موضوع (تاریخ القرآن) حاز عندهم الأهمیه، وهو موضوع عامّ وموسع یشمل البحث حول: أسباب النزول، وبیان حقیقه الوحی، والمکی والمدنی، وغالبا ما یأتی الحدیث عن جمع وتدوین القرآن فی تلک الکتب بحثاً مقتضباً وبسیطاً، فلا نری دراسات نقدیه مستقله کُتبت فی هذا المضمار، ولم یُبحَث هذا الموضوع - بحسب اطلاعی - بحثاً جدّیاً موضوعیاً استقرائیاً لحدّ الآن، بل المقدَّم فی کتب الأعلام من الفریقین ما هو إلّا تکرارٌ للتراث التّقلیدیّ السّائد فی بحوث القرآن، ونقلٌ للمشهور المتناقَل علی الألسن، فلا نری دراسهً نقدیّه شمولیه تُسَلِّط الضّوء علی النّقاط الغامضه والعالقه فی ذلک، إذ لم یدرس أحدهم بعمقٍ الأمورَ التالیه:

١. سبب التّهویل لدور زید بن ثابت فی جمع القرآن علی عهد رسول الله صلی الله علیه و آله وعلی عهد الخلفاء الثّلاثه.

٢. التّهویل لعدد قتلی واقعه الیمامه.

٣. ارتباط موضوع جمع القرآن بأمر الخلافه والإمامه لأهل البیت علیهم السلام .

۴. أثرَ منهج عثمان فی جمع القرآن علی استمراریّه الاختلاف ودیمومیّته بین المسلمین فی القرآن الکریم، من خلال تجویز عثمان للعرب عموماً - لا للصحابه

فقط!! – تصحيح كتاب الله رسماً وقراءةً! بدعوى «أنّ فيه لحناً» (۱).

۵. دعوى كتابه عثمان المصحف بشكل يحتمل كلّ الوجوه فى القراءه.

۶. الإصرار المتزايد على التعبّد برسم الخطّ العثمانى الذى كتبت فيه المصاحف المرسله إلى الأمصار، مع وجود الاختلاف فيما بينها، بل ادعاء أعلامهم بأنّ ذلك توقيف من قِبل البارى تعالى، وأنّ رسول الله كان قد أقرّه، فلا يجوز مخالفته، ومَن خالفه فهو كافرٌ وعليه الاستتابه – كما فعلوا بابن شَنْ–بُوْذٍ (ت ۳۲۸ ه–) وغيره – ..

۷. والأخطر من كل ذلك دعوى جمع القرآن المعصوم بيد خليفهٍ غير معصوم، فمدرسه أهل البيت لها المخرج من ذلك، فما المخرج للآخرين منه، وما هو دليلهم على حجيه القرآن لو صحّ ما قيل؟

وأمثال ذلك عشرات المسائل التى ستقف عليها فى خلال البحث.

فهم يذكرون دور الخلفاء الثّلاثه فى جمع القرآن، نافين أو ناسين أو متناسين أو مقلّلين من شأن دور كبار قُرّاء الأُمّه فى ذلك الجمع، أمثال: أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب، وابن مسعود، ومُعاذ بن جبل، وأُبىّ بن كعب..

فلا تقف على باحثٍ فى تاريخ القرآن قد أفرد فصلًا فى موضوع ارتباط قضيّه جمع القرآن بأمر الخلافه بعد رسول الله صلى الله عليه و آله مثلًا، بل يرى بعضهم أن دراسه هذه المسأله هو بحث طائفى يجب الابتعاد عنه، فى حين أنه باعتقادى بحث اساسى يصب فى صلب الموضوع، ومن خلاله يمكن أن نزيح اشكاليه قديمه تثار بين الحين والآخر

۱– وفيات الأعيان لابن خلكان ۳ : ۴۶۶ تحقيق احسان عباس.

ضد المسلمين الشيعه، مع أنّ أصول هذه الفكره موجوده فی تراثهم الروائی والتاريخی، فلو تصفحت كتاب (المصاحف) للسجستانی مثلاً ـ لوقفت علی نصوص تؤكّد أنّ الإمام علیّ بن أبی طالب عليه السلام قد تخلّف عن البيعه وجلس فی بيته وقد آلی علی نفسه أن لا يخرج منه إلّا بعد أن يجمع القرآن ((۱)).

والعجب أنّ علماء مدرسه الصحابه والخلافه لو أشاروا إلی تلك الأخبار فی كتبهم، فإنّهم يذكرونها لكی يضعّفوها لا لكی يؤيّدوها أو يدرسوها موضوعيّاً، فهی روايات ضعفوها ظلماً وزوراً مع أنها ليست بضعيفه بحسب معايير الرجال والدرايه كما سيتضح لك ذلك لاحقاً.

كما أنّهم تناسَوا بيان دور الإمام علی وأولاده المعصومين عليهم السلام فی الحِفاظ علی هذا المصْحَف وأن الموجود بين أيدينا هو مصحفه لا مصحف غيره، وأن الإمام أسند هذا المصحف ودعمه بالرغم مما قدّمه الخلفاء من أُسسٍ خاطئه فی جمعه.

فلماذا تُضعَّف أخبار مِصْحف الإمام علی عندهم، مع أنّها مستفيضه إن لم نقل بتواترها؟ ((۲)) وعلی أیّ شیءٍ يدلّ ذلك؟!

وإذا كان الإمام عليه السلام قد جلس فی بيته لجمع القرآن، فهل هناك من مبرّرٍ لجمع زيد بن ثابت القرآنَ تارةً أُخری؟

بل لماذا سكت أبو بكر عن جلوس الإمام فی بيته وقَبِل بتعليله، ولم يطلب منه

۱- اُنظر: المصاحف للسجستانی ۱: ۶۹ / ۳۱ و۳۲.

۲- ستقف عليها لاحقاً تحت عنوان: الجمع بعد وفاه رسول الله صلی الله عليه و آله مباشرةً بواسطه الإمام علی عليه السلام فی صفحه ۲۹۹.

احترام قراره؟! ولماذا قال بإيكال أمر جمع القرآن إلى زيد بن ثابت؟!

أليس فی جمع الإمام علیه السلام ما ینفی الغرض من جمع زید مرةً أُخری؟ وأیُّ الجمعَین کان هو الأقدم، جمع الإمام بعد وفاه رسول الله صلی الله علیه و آله مباشرةً، أم جمع أبی بکرٍ بعد واقعه الیمامه؟

وألا تحتمل معی أن یکون سبب سکوت أبی بکر عن امتناع الإمام وجلوسه فی بیته هو علمه بوصیّه رسول الله صلی الله علیه و آله للإمام علیّ بجمعه القرآن من خلف فراشه ((١)) بعد وفاته صلی الله علیه و آله؟

وإذا صحّ ما قالوه فی جمع الشیخَین للقرآن، وکان أبو بکر هو أقرأ الناس بعد رسول الله صلی الله علیه و آله ، فلماذا لم یُقرَّر ما جمعوه فی عهدهما ولم تُستنسَخ منه نُسَخ - أو یُعَمَّم - علی الأمصار، لیکون قرآناً موحّداً للمسلمین ودستوراً للدوله؟ بل نری عکس ذلک؛ حیث یبقی المصحف المجموع علی عهدهما عملاً فردیّاً - ولیس حکومیّاً - فی بیت عمر عند حفصه ابنته، حتّی یأتی عثمان ویستنسخ منه نُسَخاً ثمّ یردّه الیها، ثم یأتی بعد ذلک مروان بن الحکم فیحرقه((٢))!

ولماذا یُرجِعه عثمان إلی حفصه ولا یحرقه - وهو الّذی أحرق مصاحف جمیع الصحابه -، ثمّ یأتی مروان - بعد وفاه حفصه - لیحرق مصحفها وهو أجنبیٌّ عن القضیه ولیس بخلیفه؟ إنّه سؤالٌ یبحث عن إجابه!

١- أُنظر: تفسیر القمّی ٢: ٤٥١ - عنه: بحار الأنوار ٨٩: ٤٨ / ح ٧ مثلاً.

٢- مناهل العرفان ١ : ٢٧٨، فتح الباری ٩ : ٢٠.

بل لماذا لم يجرُؤ الشيخان أن يُقِرّا ما جمعاه للمسلمين ويجعلاه (إماماً ((١)))؟ هل لكونه ناقصاً وغير كامل، أم لعدم قبول المسلمين به؟

بل لماذا لم يظهرا ما جمعه زيد بن ثابت فى عهد الشيخين وأظهراه فى عهد عثمان، هل انتظروا موت الصحابه كى يظهروه؟

وإذا كانت مده خلافه أبى بكر ((٢)) غير كافيهٍ لجمع القرآن، ففتره خلافه عمر ((٣)) كانت تكفى لجمعه لا محاله.

بل كيف أمكن لأمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام أن يجمع القرآن ال-مُنزَل على رسول الله صلى الله عليه و آله فى ثلاثه أيامٍ ((٤)) أو سبعه ((٥))، ولم يمكن ذلك لأبى بكر فى أكثر من أربعه وعشرين شهراً، أو لعمَر فى أكثر من عشره أعوام؟!

إنّ أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام جمع القرآن - وللمرّه الثانيه - مع تفسيره وتأويله ومحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه وعامّه وخاصّه فى ستّه أشهر ((٦))، فكيف لا يمكن لأبى بكر أن يجمع القرآن المنزَل على رسول الله صلى الله عليه و آله والمكتوب بيد

١- أى إمام المصاحف كلّها. وستقف لاحقاً على نصوص تؤكّد بأنّ عمر كان يريد أن يجعل مصحفه إماماً، لكنّه طُعن قبل أن يحقّق أُمنيته.

٢- من ١٣ ربيع الأول سنه ١١ إلى ٢١ جمادى الآخره سنه ١٣ للهجره.

٣- من ٢٢ جمادى الآخره سنه ١٣ إلى غره محرّم سنه ٢٤ للهجره.

٤- الفهرست لابن النديم: ٣٠، تفسير فرات الكوفى: ٣٩٨ / ح ٥٣٠.

٥- الكافى ٨: ١٨ / ٤، التوحيد للصدوق: ٧٣ / ح ٢٧، الأمالى: ٣٩٩ / ح ٩ وفيه: تسعه أيّام.

٦- مناقب آل أبى طالب ١: ٣١٩ مثلاً.

الصحابه والمحفوظ عند كثير منهم فى مدّهٍ هى أكثر من ضِعفَى مدّه الجمع الثانى من قِبل أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام ؟!

وهل يمكن أن يُعدّ عمل الإمام علىّ عليه السلام الثانى وترتيبه للقرآن ترتيباً زمنيّاً وتاريخيّاً وعلميّاً وبحسب التنزيل - مع إشارته إلى الناسخ والمنسوخ فى الآيات وتعيينه للمحكم والمتشابه والعامّ والخاص وشأن النزول - تحريفاً للقرآن؟ أم أنّه قرآنٌ مع تفسيره وتأويله وليس غير ذلك؟ وقد شهد الآلوسى فى (روح المعانى) قائلاً: «وقيل: كان جمعاً بصورهٍ أُخرى لغرضٍ آخر، ويؤيّده أنّه كتب فيه الناسخ والمنسوخ، فهو ككتاب علم» ((۱)).

إذن، النسخه الثانيه من المصحف الشريف لأمير المؤمنين هى كتاب علمٍ وتفسير حسب تعبير الآلوسى الذى سبقه ابن سيرين قديماً، بقوله: لو أُصيب ذلك الكتاب لوُجد فيه علمٌ كثير ((۲)).

وعليه، فالنسخه الثانيه للمصحف عند الإمام هى ليست بقرآن ذكر وتلاوه حتّى يُتصوَّر فيها التحريف.

بل ماذا تعنى مسأله عرض القرآن كلّ عامٍ بين جبرئيل الأمين والصادق الأمين؟ وما هو الهدف منه؟ ولماذا لا يوضّح معناه فى الكتب وبقى مغفولاً عنه لمدّه قرون؟ وهل حقّاً أنّ تفسيرنا الآتى هو الصحيح، أو أنّ هناك تفسيراً آخر لم نقف عليه؟

۱- روح المعانى ۱: ۲۲.

۲- التمهيد لابن عبد البر ۸: ۳۰۱، الاستيعاب ۳: ۹۷۴، الوافى بالوفيات ۱۷: ۱۶۷ ترجمه عبد الله بن عثمان.

بـل مَن هو الجامع لهـذا المصـحف الموجود بأيـدينا اليوم؟ هـل هو عثمان بن عفّان، أو أنّ هـذا المصـحف هو نفسه المصـحف المرتّب من قِبل رسول الله أيام حياته والموجود خلف فراشه صلى الله عليه و آله ، والّذى جمعه ووحد شكله أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب بين الدفّتين؟

وهل حقّاً يصحّ ما قاله الأعـداء عن الشيعه، من أنّهم ليس لهم سـند صـحيح إلى هذا القرآن؟ أم أنّ هذا المصـحف المتلو اليوم صـار مـدوَّناً مكتوباً بفضل إمامهم أميرالمؤمنين علىّ بن أبى طالب، الـذى علّم أبا الأسود الـدؤلى القراءه والنحو، وأوصل القرآن المتلوّ بالقرآن المكتوب؟

قد يكون جواب هذه الأسئله وغيرها موجوداً فى هذا الكتاب، وهو يخالف حقاً ما اشتهر على الألسن فى سبب ذلك، ونحن قد وضّحنا فى هذه الدراسه أُموراً كثيره كان يُتصوّر تعارضـها مع أُمورٍ أُخرى، فى حين أنها فى الواقع لا تتعارض معها، فلا تعارض بين وجـود مصحفٍ بأيـدى المسـلمين وبين اسـتمرار نزول الوحى على رسول الله صـلى الله عليه و آله وإمكـان وقوع النسْـخ فى بعض الآيات النازله عليه!

ومثله عـدم وجود التضادّ فى القول بأنّ ترتيب مصـحف الإمام علىّ (المفسَّر) يختلف عن ترتيب المصـحف (المجرّد)، لأنّ الأوّل كتاب علم، والثانى قرآن تلاوه وذكر.

أو أنّ الذهاب إلى عدم تواتر القراءات لا يضرّ بتواتر القرآن نفسه، إلى غير ذلك من البحوث المرتبطه بجمع القرآن وتدوينه.

فى ضوء ما أسلفنا نستطيع القول: إنّ ما طُرح من آراءٍ وأسس فى مسأله جمع القرآن من قِبل مدرسه الصحابه والخلافه، معظمها تسـىء إلى الإسـلام وقـادته، وقـد صـار بعضـها سـبباً للقـول بتحريـف الكتـاب العزيز مـن قِبـل أعـداء الـدين، وقـد تمسّـك بها المستشرقون فى دراساتهم، وإنّى من باب الحرص على الشريعه الغراء والدفاع عن

المقدّسات والقيَم - وعلى رأس ذلك الدفاع عن القرآن الكريم -، شَمَّرْتُ عن ساعد الجدّ بتوضيح بعض ملابسات تلك الآراء السقيمه والمقدّمات الخاطئه الّتى فشت وشاعت بين المسلمين وتسللت إلى كتبهم، وبتوجيه من الحكومتَين (الأمويه((۱)) والعبّاسيه) ودورهما فى تأسيسها، فسعيت أن أوضّح بأنّ تدرُّجهما فى طرح تلك الأسس واحداً بعد الآخر، واستخدامهما بعض المقدِّمات المُمَوّهه فيها، وتأسيس أفكارٍ لا تتّفق والأُصول القرآنيّه والثوابت الحديثيّه والعقليّه عند المسلمين، كلها كانت للوصول إلى أهداف سوف نزيح عنها اللثام فى فصول هذه الدراسه.

وأن تضارب تلك النصوص فيما بينها هى الّتى جعلت بعض الباحثين يشعرون بوجود التناقض والتضادّ بين الأُصول الإسلاميه قرآناً وسنه وأن بعضها لا تتّفق مع الآخر.

ومما زاد اهتمامى بهذا الموضوع حينما رأيت علوق هذه الشبهه وأمثالها فى أذهان بعض الباحثين المعاصرين، فقد سألنى الدكتور الأمريكى (دايفد ب كوك David B. Cook, PH. D.) الأُستاذ المشارك فى الدراسات الدينيّه فى جامعه رايسى (RICE) - تكساس حين زيارته لى عام ۲۰۱۳ م / ۱۴۳۴ ه- فى مدينه مشهد الإيرانيه عن عدّه مسائل حول العقيده والقرآن والتفاسير المعتمده عند الشيعه ورؤيتنا حول الصحابه ومكانه نهج البلاغه عندنا، وكان ضمن المسائل الّتى طُرحت فى ذلك

۱- قال الخوارزميّ فى رسائله: ۱۱۷ ط مصر - معرّضاً بآل أُميّه -: فما قدروا على دفن حديث من أحاديث رسول الله ولا على تحريف آيهٍ من كتاب الله جلّ شأنه ... .

اللقاء مسألهُ جمع القرآن وكيف يكون القرآن معصوماً)لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ) وقد جُمع بيد غير المعصوم؟ فسألنى أحد الحضور: ألا تحتمل أن يقع السهو والخطأ من قِبل الجامع للقرآن إن كان غير معصوم؟

فقلت: نعم صحيح، ويمكن وقوعه، ولا يُستبعَد، لكنَّ هذه الرؤيه التى تقولها ليست رؤيتنا، بل هى رؤيه مدرسه الخلافه التى لا نقبلها نحن ونكذّبها تبعاً لأئمّتنا، فنحن نعتقد بعصمه هذا القرآن وأنّه قد رُتّب بيد المعصوم (رسول الله)، وذلك بقرار من رب العالمين بواسطه جبرئيل الأمين المعصوم، ثمّ جمعه أمير المؤمنين على بن أبى طالب المعصوم بين الدفتين بعد رسول الله صلى الله عليه و آله .

لكنّ الآخرين ولأجل خلافهم مع الإمام حول الخلافه أعرضوا عن المصحف الاصل الموجود لدى الإمام على ولم يطالبوه به، ولم يتخذوه مصحفا اماما بل الخلاف السياسى بعد رسول الله دعاهم أن يصروا على رسم أُصولٍ خاطئه وأن ينتهجوا منهجاً كاد أن يوقع المسلمين فى تحريف القرآن، لكنّ الله صان كتابه من التحريف. فلم يسقط منه حرف (ألفٍ) ولا (لام) حسب تعبير الإمام على(۱)، وذلك لأنّ رسول الله أقرأ الناسَ (القرآن) على مكث (وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ)مع وجود المعصوم بينهم، فهما اللذان حفظا الكتاب العزيز من التحريف.

ويدل على ذلك خوف عمر من الزياده فى القرآن لاشتهاره بين الناس وقوله:

۱- انظر الصفحات ۳۱۲ و ۳۱۸ و ۳۲۲ من هذا الكتاب وجاء عن الإمام الباقر كما فى تفسير فرات: ۳۹۸ / ح ۵۳۰: فلم يزد فيه الشيطان شيأ ولم ينقص منه شيئاً.

لولا أن يقول الناس زاد عمر لأثبتته فی بعض المصحف(<u>(۱)</u>).

وقول زيـد بن ثابت لعمر: فإن أنا فرغت من القرآن على ما سألتم وأظهر على القرآن الذى ألفه أليس قد بطل ما قد عملتم(<u>(۲)</u>)، الى آخر الخبر، فهذان هما اللذان حفظا الكتاب العزيز من التحريف.

إذن، كـلّ تلك المقـدمات الخاطئه التی رُسـمت من قبل مـدرسه الخلافه (<u>(۳)</u>) قد سـبّبت مشاكل للعقيده الإسـلاميّه، وهی الّتی تمسّک بها المغرضون من المستشرقين وغيرهم للتعريض بالدين الحنيف والقول بتحريف القرآن الكريم.

وقد ذكرتها على شكل نقاط فی تمهيد هذه الدراسه، كی يكون الباحث على حيطهٍ وحذر من الأخذ بما يخالف ما يَرِد عن أهل بيت العصـمه والطهاره عليهم السـلام ؛ لأنّهم سـفن النجاه، وأحـد الثقلين اللّـذَين قـد أُمِرنا باتّباعهما، وأنّ فی مخالفتهما الضـلال بحسب تعبير الرسول الأـعظم صـلى الله عليه و آله فی حـديث الثقلين: «إنّی تـاركٌ فيكم الثقلين؛ كتاب الله وعترتی أهل بيتی، ما إن أخذتـم بهما لن تضلّوا بعدی أبداً» (<u>(۴)</u>).

وعليه، فالقول بأنّ زيد بن ثابت وأعوانه هم الّذين جمعوا القرآن بشاهدَين يستلزم

۱- أحكـام القرآن للجصـاص ۵ : ۱۰۵، البرهـان ۲ : ۳۵ ورواه البخـارى معلقا فی صـحيحه ۶ : ۲۶۲۲ باب الشـهاده تكون عند الحاكم فی ولايته.

۲- الاحتجاج ۱ : ۲۲۵.

۳- التی ستقف عليها بعد قليل.

۴- بصائر الدرجات: ۴۳۳ / ح ۳، تحف العقول: ۴۵۹، المعجم الكبير ۳: ۶۵ / ۲۶۷۸ و۲۶۷۹، مسند أحمد ۳: ۵۹ / ۱۱۵۷۸.

منه عـدم تواتر القرآن، بل عـدم صـحه كلام البارى – والعياذ بالله – القائل: (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) وحيث أنّ القرآن الّذى بين أيـدينا – وإن إختلفت القراءات فيه – لا ريب فى تواتره عن النبىّ صـلى الله عليه و آله تواتراً قطعيّاً، فيكون القول بـأنّ زيـداً هو جامع القرآن باطلاً من أساسه.

واليـك الآن بعض تلـك المقـدِّمات المموِّهه والخـاطئه – الّتى طرحوهـا فى أزمـانٍ متقطّعه ولعلـلٍ خاصّه، والتى سـبّبت مشاكل عقائـديه للمسلمين، فهى بمجموعهـا ألْقت بين المسـلمين فكره نفى إشـراف رسـول الله صـلى الله عليه و آله على جمـع وترتيب القرآن – التى توصل إلى نتائج لا تحمد عقباها، فإنى بتوضـيحى لتلك المقدمات – مع بيانى لشىءٍ من النقد لها، من دون رعايه الترتيب الزمنى بينها – سأسـعى لتجسـيمها، مبيناً كيفيه اختلاقُها، وآثارها السـلبيه على الشـريعه والعقيده، وكيفيه اسـتغلال الأعداء لها.

ثم آتى بعـد ذلـك بالرؤيه التصـحيحيّه لمـدرسه أهل البيت عليهم السـلام لأؤكد عدم ارتضائهم لتلك الأفكار، وتصـحيحهم لما طرحوه، لأنّ من منهـج أهـل البيت تصـحيح الأفكـار الخـاطئه وخصوصاً التى أخـذ بها الناسُ تبعاً ومجاراه لحكّامهم فى العصور المتأخّره، تاركاً للمطالع الكريم الحكم لنا أو علينا، أو الأخذ بما قالوه فى جمع القرآن أو بما قلناه. وفى الختام أشـكر الأخ سـمير الكرمانى لضبطه نصوص الكتاب وإعداده فهارس المصادر سائلاً سبحانه أن يتقبل منا هذا القليل، والله من وراء القصد.

المؤلّف

الجمعه ۱۵ شعبان ۱۴۳۵ ه–

كربلا المقدسه

تمهيد

فی تاریخ جمع القرآن رؤیتان:

إحداهما: تبنّتها مدرسه الخلافه – وهی المشهوره علی الألسن –، والأُخری: تبنّتها مدرسه الإمامه.

وأُصول المدرستَین تختلف کلُّ واحدهٍ عن الأُخری..

فالأُولی: تُبتنی علی مقدّماتٍ قد توصلنا إلی التشکیک بحُجّیه القرآن الکریم وإلی المساس بقدسیّه النبیّ صلی الله علیه و آله .

والثانیه: فیها جواب تلک الإشکالات المتعدّده الّتی أثارتها مدرسه الخلافه فی مسأله جمع القرآن وغیرها والخروج برؤیه موضوعیه فی هذا الأمر.

وبعبارهٍ أوضح: إنّ کلام أئمّه أهل البیت علیهم السلام وعلماء مدرستهم جاء ناظراً إلی الاتجاه الخاطئ والفکر السائد آنذاک بین المسلمین، ساعیاً إلی تصحیحه وتقویمه نحو الطریق الصحیح.

مع التنبیه علی أنّ فکره مدرسه الخلافه فی جمع القرآن لیست ولیده ساعتها، وإنّما تمخّضت عن علل وأسبابٍ خاصّه مرّ بها الخلفاء، وأنّ تلک العلل والأسباب السیاسیّه والاجتماعیّه هی الّتی دعتهم لتبنّی هذه الفکره والقول بها، نطویها فی عشر مقدّمات:

مدرسه الخلافه ومقدّماتها العشر فی جمع القرآن، والرؤیه التصحیحیه من قبل مدرسه أهل البیت لها

المقدّمه الأُولی:

اشاره

قالوا: إنّ النبیّ صلی الله علیه و آله أُمّیّ؛ بمعنی أنّه لا یعرف القراءه والکتابه، جاعلین جهله بالکتابه معجزهً له ولکتابه، معتبرین مَن لم یوافقهم فی ذلک کافراً أو فاسقاً أو خارجاً عن الدین! وهذا الرأی لا یوافق مدرسه أهل البیت علیهم السلام .

الرؤیه التصحیحیه: النبیّ صلی الله علیه و آله یعرف القراءه والکتابه، لکنّه لا یکتب:

إنّ المشهور علی الألسن أنّ الأُمّیّ هو وصفٌ لکلّ مَن یولَد من أُمِّه وهو لا یعرف القراءه والکتابه.

لکنّ هذا التفسیر تفسیر بدائی وفطری، لا یمکن تطبیقه علی رسول الله صلی الله علیه و آله ، ذلک الإنسان المعلَّم من قِبل الله تعالی والجامع لجمیع الخصال والفضائل، إذ أنّ الله

سبحانه وتعالی أکّد بأنّه علّم نبیّه ما لم یکن یعلم؛ فی قوله تعالی: (وَکَذلِکَ أَوْحَیْنَا إِلَیْکَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا کُنتَ تَدْرِی مَا الْکِتَابُ وَلاَ الإِیمَانُ) ((۱))، وقوله تعالی: (وَأَنزَلَ الله عَلَیْکَ الْکِتَابَ وَالْحِکْمَهَ وَعَلَّمَکَ مَا لَمْ تَکُنْ تَعْلَمُ) ((۲))، وأمثال ذلک من الموارد الکثیره فی القرآن الکریم، تؤکّد بأجمعها علی أنّ الله علّم رسوله صلی الله علیه و آله کلّ العلم وعلّمه ما لم یکن یعلم.

وقد أکّد الشیخ المفید علی أنّ الله بعد أن خصّ محمداً بالنبوه کان کاملاً یحسن الکتابه فقال: إنّ الله تعالی لما جعل نبیّه صلی الله علیه و آله جامعاً لخصال الکمال کلّها وخلال المناقب بأسرها لم تنقصه منزله بتمامها یصحّ له الکمال ویجتمع فیه الفضل، والکتابه فضیله من منحها فضل ومن حرمها نقص، ومن الدلیل علی ذلک أنّ الله تعالی جعل النبی صلی الله علیه و آله حاکماً بین الخلق فی جمیع ما اختلفوا فیه فلابدّ أن یعلّمه الحکم فی ذلک ، وقد ثبت أنّ أمور الخلق قد یتعلّق أکثرها بالکتابه فتثبت بها الحقوق وتبرئ بها الذمم وتقوم بها البیّنات وتحفظ بها الدیون وتحاط بها الأنساب، وانّها فضل تشرف المتحلّی به علی العاطل منه، وإذا صحّ أنّ الله - جل إسمه - قد جعل نبیّه بحیث وصفناه من الحکم والفضل ثبت أنّه کان عالماً بالکتابه محسناً لها.

وشیء آخر وهو أنّ النبی لو کان لا یحسن الکتابه ولا یعرفها لکان محتاجاً فی فهم ما تضمّنته الکتب من العقود وغیر ذلک إلی بعض رعیّته، ولو جاز أن یحوجه الله فی

۱- سوره الشوری: ۵۲.

۲- سوره النساء: ۱۱۳.

بعض ما كلّفه الحكم فيه إلى بعض رعيّته لجاز أن يحوجه فى جميع ما كلّفه الحكم فيه إلى سواه وذلک مناف لصفاته ومضادّ لحكمه باعثه، فثبت أنّه صلى الله عليه و آله كان يحسن الكتابه.

وشىء آخر وهو قول الله سبحانه: (هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَهَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ) ومحال أن يعلّمهم الكتاب وهو لا يحسنه كما يستحيل أن يعلّمهم الحكمه وهو لا يعرفها، ولا معنى لقول من قال: «انّ الكتاب هو القرآن خاصّه» إذ اللفظ عام والعموم لا ينصرف عنه إلّا بدليل، لا سيّما على قول المعتزله وأكثر أصحاب الحديث.

ويدلّ على ذلک أيضاً قوله تعالى: (وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِکَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ) فنفى عنه إحسان الكتابه وخطّه قبل النبوّه خاصّه فأوجب بذلک إحسانه لها بعد النبوّه، ولولا انّ ذلک كذلک لما كان لتخصيصه النفى معنى يعقل، ولو كان حاله صلى الله عليه و آله فى فقد العلم بالكتابه بعد النبوّه كحاله قبلها لوجب إذا أراد نفى ذلک عنه أن ينفيه بلفظ يفيده لا يتضمّن خلافه فيقول له: «وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطّه بيمينک إذ ذاک، ولا فى الحال»، أو يقول: «لست تحسن الكتابه ولا- تأتى بها على كلّ حال»، كما انّه لما أعدمه قول الشعر ومنعه منه نفاه عنه بلفظ يعمّ الأوقات فقال الله: (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِى لَهُ) وإذا كان الأمر على ما بيّناه ثبت أنّه صلى الله عليه و آله كان يحسن الكتابه بعد ان نبّأه الله تعالى على ما وصفناه. وهذا مذهب جماعه من الإماميه ويخالف فيه باقيهم وسائر أهل المذاهب والفرق يدفعونه

وینکرونه((۱)).

إذن، فعدم قراءته وکتابته فی قوله تعالی: (وَمَا کُنتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِ مِن کِتَابٍ وَلا تَخُطَّهُ بِیَمِینِکَ إِذاً لاَرْتَابَ الْ-مُبْطِلُونَ) ((۲))، لا یعنی عدم معرفته بهما، بل إنّه لا یحتاجهما تنزّها ورفعه، لکونه المعلَّم من قبل الله تعالی، (یَتْلُواْ صُحُفاً مُّطَهَّرَهً) ((۳)) فمن تعهّد الجلیلُ بتعلیمه وتهذیبه غنیٌّ عن الدراسه عند غیره، بل هو عالمٌ بما لم یکن یعلم، فضلًا من عند الله تعالی. قال سبحانه: (وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَیْکَ الْکِتَابَ وَالْحِکْمَهَ وَعَلَّمَکَ مَا لَمْ تَکُن تَعْلَمُ) ((۴)).

عن إبراهیم بن عمر، قال: قلت لأبی عبد الله الصادق علیه السلام : أخبرنی عن العلم الّذی تعلمونه، أهو شیءٌ تعلمونه من أفواه الرجال بعضکم من بعض، أو شیءٌ مکتوب عندکم من رسول صلی الله علیه و آله ؟

قال: فقال: «الأمرُ أعظم من ذلک، أما سمعتَ قول الله عزّ وجلّ فی کتابه: (وَکَذلِکَ أَوْحَیْنَا إِلَیْکَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا کُنتَ تَدْرِی مَا الْکِتَابُ وَلاَ الإِیمَانُ)؟».

قال: قلت: بلی.

قال: «فلمّا أعطاه الله تلک الروح علِم بها، وکذلک هی إذا انتهت إلی عبدٍ

۱- أوائل المقالات المطبوع ضمن مصنفات شیخ المفید ۴ : ۱۳۵ - ۱۳۷.

۲- سوره العنکبوت: ۴۸.

۳- سوره البینه: ۲.

۴- سوره النساء: ۱۱۳.

عَلِمَ بها العلمَ والفَهْمَ» ((۱)).

وعن محمّد بن الفضيل، عن أبی حمزه قال: سمعت أبا جعفر الباقر علیه السلام یقول: «لا والله لا یکون عالمٌ - یعنی العالم الّذی افترض الله طاعته - جاهلاً أبداً، عالماً بشیءٍ جاهلاً بشیء». ثم قال: «الله أجلّ وأعزّ وأکرم من أن یفرض طاعه عبدٍ یحجب عنه علم سمائه وأرضه». ثم قال: «لا یحجب ذلک عنه» ((۲)).

وعن ابن محبوب قال: حدّثنا یحیی بن عبد الله أبی الحسن صاحب الدیلم، قال: سمعت جعفر بن محمّد الصادق علیهما السلام یقول - وعنده أُناسٌ من أهل الکوفه -: «عجباً للناس! إنّهم أخذوا علمهم کلّه عن رسول الله صلی الله علیه و آله فعملوا به واهتدوا، ویرون أنّ أهل بیته لم یأخذوا علمه، ونحن أهل بیته وذرّیته، فی منازلنا نزل الوحی، ومِن عندنا خرج العلمُ إلیهم، أفیرَون أنّهم عِلموا واهتدوا وجهِلْنا نحن وضلَلنا؟! إنّ هذا لمحال!»((۳)).

فهذا هو مقام رسول الله صلی الله علیه و آله ومقام أوصیائه البرره، وهو أسمی من معرفه

۱- بصائر الدرجات: ۴۷۹ / ح ۳، ومثله عن عبد الله بن طلحه، اُنظر: الحدیث ۲ من الصفحه نفسها، والکافی ۱: ۲۷۳ / ح ۵ من کتاب الحجّه - باب الروح الّتی یسدّد الله بها الائمّه (الحدیث.

۲- الکافی ۱: ۲۶۲ / ح ۶.

۳- الکافی ۱: ۳۹۸ / ح ۱ من کتاب الحجّه - باب أنّ مستقی العلم من بیت آل محمّد صلی الله علیه و آله .

القراءه والكتابه، إلّا أنّ الآخَرين يريدون أن ينتقصوا من شأنه صلى الله عليه و آله ما وسعهم، فادَّعوا أنّه لا يعرف الكتابه والقراءه، وان كان هناك من يخالفهم فى الرأى، قالوا بذلك تمهيداً لأُمورٍ كثيره فى الشريعه والعقيده، منها عدم جمعه للقرآن، جهلاً بالكتابه ((۱)) – والعياذ بالله –.

فتراهم يحجبون عن رسول الله صلى الله عليه و آله معرفته بعلم كتابه السطور، وهو القائل لأحد كتّاب الخط: «أَلِقِ الدواه، وحَرِّفِ القلم، وانصب الباء، وفرّق السين، ولا تُعَوِّر الميم، وحَسِّن (الله)، ومُدَّ (الرحمن)، وجوِّد (الرحيم)، وضع قلمك على أُذنك اليسرى فإنّه أَذكَرُ لك» ((۲)).

فى حين روى عن الشعبى عندهم انه قال: ما مات رسول الله حتى كتبه، واسند النقاش حديث ابى كبشه السلولى انه صلى الله عليه و آله قرأ صحيفه لعيينه بن حصن واخبر بمعناها.

وفى صحيح مسلم ما ظاهره انه كتبه مباشره، وقد ذهب الى ذلك جماعه منهم: ابو ذر عبد الله بن احمد الهروى، والقاضى ابو الوليد الباجى، وغيرهما.

واشتد نكير كثير من علمائنا على ابى الوليد الباجى حتى كان بعضهم يسب ويطعن فيه على المنبر، وتأول اكثر العلماء ما ورد (انه كتب) على ان معناه امر بالكتابه

۱– ومنها قول سعد بن أبى سرح بأنّه كان يبدل الآيات (عزيز حكيم) الى (غفور رحيم) والنبى لا يعلم بذلك أو يقرّه وأمثاله. أنظر: لباب النقول: ۱۰۳، ثقات ابن حبان ۳: ۲۱۴ ترجمه ۷۰۹ لسعد بن أبى سرح.

۲– بحار الأنوار ۲: ۱۵۲ / ح ۴۱، وانظر: الدرّ المنثور ۱: ۲۸، عن الديلمى فى الفردوس ۵: ۳۹۴ / ۸۵۳۳.

كما تقول: كتب السلطان لفلان بكذا اى امر بالكتب ((۱)).

... وذكر يحيى بن جعده ان ناسا من المسلمين اتوا رسول الله بكتب قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود ((۲)) فلما نظر اليها القاها وقال: كفر بها جماعه قوم او ضلاله قوم ان يرغبوا عما جاء به نبيهم الى ما جا ء به غير نبيهم فنزل (أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ ...) ((۳)).

كما جاء فى (بصائر الدرجات) للاماميه، عن أبى حمزه الثمالى، عن الصادق عليه السلام فى حديثٍ قال فيه: نظر رسول الله إلى ألواح موسى وقرأها، وكتابها بالعبرانى ((۴)).

ومن هذا يتضح أنّ النبىّ كان يعرف القراءه والكتابه ((۵))، وكان داعياً إليهما،

۱- تفسير ا لبحر المحيط ۷: ۱۵۱.

۲- فعن خالد بن عرفطه إن عمر قال: انطلقت أنا ... فانتسخت كتاب من أهل الكتاب ثم جئت به فى أديم. فقال لى رسول الله ما هذا فى يدك يا عمر، قلت يا رسول الله: كتاب انتسخته لنزداد به علماً الى علمنا، فغضب رسول الله حتّى احمرّت وجنتاه، ثم نودى ب- (الصلاه جامعه)، فقالت الأنصار: أغضب نبيكم! السلاح السلاح، فجاؤوا حتّى أحدقوا بمنبر رسول الله صلى الله عليه و آله ، فقال صلى الله عليه و آله : يا أيها الناس! إنى قد أوتيت جوامع الكلم وخواتيمه، واخْتُصر لى اختصاراً، ولقد أتيتكم بها بيضاء نقيّه، فلاتَتَهوَّكوا (تقييد العلم: ۵۲) ولا يغرّنكم المتهوِّكون . قال عمر: فقمت فقلت: رضيت بالله ربّاً، وبك رسولاً، ثمّ نزل رسول الله صلى الله عليه و آله (المصنف لعبد الرزاق ۶ : ۱۱۳/ ح ۱۰۱۶۴، ۱۰ : ۳۱۳، ح ۱۹۲۱۳، ومجمع الزوائد ۱ : ۱۷۴ وفيه: يا رسول الله! جوامع من التوراه أخذتها من أخ لى من بنى زريق، فتغيّر وجه رسول الله ...).

۳- تفسير البحر المحيط ۷: ۱۵۲.

۴- بصائر الدرجات: ۱۵۹ / ح ۴ - عنه: بحار الأنوار ۱۷: ۱۳۷ / ح ۲۱.

۵- وحتّى إنّه كان يعرف القراءه باللّغه العبريه كما فى النصّ السابق.

ساعیاً لمحو الجهل والامیه فی أُمّته حسبما ستقف علیه فی سیرته العطره، خاصّهً وأنّ القرآن المجید یؤکّد علی عظمه الکتابه ویقسم بالقلم فی قوله تعالی: (ن وَالْقَلَمِ وَمَا یَسْطُرُونَ) ((۱))، وقوله تعالی: (إقْرَأْ وَرَبُّکَ الأَکْرَمُ * الَّذِی عَلَّمَ بِالْقَلَمِ) ((۲))، وأمثالهما، فکیف یدعو الله فی کتابه إلی القراءه والکتابه ورسوله لا یعرفهما؟!

إذن، فإنّ تعلُّم القراءه والکتابه - وهما من وسائل کسب المعرفه - سلاح من أراد أن یتکامل، لا الکامل من الله عزّ وجلّ کالنبیّ المبعوث محمّد بن عبد الله صلی الله علیه و آله ، وإنّ مقوله: «ما کُتِبَ قَرَّ وما حُفِظَ فَرَّ» لا تنطبق علی رسول الله صلی الله علیه و آله ، فالرسول أعلی مرتبهً وأعظم شأناً من أن یتعلَّم الکتابه والقراءه من الآخرین.

وفی ضوء ما اسلفنا نستطیع ان نقول: إنّ کلمه الأُمّیّ فی قوله تعالی: (الَّذِینَ یَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِیَّ الأُمِّیَّ الَّذِی یَجِدُونَهُ مَکْتُوباً عِندَهُمْ فِی التَّوراهِ وَالإِنْجِیلِ ... فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِیِّ الأُمِّیِّ الَّذِی یُؤْمِنُ بِاللهِ وَکَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّکُمْ تَهْتَدُونَ) ((۳))، جاءت مدحاً للرسول لا ذمّاً أو منقصهً له، ومعناها: أنّ الرسول رغم کونه ولد من بطن أمه ولم یتعلّم القراءه والکتابه عند أحدٍ من المخلوقین، فقد جاءهم بالمعارف الإلهیّه علی أکمل وجهها، لتعلُّمه ذلک من ربّ العالمین، بل إنّ الله سبحانه أمره أن یُقرِئ أُمّته ویعلمهم ما نزل علیه فی قوله تعالی: (وَیُعَلِّمُهُمُ الکِتابَ)((۴))، و(وَقُرْآنًا

۱- سوره القلم: ۲.

۲- سوره العلق: ۴.

۳- سوره الأعراف: ۱۵۷ و۱۵۸.

۴- سوره آل عمران: ۱۶۴.

فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ) ([(۱)](#)).

على أنّ مدرسه أهل البيت لا ترى ما يراه غيرهم فى كلمه «الأُمىّ»، فقد قال جعفر بن محمّد الصوفى:

سألتُ أبا جعفر [الجواد] محمّد بن علىّ الرضا عليهما السلام ، فقلت: يا بن رسول الله، لِمَ سُمّى النبىّ صلى الله عليه و آله (الأُمّىّ)؟

فقال: «ما تقول الناس؟».

قلت: يزعمون أنّه إنّما سُمّى (الأُمّى) لأنّه لم يحسن أن يكتب.

فقال: «كذبوا، عليهم لعنه الله، أنّى ذلك والله يقول فى محكم كتابه: (هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَهَ) ([(۲)](#))، فكيف كان يعلّمهم ما لا يُحسِن؟! واللهِ لقد كان رسول الله صلى الله عليه و آله يقرأ ويكتب باثنتين وسبعين – أو قال: بثلاثه وسبعين – لساناً، وإنّما سُمّى الأُمّى لأنّه كان من أهل مكّه، ومكّه من أُمّهات القُرى، وذلك قول الله عزّ وجلّ: (لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا)» ([(۳)](#)).

۱- سوره الإسراء: ۱۰۶.

۲- سوره الجمعه: ۲.

۳- أوائل المقالات المطبوع ضمن مصنفات الشيخ المفيد ۴ : ۱۳۵ – ۱۳۷، علل الشرائع ۱: ۱۲۴ / ح ۱ – عنه: بحار الأنوار ۱۶: ۱۳۲ / ح ۷۰، وقريبٌ منه روايه علىّ بن أسباط عن أبى جعفر فى علل الشرائع ۱: ۱۲۵ / ح ۲وبصائر الدرجات: ۲۲۶ / ح ۴ باب فى أن رسول الله كان يقرأ ويكتب بكل لسان وفيه: قلت لأبى جعفر: أن الناس يزعمون أن رسول الله لم يكن يكتب ولا يقرأ، فقال: كذبوا لعنهم الله أنى ذلك وقد قال تعالى: (...وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَهَ ...) فكيف أن يعلمهم الكتاب والحكمه وليس يحسن أن يقرأ ويكتب.

وعلیه فإنّ الله سبحانه وتعالی علّم نبیّه العلوم کلّها؛ (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْ-هَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى) ((۱))، فإذَنْ قوله: (وَمَا كُنْتَ تَتْلُواْ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْ-مُبْطِلُونَ) ((۲))، جاء لدفع ما اتّهموه صلی الله علیه و آله به من أخذه واقتباسه من الأدیان السماویّه الأُخری. قال سبحانه: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَـذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاؤُوا ظُلْماً وَزُوراً * وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) ((۳))، لأنّ الاقتباس والاستنساخ من الکتب السابقه یحتاج إلی الکتابه والقراءه، وبما أنّ رسول الله صلی الله علیه و آله لم یُعرَف عنه أنّه دخل الکُتّاب أو تعلّم القراءه والکتابه من أحدٍ فی الجاهلیّه، فکیف به أن یأتی بهذه العلوم الغریبه الّتی هی فوق طاقه البشر. وقال تعالی: (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَـذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ)((۴)).

فسبحانه وتعالی أراد أن یقول لهم: إنّ محمّد بن عبد الله هو ابن مکّه (أُمّ القُری)،

۱- سوره النجم: ۱ - ۵.

۲- سوره العنکبوت: ۴۸.

۳- سوره الفرقان: ۵.

۴- سوره النحل: ۱۰۳.

وأنتم أعرف بحاله وتاريخه، وأنّه لم يدخل الكُتّاب ولم يتعلّم من أُستاذ، فكيف تدّعون أخذ كتابه عن الأديان الأُخرى؟! ومعناه: أنّه لم يكن محمّد بن عبد الله صلى الله عليه و آله يقرأ كتاباً أو يخطّه بيمينه، ولمّا لم يكن منه ذلك، لَم يبقَ ريبٌ بأنّ المنزَل عليه هو من ربّ العالمين، وليس هو تلفيقاً مأخوذاً من كتب السابقين حسبما تزعمون.

نعم، إنّه صلى الله عليه و آله قد استعان ببعض أعدائه فى كتابه الوحى لحكمةٍ، فاستمع لما قاله الصدوق رحمه الله:

ووجه الحكمه فى استكتاب النبىّ صلى الله عليه و آله الوحىَ معاويةَ وعبدَ الله بن سعد - وهما عدوّان -، هو أنّ المشركين قالوا: إنّ محمّداً يقول هذا القرآن من تلقاء نفسه، ويأتى فى كلّ حادثةٍ بآيه ...

فاستعان فى كتْب ما ينزل عليه فى الحوادث الواقعه بعدوَّين له فى دينه عَدْلَين عند أعدائه، ليُعلِمَ الكفّارَ والمشركين أنّ كلامه فى ثانى الأمر كلامه فى الأوّل، غير مغيَّرٍ ولا مُزالٍ عن جهته، فيكون أبلغ للحجّه عليهم، ولو استعان فى ذلك بوليَّين - مثل سلمان وأبى ذر وأشباههما - لكان الأمر عند أعدائه غير واقع هذا الموقع، وكان يُتخيَّل فيه التّواطؤ والتطابق، فهذا وجه الحكمه فى استكتابهما واضحٌ بيّن، والحمد لله ((۱)).

إنّ ظاهر قوله تعالى: (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ)، هو تعليم رسول الله أُمّته الكتابَ كتابةً وتفهيماً، لأنّ من الواضح أنّ (الكتاب) يُطلَق على الألفاظ والمعانى معاً، وهو مثل

۱- معانى الأخبار: ۳۴۷ / ح ۱.

قول رسول الله صلی الله علیه و آله : «مَن حفظ علی أُمّتی أربعین حدیثاً ...» ((۱)). وإنّ حفظ کلام رسول الله لا یختصّ بحفظه عن ظهر القلب، بل الحفظ یتحقق بالکتابه أیضاً، بل قد یمکن القول بأنّ المحافظه علیه بالکتابه هی الأجدر والأنفع، ولهذا نری العلماء قدیماً وحدیثاً یؤلّفون کتب الأربعینیّات الحدیثیه ولم یکتفوا بحفظها فی الصدور.

ومثل هذا الکلام یأتی فی قوله تعالی: (یَتْلُواْ صُحُفاً مُّطَهَّرَهً) ((۲))، أو فی قوله تعالی: (وَاتْلُ مَا أُوحِیَ إِلَیْکَ مِن کِتَابِ رَبِّکَ) ((۳))، وأمثالهما، فکلّها تدلّ بالإطلاق - إن لم تکن بالظهور - علی أنّه صلی الله علیه و آله کان یقرأ ویتلو المکتوب.

وهناک روایات کثیره أُخری دالّه علی معرفه رسول الله صلی الله علیه و آله بالقراءه والکتابه، منها: صحیحه عبد الرحمان بن الحجّاج، قال: قال أبو عبد الله علیه السلام : «إنّ النبیّ کان یقرأ ویکتب، ویقرأ ما لم یکتب» ((۴)).

قال المجلسی - بعد ذکره لتلک الروایات -:

کیف لا یَعلم مَن کان عالماً بعلوم الأوّلین والآخرین، أنّ هذه النقوش موضوعهٌ لهذه الحروف؟! ومَن کان یقدر بإِقدار الله تعالی علی شقّ القمر وأکبر منه، کیف لا یقدر علی نقش الحروف والکلمات علی

۱- أُنظر: مشکاه المصابیح ۱: ۶۸ / ح ۲۵۸، کنز العمّال ۱۰: ۹۷ و۹۸ / ح ۲۹۱۸۲ - ۲۹۱۹۲.

۲- سوره البیّنه: ۲.

۳- سوره الکهف: ۲۷.

۴- بصائر الدرجات: ۲۴۷ / ح ۵.

الصحائف والألواح؟!([(۱)])

ومن الروایات الصحیحه فی هذا الباب: روایه ابن سنان، عن أبی عبد الله علیه السلام ، الوارده فی کیفیه صلح الحدیبیّه الطویله، وفیها:

فدعا رسول الله بالکتب، ودعا أمیر المؤمنین وقال له: «اُکتب». فکتب أمیر المؤمنین: «بسم الله الرحمن الرحیم»، فقال سهیل بن عمرو: لا نعرف (الرحمن)، اُکتب کما کان یکتب آباؤک: باسمک اللّهم.

فقال رسول الله صلی الله علیه و آله : «اُکتب: باسمک اللّهم، فإنّه اسمٌ من أسماء الله». ثمّ کتب: «هذا ما تقاضی علیه محمّدٌ رسول الله والملأ من قریش».

فقال سهیل بن عمرو: لو علمنا أنّک رسول الله ما حاربناک، اُکتب: هذا ما تقاضی علیه محمّد بن عبد الله، أتأنف من نسبک یا محمّد؟!

فقال رسول الله صلی الله علیه و آله : «أنا رسول الله وإن لم تُقِرُّوا»، ثم قال: «اُمحُ - یا علیُّ - واکتب: محمّد بن عبد الله»، فقال أمیر المؤمنین: «ما أمحو اسمک من النبوّه أبداً([(۲)])»، فمحاه رسول الله بیده، ثم کتب صلی الله علیه و آله : «هذا ما

۱- بحار الأنوار ۱۶: ۱۳۴ من بیان للمجلسیّ فی ذیل الحدیث ۷۲.
۲- إن طلب رسول الله لم یکن مولویاً بل إرشادیاً، ومعنی کلام الإمام علیه السلام أن یدی لا تطیق فعل ذلک إذ لا یمکننی أن أمحو اسم النبوه عنک أبدا فلیکن ذلک منک، فمحاه رسول الله بیده. وهذا الشعور الدینی لم یختص بالإمام فقط بل هو شعور لجمیع المسلمین، ففی المغازی للواقدی ۱ : ۶۱۱ عن واقد بن عمرو قال حدثنی من نظر إلی أسید بن حضیر وسعد بن عباده أخذا بید الکاتب [وهو أمیر المؤمنین علی] فأمسکاها وقالا: لا نکتب إلا محمّد رسول الله وإلا فالسیف بیننا: علام نعطی الدنیه فی دیننا؟ فجعل رسول الله یخفضهم ویومی إلیهم أسکتوا ... فلو کان الأمر مولویاً فلم یخفضهم الرسول ویومی إلیهم أسکتوا. وقد یکون علی علیه السلام امتنع علی سهیل بن عمرو ذلک لا علی النبی، ویؤیده ما جاء فی خصائص أمیر المؤمنین للنسائی: ۱۴۹ بسنده عن أمیر المؤمنین أنّه قال قالوا: لو نعلم أنه رسول الله ما قاتلناه، امحها قلت: هو والله رسول الله وإن رغم انفک لا والله لا أمحوها ... وفی وقعه صفّین : ۵۰۹ عن أمیر المؤمنین : فغضبت فقلت: بلی والله أنّه لرسول الله وإن رغم أنفک [والکلام موجه لسهیل] ... ومما یجب التنبیه علیه إنّ فی الثقات لابن حبان ۱ : ۳۰۰ - ۳۰۱ والکافی ۸ : ۳۲۶ أنّ الإمام امتثل أمر رسول الله دون تلکؤ.

اصطلح علیه محمّد بن عبد الله والملأ من قریش وسهیل بن عمرو، اصطلحوا علی وضع الحرب بینهم عشر سنین ...» ((۱)).

ویدلّ هذا الحدیث الشریف بوضوحٍ علی أنّ النبیّ صلی الله علیه و آله محا بیده الشریفه لقبه المبارک، ثم کتب بیده الشریفه: «هذا ما اصطلح علیه ...»، وهو دالٌّ علی معرفته بالقراءه وبالکتابه.

لکنّ العامّه روت هذه الروایه بشکلٍ آخر یرضیها ویسیء إلی النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله ویؤکّد عدم معرفته بالکتابه، فجاءت تلک الروایه المرویّه عندهم - وفی بعض کتب أعلامنا أیضاً أخذاً عنهم - علی هذا النحو:

قال النبیّ لعلیّ: «ضع یدی علیها»، فوضع علیٌّ یدَ رسول الله علیها،

۱- تفسیر القمّی ۲: ۳۱۲، وانظر: مصنف ابن أبی شیبه ۷: ۳۸۳ / ۳۶۸۴۱، سنن البیهقی ۵: ۶۹ / ح ۸۹۷۱.

فمحاها صلی الله علیه و آله ((۱)).

وهذا النص إن صح فإنما فعل رسول الله ذلک أمام قریش لئلّا یتهموه بأنّ القرآن من کلامه.

فضلاً عن ذلک ان روایه وضع الأصبع کذب، یُخطّؤه مطالبته صلی الله علیه و آله الصحابهَ عند مرضه بأن یأتوه بدواهٍ وکتفٍ کی یکتب لهم کتاباً لن یضلّوا بعده أبداً.

وإنّ الاشتهار بعدم معرفته للکتابه کان لأجل دفع شبهه التأثر بالکتب السماویه والأخذ عن کتب الأحبار والرهبان وأمثال ذلک.

وبهذا القدر نکتفی فی توضیح هذه النقطه لننتقل إلی المقدمه الثانیه.

۱- أنظر: صحیح مسلم ۳: ۱۴۱۰ / ح ۱۷۸۳، مصنف ابن أبی شیبه ۷: ۳۸۳ / ۳۶۸۴۱.

المقدّمه الثانیه:

اشاره

فسرت مدرسه الخلافه لفظه الجمع فی روایه أنس بن مالک وأمثاله: «مات النبیّ ولم یجمع القرآن غیرُ أربعه: أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزید بن ثابت، وأبو زید»(۱)، بأنّ معناه: أنّ هؤلاء جمعوا القرآن فی الصدور لا فی السطور، أی أنّ الجمع عندهم کان جَمْعَ حِفْظٍ لا جمع تدوینٍ وکتابه.

وهذا التفسیر یخالف المألوف عند اللّغویّین، لأنّ الجَمْع لُغَهً یشمل الکتابه والحفظ معاً، وأنّ ترجیح أحدهما علی الآخر هو ترجیحٌ بلا مرجِّح، خصوصاً مع معرفتنا بوجود کَتَ-بَهٍ لرسول الله صلی الله علیه و آله أیام حیاته یکتبون الوحی عنه، إذن معنی الجمع واضح عندنا، فما یعنی وجود الکتبه لو کان المقصود منه هو الحفظ فقط؟!

بل لماذا یَخُصُّون الجمع بالحفظ، ویُخَطِّؤون التفسیر الآخر؟

إنّ وراء هذا سرّاً کامناً، ولا أستبعد أن تکون قد جاءت من أجل حصر الجامِعِین للقرآن - بحسب زعمهم - بالخلفاء الثلاثه لا غیر، وذلک بعد نفیهم جمعَ الآخَرین للقرآن کتابهً وتدویناً.

۱- صحیح البخاری ۴: ۱۹۱۳ / ح ۴۷۱۸، وفی روایهٍ أُخری / ح ۴۷۱۷: «أُبیّ بن کعب» بدل «أبی الدرداء»، وهناک اختلاف فی أسماء الجامِعِین للقرآن وأعدادهم، حتّی أوصلها بعضهم إلی أربعین صحابیّاً.

الرؤيه التصحيحيه: وجود مصاحف كتبها الصحابه على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله:

من المعلوم بأنّ الكتابه كانت موجوده فى مكّه آنذاك، وأنّ القرآن أكّد وجود الاستنساخ والكتابه ولولاه ما عرفوا الاستنساخ، فى قوله تعالى: (إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)(۱)، كما يشهد لذلك قوله تعالى: (حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَقْرَؤُهُ)(۲)، وأمثال ذلك من الآيات الداله على الكتابه وادواته من القلم والقرطاس و... فلو لم تكن الكتابه مألوفهً والاستنساخ معروفاً عندهم، لما خاطبهم الله بهذه الكلمات.

وقد ذكر المؤرّخون وأصحاب السيَر اسم أربعه عشر صحابيّاً أو أكثر قد جمعوا القرآن وكانت لهم مصاحف على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله (۳)، وهم:

أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعرى، وأُبىّ بن كعب، وابن مسعود، وأبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وسعيد بن عبيد، ومجمع بن جاريه، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبو زيد الأنصارى، وعباده بن الصّامت، وأبو أيّوب الأنصارى، وتميم الدّارىّ.

وبالرغم من أنّ أسماء الأربعه الأواخر لم يصلنا شىءٌ عن مصاحفهم، إلّا أنّها كانت موجوده عندهم.

قال الآمدى فى كتابه (الأفكار الأبكار): إنّ المصاحف المشهوره فى زمن

۱- سوره الجاثيه: ۲۹.

۲- سوره الإسراء: ۹۳.

۳- وإن كانت ناقصه.

الصحابه كانت مقروءهً ومعروفه، وكان مصحف عثمان بن عفان آخر ما عُرِضَ على النبىّ، وكان يصلّى به إلى أن قُبِضَ ((۱)).

وجاء عن أمير المؤمنين على عليه السلام - ما يؤكّد كونه من الكتّاب وكانت عنده نسخه من المصحف على عهد رسول - قوله:

«... فما نزلت على رسول الله آيه من القرآن إلّا أقرأنيها، وأملاها علَىّ فكتبتُها بخطّى، وعلّمنى تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصّها وعامّها، ودعا الله أن يعطينى فهمها وحفظها، فما نسيتُ آيهً من كتاب الله ولا علماً أملاه علَىّ وكتبتُه منذ دعا الله لى بما دعا ...» ((۲)).

وممّا يؤكّد وجود مصاحف للصحابه على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله ، وأنهم كانوا يكتبون حديث رسول الله على كل حال حتى جاءهم النهى عنه صلى الله عليه و آله فى قوله: «لا تكتبوا عنّى، ومَن كتب عنّى غير القرآن فليمحه» ((۳))، الدّالّ على اهتمام الرسول صلى الله عليه و آله بتدوين الآيات كتابه بعد حِفظها. وكذا يؤيده ما روى عن ابن مسعود، حيث قال:

قال لى رسول الله صلى الله عليه و آله : «اِقرأ علَىّ»، ففتحتُ سوره النساء، فلما بلغت:

۱- انظر المجلد الثالث من كتاب نصوص فى علوم القرآن للميامى، فنقول: لو كان لعثمان بن عفان مصحف أيام حياته وكان من الذين عرضوا قراءتهم على رسول الله فلماذا يعتمد زيد بن ثابت فى كتابه المصحف؟ ولماذا يحتاج زيد إلى شاهدى عدل فى تصحيحه للآيات والسور؟!

۲- الكافى ۱: ۶۲ / ح ۱ باب اختلاف الحديث.

۳- صحيح مسلم ۴: ۲۲۹۸ / ح ۳۰۰۴، سنن الدارمى: ۱۳۰ / ح ۴۵۰.

(فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هؤُلاَءِ شَهِيداً)((۱))، رأيت عينيه تذرفان الدمع، فقال: «حسبك الآن ...» ((۲)).

وحكى الدكتور عبد الصبور شاهين فى كتابه (تاريخ القرآن) نقلاً عن (رساله شواذّ القراءه) للكرمانى: بأنّ لحمزه بن عبد المطّلب – عمّ رسول الله الّذى استُشهد فى أُحد – مصحفاً ((۳)).

ومعنى كلامه بأنّه كان قد جمع النازل من القرآن إلى ذلك الحين بين الدفّتين.

وأخرج ابن سعد فى الطبقات: أخبرنا الفضل بن دكين، حدّثنا الوليد بن عبد الله بن جميع، قال: حدّثتنى جدّتى، عن أُمّ ورقه بنت عبد الله بن الحارث – وكان رسول الله يزورها، ويسمّيها الشهيده، وكانت قد جمعت القرآن –((۴)).

فإذا كان هذا حال النساء فى جمع القرآن، فكيف يكون حال الرجال؟

نعم، المصاحف المجموعه آنذاك كانت ناقصهً، وفيها السور التى أُقرّت من قبل الله تعالى إلى ذلك الحين لقوله تعالى: (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) وقوله: (وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً)، ولا كلام فى ذلك.

ولا يخفى عليك بأنّ (الجمع) المعنىّ فى الأخبار((۵)) هو أعمّ ممّا فى الصدور أو فى السطور، وترجيح أحدهما على الآخر ترجيحٌ بلا مرجِّح، خصوصاً حينما نرى أنّ

۱- سوره النساء: ۴۱.

۲- رسائل الشهيد الثانى: ۱۳۹ – عنه: بحار الأنوار ۱۶: ۲۹۴ / ح ۱۶۲، و۸۹: ۲۱۶ / ح ۲۳.

۳- تاريخ القرآن: ۱۶۰، وقد حقق شواذ القراءات للكرمانى الدكتور شمران العجلى.

۴- الطبقات الكبرى ۸: ۴۵۷.

۵- أى فى الأخبار القائله بأن فلاناً وفلاناً وفلاناً قد جمعوا القرآن على عهد رسول الله.

الصحابه كانوا قد جمعوا القرآن لكى ينفعوا الآخَرين ويعلّموهم الكتاب العزيز، وأنّ ذلك لا يتمّ على وجهه الأكمل إلّا بالكتابه، خاصّهً لمن كان يجيد القراءه والكتابه من الصحابه. وإن فكره حصر الجمع بالحفظ كانت فكره سياسيه يقف عليها كل من تصفح الوثائق والمستندات التراثيه عند الجمهور.

فالكتابه وبيان وسائلها مذكور فى القرآن وهو دليل على اهتمام الإسلام بالقراءه والكتابه، وقد تحدّى سبحانه وتعالى المشركين بأن يأتوه بعشر سور مثل القرآن ((۱))، وقال تعالى: (يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ) ((۲))، وقوله تعالى: (كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) ((۳))، ومعنى هذه الآيات وجود القرآن مكتوباً بين أيديهم، بحيث يمكنهم أن يماثلوه ويعارضوه، فلو لم يكن القرآن معلوماً وموجوداً عندهم لكانت دعوته إيّاهم للمعارضه مع القرآن دعوه إلى المجهول.

ويلفت قوله تعالى: (وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَهً مَكَانَ آيَهٍ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قالُوا إنّما أَنتَ مُفْتَر) ((۴))، إلى معلوميّه مكان الآيات وترتيبها عند المسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله ، بحيث لا يمكن لأحدٍ أن يغيّر آيه بدل آيه أخرى.

ولو لم تكن الكتابه معروفهً، ولم يكن القرآنُ حاضراً موجوداً فى الحياه الاجتماعيه، فماذا يعنى إرسال عمرو بن حزم إلى اليمن لتعليمهم القرآن؟

۱- سوره هود: ۱۳، قوله تعالى: (فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِن دُونِ الله).

۲- سوره البقره: ۱۲۹.

۳- سوره الزمر: ۲۳.

۴- سوره النحل: ۱۰۱.

وماذا یعنی قوله عزّ وجل: (لَا یَمَسُّهُ إِلّا الْ-مُطَهَّرُونَ) ((۱)) وخصوصاً للذی یفهم منها المسّ الحسّی لآیات المصحف؟

ألا- یدل علی وجودها فی الخارج؟ وماذا یعنی قول رسول الله صلی الله علیه و آله : «فلا- یمسَّ القرآنَ إنسانٌ إلّا وهو طاهر» ((۲))؟

وماذا تعنی تسمیه سوره الحمد ب- (فاتحه الکتاب)؟ ألیس فی کلّ ذلک دلاله علی وجود الکتاب العزیز بین أیدی الناس بفاتحته؟

ثم ماذا یعنی المرویّ فی صحیح البخاری، عن عبد العزیز بن رفیع، قال:

دخلتُ أنا وشدّاد بن معقل علی ابن عبّاس، فقال له شدّاد بن معقل: أترَکَ النبیّ صلی الله علیه و آله مِن شیء؟ قال: ما ترک إلّا ما بین الدفَّتَین ... ((۳)).

وهذا یعنی بأنّ القرآن کان موجوداً بین الدفّتین، ومدوَّناً ضمن قراطیس متعدِّده.

نحن قد فصلنا الکلام عن ترتیب القرآن وجمعه فی عهد رسول الله صلی الله علیه و آله فی الصفحات اللاحقه وان جمعه کان جمع کتابهٍ لا جمع حفظ فقط کما یدّعون((۴)).

۱- سوره الواقعه: ۷۹.

۲- سیره ابن هشام ۵: ۲۹۴.

۳- صحیح البخاری ۴: ۱۹۱۷ / ح ۴۷۳۱ الباب ۶ مَن قال لم یترک النبیّ إلّا ما بین الدفّتین. ولا یفوتک التنبیه علی أنّ هذه الروایه ومثیلاتها سیقت لنفی کتابه النبی وصیه لأمیر المؤمنین وباقی الأئمه الاثنی عشر. لکن ذلک لا یضرّ المقام هنا، لأنّ المقصود هو وجود القرآن مکتوباً بین الدفّتین.

۴- اُنظر ذلک فی المرحلتین الثانیه والثالثه من المراحل الأربعه فی تاریخ القرآن والذی سیأتی بعد قلیل إن شاء الله تعالی.

المقدّمه الثالثه:

اشاره

معركه اليمامه - والّتى مات فيها أكثر من سبعمائه صحابى ((۱)) حسبما قيل - اصبحت مبررا لمدرسه الصحابه والخلافه للادعاء بضروره جمع القرآن بعد رسول الله صلى الله عليه و آله ؛ من قبل أبى بكرٍ خوفا على القرآن من ضياعه اثر مقتل هذا العدد الهائل من الصحابه فى هذه المعركه، فاقترح على زيد بن ثابت أن يجمعه... إلى آخر القصّه المذكوره فى كتب التاريخ والحديث.

وهذا الرأى يتقاطع مع نصوص حديثيه أُخرى موجوده فى كتب الصحاح والمسانيد، مثل النصوص الدالّه على أنّ القرآن كان مكتوباً ومحفوظاً - بواسطه كتبه الوحى على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله - فلو كان مكتوبا ومحفوظاً عند آخرين، فلماذا الخوف من ضياعه إذن؟

كما أنّه لا- يتّفق مع المروىّ بإسنادٍ صالح من قوله صلى الله عليه و آله : قراءهُ الرجل القرآنَ فى غير المصحف ألف درجه، وقراءته فى المصحف يضاعف على ذلك ألفَى درجه ((۲)). وقولِه صلى الله عليه و آله : «ليس شىء أشدّ على الشيطان من قراءه المصحف نظراً» ((۳))، وفى هذا

۱- قال البلاذرى فى فتوح البلدان ۱: ۱۰: وقد اختلفوا فى عدّه من استشهد باليمامه، فأقلّ ما ذكروا من مبلغها سبعمائه وأكثر ذلك ألف وسبعمائه، وقال بعضهم: إنّ عدّتهم ألف ومائتان.

۲- المعجم الكبير ۱: ۲۲۱ / ح ۶۰۱، مجمع الزوائد ۷: ۱۶۵.

۳- ثواب الأعمال: ۱۰۳ باب فى ثواب مَن قرأ القرآن نظراً - عنه: بحار الأنوار ۸۹: ۲۰۲ / ۲۳.

السیاق ورد النهی عن رسول الله من أن یسافر بالمصحف إلی أرض العدو ((۱))، وأمثال ذلک ممّا دلّ علی وجود مصحفٍ معروفٍ عند المسلمین، مکتوبٍ فی قراطیس متعدِّده یقرؤون فیها.

وتُظهر هذه النصوص خطأ رؤیه مدرسه الخلافه من أنّ الخلیفه قد خاف علی القرآن من ضیاعه، وأنّ القرآن لم یُدَوَّن علی عهد الرساله، إذ إنّ الاعتقاد بعدم تدوین القرآن فی عهد النبیّ صلی الله علیه و آله یُرجی منه أمورٌ کثیره، أقلّها حصر فضیله جمع القرآن بالخلفاء الثلاثه فقط کان هذا مجمل الکلام عن المقدمه الثالثه وإلیک:

الرؤیه التصحیحیه: قتلی الیمامه مقدِّمهٌ لجمع أبی بکر للقرآن:

نعم إنّ ما جاء عن واقعه الیمامه وکثره القتلی فیها، واهتمام أبی بکر وعمر بن الخطاب وزید بن ثابت بجمع القرآن دون غیرهم من کبار الصحابه، فیه تهویلٌ عظیمٌ وتضخیم أَیّما تضخیم، کما فیه أیضاً تعریض بالنبیّ صلی الله علیه و آله والصحابه، لأنّ الکلّ یعلم بأنّ ثله من الصحابه کانوا قد جمعوا القرآن علی عهد رسول الله صلی الله علیه و آله کتابهً وحفظاً، ونحن قد أتینا بأسماء أربعه عشر منهم، وقد أوصل ابن عساکر کتّاب الوحی إلی ۲۳ صحابیاً، وأبو شامه وابن عبد البر إلی ۲۵ صحابیاً، وتجاوز شبراملسی ذلک العدد إلی ۴۰ صحابیاً، وقال الحافظ العراقی فی الدرر السنیّه:

۱- صحیح البخاری ۳: ۱۰۹۰ / ح ۲۸۲۸، وصحیح مسلم ۳: ۱۴۹۰ / ح ۱۸۶۹ رواه بطریق آخر، وفیه زیاده: مخافه أن یناله العدو.

كتّ‍اب‍ه اث‍ن‍‍ان وأرب‍‍ع‍‍ون‍ا زي‍د ب‍ن ث‍‍اب‍ت وك‍ان ح‍ي‍ن‍ا

ك‍‍ات‍ب‍ه وب‍ع‍‍ده م‍ع‍اوي‍‍ه اب‍ن أب‍ی س‍ف‍ي‍ان ك‍ان واع‍ي‍ه([۱])

إذن، فجامعو القرآن وكتاب الوحی كثر، وأنّ أبی بكر لم يكن هو الوحيد الّذی جمع القرآن، بل جمعه قبله أمير المؤمنين علیّ بن أبی طالب وسالم مولی أبی حذيفه، وأُبیّ بن كعب، وأبو موسی الأشعری، وابن مسعود، وغيرهم.

وإنّ ما قيل عن جمع سالم مولی أبی حذيفه للقرآن يؤكّد أنّه كان مجموعاً قبل جمع أبی بكر له، لأنّ سالماً كان قد قُتل فی واقعه اليمامه.

بلی، قد بالغ المؤرّخون فی عدد قتلی اليمامه، حتّی بلغ عند بعضهم ۱۷۰۰ نفر من الصحابه، بينهم سبعمائه قارئ ([۲]) أو أربعمائه وخمسون قارئاً ([۳]).

فسبعمائه قارئٍ من جيشٍ بلغ عدده أربعه آلاف وخمسمائه مقاتلٍ فی قبال جيش مسيلمه الكذّاب البالغ عددهم ۴۰ ألف نسمه فيه تهويلٌ عظيم، لأنّ شهداء الإسلام

۱- أُنظر: الروضتين لأبی شامه ۱: ۵، والاستيعاب لابن عبد البر: ترجمه زيد بن ثابت، والتراتيب الإداريّه ۱: ۱۱۶، وفتح الباری ۹: ۵۲، ذكر فيه أسماء ستّه عشر صحابيّاً وصحابيّهً من المهاجرين فقط (عن أبی عبيد)، وشرح النووی ۱۶: ۱۹ قال: روی غير مسلم حفظ جماعات من الصحابه فی عهد النبی وذكر منهم المازری خمسه عشر صحابياً.

۲- انفرد بهذا الكلام القرطبی فی تفسيره ۱: ۵۰، ومن روی عنه قال: سبعون قارئاً. أنظر: فتح الباری ۹: ۵۲، والإتقان ۱: ۱۹۲ و۱۹۳، ومناهل العرفان ۱: ۱۷۴، وهو الثابت فی الصحيح كما أشار إليه النووی فی شرحه علی مسلم ۱۶: ۱۹، وابن القيّم الجوزيه فی أعلام الموقعين ۳: ۳۴.

۳- أُنظر: كنز العمال ۲: ۲۴۳ / ۴۷۶۲ عن الحسن وابن سيرين وابن شهاب قالوا: لما أسرع القتل فی قرّاء القرآن يوم اليمامه، فقُتل منهم يومئذٍ أربعمائه رجل ... رواه عن ابن الأنباری فی (المصاحف).

فی غزوه بدر لم یتجاوز عددهم أربعه عشر قتیلًا، وفی واقعه أُحد سبعین قتیلًا، وفی الخندق ستّه قتلی، ولو جمعت جمیع شهداء الإسلام لما وصل إلی نصف عدد قتلی واقعه الیمامه، وخصوصاً القرّاء منهم! فما یعنی هذا التهویل والتعظیم؟

قال المستشرق کیتانی (Caetani) وتبعه فی ذلک بلاشیر وشوالی: لا نجد فی لوائح المسلمین الذین سقطوا فی – عقربا – الیمامه إلّا قلائل ممن تنسب الیهم معرفه واسعه بالقرآن [أی أنهم لم یکونوا من المسلمین الأوائل الذین حفظوا القرآن] لأنهم تقریباً ینتمون إلی صفوف المنتمین حدیثا للإسلام((۱)).

ثمّ شکک شفالی – الذی أتم کتاب نولدکه – فی أسماء شهداء الیمامه التی قدمها کیتانی وأنهم ۱۵۱ شخصاً فقال عند نقده لروایات جمع القرآن علی عهد أبی بکر: إنّ ربط جمع القرآن بمعرکه الیمامه ربطٌ ضعیف جداً. یشیر کتانی إلی أنّنا نجد فی لوائح المسلمین الذین سقطوا فی عقربا قلائل ممن تنسب إلیهم معرفه واسعه بالقرآن، وذلک لأنّهم کلّهم تقریباً ینتمون إلی صفوف المهتدین حدیثاً. ولهذا السبب، لیس صحیحاً أنّ کثیرین من حفظه القرآن سقطوا فی هذه المعرکه وأنّ أبا بکر کان قلقاً من هذا، کما تدّعی بعض الروایات. لیس من اعتراض علی هذا، طبعاً، إذا افترضنا، أنّ اللائحه التی وضعها کتانی والتی تضم ۱۵۱ شخصاً ممن فقدوا فی المعرکه کامله وأن معرفتنا بحفظه القرآن فی ذلک الوقت معرفه کامله إلی حدّ ما.

۱- تاریخ القرآن لنولدکه ۲: ۲۵۳ وانظر Caetani, Annali dell Islam, vol. ۲, no. ۳۳۱ وخاورشناسان وجمع وتدوین قرآن کریم : ۷۸.

فی الواقع لا نجد فی التقارير التی تمكنت من الوصول اليها الا اثنين ممن سقطوا من الذين يشهد لهم بوضوح معرفتهم بالقرآن [أی كانا من الحافظين له] هما عبد الله بن حفص بن غانم، وسالم من أتباع أبی حذيفه الذی حمل لواء المهاجرين بعده(۱).

ومعنی كلامه أنّه ليس بين أولئك القتلی من هم من المسلمين الأوائل وقراء الأمه.

وإذا كان القرّاء قُتلوا بأجمعهم، فهل القتل يتحرّاهم من دون غيرهم؟ وهل تعمّد الخليفه فی إرسال القرّاء إلی معركهٍ غير متكافئه ليلقوا حتفهم؟

ولو كان القُرَّاء – بمعنی القارئين له بهذا العدد، فجميع المسلمين كانوا يقرؤون القرآن فی صلواتهم –، فكيف يمكن للشعبیّ إخراج الإمام علی من الجامعين للقرآن والحافظين له؟!

وهل هؤلاء القرّاء المقتولون فی اليمامه هم أعظم شأناً من أمير المؤمنين علیّ بن أبی طالب؟!

وكيف يكون القرآن محصوراً فی صدور أولئك القرّاء المقتولين فی واقعه اليمامه فقط من دون غيرهم من كبار الأصحاب الّذين ما زالوا علی قيد الحياه، أمثال: أمير المؤمنين علیّ بن أبی طالب وابن مسعود وعبد الله بن عبّاس و...؟

بل لو كان لدينا هذا العدد الهائل من الصحابه القرّاء، أفلا يعنی بأنّ القرآن كان متواتراً ومشهوراً عند المسلمين، ولا حاجه فی إثباته حينها إلی شاهدَين عادلَين كما أقرّه أبو بكرٍ وعمر فی منهجهما فی جمع القرآن لاحقاً؟

ومن هنا قد جاء ابن حجر ليخفّف الوطأه فيما قالوه، إذ قال:

۱- تاريخ القرآن ۲ : ۲۵۳.

وهـذا يدلّ على أنّ كثيراً ممّن قد قُتل فى واقعه اليمامه كان قد حفظ القرآن، لكن يمكن أن يكون المراد أنّ مجموعهم جمَعه لا أنّ كلّ فردٍ جمَعَه ... ((۱)).

اذن التطرّف والغلوّ بقى موجوداً فى النصوص، ولو تأمّلتَ فيما أخرجه ابن أبى داوود عن ابن شـهاب الزهرى، لاستشـممت رائحه التحريف منه فوّاحه، إذ قال:

بلغنـا أنّه كـان أُنزل قرآنٌ كثير، فقُتـل علمـاؤه يوم اليمـامه الّـذين كانوا قـد وعوه، ولم يُعلَم بعـدهم ولم يُكتب، فلمّا جمع أبوبكر وعمر وعثمان القرآن لم يوجد مع أحد بعدهم ... ((۲)).

وقد استغل المستشرق جون جيلكرايست هذه الروايه معلقاً عليها بالقول:

ومعنى هـذا أنّ الروايه تؤكد سـقوط نصوص كثيره بدليل (لم يعلم) و(لم يكتب) و(لم يوجد مع أحد بعدهم) وأنها ضاعت بقتل من كان يحفظها((۳)).

واللّافت أنّ هذا الكلام باطل جمله وتفصيلاً وأنّ هؤلاء القرّاء المقتولين بسيف بعض المؤرخين لم يكونوا بهذا العدد الهائل، ولم يكونـوا منسيّين فى التاريـخ، فقـد ذكر ابـن حزم مـن هؤلاءـ القرّاء ۲۰ اسـماً ((۴))، والبلاـذرى ۲۹ اسـماً ((۵))، اثنا عشر منهم يشتركون مع أسماء ابن حزم، وادّعى ابن الأثير بأنّ خمسه عشر منهم كانوا من الحاضرين فى بدر

۱- فتح البارى ۹: ۱۲.

۲- المصاحف لابن أبى داوود ۱: ۲۰۸ / ۸۱، وعنه فى كنز العمال ۲: ۲۴۷ / ۴۷۷۸.

۳- مجله المصباح العدد الخامس الصفحه : ۱۱۸.

۴- الفصل ۲: ۶۶.

۵- فتوح البلدان: ۱۰۰ - ۱۰۲.

وتسعةً منهم من الحاضرين فى أُحد ((۱))، ولم نقف على أكثر من هذا العدد.

فلو صحّ أنّ أبا بكر استنسخ المصحف مِن على نسخه رسول الله صلى الله عليه و آله - كما قاله ابن حجر((۲)) -، فهذا يعنى بطلان المقوله المشهوره من أنّه وقف على نقصان آيتين من آخر سوره التوبه ثمّ وجدهما عند أبى خزيمه أو خزيمه، وهما قوله تعالى: (لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْ-مُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) ((۳))، لأنّ العقل والدين يأبيان القول بنقصان نسخه رسول الله صلى الله عليه و آله وتمام نُسَخ الآخرين وكمالها!

فلو كان أبو بكر يخاف حقّاً من ضياع القرآن، لكان عليه أن يزيد من حلقات تحفيظ القرآن فى المساجد وتعليمه، أو يأمر الكَتَبه باستنساخ الموجود من القرآن عند الصحابه وخصوصاً من على نسخ الذين عرضوا قراءاتهم على رسول الله أمثال أبى بن كعب، وابن مسعود، وعلى، ومعاذ وغيرهم؛ لأنّ الكل يعلم بوجود مصاحف لهؤلاء الصحابه على عهد أبى بكر، فكان عليه أن يأمر باستنساخ نسخ هؤلاء لأنّ «أهل دمشق كانوا يقرؤون بقراءه أُبىّ بن كعب، وأهل الكوفه يقرؤون بقراءه ابن مسعود، وأهل البصره يقرؤون بقراءه أبى موسى الأشعرى، وأهل حمص يقرؤون بقراءه

۱- اُنظر: الكامل فى التاريخ ۲: ۲۲۳ - ۲۲۴.

۲- انظر كلام البغوى فى شرح السنه ۴ : ۵۲۵ أيضاً.

۳- سوره التوبه: ۱۲۸ - ۱۲۹.

المقداد» ((۱)) لا أن يأتی بمنهج جديد قد يخالف الآخرين فيه.

وعليه، فلو كانت هذه المصاحف والقراءات موجوده عند المسلمين، فلمَ لا يعتمدها أبو بكرٍ ولا يستفيد منها - وهی مصاحف وقراءاتٌ لكبار الصحابه، ورسول الله صلی الله عليه و آله كان قد مدحهم لهذا الغرض - من دون أن يبدأ الخليفه العمل من نقطه الصِّفْر وبمنهجيّهٍ جديده؟

۱- تاريخ دمشق ۳۹: ۲۴۲، الكامل فی التاريخ ۳: ۸، تاريخ ابن خلدون ۲: ۵۸۳. ولی تعليق بسيط فی المقطع الأخير من النصّ السابق، فالّذی أحتمله هو أنّ أهل حمص كانوا يقرؤون بقراءه مُعاذ بن جبل لا المقداد، لكون معاذ بن جبل قد عاش فی حمص فترةً من الزمن، ولعدم وجود أنموذج من قراءه المقداد فی كتب المصاحف الموجوده بأيدينا اليوم، فتكون قراءه أهل حمص هی قراءه معاذ لا المقداد كما جاء فی النص السابق، وقد يكون جاء ذلك لتقارب رسم خط مقداد ومعاذ، فربما جاء التصحيف من هنا. ويمكننا أن نعزو سبباً آخر لما رجّحناه، وهو أنّ المقداد كان من أتباع أمير المؤمنين علیّ عليه السلام ، وكان لا يتخطّی قراءته أبداً، بل وكان لا يتخطّی فهمه، وأنّ مدينه حمص وقعت تحت سلطه الأُمويّين، وأنّ الذين كتبوا فی اختلاف مصاحف الصحابه كانوا من المتعاطفين مع السلطه، وهؤلاء قد قضوا علی معالم قراءته. انظر ما رواه سُليم وأنّه سأل أمير المؤمنين عن سبب اختلاف الحديث عن رسول الله قال قلت لأمير المؤمنين: إنی سمعت من سلمان والمقداد وأبی ذر شيئاً فی تفسير القرآن ومن الروايه عن النبی صلی الله عليه و آله ثم سمعت منك تصديق ما سمعت منهم ورأيت فی أيدی الناس أشياء كثيره من تفسير القرآن ومن الأحاديث عن النبی صلی الله عليه و آله تخالف الذی سمعته منكم ... . فی كتاب سليم بن قيس : ۱۸۱ وعنه فی الكافی ۱ : ۶۳ ح / ۱.

المقدّمه الرابعه:

اشاره

إنّ مدرسه الصحابه والخلافه حصرت جمع القرآن بالخلفاء الثلاثه، وأبعدت عنه الإمام علىّ بن أبى طالب عليه السلام وابن مسعود ومعاذ بن جبل وأُبىّ بن كعب وغيرهم، ثمّ ركّزت على عثمان فقط من بين الثلاثه، مع تأكيدها على أنّه هو الذى وحّد المسلمين على مصحف واحد، ثم نسبه رسم المصحف إليه من دون غيره، رغم قولها أنّ عثمان استنسخ مصحفه من نسخه أبى بكر وعمر، كما أوجبت الالتزام برسم المصاحف المرسله الى الامصار بالرغم من اختلافها بدعوى أن النبىّ قد أقرها، ومن هنا يثار التساؤل: لماذا لا يقال عن تلك المصاحف ورسمها: (المصاحف النبويّه)، أو (المصاحف البكريّه)، أو (العمريه)، بل تكتفى بوصفها بالمصاحف العثمانيه؟ ولماذا لا يطلق لفظ (المصحف الإمام) على المصاحف الأخرى المرسله من قبل عثمان إلى الأمصار بل خص هذا الوصف بالذى كان يقرأ فيه عثمان فقط؟

بل إذا كان رسم الخطّ توقيفيّاً من عند البارى، وأنّه أمضى من قبل الله ورسوله، فلماذا يحرقون المصاحف المدوّنه عند المسلمين؟ ألم تكن تلك المصاحف قد كُتبت طبقاً للقواعد التى رسمها رسول الله فى الخطّ وعلّمها لمعاويه، حسبما قاله الزرقانى ((۱)).

انّ التركيز على اسم عثمان وإبعاد الآخرين عنه، فيه شىءٌ من الإجحاف بحقّ كبار الصحابه الذين عرضوا قراءتهم على رسول الله صلى الله عليه و آله ، والذين اوصى بأخذ القرآن منهم على وجه الخصوص.

۱- مناهل العرفان ۱: ۲۶۴.

الرؤيه التصحيحيه: الغلوّ فى عثمان وإقصاء منافسيه:

أجل إنّ مدرسه الخلافه أرادت – عبر حصر جمع القرآن بالخلفاء الثلاثه – الغلو فى عثمان وفى مصحفه رسماً وقراءه، واقصاء منافسيه من كبار القرّاء وانتقاصهم – وعلى رأسهم الإمام على عليه السلام – عن الحياه السياسيّه فى آنٍ واحد، بل سعت أن تنسب إلى شيعه الإمام عليه السلام كلّ شَين، فقالوا – وبئس ما قالوا -: إنّ الشيعه تعتقد بأنّ للإمام على قرآناً غير قرآن المسلمين، وأنّ مصحفه الذى يقرأ به قد رُتّب غير ترتيب المصحف الرائج.

ويلاحظ، انهم قالوا بكل ذلك تهويلا لعمليه جمع عثمان، حتى حكى عن الشعبى قوله: توفى ابو بكر وعمر وعلى رحمهم الله ولم يجمعوا القرآن. وقال: لم يختمه احد من الخلفاء غير عثمان ((۱)).

وروى عن شريك، عن إسماعيل بن أبى خالدٍ أنّه قال: سمعت الشعبىّ يحلف بالله عزّ وجلّ؛ لقد دخل علىٌّ حفرَته وما حفظ القرآن ((۲))، أو أنّه كان لا يعرف إلّا

۱- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبه ۱: ۲۳۳ – ۲۳۴ باب تكرار الكلام والزياده فيه.

۲- المصدر نفسه. وقال ابن فارس فى الصاحبى: ۳۲۵: وابن قتيبه يطلق إطلاقات منكره ويروى أشياء شنيعه – ثمّ روى الخبرين الآنفين عن الشعبى، وقال: – وهذا كلامٌ شنيع جدّاً فيمن يقول: سلونى قبل أن تفقدونى، فما من آيهٍ أعلم، أبليلٍ نزلت أم بنهار، أم فى سهل أم فى جبل. كما أنّ المقطع الأخير من الخبر لا يتفق مع ما تواتر من أنّ أمير المؤمنين عليّاً كان أعلم الناس بما بين اللّوحين.

سوره (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّکَ الْأَعْلَی) ((۱)).

وروی عن یزید بن هارون أنّه قال: لا خلاف بین المسلمین فی أنّ عبد الله بن مسعود مات وهو لا یحفظ القرآن کلّه ((۲)).

کل هذه المحکیات تؤکد تبنی اتجاه خاص لرؤیه خاصه فی جمع القرآن وتکشف مدی اصرارهم علی حذف اسماء کبار الصحابه من منافسی عثمان من الذین تلقوا القرآن وعرضوه علی رسول الله کأمیر المؤمنین علی وابن مسعود وأُبی ومعاذ وغیرهم، ونسبه اشیاء باطله الی هؤلاء وغیرهم.

وتری الأمر نفسه ((۳)) فیما قاله ابن حجر تعلیقاً علی ما أخرجه ابن أبی داوود فی (المصاحف) من طریق ابن سیرین، فقال:

قال علی: «لمّا مات رسول الله، آلیتُ أن لا آخذ علَیَّ ردائی إلّا لصلاه جمعه، حتّی أجمع القرآن، فجمَعَه»: ... ثمّ علّق ابن حجر قائلًا: فإسناده ضعیفٌ لانقطاعه، وعلی تقدیر أن یکون محفوظاً فمراده بجمعه حفظه فی صدره!! ((۴))

قالوا بکلّ ذلک فی الإمام علی، وقالوا بمثله من المفتریات فی ابن مسعود وابن عبّاس وأُبیّ وغیرهم من کبار القرّاء المنافسین لعثمان فی أمر القرآن.

۱- سوره الأعلی: ۱.

۲- الجامع لأحکام القرآن ۱: ۵۳.

۳- أی إقصاء أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب.

۴- فتح الباری ۹: ۱۳.

وفی المقابل رفعوا بضبع عثمان بن عفّان وزید بن ثابت، حتّی قالت نائله بنت الفرافصه الکلبیه – زوجه عثمان – للّذین دخلوا علیه:

إن تقتلوه أو تَدَعُوهُ، فقد کان یحیی اللّیل برکعهٍ یجمع فیها القرآن ((۱)).

وکلامُ ابن حجر الآنف – فی تضعیف جمع الإمام – متهافتٌ وغیر صحیح یعرفه طالب العلم فضلًا عن العلماء ((۲))؛ لأنّ خبر جمع أمیر المؤمنین علیه السلام للقرآن بعد رسول الله صلی الله علیه و آله قد روی بطرق کثیره ((۳)) غیر ما أخرجه ابن أبی داوود (ت ۳۱۶ ه-)، وحتّی المرویّ عن ابن سیرین علی وجه الخصوص فإنّه روی بطرق أُخری عنه لیس فیها أشعث بن سوار الکندی.

فلماذا یکتفی ابن حجر بالإشاره إلی ما رواه ابن أبی داوود ولا یشیر إلی روایه غیره، مثل روایه عبد الرزاق بن همّام الصنعانی (ت ۲۱۱ ه-)، عن معمّر، عن أیّوب، عن عکرمه مثله أو قریباً منه((۴))، مع أن إسناده صحیح علی شرط البخاری.

۱- ال-مصنّف ۱: ۳۲۳ / ح ۳۶۹۰، ۲: ۸۹ / ح ۶۸۱۷، المعجم الکبیر ۱: ۸۷ / ح ۱۳۰، وانظر:کتاب الزهد لابن المبارک: ۴۵۲ / ح ۱۲۷۷.

۲- فإنّه أراد أن یعلق علی ما رواه ابن ابی داود السجستانی فی المصاحف وقوله: وقال أبو بکر: لم یذکر المصحف أحد الا أشعث [بن سوار الکندی] وهو لین الحدیث، وانما رووا (حتی أجمع القرآن): یعنی اتم حفظه، فإنّه یقال للذی یحفظ القرآن قد جمع القرآن.

۳- ستقف علیها عند جمع الإمام علی علیه السلام للقرآن بعد رسول الله صلی الله علیه و آله فی صفحه ۲۹۹.

۴- المصنف لعبد الرزاق ۵ : ۴۵۰ / ح ۹۷۶۵ باب بیعه أبی بکر، شواهد التنزیل للحسکانی ۱ : ۳۷.

أو روایه ابن سعد (ت ۲۳۰ ه-) فی طبقاته، عن إسماعیل بن إبراهیم، عن أیّوب وابن عون، عن محمّد مثله((۱))، وإسناده صحیح ایضا.

أو روایه ابن أبی شیبه (ت ۲۳۵ ه-)، عن یزید بن هارون قال: أخبرنا ابن عون، عن محمّد مثله((۲)). وإسناده صحیح علی شرط الشیخَین.

أو روایه البلاذری (ت ۲۷۹ ه-) فی (أنساب الأشراف)، عن مسلمه بن محارب، عن سلیمان التیمی((۳)) وعن ابن عون، عن ابن سیرین((۴))، وإسناده حسن.

وفی آخر: سلمه بن الصقر وروح بن عبد المؤمن قالا: حدّثنا عبد الوهاب السقفی، أنبأنا أیّوب عن ابن سیرین مثله، وإسناده حسن.

أو روایه ابن ضریس (ت ۲۹۴ ه-)، بإسناده عن هوذه بن خلیفه، حدّثنا عوف، عن محمّد بن سیرین، عن عکرمه مثله أو قریباً منه((۵))، وإسناده صحیح علی شرط البخاری.

فلماذا یذکر ابن حجر طریق ابن أبی داوود عن ابن فضیل عن الأشعث عن محمّد بن سیرین فقط، ولا یذکر ما رواه غیره عن ابن سیرین؟ هذا أولاً.

وثانیاً: أنّ أمیر المؤمنین علیه السلام لیس کغیره من الصحابه، فهو أوّل القوم إسلاماً،

۱- الطبقات الکبری ۲ : ۳۳۸.
۲- المصنف لابن ابی شیبه ۶ : ۱۴۸ / ح ۲۰۲۳۰.
۳- أنساب الأشراف ۲ : ۲۶۸ / ح ۱۱۸۴ أمر السقیفه وبیعه أبی بکر.
۴- أنساب الأشراف ۲ : ۲۶۹ / ح ۱۱۸۷ أمر السقیفه وبیعه أبی بکر.
۵- فضائل القرآن لمحمد بن أیوب بن الظریس : ۳۶ / ح ۲۲.

وقد كان مع رسول الله صلى الله عليه و آله فى كلّ المواقف والمشاهد، يتبعه اتّباع الفصيل أَثَرَ أُمِّه، وهو ابن عمّه، وزوج ابنته، وأبو وُلده، وقد كان يعرف القرآن كما أُنزل على رسول الله صلى الله عليه و آله ، وقد دَوَّن كلّ ما أُنزل على رسول الله صلى الله عليه و آله وقد أتى بكلّ ما جاء عنه فى تفسيره وتأويله، وقد كتب كلّ ذلك بخطّه عليه السلام ، فقال:

«فما نزلت على رسول الله آيةٌ من القرآن إلّا أقرأنيها وأملاها علَيّ، فكتبتُها بخطّى، وعلّمنى تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصّها وعامّها ...» إلى آخر الخبر ((۱)).

وقد كان عليه السلام يكتب كلّ تلك الأُمور من فِلْقِ فيه صلى الله عليه و آله بيده ((۲))، وكان القرآن يَقَرُّ فى صدره كما يَقَرُّ فى صدر رسول الله صلى الله عليه و آله .

وعن العباس بن معروف، عن حمّاد بن عيسى، عن ربعى، عن زراره، عن أبى جعفرٍ عليه السلام قال: «كان جبرئيل يملى على النبىّ، وهو يملى على على ...» ((۳)).

ويتضح مما قلناه أنّ تلك الأخبار المتناسيه لأسماء كبار الصحابه من قائمه جمع القرآن، هى التى دعتنا للقول بوجود اصابع أمويه فى بثّ أمثال هذه الأفكار بين المسلمين، وبالتالى تهويل أمر جمع عثمان بن عفّان - شيخ بنى أُميّه - للقرآن والرسم العثمانى أكثر ممّا يلزم.

لقد تجاوز التشكيك فى جمع رسول الله للقران مداه حتى جرّأ بعض المستشرقين

۱- الكافى ۱: ۶۴ / ح ۱ باب اختلاف الحديث.
۲- أُنظر: الكافى ۱: ۲۳۹ / ح ۱ باب فيه ذكر الصحيفه والجفر والجامعه ومصحف فاطمه.
۳- بحار الأنوار ۱۸: ۲۷۰ / ح ۳۴ - عن: بصائر الدرجات: ۳۴۲ / ح ۵ باختلافٍ يسير.

أمثال آلفونس مينكانا (۱۸۸۱ - ۱۹۳۷ م) ونولدكه على انكار جمع القرآن على عهد الشيخين أيضاً بدعوى أنّ أخبارها لم تسبق ابن سعد (ت ۲۲۹ ه-)، كما لم يأت اسم ابى بكر وعمر ضمن الجامعين للقرآن على عهد رسول الله فى طبقات ابن سعد، فى حين جاء ذكر أسماء غيرهما من الصحابه، وأن مجئ خبر جمع القرآن على عهد عثمان فى صحيح البخارى ليس له قيمه علميه، لأنه جاء فى كتاب متأخّر مات صاحبه بعد ربع قرن من وفاه ابن سعد ((۱)).

فمما قاله نولدكه بهذا الصدد: إلّا أنّه بالإمكان الآن إيضاح تناقض آخر ملفت مع النظره السائده. فثمّه عدد غير قليل من الروايات التى تذكر بهدوء، ودونما أثر دفاعىّ ضدّ أراء مختلفه، سلسله كامله من الأشخاص بأسمائهم، كانو قد جمعوا القرآن فى أيّام النبىّ. يخصّص ابن سعد لهذا الموضوع فصلاً كاملاً، مع أنّه فى مواضع أخرى من عمله يعتبر الخلفاء الأوّلين أوّل من نظّم النسخ القرآنيه وجمعها. فى هذه الظروف لا يمكن الشكّ بأنّ هذه الروايات تقدِّم تفسيراً خاصّاً لموضوعنا. ففى الواقع، لا تشير الجمله المستعمله فى هذه التقاليد، «جمع القرآن» إلى جمع نصوص الوحى فى كتاب، ولكن كما تقرّ السلطات التفسيريه المحمّديه المهتمه بالحديث، إلى حفظ فى الذاكره. هكذا يبقى أن نعرف بطبيعه الحال، ما إذا كان كلّ من الجامعين قد حفظ كلّ نصوص الوحى أو أجزاء كبيره منها فى ذهنه. كما سوف نرى لاحقاً، فإنّ حفظ النصوص المقدّسه غيباً كان، فى كلّ الأزمنه، الأمر الأساسى، فى حين أنّ التناقل المكتوب

۱- خاورشناسان وجمع وتدوين قرآن كريم: ۹۲ (كتاب فارسى).

لنصوص الوحی کان ینظر إلیه دائماً بکونه واسطه لبلوغ الغایه.

لا تختلف آراء الروایات المختلفه فی شأن عدد من تدعوهم جامعین للقرآن، بل أیضاً فی أسمائهم. فأکثر ما نقع علی الأسماء الأربعه الآتیه: أبی بن کعب، ومعاذ بن جبل، وزید بن ثابت، وأبو زید الأنصاری. فی الصیغ المختلفه لهذه الروایه تظهر إلی جانب ذلک أسماء أخری کثیره جدیده، مثل أبی الدرداء، وعثمان، وتمیم الداری، وعبد الله بن مسعود، وسالم بن المعقل، وعباده بن الصامت، وأبی أیوب وسعد بن عبید، ومجمّع بن جاریه، وعبید بن معاویه، وعلی بن أبی طالب.

من بین هؤلاء الأشخاص سیصادفنا لاحقاً أیضاً علی وسالم وزید وأبی وابن مسعود کأشخاص عملوا افتراضاً أو فعلاً علی المجموعات القرآنیه المکتوبه ... إلی آخر کلامه.

بلی أن نتیجه اضطراب مرویات مدرسه الخلافه جعلت هذا المستشرق أو ذاک یزعم أنّ جمعه کان فی عهد عبد الملک بن مروان وذلک بسعی الحجاج بن یوسف الثقفی، منوّهین إلی أن هذه الرؤیه کانت قد طرحت قبل ذلک من قبل المستشرق «کازانوا» ([1]) لکن مینکانا أتی بشواهد أخری تدعم کلامه.

فطرح هکذا رؤی من قبل رجل دین نصرانی له توجهات ضد الإسلام مثل مینکانا لیس ببعید بنظرنا، فقد کتب هذا النصرانی عشرات المقالات ضد الإسلام فی المجلات الأوربیه.

۱- Paul Casanova, Mohammed et la fin du monde, paris, ۱۹۱۱, p. ۱۴۱.

فکلام «بل کازانوا» و«مینکانا» وأمثالهما وإن کان باطلاً بلا ریب(۱)، وذلک لأن رسول الله کان قد جمع آیات وسور کتاب ربّه فی اللقاء الثنائی بینه وبین جبرئیل فی کلّ عام، لکن من المؤسف له أن تری مستَنَد کلام هذا المستشرق أو ذاک مأخوذاً من الکتب التراثیه للجمهور وهذا مما یحز فی النفس.

واللافت فی الأمر أیضاً انّ الناس فی عهد الشیخین لم یکونوا یخافون من ضیاع القرآن، لأنّه کان مقروءاً ومعروفاً ومتداوَلاً عندهم، وهذا التخوّف المزعوم إن کان موجوداً بینهم فهو مختصٌّ بأبی بکر وعمر وعثمان وزید بن ثابت لا غیر، لأَمرٍ ما!

فمدرسه الصحابه والخلافه کثیراً ما تتضارب فی نصوصها وأقوالها، فتاره تضعف أخبار مصحف الإمام علی علیه السلام ، وتنسب إلی ابن مسعود حذفه المعوَّذتین والفاتحه من مصحفه، وتقول بإتیان أُبیّ بن کعب سورتَی الخلع والحفد فی مصحفه خلافاً لجمیع المسلمین، وأمثال ذلک.

وأُخری تعدّ أُبیّ بن کعب ضمن لجنه المصاحف، مع أنّه - کما سیتضح - قد توفّی قبل تاریخ جمع المصاحف.

وثالثه نری اتباع مدرسه الخلافه ینقلون عن أبی عبد الرحمان السلمی ما یدلّ علی کونه من خواصّ الإمام علیّ علیه السلام الآخذین عنه، وقولَه: قرأتُ علی علیٍّ أمیر المؤمنین رضی الله عنه القرآنَ کثیراً، وأمسکت علیه المصحف فقرأ علَی (۲).

۱- وقد رده بلاشیر وغیره، اُنظر کتاب خاورشناسان وجمع وتدوین قرآن کریم: ۹۹ (کتاب فارسی).

۲- کتاب السبعه فی القراءات: ۶۸.

وأُخرى ينقلون عنه ما يـدلّ على مضادّته للإمام عليه السلام وروايه أخبارٍ مُسيئهٍ فيه عليه السلام ، وهذا ما يؤكد قولنا بوجود ما يدلّ على تبنّى اتجاهٍ خاصّ لرؤيهٍ خاصّه ولهدف خاص((۱)).

بل العجب من كل ذلك أنّهم يأتون بأسماء صحابهٍ آخرين مع الإمام علىٍّ عليه السلام زعموا انّ السلمى أخذ عنهم، فى حين انّ التحقيق عندنا أثبت التشكيك ((۲)) فى أخذه منهم، بل لم يأخذ السلمى منهم بلا ريب، وغرضهم من ذلك التشكيك بجمع أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام للقرآن، وحشر أسماء آخَرين معه فى هذه الفضيله التى خصّها الله ورسوله به.

أجل، إنّهم تفوّهوا بهذه الأقوال وشكّكوا فى بعض الأخبار كى يسلبوا فضيله جمع القرآن عن أمير المؤمنين، لأنّها من الفضائل المهمّه له، وبها تتمّ حيازته الثقلين معاً، فهو أبو العتره من جهه، وجامع الثقل الأكبر - أعنى القرآن الكريم - من جههٍ أُخرى.

فهؤلاء كانوا لا يريدون أن يعطوا عليّاً ما أعطاه الله ورسوله، فسعوا جادّين جاهدين لتحريف المسيره ورسم البديل لأنفسهم ثم للخلفاء من بعدهم، فسلبوا أوّلاً الخلافه منه، ثمّ حاولوا أن يسلبوه كلَّ فضيله، وكانت فضيله جمع القرآن بين الدفّتين ممّا سلبوه أيضاً، متظاهرين بحرصهم على الحفاظ على القرآن المجيد وخوفهم من ضياعه، فبدؤوا بجمع القرآن من نقطه الصفر تحت غطاء التثبّت والضبط، وعملهم

۱- سنعود إلى هذا المبحث إن شاء الله عند كلامنا عن القرّاء والإمام أمير المؤمنين علىّ عليه السلام .

۲- حسبما سنوضّحه لاحقاً تحت عنوان (سماع السلمىّ من علىٍّ عليه السلام لا من غيره) انظر صفحه ۳۹۷ من هذا الكتاب.

هذا وإن كان فى الظاهر مقبولاً، لكنه فى العمق كان فيه إساءةٌ إلى القرآن، والمساس بتواتره، وتعريض برسول الله صلى الله عليه و آله ، وبالصحابه العلماء القرّاء، كأُبىّ وابن مسعود وأبى الدرداء، وعلى رأسهم التعريض بأمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام الذين ذكرهم الذهبى فى الطبقه الأولى من أعيان القراء.

قال محمّد بن عبد الكريم الشهرستانى (ت ٥۴٨ ه-) فى تفسيره (مصابيح الأسرار)، موضّحاً هذا الأمر:

... ودع هذا كلّه، كيف لم يطلبوا جمع علىّ بن أبى طالب؟ أوَ ما كان أَكْتَبَ من زيد بن ثابت؟ أوَ ما كان أَعْرَبَ من سعيد بن العاص؟ أوَ ما كان أقرَبَ إلى رسول الله من الجماعه؟ بل تركوا بأجمعهم جمْعَه، واتَّخذوه مهجوراً، ونبذوه ظهريّاً، وجعلوه نسياً منسيّاً؟

وهو لمّا فرغ من تجهيز رسول الله وغسله وتكفينه والصلاه عليه ودفنه، آلى أن لا يرتدى برداءٍ إلّا لِ-جُمعه، حتّى يجمع القرآن، إذ كان مأموراً بذلك أمراً جَزْماً.

فجمَعَه كما أُنزل، من غير تحريفٍ وتبديلٍ وزيادهٍ ونقصان، وقد كان أشار النبىّ إلى مواضع الترتيب والوضع والتقديم والتأخير.

قال أبو حاتم: إنّه وضع كُلَّ آيهٍ جنب ما يشبهها..

إلى أن يقول محمد بن عبد الكريم الشهرستانى: بلى والله، إنّ القرآن

محفوظ، لقوله تعالی: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) ((۱))، وأمّا حفظه بحفظ أهل البیت، فإنّهما لا یفترقان قط، فلا وَصْلُ القول ینقطع؛ لقوله تعالی: (وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ) ((۲))، ولا جَمْعُ الثَّقَلَین یفترق؛ لقوله تعالی: (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) ((۳)).

فنُسخَتُه إن كانت عند قومٍ مهجوره، فهی بحمد الله عند قومٍ محفوظهٍ مستوره، (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِی لَوْحٍ مَحْفُوظٍ) ((۴)).

ولم یُنقَل عنه علیه السلام إنكارٌ علی ما جمعه الصحابه، لا كما قال عثمان: أری فیه لحناً وستقیمه العرب، ولا كما قال ابن عباس: إنّ الكاتب كتبه وهو ناعس. بل كان یقرأ من المصحف ویكتب بخطّه من الإمام ((۵)).

وكذلك الأئمّه من وُلده، یتلون الكتاب علی ما یتلونه ویعلّمون أولادهم كذلك.

والله تعالی أكرم وأمجد من أن یدع كتابه الكریم المجید علی لَحْنٍ حتّی تقیمه العرب، (بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ

۱- سوره الحِجر: ۹.

۲- سوره القصص: ۵۱.

۳- سوره القیامه: ۱۷.

۴- سوره البروج: ۲۱ و۲۲.

۵- بتصوری أنّ المقصود منه أنّه كان یكتب من مصحف الإمام علی ویؤیده ما جاء عن ابن مسعود فی سعد السعود.

يَعْمَلُونَ) ((۱)).

ولا يُستبعَد أن يكون لكتابه المنزَل نسختان لا تختلفان اختلاف التّضادّ، وكلاهما كلام الله عزّ وجلّ ... ((۲)).

مع التأكيد على أنّ سياسه الإقصاء من قبل الخلفاء - فی جمع القرآن - لا تختصّ بأمير المؤمنين علىّ عليه السلام ، وإن كان هو الشاخص والبارز فی هذه العمليّه، بل تعدّت إلى غيره من الصحابه.

إذ لم ينتدب أبو بكر معاذَ بن جبل إلى كتابه المصحف فی أيّامه مع أنّه كان حياً يرزق.

كما ترک عمر بن الخطاب قراءه سيد القراء أُبيّ بن كعب بدعوى أنه أقرأ للمنسوخ ((۳)).

وأُبعِد وأُقصی ابن مسعود من الكوفه أيّام عثمان بن عفان، ولمّا دخل المدينه المنوّره نبزه عثمان ب- (دُوَيْبّه سوء) ((۴)).

وقال الحجاج عن مصحف ابن مسعود بأنّه ما هو إلّا رَجزٌ من رجز

۱- سوره الأنبياء: ۲۶ و۲۷.

۲- مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار ۱ : ۱۳ - ۱۵ من مقدمه المؤلف.

۳- أنظر: تاريخ ابن شبه ۲: ۳۷۷ / ح ۱۱۷۶، كنز العمال ۲: ۲۵۱ / ح ۴۸۰۸، فتح البارى ۸: ۶۴۲، الدر المنثور ۸: ۱۶۱.

۴- أنظر: أنساب الأشراف ۶: ۱۴۶ / ح ۱۳۶۶.

الأعراب ((۱))..

واتُّهم ابن عبّاس - حبر الأُمّه - فی العصور المتأخّره بروایته الإسرائیلیّات فی القرآن، کلّ ذلک استنقاصاً لمناوئی عثمان!

ومن هنا یحق لنا تکرار ما قلناه فی سر الترکیز علی اسم عثمان وإبعاد الآخرین عنه، وانّ فی ذلک شیئاً من الإجحاف والهضم بحقّ کبار الصحابه - الذین عرضوا قراءتهم علی رسول الله، والذین أوصی بقراءتهم رسول الله - علی وجه الخصوص.

وتفوح منه أیضاً رائحه تبنی الأُمویّین لذلک، إذ کیف لا یعرف لأمیر المؤمنین علیٌّ بن أبی طالب علیه السلام قراءه صحیحه، ولم یصحّ وجود مصحفٍ له، وهو الجامع للقرآن والکاتب له، وأصل قراءتنا الیوم مأخوذهٌ عنه بحسب اعتراف الجمیع - من خلال أربعه قرّاء من السبعه -، وهو العالِم بالقرآن، نزل بلیلٍ أم بنهار، فی سهلٍ أو جبل، وهو القائل - بعد وفاه رسول الله صلی الله علیه و آله -: «لا أخرج من بیتی حتّی أجمع القرآن» ((۲))؟

ألم یکن من حقنا أن نسأل: کیف یترک ولا یعتمد مصحف علی بن أبی طالب علیه السلام الذی هو باب مدینه علم الرسول، وأعلم الصحابه وأقضاهم وأقرَؤُهم ویعتمد مصحف عثمان وزید بن ثابت؟

وإذا کان القرآن وعلومه هو ممّا ورثه أمیر المؤمنین علیه السلام من رسول الله صلی الله علیه و آله ، فلماذا

۱- سنن أبی داوود ۴: ۲۱۰ / ح ۴۶۴۳، مستدرک الحاکم ۳: ۶۴۱ / ح ۶۳۵۲.

۲- أُنظر: المصاحف لابن أبی داوود ۱: ۱۶۹ / ح ۳۱، ومصنّف عبد الرزّاق ۵: ۴۵۰ / ح ۹۷۶۵، طبقات ابن سعد ۲: ۳۳۸.

یُقصی الإمام، ویُقصی غیره - کابن مسعود وأُبیّ بن کعب - وهم مِن أَقْرَإِ الناس للکتاب العزیز ((۱))، ویُؤتی بأمثال زید بن ثابت الیهودی ذی الذؤابتَین؟! ((۲))

إنّه سؤالٌ محیِّر للعقول وهو یبحث عن إجابه!

وإذا تنزلنا وقلنا بأنّ أمیر المؤمنین علیّ بن أبی طالب هو کأحد المسلمین ولیس له میزه علی غیره من الصحابه فی القرآن وفی غیره، فکیف یذهبون الی أنّ القراءه الرائجه الیوم بین المسلمین هی محکیّه عنه علیه السلام ، وأنّ مصحف الکوفه هو أضبط المصاحف حسبما یقولون.

ومما تجدر الإشاره إلیه بأنّ قراءه أهل الکوفه کانت هی قراءه علی بن أبی طالب وابن مسعود لا غیر.

ویؤید هذا الاتجاه قول الدکتور طیار آلتی قولاچ فی مقدّمته علی المصحف الشریف المنسوب للإمام علیّ بن أبی طالب علیه السلام (نسخه صنعاء)، والّذی طبعته منظمه التعاون الإسلامی (IRCICA):

... إملاء مصحف الکوفه الّذی هو مرجع قراءه عاصم بن بهدله بروایه حفص، إذ المعروف أنّ نحو ۹۰ ٪ من مسلمی عالم الیوم یفضّلون روایه

۱- أنظر عن ابن مسعود: تاریخ بغداد ۴: ۳۲۶ / ۲۱۳۸، البحر الرائق ۴: ۳۷۲، المبسوط للسرخسی ۶: ۱۲۴، وعن أُبی: صحیح البخاری ۴: ۱۹۱۳ / ۴۷۱۹، وکنز العمال ۲: ۲۴۵ / ۴۷۶۸.

۲- هذا هو تعبیر ابن مسعود عن زید قالها تعریضاً به. أنظر: سنن النسائی (المجتبی) ۸: ۱۳۴ / ۵۰۶۴، مسند أحمد ۱: ۴۱۱ / ۳۹۰۶.

حفص، ویبـدو من تـدقیقنا أثناء هـذه الـدراسه فی مواضع الخلاف بین مصاحف عثمان، أنّ طریقه إملاء مصـحف الکوفه کانت هی المفضَّله، سواء أکـان فی طبعه القـاهره من خلال أعوام (۱۳۳۷ ه–، ۱۳۴۲ ه–، ۱۳۵۴ ه–، ۱۳۵۷ ه–)، أم کان فی المصـحف المطبوع فی المدینه المنوّره باسم الملک فهد بن عبد العزیز اعتباراً من سنه ۱۴۰۵ ه–، ولکنّ حفصاً... ((۱)).

ومن هنـا نسـتطیع التأکیـد أنّه لاـ یصـحّ مـا قالوه بأنّ المراد من مصـحف الکوفه هو ذلک المصـحف المرسل من قبل عثمان إلی أهلها، وحتّی لو کان ذلک فقراءه علی بن ابی طالب وابن مسعود هما الأشهر والأضبط، فما عدا ممّا بدا یا علماء تاریخ القرآن؟!

۱- المصحف الشریف المنسوب لعلیّ بن أبی طالب علیه السلام (نسخه صنعاء) الفصل الثالث من المقدّمه: ۶۹.

المقدّمه الخامسه:

اشاره

التأكيد على مشروعيّه تعدّد القراءات – فى عهد الشيخين – وانها جاءت وفقاً لتفسيرهم الحديث الشريف «نزل القرآن على سبعه أحرف» ((۱))، والّذى استُغِلّ من قبل أعداء الدين قديماً وحديثاً للطعن فيه.

فلو ثبت جواز تعدّد القراءات عن رسول الله صلى الله عليه و آله ، لكان هذا مخالفا لما فعله عثمان فى توحيدها على قراءهٍ واحده ((۲))، إذ إنّها لو شرّعت التعدّديه فى القراءات – بالعنوان الثانوىّ – سعهً للمسلمين ورحمهً بهم، فلماذا يضيّقها عثمان ويُلزمهم بالأخذ بقراءهٍ واحده؟

وما هى حال القراءات الستّه الأُخرى المشروعه دينياً – حسب الفرض – والمحظوره سياسيّاً بعد عثمان؟

ولو كانت المصلحه تقتضى توحيد القراءات، فكيف يعرف هذه المصلحه عثمان وحذيفه وزيد، ولا يعرفها رسول الله صلى الله عليه و آله ، ولا يتفطّن لها أمير المؤمنين عليه السلام وابن مسعود وأُبىّ بن كعب وغيرهم من عيون الصحابه وكبار قُرّائهم؟!

ونستطيع القول أيضاً ان السعه التى منحها الله ورسوله صلى الله عليه و آله للعربى ولغيره –

۱- صحيح البخارى ۴: ۱۹۰۹ باب أُنزل القرآن على سبعه أحرف وفيه حديثان، صحيح مسلم ۱: ۵۶۰ باب بيان أن القرآن على سبعه أحرف وفيه عدّه أحاديث.

۲- ستقف على تلك النصوص فى آخر المجلد الثانى من هذا الكتاب (توحيد المصاحف).

الّذی لا یطیق التلفّظ بالمنزَل علی صدر النبیّ محمّد صلی الله علیه و آله - قراءه (حَتَّی حِینٍ) ((۱)) ب- (عتّی حین) ((۲))، و(إِنّا أَعطَیناکَ الکَوْثَرَ) ((۳)) ب- (إنّا أنطیناک الکوثر) ((۴)) وأکثر من ذلک فانه قد ورد فی بعض الاخبار أنّ الله سبحانه یرفع قرآن الأعجمیّ عربیّاً ((۵))، سعهً ورحمهً وتفضّلاً، لکن هذا لا یعنی تجویزه القراءات الخاطئه للعربیّ القرشی أیضاً، أو سماحه للعربیّ الفصیح أن یقرأ القرآن بالمعنی أو بأی شکل ارتضاه ما لم یجعل آیه رحمه آیه عذاب هذا مجمل الکلام فی المقدمه الخامسه وإلیک تفصیل ذلک من خلال الرؤیه التصحیحیه:

۱- سوره الذاریات: ۴۳.

۲- وهی قراءه ابن مسعود. أُنظر: النهایه فی غریب الحدیث والأثر ۳: ۱۸۱ مادّه عتا.

۳- سوره الکوثر: ۱.

۴- أنظر: فتح الباری ۸: ۷۳۱.

۵- ففی الکافی ۲: ۶۱۹ / ح ۱ باب أن القرآن یرفع کما أنزل، عن الصادق قال: قال النبی: إن الرجل الأعجمی من أمتی لیقرأ القرآن فترفعه الملائکه علی عربیته.

الرؤيه التصحيحيه: تعدّد القراءات تخالف الوحده فيه، وهو المبرّر لتشريع القراءات الجديده:

إنّ فكره مشروعيّه تعدّد القراءات، والقراءه بالمعنى، والأخذ بالمترادف فى القرآن، وقراءه القرآن بأىّ نحوٍ كان، بشرط أن لا تصير آيه رحمهٍ آيةَ عذاب وآيهُ عذابٍ آيه رحمه ((١))، وأمثال هكذا آراء تسىء إلى قدسيّه النصّ القرآنيّ، وهذا الأمر يدركه مَن له أدنى معرفه واعتقاد بإعجاز القرآن الذى لا يتوافق مع هكذا أقوال.

فهل يُعقَل بأن يكون النصّ مقدّساً مع تعدّد ألفاظه وأشكاله؟! وهل سمعت أنّ مِلكاً أو رئيساً أصدر مرسوماً ملكيّاً أو جمهورياً على سبعه أشكال وصور؟! إنّ لهذا من الغرابه ما لا يمكننا قبوله، وهذا هو الذى جعل بعض المستشرقين يسخّفون قرآننا ويقولون بأشياء قبيحه فيه، إذ قال جولد تسهير فى (مذاهب التفسير الاسلامى):

فلا يوجد كتاب تشريعى اعترف به طائفه اعترافاً عقدياً على أنه نص منزل أو موحى به، يقدم نصه فى أقدم عصور تداوله مثل هذه الصوره من الاضطراب وعدم الثبات، كما نجد فى نص القرآن. ((٢))

١- أُنظر: الأحرف السبعه للدانى: ٢١ / ح ٨، وسنن البيهقى ٢: ٣٨٤ / ح ٣٨٠٢.

٢- مذاهب التفسير الاسلامى لجولد تسهير: ۴ وقال بمثل هذا الكلام كانون سل أيضاً أنظر مجله المصباح العدد الخامس الصفحه ١۴٢ مقال الاستاذ عبدالجبار الشاطى (كانون سل وكتابه تدوين القرآن).

وكلام هذا المستشرق باطل جمله وتفصيلاً. لأنّه خلط الحابل بالنابل، لأنّ النصّ القرآنی نص واحد لا اختلاف فيه، وتعدّد الوجوه والقراءات جاء متأخراً بعد زمن الرسول صلى الله عليه و آله ، ولذلک لا يعتنى بها فى الصلاه ولا تجزى ولا تجوز القراءه إلا بالثابت المشهور.

والذى يحز فى النفس بأن مستمسک هؤلاء هى الروايات الموجوده فى كتب الجمهور وهى التى تصور المساله هكذا، فى حين لم يكن كما قالوه؛ إذ بقى القرآن معجزه على مر الازمان والدهور.

بل كيف يمكن أن يُتصوَّر هذا فى القرآن المعجِز الّذى فاق كلّ نصوص البشر، والّذى فيه من العلوم فوق ما يتصوّره الناس.

وقد أفرد ابن أبى الإصبع المصرى (٥٨٥ – ٦٥٤) فى كتابه (التحبير) باباً أسماه (باب الإبداع)، أشار فيه إلى عشرين ضرباً من البديع فى الآيه ۴۴ من سوره هود فقط، وهى قوله تعالى: (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِى مَاءَكِ وَيَا سَماءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِىَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلى الْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) ((١))، وقال: إنّ قريشاً لمّا نزلت هذه الآيه عمدت إلى معلّقاتها فأنزلتها من جدران الكعبه.

فهل يبقى القرآن – وهو بهذه المنزله من الإعجاز – على إعجازه لو اعتقدنا بجواز الأخذ بالمترادف أو صحه القراءه بالمعنى فيه؟

١- أُنظر: الإتقان ٢: ٢٥٨ الباب ۴٣ الإبداع، وخزانه الأدب ٢: ٢٩١.

وأُجيز بأن يُقرَأ بأيّ شكلٍ كان، بدعوى أنّه جاء من باب هلمّ وتعال؟! ((١))

إن هذا الكلام باطل لا نقبله، وهو يفتح الباب للمغرضين للقول بالزياده والنقصان فى القرآن الكريم.

جذور فكره الأحرف السبعه

إنّ هناك مؤشّرات تؤكّد على أنّ عمر بن الخطاب كان وراء تبنّى فكره الأحرف السبعه وبثّها بين المسلمين((٢))، وقد الصقت هذه الفكره بابن مسعود وأُبىّ بن كعب، ومن قبلهما إلى رسول الله أيضاً دعماً لعمر، وسترى بعد قليل بأنّ نسبه الاستفاده من الأحرف السبعه إلى عمر بن الخطاب قد قال به غيرنا.

ولا يستبعَد أن تكون هذه الفكره قد جاءتنا من اليهود للتشكيك فى النصوص المقدَّسه عندنا، لأنّ اليهود وبعد أسرهم الجماعىّ ونقلهم إلى بابل قد أُحرقت جميع كتبهم ودُمّرت معابدهم، وبقوا على ذلك الحال عدّه عقودٍ حتّى أنقذهم الملك الفارسىّ كوروش، فيقال بأنّهم دوّنوا التوراه على ما بقى فى ذاكره بعض الأشخاص الّذين سمعوه من آبائهم، فأصبح هناك عندهم توراهٌ عبريّه وتوراهٌ سامريّه، لذا أرادوا أن ينسبوا هذا الأمر إلى كتابنا المقدّس أيضاً، وأن يدّعوا بأنّ القرآن جُمع عن حفظٍ لا عن كتابه.

وربما جاءتنا هذه الفكره من عند النصارى، حيث تعرّض المسيح لمحاوله

١- أُنظر: سنن البيهقى ١: ٥٦٥ / ح ١٠٤٨، و٢: ٣٨٤ / ح ٣٨٠٤.

٢- كما سيأتى الحديث عنه.

الصلب، إذ تفرّق الحواريّون عنه، فلم يبقَ من الإنجيل لديهم إلّا ما فى الذاكره، فأخذ الحواريّون يكتبون ما عرفوه، ولهذا تعدّدت الأناجيل عندهم، فأرادوا أن يقولوا بأنّ القرآن متعدّدٌ أيضاً، يشبه إنجيل لوقا، وإنجيل متّى، وإنجيل بولس، وإنجيل يوحنّا، وغيرها من الأناجيل.. أى أنّهم أرادوا تسريه التحريف من كتبهم إلى الكتاب العزيز عندنا، وذلك تحت عنوان مشروعيّه تعدّد القراءات.

وقيل بأنّ المسيحيه لم يكن لها كتاب فاعتمدت الكتاب المقدس عند اليهود مع اضافات جديده عليه، فقال شفالى: ... ففى الجماعه المسيانيه التى تشكلت بعد موته صار المسيح هو موضوع الدين. ونظراً إلى أن سيوع لم يترك كتابات موحاه ولا من نوع آخر، لم يكن للمسيحيه الحديثه، أولاً ـ كتاب مقدس، بل كان عليها أن تكتفى بكتب المجمع اليهودى الذى ولدت فى حضنه. ولم ينجز العهد الجديد المؤلف من كتابات مسيحيه متعدده النوع، نشأت فى أوقات مختلفه، الا فى نهايه القرن الرابع فى الغرب، وقد طالب مده هذه العمليه فى الكنيسه الشرقيه إلى ما بعد ذلك الموعد. عقب ذلك نشأت فى المسيحيه عاده اعتبار الكتب اليهوديه المقدسه الثلاثيه الاجزاء وحده موحَّد، ووضعت تحت إسم «العهد القديم» مقارنه لها بالعهد الجديد.

إلى أن يقول: فالكتب المقدسه اليهوديه والمسيحيه هى من صنع الإنسان، بالرغم من أن التصوّر ساد فى وقت مبكر بأنّ الروح المقدس ألهم كتّاب أسفار الكتاب المقدس ما كتبوه (رساله بطرس الثانيه ۱ : ۲۱). لكن كلام الله الفعلى لا يوجد فى هذه الكتب إلّا حيث يتحدّث الله نفسه إلى الأنبياء أو أتقياء اخر مختارين. أمّا القرآن فيختلف عنها اختلافاً تاماً. فبالرغم من انّ محمداً هو موضوعياً وفعلياً مؤلف الآيات والسور الموضوعه فى هذا الكتاب، فهو لا يعتبر نفسه صاحبها بل الناطق باسم الله

والمبلغ كلامه وارادته. لهـذا السـبب لا يتكلّم فى القرآن إلّا الله، والله وحده. لا يسع المختصـص فى تاريخ الأديان إلّا أن يرى فى هذا الأمر وهماً. لكن النبى كان متحمساً حماساً بالغاً واعتقد جدياً بالأصل الإلهى للآيات والسور. وآمن أتباعه بذلك(۱).

وبذلك تكون فكره الأحرف السبعه هى بنظرنا أقرب إلى النصارى من اليهود.

ومع ذلك نتسائل: إذا كان الحفظ هو المعيار فى الجمع فلماذا لا يجمعه زيـد بن ثابت من حفظه بل يأخـذه من العسب واللخاف والكتف و...

أهل البيت ووحده النص القرآنى

إنّ أهـل بيت الرسـاله صـرّحوا بهـذه الحقيقه وأنّهم لا يقبلون بتعـدّديه النصّ القرآنى، بل يرونه طارئاً على الفكر الاسـلامى، لأن النازل من عنـد الله الواحـد عنـدهم هو نص واحـد، وقد نزل على رجل واحد، ولأجل هذا كذّب الإمام مَن فسّر الأحرف السـبعه بتعدّد القراءات.

نعم إن فتح هذا الباب ودراسته ربما يفضى الى اتساع آفاق البحث عن سرّ تخوّف الرسول صلى الله عليه و آله من تلاعب اليهود والنصارى بالقرآن الكريم.

وباعتقـادى أنّ ما قاله صـلى الله عليه و آله عن اليهود والنصارى ليس هو محض تَنَبّؤ، بل هو إخبارٌ عن دَوْرٍ موجود لهم آنـذاك فى المجتمع أيّام حياته المباركه - وهـذا مـا سـنفتحه لاحقاً إن اقتضـى الأـمر لـذلك - لكنهم لم يفلحوا ولم ينجحوا لتحقيق مآربهم، إذ بقى

۱- تاريخ القرآن ۲ : ۳۴۲ - ۳۴۳.

متن القرآن محفوظاً وشرعيّاً يؤخذ به رغم كلّ المحاولات المسيئه له.

لأنّ صحّه نبوّه النبيّ محمّد صلى الله عليه و آله متوقّفه على سلامه القرآن من التحريف، وأنّ هدايه الخلق والإعجاز الالهى متوقّفان على القرآن نفسه، ومع احتمال التحريف بزياده أو نقيصه لا وثوق بشىء من آيات القرآن ومحتوياته، وتسقط حجّيّته، مع التأكيد على أنّ التشكيك فى تعدّد القراءات لا يعنى التشكيك بأصل القرآن المجيد كما يريد أن يستغله المستشرقون وغيرهم.

نعم، إنّ مدرسه أهل البيت عليهم السلام كانت لا تقبل بفكره التعدّديه فى القرآن، بل تقول بالوحدويّه فيه وتؤكّد عليه، لأنّ كلام الله نزل من عند الواحد على رجلٍ واحد، بلسانٍ واحد.

فعن الفضيل بن يسار، قال: قلت لأبى عبد الله [الصادق عليه السلام]: إنّ الناس يقولون: إنّ القرآن نزل على سبعه أحرف. فقال: «كذبوا أعداء الله، ولكنّه نزل على حرفٍ واحدٍ من عند الواحد» ((۱)).

وعن زراره، عن أبى جعفر [الباقر عليه السلام]، قال: «إنّ القرآن واحدٌ نزل من عند واحد، ولكنّ الاختلاف يجىء من قِبَل الرُّواه» ((۲)).

بهذين النصين عن الباقر والصادق عليهما السلام نقف على دور الأئمه التصحيحى فى القرآن والقراءات فيه، إذ أن صحه منهجهم تدعوا إلى الوحدويه فى

۱- الكافى ۲: ۶۳۱ / ح ۱۳.

۲- الكافى ۲: ۶۳۰ / ح ۱۲، إعتقادات الصدوق: ۸۶ باب الاعتقاد فى مبلغ القرآن.

القول والعمل ويشهد له قوله تعالى: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) ((۱)).

وقد روى عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه و آله ما يقارب ذلك إذ قال:

اختصم رجلان فى سوره، فقال هذا: أقرأنى رسول الله، وقال هذا: أقرأَنى رسول الله. فأتيا النبىّ صلى الله عليه و آله فأُخبِر بذلک.

قال: فتغيّر وجهه، فقال: «اقرؤوا كما عُلّمتُم ... فإنّما هلک مَن كان قبلكم باختلافهم على أنبيائهم» ((۲)).

وفى جمله: «اقرؤوا كما عُلِّمْتُمْ ...»، إشاره منه صلى الله عليه و آله إلى ضروره الأخذ بالنصّ الواحد المعلَّم من قِبل رسول الله لأصحابه المخلصين ((۳))، وعدم جواز الاختلاف على الأنبياء.

فالنبى صلى الله عليه و آله لم يقل «كما سمعتم» بل قال: «كما علمتم» إشاره منه إلى لزوم اعتبار العرضه والتعلم منه صلى الله عليه و آله هو المعيار فى صحه القرآن والأخذ به لا السماع عن طريق النقل الجماعى، مثل سماعهم تلاوته صلى الله عليه و آله فى الصلاه أو استشهاده ببعض الآيات فى خطبه، وبذلک يكون العرض اسمى من اعتبار السماع وأثبت.

۱- سوره النساء: ۸۳.

۲- مسند أبى يعلى ۸: ۴۷۰ / ح ۵۰۵۷، وذم الكلام وأهله ۱: ۴۵ / ح ۳۹ عن أبى عبيد فى فضائل القرآن.

۳- والذى جاء فى أمر البارى فى قوله: (وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ) سوره الإسراء: ۱۰۶.

وقد يكون الخبر المروى فى «كنز العمال» من مسند الصدّيق: عن أبى عبد الرحمان السلمى، قال: كانت قراءه أبى بكر وعمر وعثمان وزيد بن ثابت والمهاجرين والأنصار واحده ... ((۱)) فيه اشاره الى ما نريد قوله فى لزوم الوحدويه فى النص، إذ أنّ النبى قد جدّ باقراء الناس القرآن على مكث كى يصونهم من التحريف، فلا يمكن لى أن اتصوّر امكان وقوع الاختلاف بين الصحابه الذين عرضوا قراءتهم على رسول الله.

وكذا لا يمكن تصور وقوع الاختلاف بين الذين نص عليهم رسول الله فى الاقراء والتعليم للأمه وأمر الناس فى الرجوع إليهم كابن مسعود وأبى بن كعب وعلى بن أبى طالب.

إذن القرآن المقروء عند المسلمين فى العصر الأول كانت قراءةً واحدةً، لكنّ الصراعات السياسيه فى الأزمان اللّاحقه هى الّتى جعلتها متعدِّده، تحت ذريعه مشروعيّه تعدّد القراءات، فقد سُئل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن معنى الأحرف السبعه فقال:

«إنّ الله – تبارك وتعالى – أنزل القرآن على سبعه أقسام، كلٌّ منها شافٍ كاف، وهى: أمر، وزجر، وترغيب، وترهيب، وجدل، ومثل، وقصص ...» ((۲)).

وهذا الكلام من أمير المؤمنين وما يتلوه عن ابن مسعود هو غير ما يريدون

۱- كنز العمّال ۲: ۲۵۰ / ح ۴۸۰۲ – عن ابن الأنبارى فى (المصاحف).

۲- بحار الأنوار ۹۰: ۳ – عن: تفسير النعمانى.

الذهاب إليه فی القراءات وفی غیرها.

فقد روی ابن مسعود، عن رسول الله صلی الله علیه و آله قوله: «كان الكتاب الأوّل نزل من بابٍ واحد علی حرفٍ واحد، ونزل القرآن من سبعه أبوابٍ علی سبعه أحرف: زاجرٌ وآمرٌ، وحلالٌ وحرامٌ، ومحكمٌ ومتشابهٌ وأمثال» ((۱)).

فلو قبلنا بأنّ النبیّ قد تلقّی القرآن نصاً واحداً، فلا معنی لجواز نقله بالمعنی، فقد قال سبحانه: (وَإِنَّكَ لَتُلَقَّی الْقُرْآنَ مِن لَدُنْ حَكِیم عَلِیم) ((۲))، وقال تعالی: (وَأُوحِیَ إِلَیَّ هذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ) ((۳))، وقال عزّ وجل: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَیْكَ الْقُرْآنَ تَنزِیلًا) ((۴))، وقال عزّ من قائل: (وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلَی مُكْثٍ) ((۵))، وأمثالها.

فكلُّ هذه الآیات تؤكّد لزوم التعبّد بالنصّ القرآنیّ الواحد، وعدم جواز تغییر ألفاظه وترتیب حروفه، وعدم صحّه ما ادّعوه من جواز قراءه القرآن بأیّ شكلٍ كان بشرط أن لا تُغیَّر آیهُ رحمهٍ إلی آیه عذاب، والّذی یرجع جذوره إلی ما حكی عن عبد الله بن أبی سرح - أخی عثمان من الرضاعه -، حینما كان كاتباً للوحی حسبما یقولون!! وأن رسول الله إذا قال له: «أُكتبْ: علیماً حكیماً»، كتب: غفوراً رحیماً، وإذا قال له:

۱- المستدرک علی الصحیحین ۱: ۷۳۹ / ح ۲۰۳۱، ۲: ۳۱۷ / ح ۳۱۴۴ والمتن منه.

۲- سوره النمل: ۶.

۳- سوره الأنعام: ۱۹.

۴- سوره الإنسان: ۲۳.

۵- سوره الإسراء: ۱۰۶.

«أُكتب: غفوراً رحيماً»، كتب: عليماً حكيماً، وارتدّ ولحق بمكه ((١)).

فسؤالنا: لو كانت التعـدّديّه والاختلاف هى مطلوب الشارع، فلِمَ يحصـر النبىّ الفرقه الناجيه من أُمّته بواحده من الثلاث والسـبعين فرقه، ويقول عن الباقى: إنّها فى النار؟ ((٢))

بل ما يعنى تأكيد الله سبحانه وتعالى على وحده الكلمه اذن؟ وهل أمَرَنا الله عزّ وجلّ بالوحده أم بالفُرقه؟

ولو كانت الفُرقه هى مطلوب الشارع، فما معنى قوله تعالى: (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ

١- تفسـير الرازى ٤: ١٣٤٦ / ح ٧۶٢۶، وعن السـدّى، عن مصـعب بن سـعد، عن أبيه أنّه قال: لمّا كان فتـح مكّه، أمّن رسول الله النـاس إلّا أربعه نفر وامرأتين، وقال: «اقتلوهم وإن وجـدتموهم متعلّقين بأسـتار الكعبه»: عكرمه بن أبى جهل، وعبد الله بن أخطل، ومقيس بن صـبابه، وعبـد الله بن أبى سـرح. وقيل بأنّه هو الـذى نزل فيه: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَاأَنْزَلَ الله)، لأنّ رسول الله أملى عليه ذات يوم: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلَالَهٍ مِن طِينٍ) - إلى قوله: - (ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ)، فجرى على لسـان ابن أبى سـرح: فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ. فأملاه عليه وقال: «هكـذا نزل»، فارتـدّ عدوّ الله وقال: إن كان محمّدٌ صادقاً فلقد أوحى إلىّ كما أوحى إليه، ولئن كان كاذباً فلقد قلت كما قال. وارتدّ عن الإسلام وهدر رسول الله دمه. أنظر: الأحاديث المختاره ٣: ٢۴٨ / ح ١٠۵۴، التفسير الكبير ٢٣: ٧۵، تفسير القرطبى ٧: ۴٠.

٢- أُنظر: مصنّف عبد الرزّاق ١٠: ١۵۶ / ح ١٨۶٧۵ باب ما جاء فى الحروريّه، مسند أحمد ٣: ١۴۵ / ح ١٢۵٠١، سنن الدارمى ٢: ٣١۴ / ح ٢۵١٨ باب افتراق الأُمّه، سنن أبى داوود ۴: ١٩٨ / ح ۴۵٩٧، سنن ابن ماجه ٢: ١٣٢٢ / ح ٣٩٩٣.

غَیْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِیهِ اخْتِلَافاً کَثِیرا) ((۱))؟!

وکذا قوله: (وَأَنَّ هذَا صِرَاطِی مُسْتَقِیماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِکُمْ عَن سَبِیلِهِ ذلِکُمْ وَصَّاکُم بِهِ لَعَلَّکُمْ تَتَّقُونَ) ((۲)).

وهل حقاً معنی قوله صلی الله علیه و آله : «اختلاف أُمّتی رحمه» ((۳)) کما یفسّرونه، أم هو شیء آخر؟ فکیف نفسّر قوله صلی الله علیه و آله : «لا تختلفوا، فإنّ مَن کان قبلکم اختلفوا فهلکوا» ((۴))؟

وألم یذمّ الإمام علیّ علیه السلام اختلاف العلماء فی الفُتیا؟ فی قوله:

«... ثمّ یجتمع القضاه بذلک عند الإمام الّذی استقضاهم، فیصوّب آراءهم جمیعاً، وإلههم واحد! ونبیّهم واحد! وکتابهم واحد! أفأَمَرهم اللهُ تعالی بالاختلاف فأطاعوه، أم نهاهم عنه فعصوه؟! أم أنزل الله دیناً ناقصاً فاستعان بهم علی إتمامه؟! أم کانوا شرکاءه فلهم أن یقولوا وعلیه أن یرضی؟! أم أنزل الله سبحانه دیناً تامّاً فقصّر الرسول صلی الله علیه و آله عن تبلیغه وأدائه؟! واللهُ سبحانه یقول: (مَا فَرَّطْنَا فِی الْکِتَابِ مِن شَیْءٍ)، وقال: (تِبْیاناً لِکُلِّ شَیْءٍ ...) ((۵)).

۱- سوره النساء: ۸۲.

۲- سوره الأنعام: ۱۵۳.

۳- أحکام القرآن للجصّاص ۲: ۳۱۴، شرح النووی علی صحیح مسلم ۱۱: ۹۱، الجامع الصغیر للسیوطی ۱: ۴۸ / ح ۲۸۸.

۴- صحیح البخاری ۲: ۳۴۹ / ح ۲۲۷۹، و۳: ۱۲۸۲ / ح ۳۲۸۹ واللّفظ له، مسند أحمد ۱: ۴۱۱ / ح ۳۹۰۷ و۳۹۰۸، مسند ابن الجعد ۱: ۸۳ / ح ۴۶۴.

۵- نهج البلاغه ۱: ۵۱ / ۱۷ من کلامٍ له فی صفه مَن یتصدّی للحکم بین الأُمّه ولیس لذلک أهل.

وعليه، فالاختلاف ليس من القرآن نفسه، إذ أنّ القرآن واحد نزل من عند الواحد، لكنّ الاختلاف يجیء من قبل الرواه، فهذا يقرأه بكذا وذاك يقرأه بشكل آخر يغيّر معناه.

وإنّ تعدّد القراءات لم تكن على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله وقد حدثت بعد أعوام من عهد التنزيل، وبذلك يكون المقصود من الحرف فی جمله: «على سبعه أحرف» إشارهً إلى التأويل والأطراف والجوانب والوجوه الموجوده فی القرآن المجيد، لا القراءات.

أی: وجود جوانب متعدّده للنصّ الواحد يمكن فهم ظاهرها طبقه، لكنّ معرفه كُنْه تلك الأُمور لا يتأتّى إلّا للمعصومين، لأنّهم الراسخون فی العلم الّذين قال سبحانه عنهم: (وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِى الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ) (۱)، وهم أهل بيت الرساله فقط، كما هو نصّ حديث الثقلين المتواتر عند الفريقين.

فلا تجوز القراءه بالشاذّ، إذ إنّ أئمّه أهل البيت أكّدوا لزوم القراءه بما يقرأ به الناس وترك الشاذّ النادر، وهذا ما أكّده غالب فقهاء مدرستهم أيضاً.

وعليه، فقد اتّضح لك بأنّ غير المعصوم لا يمكنه فهم عمق القرآن وكنهه، أما ظاهره فيفهمه غالب الناس، وأنّ مسأله الأحرف السبعه قد استُغلّت من قبل الخلفاء - خصوصاً من قبل عمر بن الخطاب - لعللٍ خاصّه قد يقف عليها القاری فی ثنايا هذا الكتاب، ولأجل وجود هذه الإشكاليه وأمثالها عدّ الدكتور عبد الصبور شاهين

۱- سوره النساء: ۸۳.

حديث الأحرف السبعه أنّه:

لغز الألغاز فى تاريخ القرآن، بل هو مصدر مشكلات هذا التاريخ، ولذلك كثرت فى تفسيرها الاجتهادات وتعدّدت الآراء قديماً وحديثاً، دون أن يُنتهى إلى رأيٍ قاطع ... ((۱)).

كما أكّد الدكتور شاهين أنّ: أوّل من كشف وجود هذا الإذن ((۲)) لا يعدو أحد الرجلين: أُبىّ بن كعب وعمر بن الخطّاب ...

إلى أن يقول: ومعنى ذلك بداههً أنّ الوحى القرآنىّ استمرّ ينزل على قلب النبىّ واحداً وعشرين عاماً على حرفٍ واحد، وأنّ إقراء هذه المدّه من حياه النبىّ كان على حرفٍ واحد، وأنّ المجتمع كلّه كان يقرأ القرآن طيله هذه المدّه من حياه النبىّ على حرفٍ واحد، وأنّ تدوين ما كان ينزل من القرآن كان أيضاً على حرفٍ واحد، ولا شكّ فى هذا أبداً بعد أن وضحت لنا المعالم التاريخيه السابقه ((۳)).

إلى أن يقول: فمن المؤكَّد أنّ الوحى بمكّه كان على حرفٍ واحد، وكذلك ما نزل بالمدينه قبل الأحرف السبعه كان كلّه يُقرَأ على حرفٍ واحد، فكيف نفسّر أن يقع هذا الاختلاف فى سورتين مكيّتين؟! ((۴))

لكنّه مع كلّ ذلك، استفاد الدكتور ممّا قاله الطبرى - عند جمعه بين روايات

۱- تاريخ القرآن: ۷۴.

۲- أى الإذن بالقراءه بالأحرف السبعه.

۳- تاريخ القرآن: ۸۰ و۸۱.

۴- تاريخ القرآن: ۸۵.

الأحرف السبعه، وجمع عثمان الناس على حرفٍ واحد وتركه للستّه الباقيه -: «بأنّها كانت رخصةً وليست بعزيمه»؛ فقال الدكتور شاهين:

وهنا نلتقى مع الطبرى ... كما نلتقى أيضاً مع ما رآه أُستاذنا الدكتور أنيس من أنّ روح هذه الرخصه لا تزال باقيه إلى اليوم، يقرأ فى حدودها المسلمون من شتّى الأجناس، على اختلاف ألسنتهم فى الماضى والحاضر والمستقبل، وإن كنّا لا نرى أنّ ذلك من الأحرف السبعه، بل هو من روح التيسير الّتى تميَّز بها الإسلام، إذ كان وجود الأحرف السبعه بمعناها التنزيليّ قد توقّف - بإجماع المسلمين - على مصحف عثمان، ولم يبقَ منها سوى بعضها فى حدود رسم هذا المصحف الإمام ((١)).

ونحن لا نتفق مع الدكتور شاهين لأنّ فكره الأحرف السبعه - بالشكل الّذى يرتضونه - جاءت متأخِّرةً، وليس لها وجود أيّام رسول الله صلى الله عليه و آله - فى مكّه المكرّمه وفى المدينه المنوّره -، وقد استُخدمت من قِبل عمر بن الخطاب كمرحلةٍ من مراحل جمع الخلفاء للقرآن بعد رسول الله صلى الله عليه و آله ، ولجمع جميع آراء الصحابه فى القرآن، ثمّ استُغِلَّت هذه الفكره حديثاً - استغلالاً بَشِعاً - من بعض الكتّاب المعاصرين، أمثال: محمّد عابد الجابرى، ومحمّد أركون، ونصر حامد أبى زيد، وعبد الكريم سروش، وغيرهم بدعوى وجود أولياته فى التراث القديم.

وعليه، فلو ثبت جواز تعدّد القراءات على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله ، فهو يخالف إلزام

١- تاريخ القرآن: ٦٨.

عثمان الصحابه بالقراءه الواحده والحرف الواحد، كما يخالف حرقه للأحرف الستّه الباقيه لأنها – حسب الفرض – مما أرادها الله ورسوله تيسيراً ورحمةً بأمته!

ألم يكن فی فعل عثمان نفياً للغرض الّذی شُرِّع من أجله تعدّد القراءات؟!!

وإذا كانت وحده القراءات مطلوبه للشارع وللناس، وأنّ عمر كان يريد أن يجمع الناس على قراءهٍ واحدهٍ (فطُعِن طعنته الّتی مات فيها)((۱))، فلماذا تُشرَّع التعدّديه من بعده، ويُقال عمّن لا يؤمن بتواتر القراءات السبع عن رسول الله صلی الله عليه و آله : إنّه كافر ((۲))؟ أليس فی ذلك تناقض بين الادّعاءَين؟!

۱- تاريخ المدينه ۲: ۱۱۶ / ح ۱۷۱۱، الإتقان فی علوم القرآن ۱: ۵۳۸ / ح ۳۴۸۸.

۲- اُنظر: مناهل العرفان للزرقانی ۱: ۳۰۱، فقد نقله عن مفتی البلاد الاندلسيّه أبی سعيد فرج ابن لب.

فكره تعدّد القراءات وُضعَت لتصحيح قراءات الصحابه أو للحدّ من عمل عثمان

كما أنّى أُرجّح أن تكون فكره تعدّد القراءات قد جاءت أيضاً لشرعنه قراءات الصحابه ((١))، لأنّ الّذى لا يعرف معنى الكلاله ((٢))، ولا يقوى على حفظ سوره البقره إلّا بعد اثنى عشره سنه حتّى إذا أتمّ حفظها نحر جزوراً ((٣))، والّذى كان يقرأ

١- أُنظر: التفسير الكبير ١٩: ١٦٤، محاضرات الأُدباء ٢: ٤٤٩، وتاريخ المدينه ١: ٣٧٥ / ح ١١٧٠. وفى تفسير البحر المحيط ٥: ٩٧ عن عمر أنّه كان يرى: (وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ) بغير واو، صفةً للأنصار، حتّى قال له زيد بن ثابت: إنها بالواو، فقال عمر: ائتونى بأُبَىّ، فقال: تصديق ذلك فى كتاب الله فى أول الجمعه: (وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ)، وأوسط الحشر: (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ)، وآخر الأنفال: (وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ). وروى أنّه [أى عمر] سمع رجلاً يقرؤه بالواو، فقال: من أقرأَك؟ فقال: أُبى. فدعاه، فقال: أقرأَنيه رسول الله. ومن ثمّ قال عمر: لقد كنتُ أرانا وقعنا وقعه [الصواب: رُفِعْنا رَفْعةً] لا يبلغها أحدٌ بعدنا. ومثله الصراع الذى قام بين معاويه وأبى ذر فى الآيه (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ) والتى قرأها معاويه بدون الواو واعتراض أبى ذر عليه أو اختلافه معه فى تفسيرها هل أنها نزلت فى أهل الكتاب أم فى المسلمين فمعاويه يقول فى أهل الكتاب وأبوذر يقول فينا.

٢- أُنظر: المبسوط للسرخسى ٢٩: ١٨٠. قال: ولما طُعن عمر وآيس من نفسه، قال: إشهدوا أنّه لا ـ قول لى فى الجدّ ولا ـ فى الكلاله.

٣- شعب الإيمان ٢: ٣٣١ / ح ١٩٥٧، تاريخ دمشق ٤٤: ٢٨٦، شرح الزرقانى ٢: ٢٧.

بعض الآيات بقراءه تخالف المشهور عند المسلمين - مثل: (عظام ناخره) بدل (نَخِرَه)، أو (الحىّ القيّام) بدل (الحَىّ القَيُّوم)، وأمثالها - فهو محتاج إلى تصحيح قراءته، سواءً قلنا بأنّها كانت لهجه لم توافق لهجه قريش أو قلنا بأىّ شىءٍ آخر.

فقد يكون تعدّد القراءات شُرِّع لإدراج بعض تلك القراءات الشاذه - من الصحابه - فى القرآن، لكنّهم لم يُوفَّقوا لذلك؛ بسبب اعراض الأُمّه عن الأخذ بغير المشهور.

فالسهو فى القرآن - أو فى غيره - أمر محتمل لغير المعصوم، فانه قد ينسى لفظ الكلمه دون معناه فيستبدلها بمرادفه قريبه الى المعنى، كاستبدال كلمه (اسعوا) ب- (امضوا) أو (عجّلوا) أو (أسرعوا) و(عهن منفوش) ب- (صوف منفوش) وأمثال ذلك، ومن هنا يأتى قولهم بجواز قراءه القرآن بالمعنى، وجواز قراءته بأى نحو كان ما لم يجعل آيه عذاب آيه رحمه وأشباه ذلك.

إنّ منهج بعض الصحابه كان يسمح للتحريف والتغيير فى القرآن لكن منهج أهل البيت كان يقف أمامه ولا يرتضيه، يؤيّد ذلك ما جاء فى (فضائل القرآن) لأبى عبيد، بإسناده عن الأوزاعى:

إنّ رجلًا صحبهم فى سفر، قال: فحدّثنا حديثاً ما أعلمه إلّا أنّه رفعه إلى رسول الله، قال: إنّ العبد إذا قرأ فحرّف أو أخطأ ((۱))، كتبه الملَک كما

۱- أُنظر إلى القيد فى الخبر (فحرّف أو أخطأ)، ولم يقل: إنّ العبد إذا لم يقدر على التلفّظ والنطق (كتبه الملَک كما أُنزل).

أُنزل ((١)).

وروى عن خالد بن الوليد أنّه أمّ الناس فقرأ [مخلوطاً] من سورتين، ثمّ التفت إلى الناس حين انصرف، فقال: شغلنى الجهاد عن تعلّم القرآن ((٢)).

وبهذا فلا يستبعد أن يكون ما جاء من أخبار فى موافقات الوحى لعمر بن الخطّاب، قد جاء من هذا القبيل.

ففى (الاتقان) للسيوطى: وأخرج عن عبد الرحمان بن أبى ليلى أنّ يهوديّاً لقى عمر بن الخطّاب فقال: إنّ جبرائيل الّذى يذكر صاحبكم عدوّ لنا. فقال عمر: (مَن كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبرئيل وميكائيل فإنّ الله عدوّ للكافرين). قال: فنزلت على لسان عمر ((٣)).

كما لنا أن نحتمل أيضاً ونقول: إنّ فكره التعدّديه جاءت بعد فتوحات عمر للأمصار، توسعةً له ولهم، وتصحيحاً للقراءات المتعدّده المنتشره آنذاك بين أيديهم، وهذا الكلام يشبه ما قلناه سابقاً فى سبب اختلاف النقل عن الصحابىّ الواحد ((٤))، وأنّ أحد الوجوه فيه هو وضع الخبر على لسان الصحابىّ تأييداً لاجتهاد الخليفه، فلا يُستبعَد أن يكون عمر قد سمح بتعدّد القراءات للأعاجم سعةً ورفقاً بحالهم، وهو

١- فضائل القرآن لأبى عبيد: ١٠٦. تأمّل فى النص لتراهم يعتبرون التحريف ممّا يكتبه الله كما أُنزل.
٢- فضائل القرآن لأبى عبيد: ١٨٩.
٣- الإتقان: ١٠٢ / ح ٤٠٦.
٤- أُنظر: كتابنا (منع تدوين الحديث).

مسموحٌ به شرعاً من قبل رسول الله صلى الله عليه و آله ولا خلاف فيه، لكنّه استفاد من ذلك الجواز تجويز الخلاف فى النصّ القرآنى بين العرب أيضاً، وروى حديثاً عن رسول الله وقع بينه وبين هشام بن حكيم، فى حين أنّ عمر بن الخطّاب وهشام بن حكيم كانا كلاهما قرشيين، وقد اختلفت قراءتهما ((۱))، أى أنّ عمر بن الخطاب امتدّ بدعواه إلى عهد رسول الله لكسب الشرعيّه منه صلى الله عليه و آله ، حاكياً عن رسول الله أنه سمح لهما أن يقرآ القرآن بأىّ شكلٍ كان، ما لم يجعل آيه رحمهٍ آيه عذاب، لأنّ القرآن بزعمه جاء من باب هلمّ وتعال وهذا ما لم نقبله.

فالسؤال: هل يمكننا – طبقاً لهذا الكلام – أن نصحّح قراءه عمر بن الخطاب (غير المغضوب عليهم وغير الضالّين) بدل (غَيْرِ الْ-مَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّآلِّينَ)، المقروءه من قبل رسول الله صلى الله عليه و آله أكثر من خمسٍ وعشرين ألف مرّه فى صلواته الجهريّه – بصرف النظر عن الإخفاتيّه – طوال مكثه صلى الله عليه و آله بين ظهرانيهم أكثر من ۲۳ عاماً، ونقول: إنّها جاءت من باب هلمّ وتعال؟

بل هل يجوز الاجتهاد فى قبال النص، وخصوصاً عندما يكون النصّ قرآناً والقارئ له رسول الله صلى الله عليه و آله ؟

لأنّنا نعلم بأنّ فاتحه الكتاب هى من أوائل السور التى نزلت على النبىّ محمّد صلى الله عليه و آله ، وأنّها لا تُترَك بحالٍ فى الصلوات، جهريّهً كانت أو إخفاتيّه، وقد شُرّعت فى مكّه

۱- هذا ما قاله ابن عبد البر فى التمهيد ۸: ۲۸۰، كما فى البرهان ۱: ۳۱۱ النوع الحادى عش-ر – الأحرف السبعه.

المکرّمه فی بدء البعثه، فکیف یمکن تصوّر اختلاف الصحابه فی قراءه أمرٍ مشهور کفاتحه الکتاب؟! إنّه سؤالٌ وجیهٌ یواجهه کلُّ باحثٍ فی موضوع القراءات، وهو یبحث عن جواب له من علماء القراءات.

نعم، لا یستبعد أن تنسب أمثال هکذا قراءات إلی ائمّه أهل البیت علیهم السلام أیضاً، وهذا ما یفعله أنصار النهج الحاکم غالباً فی الأُمور الخلافیّه، فینسبون ما یریدون ادّعاءه إلی أئمّه أهل البیت علیهم السلام وإلی کبار الصحابه والتابعین تعضیدا لآرائهم وتحکیماً لها.

وزبده الکلام: أنّ النبیّ وأهل بیته وأصحابه - الجامعین للقرآن علی عهده صلی الله علیه و آله - لم یقرؤوا القرآن إلّا بقراءهٍ واحده، إذ لم ینزل القرآن الکریم إلّا بتلک، لکنْ فی العصور اللّاحقه اختلفت القراءات واختلطت لعللٍ یجب توضیحها فی مکان الآخر ناسبین ذلک الی رسول الله، وإنّما أجاز أهل البیت - تبعاً للنبیّ صلی الله علیه و آله - القراءهَ بالمشهور المتداول بین المسلمین وترک الشاذ النادر، لأنّه الأقرب إلی قراءه النبیّ صلی الله علیه و آله وما جاء عن الله.

المقدّمه السادسه:

اشاره

اتباع مـدرسه الخلافه تقول بجمع القرآن بشاهـدَين - أو حتّى بشاهـدٍ واحـدٍ، كما جاء فی خبر خزیمه أو أبی خزیمه -، أی أنهم قـالوا: بإمكـان ثبوت القرآن بالبيّنه والشـهود - أو علی قولٍ: بخبر الآحاد -، وفی الوقت نفسه قالوا بشـیء آخر فی القراءات، وهو تواتر القراءات العشر عن رسول الله صلی الله علیه و آله ، واتّهموا مَن لم یقل بذلک بالكفر((۱))!

وهـذا القول منهم یسـیء إلی حجّیه القرآن، لأنّ حجّیه الجمع بالبيّنه والشـهود - حسب هذا المدّعی - ینافی حجیه القول بالتواتر الذی تقول به الشیعه الإمامیه، بل إنّ القول الاخیر اصح من الأوّل حسب اعتراف الجمیع، ویقرّه العقل والفطره والتاریخ.

كمـا أنّ فكره التواتر ینافی ما قالوه فی شأن الآیه التی وجـدت عنـد خزیمه - أو أبی خزیمه - وأنّها لم تكن من أخبار الآحاد بل كانت مشهوره ومتواتره، بدعوی أن زید بن ثابت كان قد حفظها لكنّه نَسِیَها، ولما قرأها خزیمه تذكّرها.

فالآن نتساءل: هل أنّ جمیع الصحابه نسوا تلک الآیه أم أن زیداً وحده هو الذی نَسِیَها ولمّا ذكّره خزیمه تذكرها؟!

انّ فكره جمع القرآن بشاهدین ربما فیها مصادره لعمل وجهود الأُمّه، ومسعاه لركوب الموجه وحصر المشروع وتسجیله لصالح ابی بكر وعمر وعثمان وزید تحت

۱- أُنظر مناهل العرفان للزرقانی ۱ : ۳۰۱ فقد نقله عن مفتی البلاد الأندلسیه.

طائله التثبّت ولزوم الدقّه والضبط فی القرآن وهذا ما ستقف علیه لاحقاً، وهذا الأصل وإن کان إیجابیّاً فی ظاهره، لکنّه فی العمق یخدش تواتر القرآن ویسیء إلیه، ویتعارض مع مسیره رسول الله صلی الله علیه و آله .

الرؤیه التصحیحیه: مصادره الخلفاء لِجُهْد الأمه فی حفظ القرآن:

قلنا قبل قلیل أن فکره جمع القرآن بالبیّنه والشهود تسیء إلی الدین الإسلامی وتخالف معنی القرآن الذی اخذت تسمیته من کثره قراءته آناء اللّیل وأطراف النهار.

قال الرازی فی تفسیره للآیه الکریمه: (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ کَرِیمٌ) ((١)):

سمّاه قرآناً لکثره ما قُرئ ویُقرأ إلی الأبد، بعضه فی الدنیا وبعضه فی الآخره ((٢)).

وأنّ الصحابه کانوا مأنوسین بهذا القرآن یرتّلونه آناء اللیل وأطراف النهار حتّی تتورّم أقدامهم، وکانوا یحفظونه حتّی قیل عنهم بأنّ أناجیلهم صدورُهم ((٣)).

قال الزرکشیّ فی (البرهان):

حفظه فی حیاته جماعه من الصحابه، وکلّ قطعه منه کان یحفظها جماعه کثیره أقلّهم بالغون حدّ التواتر، وجاء فی ذلک أخبار ثابته فی (الترمذی)

١- سوره الواقعه: ٧٧.

٢- تفسیر الکبیر ٢٩: ١۶۶.

٣- تخریج الأحادیث للزیعلی ٣: ۴٨ / ح ١٠ فی صفه هذه الأُمّه صدورهم أناجیلهم.

و(المستدرک) وغیرهما من حدیث ابن عباس قال: کان رسول الله یأتی علیه الزمان وهو ینزل علیه السور ذوات العدد، فکان إذا نزل علیه الشیء دعا بعضَ من کان یکتب فیقول: ضعوا هذه الآیات فی السوره التی یذکر فیها کذا وکذا. قال الترمذی: هذا حدیث حسن. وقال الحاکم: صحیح علی شرط الشیخین ولم یخرجاه ((۱)).

فلا یصحّ ولا یعقَل أن یستعین الخلفاء الثلاثه – بعد کل ما قلناه – بزید بن ثابت إذا کان القرآن محفوظاً ومعلوماً عند المسلمین، وکانوا هم من الجامعین للقرآن علی عهد رسول الله صلی الله علیه و آله !

وإذا کان أبو بکر أقرأ الناس ((۲)) کما یقولون، فلِمَ یستعینُ بزید بن ثابت لجمع القرآن ولا یباشر هو هذا العمل بنفسه؟

کما لا یصحّ أن یجمع أبو بکر أو عمر أو عثمان القرآن المقروء والمشهور بین المسلمین – مع وجود صحف منه عند کبار الصّحابه – وبمنهجیّهٍ خاصّه تشکّک بعداله کلِّ الصحابه.

إنّ أُطروحتهم الخاطئه فی جمع القرآن قد توصلنا إلی القول بأنّ القرآن لیس بمعجِز؟ لأنّه لو کان معجِزاً وخارقاً للعاده لما احتاج إلی الشّهاده علیه بالشّهود،

۱- البرهان: ۱ : ۳۳۴ النوع الثالث عشر جمع القرآن ومن حفظه من الصحابه.

۲- انّ الذهبی لا یقبل بهذا الکلام لأنه لا یعده ضمن السبعه الذین عرضوا قراءتهم علی رسول الله فإذا لم یکن قد عرض قراءته علی رسول الله، فکیف یکون أقرأ الناس والأحق بالخلافه باعتقاد الذهبی؟!!

ولكان بنفسه شاهداً على نفسه، لتواتره ولبلاغته.

بلى، إنّ هذا المنهج وهذه الأُطروحه قد سبّبت لنا مشاكل كثيره فى علوم القرآن، ولا يمكن حلّها إلّا بالذهاب الى ما تقول به مدرسه أهل البيت وأنّه كان قد جُمع ورُتّب من قِبل المعصوم ((١))، وأنّ حجّيته جاءت لتواتره وإشتهاره بين المسلمين لا بشاهدَين كما يزعمون، وأنّ رسول الله صلى الله عليه و آله هو الّذى أقرأهم على مكث، وهو الذى أشرف على ترتيب كتاب ربّه، وهو الّذى أمر وصيّه علىّ بن أبى طالب أن يوحد شكل الصحف وأن يجمعه بين الدفّتَين. فإذن لم يكن ترتيب القرآن - وخصوصاً الآيات فى داخل السور - باجتهاد الصحابه، ولم يكن القرآن مجموعاً من قبلهم، لأنّ القول بجمعهم متأخراً يفقد القرآن حجّيته ويستلزم توالى فاسده جمّه حسبما وضّحناه.

فلو أرادوا أن يعطوا القرآن الحجّيه فعليهم القول بما تقول به مدرسه أهل البيت لا غير، لأنّ الله قال فى كتابه العزيز (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) فلم يقل إن على أبى بكر أو على عمر وعثمان جمعه وقرآنه؟!

فجبرئيل الأمين والنبى الصادق هما أحق بجمعه والإشراف على ترتيبه من غيرهما.

إذن، رؤيه مدرسه أهل البيت هى أقرب إلى الأدله والفطره والعقل والوجدان، وإلى الدين الصحيح والصراط المستقيم.

١- أعنى رسول الله محمّد بن عبد الله ووصيّه علىّ بن أبى طالب.

كلام علمين من أعلامنا

۱- وإليك ما نقله الشيخ الطَّبْرِسِيُّ عن الشّريف المرتضى (ت ۴۳۶ ه‍-) حتّى تعرف حقيقه الأمر:

إنّ العلم بصحّه نقل القرآن كالعلم بالبلدان (۱)، والحوادث الكبار، والوقائع العظام، والكتب المشهوره، وأشعار العرب المسطوره، فإنّ العنايه اشتدّت والدواعى توافرت على نقله وحراسته، وبلغت إلى حدٍّ لم يبلغه فيما ذكرناه، لأنّ القرآن معجزه النبوّه، ومأخذ العلوم الشرعيّه والأحكام الدينيه، وعلماءُ المسلمين قد بلغوا فى حفظه وحمايته للغايه، حتّى عرفوا كلّ شيءٍ اختُلف من إعرابه وقراءته وحروفه وآياته، فكيف يجوز أن يكون مغيّرا أو منقوصاً مع العنايه الصادقه والضبط الشديد؟

وقال أيضاً قدس الله روحه:

إنّ العلم بتفسير القرآن وأبعاضه فى صحّه نقله كالعلم بجملته، وجرى ذلك مجرى ما عُلم ضرورهً من الكتب المصنّفه، ككتاب سيبويه والمزنى، فإنّ أهل العنايه بهذا الشأن يعلمون من تفصيلهما ما يعلمونه من جملتهما، حتّى لو أنّ مُدْخِلًا أدخل فى كتاب سيبويه باباً فى النحو ليس

۱- بل أكثر وأشدّ من ذلك، لأنّ العلم بالبلدان والحوادث قد يصيبه الترديد والشك، أمّا العلم بالقرآن فلا، لأنّه نازلٌ من عند الله العزيز، وقد اهتمّ الرسول صلى الله عليه و آله بضبطه وتلاوته وتعليمه المسلمين واهتم به المسلمون على اختلاف مذاهبهم فى كل عصر ومصر جيلا بعد جيل.

من الکتاب، لعُرِف ومُیِّز وعُلِم أنّه ملحقٌ ولیس من أصل الکتاب، وکذلک القول فی کتاب المزنی، ومعلومٌ أنّ العنایه بنقل القرآن وضبطه أدق من العنایه بضبط کتاب سیبویه ودواوین الشعراء.

وذکر أیضاً قدس سرّه: أنّ القرآن کان علی عهد رسول الله صلی الله علیه و آله مجموعاً مؤلَّفاً علی ما هو علیه الآن، واستدلّ علی ذلک بأنّ القرآن کان یُدرَّس ویحفَظ جمیعه فی ذلک الزمان، حتّی عُیّن علی جماعهٍ من الصحابه فی حفظهم له، وأنّه کان یُعرَض علی النبیّ صلی الله علیه و آله ویُتلی علیه، وأنّ جماعهً من الصحابه - مثل عبد الله بن مسعود وأُبیّ بن کعب وغیرهما - ختموا القرآن علی النبیّ عدّه ختمات، وکلُّ ذلک یدلّ - بأدنی تأمّلٍ - علی أنّه کان مجموعاً مرتَّباً، غیر مبتورٍ ولا مبثوث.

وذکر أنّ من خالف فی ذلک من الإمامیّه والحشویّه لا یُعتَدّ بخلافهم؛ فإنّ الخلاف فی ذلک مضافٌ إلی قومٍ من أصحاب الحدیث نقلوا أخباراً ضعیفه ظنّوا صحّتها، لا یرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع علی صحته ((۱)).

۱- اُنظر: تفسیر مجمع البیان للطبرسی ۱: ۴۳ - عن: المسائل الطرابلسیات. وقد استغل ابن حزم الاقوال الضعیفه الموجوده فی کتب الامامیه والحشویه من العامه للافتراء علی الامامیه والقول بأنهم یقولون بتحریف القرآن قدیما وحدیثا ثم قال: «حاشا علی بن الحسین - المرتضی علم الهدی - وکان امامیّاً یظاهر بالاعتزال، مع ذلک، فانه کان ینکر هذا القول ویکفّر من قاله، وکذلک صاحباه أبو یعلی میلاد الطوسی وأبو القاسم الرازی» (الفصل فی الملل والنحل ۴: ۱۳۹). لیته سمّی القائلین بالتحریف من الامامیه وهو الذاکر لأسماء هؤلاء الأعلام القائلین بعدم التحریف من الإمامیّه، فکان علیه - وعلی الذی حقق کتابه - أن یضیف إلیهم اسم الشیخ الصدوق، والشیخ المفید، والشیخ الطبرسی، وابن طاووس الحلّی، والعلامه الحلّی، وزین الدین البیاضی، والکرکی وغیرهم من کبار أعلام الامامیه، لا أن یلقی الکلام علی عواهنه. بل کان علی ابن حزم أیضاً أن ینظر إلی کلام أبی الحسن علیّ بن إسماعیل الأشعری (ت ۳۳۰ ه-) - رأس الأشاعره وما قاله فی کتابه (مقالات الإسلامیّین: ۴۷): والفرقه الثالثه منهم [أی من الروافض حسب زعمه] وهم القائلون بالاعتزال [لقولهم بأصل العدل] والإمامه یزعمون أنّ القرآن ما نقص منه ولا زید فیه، وأنّه علی ما أنزله الله علی نبیّه لم یغیّر ولا یبدل ولا زال عما کان علیه. هذا ولا یخفی علیک أنّ الأمین فی (أعیان الشیعه ۱: ۴۱) صحّح کلام ابن حزم بقوله: وأما أبو یعلی میلاد الطوسی اسم محرّف، وصوابه أبو یعلی سلّار الدیلمی ... وأما أبو القاسم الرازی فالظاهر أنه محرف أیضاً، إذ لا نعلم فی أصحاب المرتضی أحداً بهذا الإسم.

۲- قال الشیخ محمّد جواد البلاغی - وهو عالمٌ آخر من علماء الإمامیه -: واستمرّ المسلمون علی ذلک [أی علی تلاوته] حتّی صاروا فی زمان الرسول یعدّون بالأُلوف وعشراتها ومئاتها، وکلّهم من حمَلَه القرآن وحفّاظه، وإن تفاوتوا فی ذلک بحسب السابقه والفضیله، هذا ولمّا کان وحیه لا ینقطع فی حیاه رسول الله صلی الله علیه و آله ، لم یکن کلّه مجموعاً فی مصحفٍ واحد، وإن کان ما أُوحی منه مجموعاً فی قلوب المسلمین وکتاباتهم له ... ((۱)).

۱- صحیحٌ بأنّه لم یکن مجموعاً فی مصحفٍ واحد، لأنّ الرّسول کان قد ترک جمعه لأمیر المؤمنین علیّ بن أبی طالب، أی : أنّه صلی الله علیه و آله ترک اللّمسات الأخیره لأمیر المؤمنین علیّ، لیوحّد شکل الصحف الموجوده عنده، ولیضیف إلیه الآیات الأخیره النازله علی رسول الله صلی الله علیه و آله حسبما سیأتی توضیح ذلک.

إلى أن يقول: فاستمرّ القرآن الكريم على هذا الاحتفال العظيم بين المسلمين جيلاً بعد جيل، ترى له فى كلّ آنٍ أُلوفاً مؤلَّفةً من المصاحف وأُلوفاً من الحفّاظ، ولا تزال المصاحف يُنسَخ بعضها على بعض، والمسلمون يقرأ بعضُهم على بعضٍ ويسمع بعضهم من بعض.

تكون أُلوفُ المصاحف رقيبةً على الحفّاظ، وأُلوف الحفّاظ رقباء على المصاحف، وتكون الأُلوف من كِلا القسمين رقيبةً على المتجدّد منهما، نقول: الأُلوف، ولكنّها مئات الأُلوف، فلم يتّفق لأمرٍ تاريخيّ من التواتر وبداهه البقاء مثل ما اتّفق للقرآن الكريم، كما وعد الله جلّت آلاؤه بقوله فى سوره الحِجر: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) ((١)).

وقال أيضاً: ومن أجل تواتر القران الكريم بين عامّه المسلمين جيلاً بعد جيل استمرت مادته وصورته وقراءته المتداوله على نحوٍ واحد، فلم يؤثر شيئاً على مادته وصورته ما يروى عن بعض الناس من الخلاف فى قراءته من القرّاء السبع المعروفين وغيرهم، فلم تسيطر على صورته قراءه احدهم اتّباعاً له ولو فى بعض النسخ، ولم يسيطر عليه ما روى من كثره القراءات المخالفه له مما انتشرت روايته فى الكتب كجامع البخارى ومستدرك الحاكم ((٢)).

وقال أيضاً: إذاً فلا يحسن أن يعدل فى القراءه عمّا هو المتداول فى الرسم والمعمول

١- آلاء الرحمان للشيخ البلاغى ١: ١٧ – ١٨ الفصل الثانى فى جمعه فى مصحف.

٢- انظر على سبيل المثال كنز العمال ٢ : ٤٩، الفصل الخامس، الفرع الأول: فى القراءات السبعه.

عليه بين عامّه المسلمين فی أجيالهم، إلی خصوصيات هذه القراءات، مضافاً إلی أنّا – معاشِرَ الشيعه الإماميه – قد أُمرنا بأن نقرأ كما يقرأ الناس، أی نوع المسلمين وعامتهم (١).

فهذا هو كلام علَمَين من أعلام الإماميّه، وبينهما تسعه قرون، لأنّ السيد المرتضی توفی فی سنه ۴۳۶ والشيخ البلاغی توفی فی سنه ۱۳۵۲ وهو يؤكد وحده الفكر والنهج بينهما وان فكره عدم التحريف ثابته عندهم منذ القدم ولم تكن وليده اليوم، وهناك من الروايات الجمّه فی كتب الفريقين الدالّه علی هذا المعنی، كما أنّ العقل يؤيّد ذلك ويدعو إلی الإذعان بأنّ القول بحجيّه القرآن بالتواتر خيرٌ من القول بحجيّته بالبيّنه والشهود، وأنّ فكره التعدُّديّه تدعو إلی التسيُّب وعدم التعبُّد بالنصّ.

فمدرسه الخلفاء الثلاثه بنفيهم تواتر القرآن من خلال طلب الشهود علی إثبات آياته، والسماح بتعدّد القراءات فيه، ثمّ القول بتواتر الاختلاف عن رسول الله فی القراءات ومشروعيّه ذلك، كأنّهم كانوا يريدون أن يقولوا بأنْ لا ذنب للنبیّ حينما يسمح بتعدّد القراءات، لأنّ جبرئيل الأمين أبلغه القرآن مختلفاً ومتفاوتاً، وجبرئيل لا ذنب له أيضاً، لأنّه أخذه عن الله تعالی مختلفاً، وهذا الكلام فيه ما فيه من المجافاه للحقيقه والتوالی الفاسده علی الشريعه والعقيده، وخصوصاً علی القرآن الكريم.

فی حين نعلم بأنّ النصوص الدينيه تدعونا إلی غير ذلك، فإنّها تدعونا إلی التعبّد والتسليم لأوامر الله تعالی، وإنّا قد سُمِّينا (مسلمين) لهذا الغرض، فنحن عباد الله، يلزمنا أن نتقيّد بأوامره ونواهيه، وعلينا التعبّد بالنصّ القرآنی بحرفه، فلا يجوز لنا

١- آلاء الرحمن ١ : ٢٩، ٣٠، الفصل الثالث فی قراءته.

الاجتهاد فيه، وهو معنى الإسلام لغةً وشرعاً، وعلينا التسليم بما أوحاه الله لرسوله من القرآن المجيد بنصّه وحرفه، ولا يجوز لنا الزياده والنقصان فيه.

لكنّ الآخرين كانوا وما زالوا يريدون التحرّر من القيود والأُطر والتجاوز على النصوص، فيجيزون قراءه القرآن بأى شكل كان تحت مسمّى الأحرف السبعه، فالقرآن عندهم كقول القائل: هلمّ، وأقبل، وتعال، وإليّ، وقصدى، ونحوى، وقربى ((١))، ونحو ذلك.

وقد رووا عن ابن مسعود أنّه كان يقرأ قوله: (إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً) ((٢)): (إلّا زقيه واحده)، أو قوله تعالى: (كَالْعِهْنِ الْ-مَنْفُوشِ) ((٣)) فإنّه كان يقرؤها: (كالصوف المنفوش)، كما روى أن ابن مسعود أقرأ رجلًا (طَعَامُ الْأَثِيمِ) فلم يفهمها فقال له: طعام الفاجر فجعلها الناس قراءه.

وفى آخر فقال الرجل: طعام اليتيم فردها عليه فلم يستقم بها لسانه، فقال: أتستطيع أن تقول كلام الفاجر، قال: نعم، قال: فافعل((٤)).

وعن أبى بن كعب أنه كان يقرئ رجلا فارسيا فكان اذا قرأ عليه (إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ) قال: طعام اليتيم فمر به النبى فقال: قل له طعام الظالم،

١- أُنظر: تفسير الطبرى ١: ٥٥، كما فى رسم المصحف لغانم قدورى الحمد: ١٣٢، ١٣٩.

٢- سنن البيهقى الكبرى ٢ : ٣٨٥ / ح ٣٨٠٥، والآيه فى سوره يس: ٢٩.

٣- التفسير الكبير ٣٢ : ٦٩. والآيه فى سوره القارعه: ٥.

٤- أحكام القرآن لابن العربى ٤ : ١١٩، الاتقان ١ : ١٢٣ / ح ٥٧٠.

ففصح لسانه((١)). ومعنى هذا الكلام أنّهم أجازوا قراءه القرآن بأىّ شكلٍ كان ما لم تصِر آيه رحمه آيه عذاب.

وهذا الموقف المنسوب الى ابن مسعود وابى بن كعب والى غيرهم من الصحابه هو نفس موقف ابن أبى سرح القائل بأن النبىّ أملى عليه قوله: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ) ((٢)) إلى قوله: (ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ)((٣))، فقال ابن أبى سرح: (فتبارك الله أحسن الخالقين) تعجّباً من تفصيل خلق الإنسان، فقال له النبىّ صلى الله عليه و آله : هكذا أُنزلت علَى. فشكّ وارتدّ وقال: لأن كان محمّد صادقاً لقد أوحى إلىّ كما أوحى إليه، ولَئِنْ كان كاذباً لقد قلت مثل ما قال. فأنزل الله تبارك وتعالى: (وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ الله) ((٤)).

وكان ابن أبى سرح يقول: إذا أملى علَىّ النبى: (عَزِيزٌ حَكِيم)، كتبت: (غَفُورٌ رَحِيم) انه كذب وبهتان عظيم.

فما نسبوه لابن مسعود وغيره من معارضى السلطه من القراءات، هو مثل ما كان يقوله ابن أبى سرح، وهذا التقارب بين القولين يعنى جعلهم كلام الكافر (ابن ابى

١- الدر المنثور ٧ : ٤١٩.

٢- سوره المؤمنون: ١٢.

٣- سوره المؤمنون: ١٤.

٤- انظر التفسير الكبير ٢٣ : ٧٥، المحرر الوجيز ٢ : ٣٢٢ والآيه فى سوره الأنعام: ٩٣ وقال النسفى فى تفسيره ٣ : ١١٨ : وقيل هذه الحكايه غير صحيحه لان ارتداده كان فى المدينه وهذه السوره مكيه، وقيل القائل عمر بن الخطاب أو معاذ؟ وانظر تفسير البحر المحيط ٦ : ٣٦٩..

سرح) بمنزله کلام المسلم (ابن مسعود وأبی بن کعب) وأن منزله الطلیق عندهم کمنزله المهاجر، وهذا یهدم أساس القرآن والشریعه.

والمشرکون کانوا قد طلبوا من رسول الله صلی الله علیه و آله أن یبدّل بعض النصوص القرآنیّه من تلقاء نفسه، فجاءه الوحی الإلهی: (قُلْ مَا یَکُونُ لِی أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِی إِنْ أَتَّبِعُ إِلّا مَا یُوحَی إِلَیَّ) ((۱))، وقد عاتب صلی الله علیه و آله البراءَ بن عازب حینما علّمه دعاءً کان فیه: «ونبیّک الّذی أَرْسَلْتَ»، فقرأ: «ورسولک الّذی أرسلت»، فنهاه النبیّ وألزمه التعبّد بالنصّ الذی علمه إیاه بحرفه ((۲)) من دون زیادهٍ فیه.

لزوم التعبّد بحرفیّه النص

إذن، التعبّد بالنص هو دستورٌ شرعیٌّ عام، وأنّ الأئمّه من أهل البیت کانوا یؤکّدون علی الالتزام به.

فعن العلاء بن کامل، عن الصادق علیه السلام ، أنّه علّمه دعاءً یقرؤه عند المساء، کان فیه: «لا إله إلّا الله وحده لا شریک له، له المُلک وله الحمد، یحیی ویمیت ویمیت ویحیی، وهو علی کلّ شیءٍ قدیر».

۱- سوره یونس: ۱۵وقد حصر الدکتور عبد الحلیم النجار فی هامش کتاب مذاهب التفسیر الاسلامی: ۸ هذا الأمر بعمر فقال: سألوا عمر أن یغیر آیه الکهف (حتی إذا أتیا - أی موسی وصاحبه - أهل قریه استطعما أهلها فأبوا أن یضیفوهما) بأن یقرأ: «فأتوا أن یضیفوهما» بدلاً من: (فَأَبَوْا أَن یُضَیِّفُوهُمَا)، لما فیه من مهانه لهم.
۲- أنظر: صحیح البخاری ۱: ۹۷ / ح ۲۴۴ من الباب ۷۵ فضل مَن بات علی الوضوء، وغیره.

قال [العلاء]: قلت: «بيده الخير»، قال عليه السلام : إنّ بيده الخير، ولكن قُلْ كما أقول لك ... ((۱)).

وعن عبد الله بن سنان، عن الصادق عليه السلام ، أنّه علّمه دعاء الغريق، وفيه: «يا الله، يا رحمان، يا رحيم، يا مقلّب القلوب، ثبّت قلبی علی دینک».

فقلت: «يا الله، يا رحمن، يا رحيم، يا مقلّب القلوب والأبصار، ثبّت قلبی علی دینک».

فقال عليه السلام : «إنّ الله عزّ وجلّ مقلّب القلوب والأبصار، ولكنْ قل كما أقول لك: يا مقلّب القلوب، ثبّت قلبی علی دینک» ((۲)).

فإذا كان الرسول صلى الله عليه و آله والأئمّه من أهل البيت عليهم السلام لا يجيزون زياده حرفٍ والنقيصهَ فی دعاءٍ يُعَلّمونه، فكيف يرضى الله سبحانه قراءه ما جاء فی كتابه بالمعنى، والتغيير فيه، والإتيان بالمترادف؟! حسبما ينسبونه الى ابن مسعود وغيره.

فالله سبحانه هو الّذی ألزم رسوله بحفظ القرآن حرفيّاً، وإنّ جبرئيل الأمين كان يأتيه كلّ عام ليضبط معه آيات القرآن وسوره ((۳))، وليُرجِع الآيات النازله عليه نجوماً ((۴)) إلى سورها ال-مُنزَله عليه دفعهً واحده فی ليلهٍ مباركه، كل ذلك دقّهً من قبل

۱- الكافی ۲: ۵۲۷ / ح ۱۷ باب القول عند الإصباح والإمساء.
۲- كمال الدين وإتمام النعمه: ۳۵۱ / ح ۴۹ الباب ۳۳.
۳- إن أُريد فی جمع القرآن دقّه الضبط فهذا منتهاه، لا كما قالوه أنّه ضُبِط بشاهدَين، أحدهما الحفظ وثانيهما الكتابه، قلنا بهذا تعليقاً على ما قالوه.
۴- أی: النازله على رسول الله فی وقائع وأحداث مختلفه زماناً ومكاناً.

الله ورسوله فی الضبط.

بل کیف یجیز رسول الله اختلاف عمر مع هشام بن حکیم ویصحّح قراءتهما معاً إذا لم یکن فی اللهجه؟! وهکذا الحال بالنسبه إلی ما رووه فی اختلاف ابن مسعود وأُبیّ وصحابیّ آخر، وأنه صلی الله علیه و آله أجاز قراءتهم جمیعاً؟

نعم إنّ القرآن هو السبب الأعظم فی هدایه المسلمین، وفی خروجهم من ظلمات الجهل إلی نور السعاده والعلم، ولا خلاف فیه، وقد بلغ المسلمون فی العنایه به الدرجه القصوی، فقد کانوا یتلون آیاته آناء اللیل وأطراف النهار، وکانوا یتفاخرون فی حفظه وإتقانه ویتبرّکون بسوره وآیاته، والنبیّ یحثّهم علی ذلک.

فهل یحتمل عاقلٌ بعد هذا کلّه أن یقع الشکّ فیه عندهم حتّی یحتاج إثباته إلی شاهدین؟! ((۱)) إنّ هذا من قبیح القول فی القرآن المقروء کل صباح ومساء.

ویُضاف إلیه: أنّ العاده تقتضی أنّ زعیم أیّ أُمّه إذا أظهر رغبته فی حفظ کتابٍ ما، فإنّ ذلک الکتاب سیکون رائجاً بین جمیع أُمّته، وقد علمنا من الأخبار الکثیره بأنّ الرسول الأعظم صلی الله علیه و آله کان قد أکّد الأمر بحفظ کتابه، حتّی جعل لقارئ القرآن منزلهً بعد وفاته، إذ یقال للمیّت: إقْرَأْ وارْقَ، ورتّل کما کنتَ تُرتّلُ فی الدنیا، فإنّ منزلک فی آخر آیهٍ تقرؤها ((۲)).

وعن عائشه أنّها قالت: إنّ عدد درج الجنّه بعدد آی القرآن، فمن دخل الجنّه ممّن

۱- هذا ما قاله السیّد الخوئی فی البیان فی تفسیر القرآن: ۹۲.

۲- فضائل القرآن لأبی عبید: ۸۷ عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله، سنن أبی داوود ۲: ۷۳ / ح ۱۴۶۴ الباب ۳۵۶.

قرأ القرآن فلیس فوقه أحد ((۱)). کلّ ذلک ارتقاءً للمقامات الأُخرویّه الّتی یحصل علیها قارئ القرآن وحافظه.

ألا یکفی لقاء الشاهدَین الصادقَین المعصومَین (الصادق الأمین محمّد بن عبد الله صلی الله علیه و آله ، والأمین جبرئیل) کلّ عام علی صحّه القرآن ودقّه ضبطه، حتّی یُطْلَب شاهدان آخران غیر معصومَیْن فی العصور المتأخّره، کی یشهدا بأنّهما قد سمعا الآیه أو السوره من لسان رسول الله صلی الله علیه و آله ، أو أنهما کتبا ذلک علی عهده؟!

فلو کان هذان الشاهدان المتأخِّران غیرَ معصومَین، فیُحتَمل إذن اشتباههما فی السماع والکتابه أیضاً، فلا قیمه لنقلهما الآیات لأمثال زید بن ثابت بعد ورود هذا الاحتمال.

بل إنّ إقراء الله لرسوله صلی الله علیه و آله : (سَنُقْرِئُکَ فَلَا تَنسَی) ((۲))، والاجتماع الثُّنائیّ بین الصادق الأمین (محمد) وجبرئیل الأمین فی کلّ عامٍ فی شهر رمضان لضبط سوره وآیاته، ثم السماح بإقراء الناس به.

وقراءه رسول الله لتلک الآیات والسور فی صلاته، ثمّ إقراء الأُمّه ((۳)) بها لاحقاً، وجمع القرآن تحت إشراف النبیّ صلی الله علیه و آله ، کل ذلک یعطیه أکمل وأوفی وأتمّ الحجیّه، فلا معنی للإشهاد بعد ذلک عند زید بن ثابت أو عند عمر بن الخطاب، وعدّ ذلک دقّهً فی التدوین وتحرّیاً فی الضبط کما یقولون!!

۱- فضائل القرآن لأبی عبید: ۸۶.

۲- سوره الأعلی: ۶.

۳-)(وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلَی مُکْثٍ * وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِیلًا) (الإسراء: ۱۰۶).

وعليه، فالصادق الأمين والأمين جبرئيل بعد أن كانا يُقَرران انتهاء(۱) نزول الآيات والسُّور نُجُوماً إلى ذلك الحين، كانا يسمحان للصحابه بقراءتها فى الصلاه وكتابتها فى المصاحف لأنها صارت قرآناً يجب اتباعه؛ لقوله تعالى: (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) (۲).

أمّا لو بقى شىءٌ من تلك السور لم يكتمل، فيُترك إلى العام القابل حتّى ينتهى نزوله منجَّماً، وعندما تكمل السور يُسْمَح للناس بقراءتها فى صلاتهم وكتابتها فى مصاحفهم، أى أنّ الآيات والسور بعد صدور القرار بإتمامها من قبل ربّ العالمين، ورفع احتمال وقوع النسخ فيها كانت تقرر للناس على أنها قرآن لقوله: (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) (۳).

وبعد هذا نكرر سؤالنا الآنف: ألم تكن هذه القراءه (۴) وهذا الضبط (۵) أدقّ وأضبط ممّا قالوه فى جمع القرآن على عهد الشيخين وفى القراءات، خصوصاً وأنّه ضُبِطَ بأمر الرسول وأُقِرَّ من قبل جبرئيل الأمين، وقد كان رسول الله صلى الله عليه و آله يعلِّمه الصحابه،

۱- بأمر الله سبحانه وتعالى فى شهر رمضان من كلّ عام.

۲- سوره القيامه: ۱۷ و۱۸.

۳- سوره القيامه: ۱۸.

۴- أى: إقراء الأمين جبرئيل لرسول الله صلى الله عليه و آله فى قوله تعالى: (اِقْرَأ)، وإقراء الرسول للصحابه فى قوله تعالى: (لِتَقْرَأه عَلَى الناسِ عَلَى مُكث).

۵- أى: الضبط الثنائىّ بين رسول الله صلى الله عليه و آله وجبرئيل الأمين كلّ عام، وقد اعتمدوا العرضه الأخيره فى جمع القرآن بعد رسول الله دقّةً فى الضبط.

«فما كان يتجاوز من عشر آياتٍ إلّا ويعلّمهم بما فيها» ((۱)).

وعن أبى العاليه قال: تعلّموا القرآن خمس آيات [خمس آيات]، فإنّ النبىّ كان يأخذه من جبرئيل خمساً خمساً ((۲)).

وهو صلى الله عليه و آله يتحرّى الدقّه فى إقرائهم لتلك الآيات والسور، كلّ ذلك مع لحاظ أُنْسِ الصحابه بتلك الآيات والسور واستماعهم لتلاوه رسول الله لها، ومداومتهم على تلاوتها وحفظها وصيانتها، فكانوا يتلونها فى صلواتهم ويقرؤون بها فى مصاحفهم، غير منكرين بأنّ تعليم القرآن كانت ظاهره قد اعتادوا عليها فى حياتهم اليوميه.

فعن عباده بن الصامت: كان الرجل إذا هاجر، دفعه النبىُّ إلى رجلٍ منّا يعلّمه القرآن، وكان يُسمَع لمسجد رسول الله ضجّه بتلاوه القرآن، حتّى أمرهم رسول الله أن يخفضوا أصواتهم لئلّا يتغالطوا ((۳)).

فمن الطبيعىّ أن لا يكون فى تلك القراءات المقروءه على عهد رسول الله لَحْنٌ، ولا يوجَد بين كتّابها أحدٌ يكتبها وهو ناعس! لأنّ المعلّم قد انتُخب من قبل ربّ

۱- أُنظر: بحار الأنوار ۸۹: ۱۰۶ عن أبى عبد الرحمان السلمى قال: حدّثنا من كان يقرؤنا من الصحابه، أنّهم كانوا يأخذون من رسول الله عشر آيات، فلا يأخذون فى العشر الآخر حتّى يعلموا ما فى هذه من العلم والعمل. وانظر: مسند أحمد ۵: ۴۱۰ / ۲۳۵۲۹، وعن ابن مسعود قال: كنّا لا نجاوز عشر آيات حتى نعرف أمرها ونهيها. المغنى لابن قدامه ۲: ۶.

۲- انظر مصنف ابن ابى شيبه ۶ : ۱۱۷ / ۲۹۹۳۰، الدر المنثور ۵ : ۳۴۶، عن البيهقى فى شعب الإيمان عن عمر بن الخطاب.

۳- مناهل العرفان ۱: ۱۶۹، ۲۱۸.

العالمین (وَیُعَلِّمُهُمُ الْکِتَابَ)، والناس مأمورون أن یقرؤوا بما عُلِّموا، ورسول الله قد اتّخذ أناساً یعلّمونهم القرآن ((١)).

إذن، القرآن کان یُقرأ علی عهد رسول الله بقراءهٍ واحده، ولا اختلاف بین قراءه رسول الله وقراءه أبی وابن مسعود وعلی بن أبی طالب وقد أوجب صلی الله علیه و آله علی من لا۔ یعرف القرآن أن یتعلّمه کما أُنزل، ورُبّما أجاز صلی الله علیه و آله لمن لا یقدر علی النطق به سلیماً أن یقرأه بلهجته إلی أن یستقیم لسانه بالقرآن، لکنّهم استغلّوا هذه الإجازه، فأجازوا تغییر شکل الآیات وأن یقرؤوها بالمترادف (طعام الاثیم – طعام الفاجر) وقد عرفت بأنّ أبا بکر ترک قراءه معاذ مع وجوده حیاً عنده فی المدینه، وعمر بن الخطاب، قال: إنّا لَندع من لحن أُبیّ ((٢)). وقد اختلف عثمان مع ابن مسعود ولم یأخذ بقراءته فلماذا لا یأخذ هؤلاء الخلفاء بقراءه هؤلاء الصحابه وهم من الطبقه الأولی الذین عرضوا قراءتهم علی رسول الله حسب تعبیر الذهبی!!

إذن القول بجمع القرآن بالبیّنه والشهود، والأخذ بأخبار الآحاد فی القرآن هو إساءَهٌ إلی القرآن، سواء کان القائلون بذلک عالمین أم جاهلین.

١- فجاء فی الخبر عندهم: استقرؤوا القرآن من أربعه عبد الله بن مسعود وسالم مولی أبی حذیفه وأبی بن کعب ومعاذ بن جبل. وفی نصوص أخری أسماء آخرین. صحیح البخاری ٣: ١٣٧٢ / ح ٣٥٤٩، ٣: ١٣٨٥ / ح ٣٥٩٥.

٢- صحیح البخاری ٤ : ١٩١٣ / ح ٤٧١٩، مسند أحمد ٥ : ١١٣ / ح ٢١١٢٢.

المقدّمه السابعه:

اشاره

إن ما قالته مدرسه الخلافه فی جمع القرآن كذبته مدرسه أهل البيت، لأن جمع القرآن من قبل أناس غير معصومين يعنی احتمال سهوهم وخطأهم ونسيانهم، وبالتالی يفتح للمغرضين باب التشكيك بالقرآن نفسه؛لأنّ العقل يحكم بانّ القرآن إذا كان مفرقاً متشتتاً منتشراً عند الناس وتصدّى لجمعه غير المعصوم، يمتنع عادةً أن يكون جمعه كاملاً موافقاً للواقع. لأنّه كيف يكون القرآن معصوماً وحُجّهً على الناس وقد جُمع بيد غير المعصوم؟! كلُّ ذلك مع تأكيد (جامع القرآن)!!! - أعنی عثمان بن عفان - على وجود اللّحن فيه، وأنّ العرب ستقيمه بألسنتها ((۱))، وقول ابن عباس إنّ الكاتب كَتَبَها وهو ناعس ((۲))، أو قول عائشه: إنّه خطأٌ من الكاتب ((۳))، أو قول رابع: نُقِّطَتْ الآيهُ لذبابهٍ جلست عليها، أو أنّ النقطه جاءت على أثر الحبر الزائد على ريشه قلم الكاتب ... وأمثال ذلك من الأقوال المغيّره لحقيقه القرآن المجيد، (كَبُرَتْ كَلِمَهً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ) ((۴)).

۱- المحكم للدانی ۱: ۱۸۵، تفسير البغوی ۱: ۴۹۸ - ۴۹۹، وتفسير الرازی ۱۱: ۸۴، ۲۲: ۶۵، وفيات الأعيان ۳ : ۴۶۶.

۲- تفسير الطبری ۱۳: ۱۴۵، الإتقان ۱: ۵۴۳ / ح ۳۵۰۵.

۳- تفسير الرازی ۲۲: ۶۵، تفسير البغوی ۳: ۲۲۲، تفسير القرطبی ۱۱: 216.

۴- سوره الكهف: ۵.

الرؤيه التصحيحيه: جمع القرآن بيد غير المعصوم، كذبٌ وخيانه للدين والأُمّه:

إنّ القول بجمع القرآن بيد غير المعصوم هو الطامّه الكبرى فى الشريعه، إذ كيف يمكن الاعتماد على قرآنٍ معصوم كُتب بيد غير معصوم؟!

إنّ هذه الشبهه قد أُثيرت ضِدّنا كثيراً، وقد وقفت على ما وجّهه بعض الباحثين لنا، وذلك لأنّهم قد أحسّوا بوجود تناقض بين أُصولنا، فمن جهه يشاهدوننا نعتقد بأن القرآن هو الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأنه ذلك الكتاب الذى لا ريب فيه هدى للمتقين.

ومن جهه أخرى يقفون على اعتقاد بعض المسلمين بتبنّى غير المعصوم جَمْعَهُ، ومعناه إمكان ورود الخطأ فيه، فإن قلنا بما تقول به مدرسه الخلافه فقد وقعنا فى المنزلق وليس علينا إلّا الرجوع إلى مدرسه أهل البيت لأنها حلّت هذه الإشكاليّه.

فقد جاء عن أبى جعفر الباقر عليه السلام : «ما أحدٌ مِن هذه الأُمّه جمع القرآنَ إلّا وصىّ محمّد صلى الله عليه و آله » ((۱)).

وعن الباقر عليه السلام أيضاً: «ما ادّعى أحدٌ من الناس أنّه جمع القرآن كلَّه كما أُنزل إلّا كذّاب، وما جمعه وحفظه كما نَزَّلَه الله تعالى إلّا علىّ بن أبى

۱- تفسير القمّى ۲: ۴۵۱ - عنه: بحار الأنوار ۸۹: ۴۸ / ح ۵، وانظر: بصائر الدرجات: ۲۱۴ / ح ۵ الباب ۶.

طالب والأئمّه من بعده علیهم السلام » ((۱)).

وقال علیه السلام : «ما یستطیع أحدٌ أن یدّعی أنّ عنده جمیع القرآن کلّه ظاهره وباطنه، غیر الأوصیاء» ((۲)).

کما أن فکره وجود اللحن فی القرآن وتبنّی التأویلات الباطله هی التی دعت بعض المستشرقین أمثال: مینکانا للرجوع الی المصادر غیر الإسلامیه لمعرفه حقیقه الأمر عندنا، کالرجوع الی مناظره عمرو بن العاص والأسقف الأعظم مونوفیزیت، آنتیوخ جان الأول (Antioch john I) فی سنه ۱۸ ه- المصادف (۶۳۹ م).

أو الی رساله الأسقف نی نوه (Nineveh) المعروف بایشویاب الثالث (Isoyab III) والذی أشار فیه الی المسلمین.

أو الی الوقائع التی ذکرها جان بار بنکایی (John Bar Penkaye) فی سنه ۷۰ ه- (۶۹۰ م). فانه من خلال نقله لتلک النصوص یرید التشکیک فی حجیه القرآن والقول بعدم وجوده فی عهد الرسول والشیخین.

وهو یوضح بأنّ القول بجمع القرآن بید غیر المعصوم هو الذی فتح الشرخ وسمح لامثال هؤلاء المستشرقین أن یزیدوا فی مدعیاتهم حتّی صرح بعضهم بعدم وجود ذکر للکتاب المقدس عند المسلمین (أی القرآن) فی المصادر المسیحیه المعاصره لعهد عثمان بن عفان ((۳)). فی حین سیتضح لک کذب هذا المدعی وبطلانه وأنّ القرآن

۱- الکافی ۱: ۲۲۸ / ح ۱ باب أنّه لم یجمع القرآن کلّه إلّا الأئمّه (.

۲- الکافی ۱: ۲۲۸ / ح ۲.

۳- خاورشناسان وجمع وتدوین قرآن کریم : ۹۴ (کتاب فارسی).

کـان مجموعاً ومـدوناً على عهـد رسول الله، وانّه صـلى الله عليه و آله کان يقرئ الناس القرآن على مکث، کما کان يسـمح لهم بتلاوته وتدوينه فى المصاحف وإن کان ناقصاً، کل ذلک من اجل المحافظه عليه.

فمما قاله شـفالى بهذا الصدد: «فالعلماء المسـيحيون فى الغرب طوروا بواسطه الصدفه أو الاستعاره کثيراً من الآراء التى هى نفسها آراء التراث الإسلامى أو تشبهها».

ثم ذکر بعض التفسيرات الإسلاميه منها:

(الر) أنا الله أرى؛ الرحمن («الإتقان»، ص ۴۸۶).

(الم) أنا الله أعلم؛ الرحمن («الإتقان»، ص ۴۸۶)؛ الله لطيف مجيد («الإتقان»، ص ۴۹۰).

(المر) أنا الله أعلم وأرى (البيضاوى حول سوره الرعد «۱۳» : ۱)

(المص) الله الرحمن الصـمد؛ المصور؛ أنـا الله أفضل؛ أنا الله الصادق («الإتقان»، ص ۴۸۶)؛ ألـم نشـرح لک صدرک («الإتقان»، ص ۴۹۳).

(حم) الرحمن الرحيم («الإتقان»، ص ۴۸۷)

(ص) صدق الله؛ أقسم بالصمد الصانع الصادق؛ صادِ يا محمّد عملک بالقرآن؛ صاد محمّد قلوب العباد («الإتقان»، ص ۴۹۳).

(طس) ذو الطَوْل القدوس الرحمن («الإتقان»، ص ۴۸۷).

(طسم) ذو الطَوْل القدوس الرحمن («الإتقان»، ص ۴۸۷).

(طه) ذو الطَوْل («الإتقان»، ص ۴۸۷).

(ق) قاهر؛ قادر («الإتقان»، ص ۴۸۷)؛ قُضى الأمر؛ أقسم بقوه قلب محمّد؛

قف يا محمد على اداء الرساله («الإتقان»، ص ٤٩٣).

ثمّ ذكر بعد ذلك رأى نولدكه فى الطبعه الأولى من تاريخ القرآن وقوله انّ هذه الحروف ليست من وضع محمّد نفسه ... ولعلّ هذه الحروف علامات مُلْكيه وضعها أصحاب النسخ التى استخدمت فى أول جمع قام به زيد، وصارت فيما بعد جزءاً من شكل القرآن النهائى، بسبب الإهمال.

ويتابع أن ما يؤكّد ذلك هو انّ مجموعه من السور المتواليه التى نشأت فى أوقات مختلفه تبدأ بشاره (حم) ما يدفع إلى الظن بأنّ هذه السور نسخت اصيله كانت تحتويها بالترتيب نفسه. وليس مستبعداً أن تكون هذه الحروف الأولى من أسماء مالكى النسخ. فى هذه الحال قد تشير (الر) إلى الزبير، و(المر) إلى المغيره و(طه) إلى طلحه أو طلحه بن عبيد الله، و(حم) و(ن) إلى عبد الرحمن... ((١))

أُنظر إلى كلام نولدكه وكيف به يستغل وجود تفسير القرآن بالرأى عند بعض المسلمين لإعطاء تفسير آخر من عنده للحروف المقطعه وهو تفسيرٌ مستهجن لاحق لا يقبل به أحد من علماء المسلمين وعقلائهم لأنّ الحروف المقطعه صحيح أنّها ليست من وضع محمّد بل أنّها من وضع البارى جل وعلا وقد جاءت فى الذكر الحكيم وقد تلاها رسول الله فى صلاته كما أنّها كانت موجوده فى مصاحف جميع الصحابه بلا اختلاف، وقد نقد نولدكه أحد المستشرقين واعترض عليه فى ما ادعاه وهو لوت (O.Loth) مما جعله يرجع عن رأيه.

١- تاريخ القرآن ٢ : ٣٠٠ – ٣٠٥.

نعم أنّهم بهـذا التفسير وغيره كـانوا يريـدون أن يقولوا بأنّ القرآن قـد جمع متأخراً بعـد وفاه رسول الله وأنّ الصحابه هم الـذين وضعوا هذه الحروف فى القرآن. وهو يوضح لنا أيضاً سر تخوف رسول الله من التفسير بالرأى وأنّه يهدم الدين.

وعليه، فإنّ رؤيه مـدرسه أهـل البيت عليهم السـلام فى جمع القرآن هى الصواب الحقّ، وهى أقرب إلى العقل والمنطق من رؤيه مـدرسه الخلفاء الثلاثه، وقـد مثّل السيّد الخوئىّ لهـذه المسأله بمثالٍ واقعىٍّ من حياتنا العاديّه، بيّن من خلاله سـقم ما يـذهب إليه الاتّجاه الآخر، إذ قال:

والعاده تقضـى بفوات شىءٍ منه على المتصدّى لذلك إذا كان غيرَ معصومٍ، كما هو مُشاهَدٌ فيمن يتصدّى لجمع شعر شاعرٍ واحدٍ أو أكثر إذا كـان هـذا الشـعر متفرّقـاً، وهـذا الحكم قطعىٌّ بمقتضـى العاده، ولا أقلّ من احتمال وقوع التحريف، فإنّ من المحتمل عدم إمكان اقامه شاهدَين على بعض ما سُمع من النبىّ صلى الله عليه و آله ، فلا يبقى وثوقٌ بعدم النقيصه ((۱)).

۱- البيان للسيّد الخوئى: ۲۳۹ الشبهه الرابعه.

المقدّمه الثامنه:

اشاره

إنّ جمع القرآن وتدوينه - حسب ادّعاء مدرسه الخلافه - كان بعد عقدَين من وفاه رسول الله صلى الله عليه و آله ، وذلك فى أيّام الفتنه ونشوء المذاهب المبتدعه والآراء الفاسده فى زمن عثمان على وجه التحديد، وأنّ هذه الدعوى قد زاد فى الطنبور نغمه كما يقول المثل العربى.

فكيف يمكن الاعتماد على قرآنٍ مؤلَّفٍ فى زمن الفتنه، والمأخوذ من محفوظات الصحابه لا مكتوباتهم؟!

وبمعنى أوضح: كيف يمكن الاعتماد على قرآنٍ لم يدوَّن ويجمَع على عهد رسول الله وتحت إشرافه صلى الله عليه و آله ، كما أنّه غير مأخوذٍ عن مدوَّنات أصحابه وكتّاب الوحى بالمباشره، بل أُخذ عن محفوظاتهم بعد عقدَين من الزمن، وهم غير معصومين، يسهون ويخطؤون، ويزيدون وينقصون.. فعدمُ إشراف النبىّ أو الوصىّ على المحفوظ والمكتوب يُضعِف من حجيّته باعتراف العقل والنقل.

الرؤيه التصحيحيه: القول بجمع القرآن في زمن الفتنه!! يخدش في حجيّته:

لقد أثبتنا في هذه الدراسه ((۱)) أنّ القرآن كان معظمه مجموعاً ومكتوباً ومرتّباً على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله ، وأنّ دعوى جمعه بعد عقدَين من وفاه رسول الله وفي زمن الفتنه - كما يقولون - خطأٌ فاحش، ومن خلاله يرد الإشكال على القرآن، والتعريضُ برسول الله وأمير المؤمنين، وكبار الصحابه أمثال: ابن مسعود، وأُبيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وغيرهم من عيون الصحابه الّذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله ، والتقليل من شأنهم، حتّى جاء عن عمر - حسبما أخرجه البخاريّ عن ابن عبّاس - قوله في أُبي:

أُبيّ أقرَؤنا، وإنّا لَندعُ من لحن أُبيّ بن كعب ((۲)). وفي آخر: إنّ أُبيّاً كان أقرأنا للمنسوخ ((۳)).

فعمر يدع قراءه أُبيّ عالماً عامداً مع اعترافه أنه أقرأ الامه وقد اخذ قراءته من في رسول الله مباشره، فعلى أيّ شيءٍ يمكن حمل هذا الكلام منه والمخالفه الصريحه لرسول الله؟

۱- حسبما سيأتي لاحقاً في صفحه ۲۲۳. الأخبار الداله على وجود مصحف أو مصاحف على عهد رسول الله.

۲- صحيح البخاري ۴: ۱۹۱۳ / ۴۷۱۹، باب القرّاء من أصحاب النبي صلى الله عليه و آله .

۳- تاريخ ابن شبه ۲: ۳۷۷ / ح ۱۱۷۶، كنز العمال ۲: ۲۵۱ / ح ۴۸۰۸، فتح الباري ۸: ۶۴۲، الدر المنثور ۸: ۱۶۱.

كما ان عثمان استنقص ابن مسعود وترك الاخذ بقراءته وهذا أمر ثابت لا خلاف فيه.

ومما تجدر الاشاره اليه ان مدرسه أهل البيت كانت لا ترضى القول بجمع القرآن متأخرا وتؤكد بإقراء رسول الله أصحابه ومن أول البعثه (وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ)(۱)، وأنه صلى الله عليه و آله كان قد عيّن بالفعل مجموعه منهم لتعليم المسلمين القراءه، وهو صلى الله عليه و آله بنفسه قد اشرف على كتابه القرآن وترتيب آياته، لكنه ترك الجمع النهائى وتوحيد شكله للإمام على.

نعم أنّ نتيجه مرويات وأحاديث مدرسه الخلافه جعلت امثال بلاشير وغيره التعريض بالنبى الأكرم والتجرئ عليه وعلى رسالته بالقول انه - فى أوائل البعثه - كان لا يعلم بأنه مبعوث من قبل الله وأن رسالته ستغير المجتمع، وانه على أثر اتّصاله باليهود تعلم ذلك، ورأى ضروره تدوين شريعته وكتابه القرآن.

ثمّ أضاف: أن الاختلاف فى عدد كتّاب الوحى لهو أهم دليل على عدم صحه ما قيل عن الكتابه فى عهد رسول الله وأنّ فكره وجود كتّاب للوحى جاء لدعم فكره كتابته على عهده صلى الله عليه و آله .

كما أن الكتابه لم تكن مفيده فى عصره صلى الله عليه و آله لعدم معرفه الكثير من العرب القراءه والكتابه كى يستفيدوا منه بعكس الحفظ، وأن العوز المادّى هو أهم سبب من أسباب عدم جمع القرآن على عهد رسول الله، كما أنه لا يصح ما قيل عن رسول الله وأنه رتّب

۱- سوره الإسراء: ۱۰۶.

المصحف ((۱)).

وكلام بلاشير وإن كان باطلاً فى كل فقره من فقراته، وقد أجبنا عن بعضـها فى بعض مؤلفاتنا وسترى جواب الآخر منها فى هذا الكتـاب، لكنّ المهمّ أنّ كثيراً من فقرات كلامه يستند إلى التراث الروائى السنى وهو مما يحز فى النفس، وأنّ تلك الروايات والأخبار هى التى استدل وأساء الاستفاده منها أمثال سلمان رشدى المرتد.

اذن، إن عمل الخلفاء هو الذى سمح للمستشرق جون جيلكرايست وغيره أن يقولا: بأن الغايه الحقيقيه من عمل الخلفاء هو القضاء على السلطه السياسيه التى كان يتمتع بها قراء القرآن فى الأمصار التى كان عثمان يفتقد فيها شيئاً من المصداقيه بسبب السياسه التى كان ينتهجها حيث انه كان يعين اقرباءه من بنى أميه أعداء محمد كعمال على حساب الصحابه الذين ظلّوا أوفياء لمحمد طيله حياتهم ((۲)). إلى آخر كلامه.

اذن فإنّ إثاره الخلفاء الثلاثه وأتباعهم لمقوله جمع القرآن متأخراً وأمثالها، وادّعاءهم عدم كتابه القرآن على عهد رسول الله، فتح المجال الواسع لمن يريد التشكيك فى حجّيه القرآن وهنا مسأله يجب التأكيد عليها وهى حدوث حاله الاضطراب والمنهجيه عند علماء مدرسه الخلافه فهم من جهةٍ يذهبون - فى كتبهم الحديثيه والدرائيه والرجاليّه والفقهيّه - إلى لزوم الحيطه والحذر من الأحاديث الصادره فى أيّام الفتنه وعدم الأخذ بها من دون تمحيصٍ ودراسه.

۱- خاورشناسان وجمع وتدوين قرآن كريم: ۹۶ - ۹۷.
۲- مجله المصباح العدد ۵ الخامس الصحفه ۱۲۲ أثر روايات جمع القرآن فى الفكر الإستش-راقى (دراسه فى كتاب جمع القرآن للمستشرق جون جيلكرايست).

ومن جههٍ أُخرى يقولون ان القرآن قد جمع فى زمن الفتنه، وبدورنا نسأل كيف يمكن أخذ القرآن المجموع أيّام الفتنه، مع ما عرفت من طريقه تعاملهم مع الأخبار الصادره أيام الفتنه؟! إنّ هذا سؤالٌ يطلب جواباً وحلّاً منهم.

أئمه أهل البيت عليهم السلام ، الضمان لعدم تحريف القرآن

وممّا يجب التنبيه عليه هنا: أنّ الأساليب والمقدِّمات الخاطئه الّتى شُرِّعت من قِبل مدرسه الخلافه كادت أن تؤدّى الأمّه إلى التحريف اللّفظى فى القرآن، لكنّ اهتمام الصّحابه وأهل البيت - وعلى رأسهم أميرالمؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام - بالقرآن، واشتهار القرآن بين المسلمين، وإقراء رسول الله لهم (القرآن) على مكث، وقراءتهم له آناء الليل وأطراف النهار حفظاً وفى المصحف نظراً أبقى الذكر مصوناً ومحفوظاً لم يمسَّه شىء.

أمّا التحريف المعنوىّ فيبقى محتملاً ووارداً، وذلك من خلال تصحيحهم للقراءات المختلفه فى العصور البدائيه، مع وجود الأهواء المتعدّده عند المذاهب والفِرَق، فإنّ تصحيح القراءات المتعدّده بوجوه من العربيه هو مما يجرّئ أهل المذاهب المبتدعه والأهواء الباطله لتحكيم آرائهم فى الدين، وهذا خيانه للقرآن بلا شك.

وكلام الإمام عليه السلام الذى مرّ فى النقطه الخامسه (1) الآنفه: «كذبوا» و«إنّ القرآن واحدٌ نزل من عند واحد، ولكنّ الاختلاف يجىءُ مِن قِبل الرواه»، فيه تصريحٌ بدور الرواه - فى تأجيج الاختلاف المقصود فى القراءه - بعد رسول الله صلى الله عليه و آله ، ومثله المحكى

۱- والتى مرّت فى صفحه ۷۲ - ۷۷. تعدد القراءات تخالف الوحده فيه.

عن الإمام الصادق علیه السلام : «أصحاب العربیّه یحرّفون الکلِمَ عن مواضعه» ((۱))، وهذا ما سنوضحه فی آخر الکتاب (توحید المصاحف).

کما لا یستبعد أن یکون النهی الصادر عن أمیر المؤمنین علیه السلام بعدم مناقشه الخوارج بالقرآن - لأنّه حمّال ذو وجوه - إشاره إلی أنّ فی القرآن تفسیرات متعدده، وقد استدلّت کلّ الفرق - حتّی الفرق الباطله - بالقرآن، ومن هنا جاء الخبر عن النبیّ صلی الله علیه و آله فی عدم جواز التعددیه فی القرآن والاختلاف فیه، ولزوم الأخذ بما هو مشهور بین المسلمین: «لو أنّ الناس قرؤوا القرآن کما أنزل الله ما اختلف اثنان» ((۲)).

أی أنّهم لو أخذوا بالمقصود الواقعیّ الذی نزل به الله علی النبیّ محمّد صلی الله علیه و آله وبالثابت بین المسلمین لما اختلف اثنان، وهو یعنی بأنّ الاختلاف لم یکن من عند الله ومن عند رسوله بل یأتی من قبل الرواه الّذین قرؤوا القرآن بأنحاء مختلفه وفسّروه بأشکالٍ مختلفه فی الأزمان المتأخره، فإنّ من یقرأ قوله تعالی: (أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ)((۳))، یختلف فهمه عمّن یقرأه: (أو لمستم النساء) علی وجه القطع والیقین، فالأوّل یفهم منه النکاح والثانی

۱- مستدرک الوسائل ۴: ۲۸۰ / ح ۴۷۰۱ باب وجوب تعلّم إعراب القرآن، وستعرف لاحقا أنه علیه السلام اشار الی اتباع مدرسه الخلفاء الثلاثه، لا إلی أصحاب العربیه علی الإطلاق، فإن رائد مدرسه العربیه هو أمیر المؤمنین علی وأصحابه أمثال: أبی الأسود الدؤلی وأبی عمرو بن العلاء وغیرهم، وإنّ أبا الأسود هو الذی قنن القرآن المتلو کتابهً.

۲- تفسیر القمّی ۲: ۴۵۱ - عنه: بحار الأنوار ۸۹: ۴۹ / ح ۷.

۳- سوره النساء: ۴۳.

اللمس باليد، ونحوه فى قوله: (حَتَّى يَطْهُرْنَ) ((۱))، أو (حتّى يطّهّرنَ)، فالأوّل يجيز وطء الحائض عند انقطاع الدم وقبل الغسل، والثانى لا يجيزه الا بعد الاغتسال.

كما لا يستبعد أن يكون التحريف المعنوى هو سر إخبار رسول الله الإمام عليّاً عليه السلام بأنّه سيقاتل على التأويل كما قاتل هو على التنزيل، ومعنى كلامه صلى الله عليه و آله أنّ قتاله سيكون دفاعاً عمّا علمه عن رسول الله ذبّاً عن مفاد الوحى النازل عليه صلى الله عليه و آله والذى تعلّمه الإمام عليٌّ منه صلى الله عليه و آله ، ولأجل هذا ترى الإمام يقول عن جمعه للقرآن: «لقد جئتكم بالكتاب كملاً مشتملاً على التنزيل والتأويل».

كما أنّ الله سبحانه أكد بوجود رجال بين الأُمّه من يعرف التأويل والتفسير، ولزوم الرجوع إليه، لأن المحكم يعنى ما لا يشتبه على الأُمّه ويعرفه الجميع، وأنّ الاشتباه فى الأمور غالباً ما يأتى من المتشابه وأن المعصوم هو الذى يوضحه.

اذن الروايات تؤكد وجود مَن يعلم تأويل المتشابه بين الناس، وهم الراسخون فى العلم، وان الرسول قد دعا لابن عباس أن يفقّهه فى الدين ((۲)) ويعلّمه الحكمه ((۳)) والتأويل ((۴)). كما جاء عن الإمام الصادق قوله: «نحن الراسخون فى العلم، ونحن

۱- سوره البقره: ۲۲۲.

۲- صحيح البخارى ۱ : ۶۶ / ح ۱۴۳، الأحاديث المختاره ۱۰ : ۱۶۹ / ح ۱۶۷.

۳- صحيح البخارى ۳ : ۱۳۷۱ / ح ۳۵۴۶، سنن الترمذى ۵ : ۶۸۰ / ح ۳۸۲۴.

۴- المعجم الكبير ۱۰ : ۲۳۸ / ح ۱۰۵۸۷، المستدرك للحاكم ۳ : ۶۱۷ / ح ۶۲۸۷، صحيح الاسناد ولم يخرجاه.

نعلم تأویله» ((۱)).

ومثله مـا رواه علیّ بن إبراهیم ومحمّـد بن مسعود العیاشـی فی تفسـیریهما عن برید بن معـاویه عن أبی جعفر علیه السـلام : أنّ رسول الله أفضل الراسـخین فی العلم، قد علمه الله جمیع ما أُنزل من التنزیل والتأویل وما کان الله لینزل علیه شـیئاً لم یعلمه تأویله، وأوصیاؤه من بعده یعلمونه کلّه ((۲)).

نعم قـد حـذّر أئمّه أهـل البیت شـیعتهم من التفسیر بـالرأی، وقعّـدوا لهم قواعـد تقیهم الا ـنحراف عن الجادّه، وأعلموهم بحقائق کثیره، منها: أنّ القرآن لا یفهمه کُمُلاً إلّا المعصوم ((۳))، وأنّ القرآن لا یعرفه إلّا مَن خوطب به ((۴))، وأنّهم هم الراسخون فی العلم ((۵))، وأنّهم هم أهل علم القرآن ((۶))، وأنّهم هم خُزّان الله علی علمه ((۷))، وأمثالها.

وهذه النصوص لا تعنی بأنّ الأئمّه یذهبون إلی القول بعدم حجیه ظواهر

۱- بصائر الدرجات : ۲۲۴ / ح ۵، ۷، الکافی ۱ : ۲۱۳ / ح ۱.

۲- الکافی ۱ : ۲۱۳ / ح ۲، تفسیر العیاشی ۱ : ۱۶۴ / ح ۶، تفسیر القمی ۱ : ۹۶.

۳- اُنظر: بصـائر الـدرجات: ۲۱۴ بـاب فی أنّ الأـئمّه أُعطوا تفسیر القرآن والتأویـل. والمراد منه الفهم الکامـل، أی فهم الظواهر والبطون، لأنّ القرآن نزل لعامّه الناس، وخطاباته تعمّ جمیع المسلمین.

۴- اُنظر: الکافی ۸: ۳۱۱ / ح ۴۸۵، وسائل الشیعه ۲۷: ۱۸۵ / ح ۳۳۵۵۶.

۵- اُنظر: نهج البلاغه ۲: ۲۷ الخطبه ۱۴۴، بصائر الدرجات: ۲۲۲ الباب ۱۰ فی أنّ الأئمّه هم الراسخون فی العلم، والکافی ۱: ۲۱۳ باب أنّ الراسخین فی العلم هم الأئمّه علیهم السلام .

۶- بصائر الدرجات: ۵۸ الباب ۱۹، وکذا فی الکافی ۱: ۲۱۰.

۷- بصائر الدرجات: ۱۲۳ الباب ۱۹ فی الأئمّه أنّهم خزّان الله فی السماء والأرض علی علمه.

القرآن، أو أنّ عموم النـاس لاـ يمكنهم فهم ظـاهره. وإن سـعى بعض الأخبـاريه لاستغلال تلك الأخبار الـداله على عـدم حجيه ظواهر الكتاب.

فحجيه الظواهر فى القرآن وفى غيره عقلى وشرعى ودالٌّ على إمكـان فهمه من عموم النـاس كمـا فى قوله تعالى: (كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ) ((۱))، وقولِه تعـالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنـاً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) ((۲))، وقولِه تعالى: (هـٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ) ((۳)).

لكنّ الأئمّه كانوا يريـدون أن يؤكّـدوا لهم بأنّ فى القرآن أسـراراً ومفاهيم ولفتاتٍ وإيماءاتٍ لا يدرِك كنهَها إلّا مَن خوطب به، ألا وهو المعصوم.

كمـا يمكن تأويـل القرآن وتفسيره حسب هوى أصحاب المـذاهب المبتـدعه وآرائهم بعيـداً عن الواقع؛ لأـن القرآن حمـال ذو وجوه، وعليهم التثبت وأخذ التفسير الصـحيح للقرآن من عدل القرآن لا عن غيره، بل عدم السماح لأصحاب المذاهب المبتدعه بتفسير الدين وفق أهوائهم، وعليه فجامع علوم القرآن يجب أن يكون معصوماً.

كُنه القرآن لا يفهمه إلّا أهل البيت عليهم السلام

فعن بشير الدّهان، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنّ الله فرض طاعتنا فى كتابه، فلا يسع الناسُ جهلًا. لنا صفوُ المال، ولنا الأنفال، ولنا

۱- سوره ص: ۲۹.

۲- سوره يوسف: ۳.

۳- سوره آل عمران: ۱۳۸.

كرائم القرآن - ولاـ أقول لكم إنّا أصحاب الغيب - ونعلم كتاب الله، وكتاب الله يحتمل كلّ شيء، إنّ الله أعلمنا علماً لا يعلمه أحدٌ غيره، وعلماً قد أعلمه ملائكته ورسله، فما علمته ملائكته ورسله فنحن نعلمه» ((۱)).

وعن الحكم بن عتيبه، قال: لقى رجلٌ الحسين بن على عليهما السلام بالثعلبيّه وهو يريد كربلاء، فدخل عليه فسلّم عليه، فقال له الحسين عليه السلام : «مِن أىّ البلاد أنت؟»، قال: من أهل الكوفه، قال: «أما والله - يا أخا أهل الكوفه - لو لقيتك بالمدينه لأريتُكَ أثر جبرئيل عليه السلام من دارنا ونزوله بالوحى على جدّى، يا أخا أهل الكوفه، أفمُستَقى الناس العلم من عندنا، فعلموا وجهلنا؟! هذا ما لا يكون» ((۲)).

وعن أبى الصباحَ، قال: والله لقد قال لى جعفر بن محمّد عليه السلام : «إنّ الله علّم نبيّه صلى الله عليه و آله التنزيل والتأويل، فعلّمه رسول الله عليّاً عليه السلام » ((۳)).

أجل انّ رسول الله هو المعصوم الأوّل فى الإسلام، وقد علّم وصيّه أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام جميع علمه، وقد كتب أمير المؤمنين عليه السلام ما قاله الرسول فى

۱- تفسير العياشى ۱: ۱۶ / ح ۷ - عنه: بحار الأنوار ۸۹: ۶۹ / ح ۵۵.

۲- الكافى ۱: ۳۹۸ / ح ۲ - عنه: بحار الأنوار ۴۵: ۹۳ / ح ۳۴، وفيه: «أفيستقى الناسُ العلمَ مِن عندنا فيهدونهم وضللنا نحن؟! هذا محال».

۳- الكافى ۷: ۴۴۲ / ح ۱۵، تهذيب الأحكام ۸: ۲۸۶ / ح ۱۰۵۲.

تنزيل القرآن وتأويله وتفسيره ((۱))، ثم أودع ما كتبه عليه السلام عند الأئمّه من ولده، وهو الآن موجودٌ عند قائم آل محمّد ((۲)).

وأنّ رسول الله قد صرّح بذلك فی قوله: «إنّ الله أنزل علَیّ القرآن، وهو الّذی مَن خالفه ضلّ، ومن ابتغی علمَه عند غیر علیٍّ هلك» ((۳)).

وفی آخر عن المعصومین علیهم السلام : «إنّما علی الناس أن یقرؤوا القرآن كما أُنزل، فإذا احتاجوا إلی تفسیره فالاهتداء بنا وإلینا» ((۴)).

هذا من جهه ومن جهه أخری كان فی الطرف الآخر أعنی الصحابه یحدث شیء آخر فی المقابل، وهو أنّ بعض المعاصرین لرسول الله كانوا لا- یستوعبون عمق النصّ القرآنی أو بعض المفردات اللّغویه فیه، فهم من جهه لا- یرتضون الاهتمام بالوحی، وكسب علومه، ومن جهه أخری لا- یریدون أن یفتضح عجزهم العلمیّ، فكانوا یستدلّون بالقرآن بالشكل الّذی یریدونه، ویفهمونه فهماً بعیداً عن الواقع، وهذا سبّب لهم ولأتباعهم مشكله الجهل والتخبّط وفتح باب التقوّل علی مصراعیه وهو ما یجب توضیحه فی مكان آخر.

۱- راجع: كتاب سلیم بن قیس: ۱۴۶، الاحتجاج: ۱ / ۱۰۷، بحار الأنوار ۲۲: ۴۸۲ / ح ۳۰ - عن: خصائص الأئمّه: ۷۳.

۲- راجع: الكافی ۲: ۶۳۳ / ح ۲۳، بصائر الدرجات: ۲۱۳ / ح ۳ - عنه: بحار الأنوار: ۹۲ / ۸۸ ح ۲۸.

۳- أمالی الصدوق: ۱۲۲ / ح ۱۱۲ - عنه: بحار الأنوار ۳۸: ۹۴ / ح ۱۰.

۴- تفسیر فرات: ۲۵۸ / ح ۳۵۱.

المقدّمه التاسعه:

اشاره

تشريعهم للقراءات الشاذه إلى جنب القراءه المتواتره، واعتبار المنقول بالنقل الجماعى بمنزله المنقول عن طريق العرضه، والسعى فى الأخذ بكلّ القراءات على أنّها اختيارات شرعها رسول الله من خلال الأحرف السبعه وبذلك أدخلوا قراءاتهم السهويه والعفويه فى القرآن.

الرؤيه التصحيحيه: التّقليل من شأن القرآن من جهه، والاهتمام بتواتر القراءات من جهه أُخرى!!

إنّ هذه المقدمه قد تكون قريبه لما مر فى بعض المقدمات السابقه الأخرى وإنّ ما ادعوه هو أدلّ على تهديد القرآن وتهديمه من القول بحجّيته، لأنّ شأن القرآن أسمى من كل شيء، والقرآن هو الكتاب الّذى تتوفّر فيه الدواعى لنقله بتواتر، لأنّه الأصل الأوّل للتشريع الإسلامى، والمعجزه الخالده لهذا الدين، وكُلُّ شيءٍ تتوفّر الدواعى لنقله لابدّ وأن يكون متواتراً.

ان اقرار الخلفاء فكره الشاهدين والتعدديه يحتمل ان يكون منشؤه القراءات السهويه والعفويه الصادره عن بعض الصحابه والخلفاء بسبب نسيانهم للفظ الآيات مع احتفاظهم بالمعنى، كقراءتهم لقوله تعالى: (طَلْحٍ مَّنضُودٍ) بطلع منضود، او (طَعَامُ الْأَثِيمِ) بطعام اليتيم، او (الْعِهْنِ الْمَنفُوشِ) بالصوف المنفوش وامثال ذلك.

فارادا مواجهه هذه المشكله عبر اقرارهما تعدد القراءات فی مصاحفهما لكن صعوبه اقناع المسلمين بهذا الامر جعلت ابا بكر وعمر – فی عهدهما – يخفقان فی إقرار مصحفهما إماماً للمسلمين وتعميمه على الأُمّه بل ظهرت مخالفهٌ عمليّه من قِبل الأمه لقرارهما وقراءتهما وتركها لما أراده الشيخان من إدخال أمثال: وجاءت سكره الحق بالموت ((۱)) وآيه الرجم والشيخ والشيخه وأمثال ذلک، بل إصرار ها على الأخذ بما تعلّمته أيّام رسول الله صلى الله عليه و آله فقط، هذا الامر هو الذی دعا عثمان للرجوع إلى ما تواتر عند الأُمّه والعدول عمّا ارادا الذهاب إليه، فانصاع عثمان مُرغَماً لإراده الأُمه، والأخذ بالمتسالَم عليه عند كبار الصحابه، فجَمَعَ المشهورَ المتّفق عليه((۲))، ولم يكتف بما جمعه أبو بكر وعمر سابقاً، ساعياً أن يكتب مصحفه وأن يجمع فيه المختلف عليه بين المسلمين بشكل يرضى الجميع.

ولهذا لا نرى فی القرآن المتداول اليوم قراءات غير مشهوره، وإن كان هناک من يدافع عنها، فليس فيه (غير المغضوب عليهم وغير الضالين) والّتی كان يقرأ بها عمر بن الخطاب ((۳))، أو آيه الرجم (الشيخ والشيخه) الّتی كان يدعو لزيادتها فی القرآن((۴))، أو (إذا كنّا عظاماً ناخره) ((۵)) بدل **(نَخِرَهً)** والّتی حكيت عن عمر ((۶))

۱- التسهيل لعلوم التنزيل ۴: ۶۴، الكشّاف ۴: ۳۸۹ سوره ق، إعراب القرآن ۴: ۲۲۵.

۲- للسيد ابن طاووس كلام فی مصحف عثمان انظره فی سعد السعود.

۳- فی الدرّ المنثور ۱: ۴۰ أخرج وكيع وأبو عبيد وسعيد بن منصور ... غير المغضوب عليهم وغير الضالين. قال أبو حيان الاندلسی فی (البحر المحيط ۱: ۱۵۰): وقرأ عمر وأُبی: (وغير الضالين).

۴- صحيح البخاری ۶: ۲۵۰۳ / ح ۴۶۶۱ عن ابن عباس قال: قال عمر: لقد خشيتُ أن يطول بالناس زمان حتّى يقول قائلٌ: لا نجد الرجم فی كتاب الله، فيضلّوا بترک فريضهٍ أنزلها الله ... وقوله: لولا أن يقول الناس: زاد عمر فی كتاب الله، لكتبت آيه الرجم بيدی. أُنظر: صحيح البخاری ۶: ۲۶۲۲ / باب الشهاده تكون عند الحاكم. وفی الخبر: الشيخ والشيخه إذا زنيا فارجموهما البتّه نكالاً من الله والله عزيزٌ حكيم. الأحاديث المختاره ۳: ۳۷۱ / ح ۱۱۶۶، وقال: إسناده صحيح. وفی مسند أحمد ۵: ۱۸۳ / ح ۲۱۶۳۶، فقال عمر: لمّا أُنزلت هذه، أتيتُ رسول الله فقلت: أكتبنيها ...

۵- قال الطوسی فی التبيان من سوره النازعات ۱۰: ۲۵۱: قرأ أهل الكوفه – إلّا حفصاً –: عظاماً ناخره، بألف، والباقون (نخره) بلا ألف. من قرأ (ناخره) اتبع رؤوس الآی، نحو (الساهره، والحافره)، ومن قرأ نخره بلا ألف قال: لأنّه الأكثر فی كلام العرب، ولما روی عن علیّ عليه السلام أنه قرأ: (نخره) ...

۶- عمده القاری ۱۹: ۲۷۷.

وابن عمر (۱) وابن الزبير (۲) وغيرهم، أو (الحيّ القيّام) (۳) بدل (الْ-حَيُّ الْقَيُّومُ)، أو (فامضوا إلى ذكر الله) (۴) بدل (فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ الله)، أو (فأخذتهم الصعقه) بدل

۱- المعجم الكبير ۱۲: ۲۶۸ / ح ۱۳۰۷۶، الدرّ المنثور ۸: ۴۰۷.

۲- الدرّ المنثور ۸: ۴۰۷، عمده القاری ۱۹: ۲۷۷.

۳- فی البخاری ۴: ۱۸۷۲ / ح ۳۹۷: كما قرأ عمر: (الحيّ القيّام)، وهی من قمت. وقد دافع البخاری عن عمر فی ۶: ۲۷۰۹ / ح ۷۰۰۴ ... وقال مجاهد: (القيّوم): القائم على كلّ شیء، وقرأ عمر: (القيّام)، وكلاهما مدح.

۴- البخاری ۴: ۱۸۵۸ / الباب ۳۷۳، وقرأ عمر: فامضوا إلى ذكر الله. سنن البيهقی ۳: ۲۲۷ / ح ۵۶۵۹، عن سالم، عن أُبی قال: ما سمعت عمر بن الخطّاب يقرأها إلّا (فامضوا إلى ذكر الله).

(فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ) ((۱))، وأمثالها ((۲)) الوارده فی قراءه عمر بن الخطّاب.

بل تری فی المقابل وجود (بِسْمِ اللهِ الرّحمنِ الرّحیمِ) فی مفتتح کلّ سور المصحف، وهذا ما لم یکن یرتضیه أبو بکر ولا عمر ولا عثمان.

إذن فمدرسه الخلفاء الثلاثه من جههٍ یقولون بحجّیّه القرآن بالبیّنه والشهود، ومن جههٍ أُخری یقولون بتواتر القراءات السبع إلی رسول الله، ناقلین ذلک عن السُّبْکی((۳))، وقد أفرط بعضهم؛ فزعم أنّ من قال: إنّ القراءات السبع لا- یلزم فیها التواتر، فقوله کفر. ونسب هذا الرأی إلی مفتی البلاد الأندلسیّه أبی سعید فرج ابن لب ((۴)).

مؤکدین بأن هذا الکلام غلوٌّ فی القراءات السبع - أو العشر - وإجحافٌ بالقرآن نفسه! لأنّ إدخال القراءات السهویه علی أنها قراءات صحیحه شرعیه، أو قراءه القرآن علی أی نحو کان بشرط أن لا تصیر آیه عذاب آیه رحمه شیء باطل.

ألا- یعنی موقفهم المزدوج هذا تبنّیهم لفکره الاختلاف والتعددیه من جهه ((۵))، مع رفعهم فی الوقت نفسه لشعار توحید المصاحف من جههٍ أُخری؟!

۱- إعراب القرآن ۴: ۲۴۷ / ۴۴، الدرّ المنثور ۲: ۷۲۶، وأخرج سعید بن منصور وعبد بن حمید عن عمر بن الخطاب أنّه قرأ: فأخذتهم الصعقه.

۲- منها: قول رسول الله: یا عمر، إنّ القرآن کلّه صواب ما لم یُجعَل عذاب مغفره أو مغفره عذاباً. مسند أحمد ۴: ۳۰ / ح ۱۶۴۱۳.

۳- مناهل العرفان ۱: ۳۰۱ عن جمع الجوامع لابن السبکی.

۴- مناهل العرفان ۱: ۳۰۵ (الآراء فی القراءات السبع).

۵- کما استغله جولد تسهیر فی کلامه الآنف وادَّعی وجود الاضطراب فی متن القرآن بحیث لا یمکن الاعتماد علیه.

إذن، فالتقليل من شأن القرآن والاهتمام بتواتر القراءات ثمّ تشريع الاختلاف بين المسلمين هو ضربه للدين فى صميمه.

وقد أثبت السيّد الخوئىّ عدم تواتر القراءات العشر فى كتابه (البيان)، موضِّحاً وجود تقاطعٍ بين فكر المدرستين فى مسأله جمع القرآن، فمن أحبّ فليراجعه.

المقدّمه العاشره:

اشاره

اخفق عثمان نفسه فی توحید الامه علی قراءه واحده حتی کثرت وشاعت القراءات من بعده حتی بلغت خمسین قراءه اختیر منها سبعه أو عشره أو أربعه عشر قراءه - رغم اصرار الحکومات علی الاخذ بمصحفه - وکان فی هذا الامر اساءه للإسلام مما دعا الأئمّه من أهل البیت وخیار الصحابه لتصحیحها أو تکذیبها، لأنّ القول بتلک الأقوال هو ممّا یُجرّئُ أعداء الدین للمساس بالثقل الأکبر وأوّل أُصول التشریع الإسلامی ألا وهو القرآن الکریم.

لهذا کانت محاولات مدرسه الخلافه - کما قلنا - غیر موفقه فی عملها وبقی القرآن محفوظاً مصوناً بلطف الله وفضله وعنایته رغم کلّ الملابسات والأُطروحات السیاسیّه الخاطئه، ونحن مقرّین بأن کلامنا هذا سیبقی ادّعاءً ما لم یثبت للآخرین صحّته أو خطئه من خلال بیان الرؤیه التصحیحیّه لمدرسه أهل البیت علیهم السلام فی هذا المجال.

الرؤيه التصحيحيه: مصحفنا هو مصحف رسول الله صلى الله عليه و آله ومصحف جميع الصحابه، وليس بمصحف عثمان وزيد فقط:

إنّ ما أشيع من توحيد عثمان الأمه على قراءه واحده غير صحيح بل الأمه هى التى سعت وجدّت للوقوف على القراءات الصحيحه، لأنا سنثبت لاحقاً بأنّ الأمه وقفت على قراءه رسول الله من خلال القراءات المعروفه والمشهوره والمنسوبه إلى الإمام على، لأنا عرفنا بأنّ رسول الله صلى الله عليه و آله كان يقرأ بما أُقرّ من قبل البارى جلّ وعلا على أنه قرآن، لقوله تعالى - فى الاجتماع الثنائىّ من كلّ عام -: (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِـعْ قُرْآنَهُ)، كما لا يُعقَل بأن يكتفى رسول الله بقراءه السور الّتى كان يقرؤها فى الأعوام السابقه فقط، بل كان عليه أن يأتيهم بالجديد من السور أيضاً، ليعرّفهم ويؤنسهم بها.

فهو صلى الله عليه و آله لم يكتفِ بقراءه السور القصار المكيه دائماً فى صلاته، أمثال: عمّ والواقعه ويس وأمثالها، بل كان يقرأ بالسور الطوال المدنيه أيضاً، أمثال: سوره البقره وآل عمران والنساء ((۱)).

وأنّ المنهج الخاطئ لمدرسه الخلفاء كاد أن يكون - بقصدٍ أو بغير قصد - سبباً لتحريف القرآن المجيد، لأنّ منهجيتهم قد مهّدت الطريق للمساس بالكتاب العزيز،

۱- جاء فى الإتقان ۱۱: ۲۱۳ ثبت من قراءات عديده [لرسول الله فى الصلاه]، كسوره البقره وآل عمران والنساء فى حديث حذيفه، والأعراف فى صحيح البخارى أنّه قرأها فى المغرب، وقد أفلح ...

لكنّ الله حفظ كتابه عن طريق إقراء رسول الله أمته القرآن على مكث.

وعليه فقد اتّضح لنا بأنّ ما تقول به مدرسه الإمامه والوصايه هو الأوفق بالأدلّه، وهو الأدنى إلى العقل والمنطق، والأقرب إلى الصواب،

كما لا يستبعد أن يكون فى كلام الشيخين المشعر بوجود الزياده فى القرآن أن يكون فيه ما يوحى إلى أن جمعهما كان جمعاً مميَّزاً يختلف عن غيره، لأنّهما وقفا على آياتٍ وسور لم تكن عند غيرهم من المسلمين، إذ صرّح عمر باسم بعض تلك الآيات والسور، كآيه رجم الشيخ والشيخه وسورتى الحفد والخلع، وقراءته لآيه (والسابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار الّذين اتبعوهم بإحسان) ((۱)) بدون الواو وبرفع كلمه «الأنصار» ((۲))، وقراءته (فى جنّاتٍ يتساءلون عن المجرمين يا فلان ما سلككم فى سقر) ((۳))، أو قراءته (وإن كان مكرهم لَتزول منه الجباد) ((۴)) بدل (الجبال)، وأمثال ذلك.

۱- التفسير الكبير ۱۶: ۱۳۶، الدرّ المنثور ۴: ۲۶۸.

۲- قال سبحانه: (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْ-مُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ) (سوره التوبه: ۱۰۰).

۳- فى الدرّ المنثور ۸: ۳۳۷: عن عمرو بن دينار قال: سمعت عبد الله بن الزبير يقرأ: فى جنّات ... قال عمرو: أخبرنى لقيط قال: سمعت ابن زبير قال: سمعت عمر بن الخطّاب يقرؤها كذلك.

۴- قال السيوطى فى الدرّ المنثور ۵: ۵۳: وأخرج ابن الأنبارى فى المصاحف، عن عمر بن الخطّاب أنّه قرأ: (وإن كاد مكرهم لتزول منه الجبال)، يعنى بالدال، ورواه فى كنز العمال ۲: ۲۵۳ / ح ۴۸۱۷ عن أبى عبيده (ص وابن جرير وابن المنذر وابن الأنبارى فى المصاحف).

وهذا الفهم وهذه القراءه لم يأخذ بهما المسلمون، وإن كان مصدرهما الخليفه الثانى، لأنّ فيهما مخالفه صريحه للمشهور الذى عرفوه عن رسول الله والمتناقل عندهم، بل فى تناقل هكذا نصوص خطر على النصّ المقدّس، أعنى القرآن الكريم.

بلى، إنّهم كانوا يريدون سلب فضيله جمع القرآن عن أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام وإعطاءه لآخرين، ولو أدّى ذلك لتعريض الكتاب العزيز للمساءَله، أو أدّى إلى أن يكون ذلك على حساب التقليل والنيل من حجّيته.

فالقولُ بحجّيه القرآن بالبيّنه والشهود يعارض القول بحجيّته بالتواتر، والقولُ بجمعه بيد وصىّ محمّدٍ المعصوم أولى من القول بجمعه بيد شخص غير معصومٍ، والقول بجمعه فى زمن رسول الله صلى الله عليه و آله خيرٌ من القول بجمعه بعد عِقدَين من الزمن وفى أيّام الفتنه على وجه التحديد.

فالمسلم لو أراد أن يعطى الحجيّه التامه لهذا القرآن المجيد للزمه الإيمان بما تقول به مدرسه أهل البيت والابتعاد عن الرأى المشهور عند مدرسه الخلافه، لأنّه يؤدى الى توالٍ فاسده ويسىء إلى قدسيّه النبىّ صلى الله عليه و آله والقرآن العزيز.

إذن المسلمون لم يتعبدوا بحرف زيد بن ثابت، بل أنّ التعدديه التى شرعت - من خلال الأحرف السبعه - على عهد عمر بن الخطاب قد كثّرت القراءات من بعد عثمان أيضاً حتّى جاء العلماء فاختاروا من بينها سبعه أو عشره أو أربعه عشر قراءه، فإنّ طرح هكذا أفكار مسيئه للإسلام دعا الأئمّه من أهل البيت وخيار الصحابه لتصحيحها أو تكذيبها، وأنّ القول بتلك الأقوال هو ممّا يُجرّئُ أعداء الدين على المساس بالثقل الأكبر وأوّل أُصول التشريع الإسلامى.

إنّ محاولات مدرسه الخلافه - كما قلنا - لم تفلح، بل باءت بالفشل، وبقى القرآن محفوظاً مصوناً بلطف الله وفضله، وبفضل اقراء رسول الله امته القرآن على مكث، وبجهود أئمه أهل البيت، رغم كلّ الملابسات والأُطروحات السياسيّه الخاطئه.

وعليه، فإنّ مصاحف الصحابه كانت آنذاك موجوده وناقصهً، باعتبار استمرار نزول الوحى على رسول الله صلى الله عليه و آله ، لكنّها كانت تامّهً فى وقتها وحينها، وإنّ الصحابه كانوا يحفظون تلك السور ويقرؤون بها فى صلواتهم، حتّى صارت أناجيلهم صدورهم.

وحريٌّ بالكتاب العزيز أن يكون مشهوراً ومعروفاً عند المسلمين آنذاك، فإنّهم كانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وبلدانهم أو أكثر، وإنّ أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام كان قد اهتم بجمعه بوصيّهٍ من رسول الله، طبقاً للمحفوظ خَلْفَ فراشه صلى الله عليه و آله ((۱)).

وقوع التحريف فى القرآن حقيقه أم خيال؟

وعليه، فالقرآن بمتنه واحدٌ - مجمَعٌ عليه - عند جميع المسلمين، فلا ترى مسلماً يختلف مع غيره فى حجيه المصحف الموجود اليوم، سواءٌ كان ستيّاً أو شيعيّاً، ناصبياً أو رافضياً أباضيّاً أو علويّاً، وهابياً أو حلولياً.

۱- تفسير القمى ۲: ۴۵۱ عن أبى عبد الله عليه السلام .

فوجود رواياتٍ تشكّك فی هذا القرآن زيادةً ((١)) أو نقيصةً ((٢)) لا يؤخـذ بها، وهی أخبار لا يُعتمَد عليها وقد رويت من قبل الحشويّه من أهل الحديث، وهی منكره ومتروكه عند الفريقين ولا يؤخذ بها.

وإنّ محاولات الزياده والنقيصه فی القرآن بَقِيَتْ غير ناجعه، وبقی المصحف

١- كزيـاده سورتی الخلع والحفـد، والّتی كـان يقرأ بهـا عمر بن الخطاب وابن مسعود وعلیّ وأُبیّ بن كعب وعثمان وغيرهم فی القنوت. اُنظر: مصنّف ابن أبی شيبه ٢: ٩٥ / ح ٦٨٩٣، ١٠٦ / ح ٧٠٢٧، ٧٠٢٨، ٧٠٢٩، ٧٠٣٢، الإتقان ١: ١٧٦ / ح ٨٣٢.

٢- فی المصنّف لعبد الرزّاق ٧: ٣٣٠ / ح ١٣٣٦٤، والدرّ المنثور ٦: ٥٥٨ عن ابن عبـاس، قال: أمر عمر بن الخطاب منادياً، فنادی أنّ الصـلاه جـامعه، ثمّ صـعد المنبر، فحمـد الله وأثنی عليه، ثمّ قـال: يـا أيّهـا الناس، لا تجزعنّ من آيه الرجم، فإنّها آيهٌ نزلت فی كتاب الله وقرأناها، ولكنّها ذهبت فی قرآنٍ كثيرٍ ذهب مع محمّـد. وعن عمر قال: قال رسول الله: القرآن ألف ألف حرف وسـبعه وعشـرون ألف حرف، فمن قرأه صـابراً محتسـباً فله بكلّ حرفٍ زوجه من الحورالعين (المعجم الأوسط ٦: ٣٦١ / ح ٦٦١٦، الدرّ المنثور ٨: ٦٩٩). وعن حـذيفه قال: قال لی عمر بن الخطّاب: كم تعـدّون سوره الأحزاب؟ قلت: اثنتين أو ثلاثاً وسـبعين، قال: إن كـانت لتقارب سوره البقره، وإن كان فيها لآيه الرجم (الـدرّ المنثور ٦: ٥٥٩، فتح القدير ٤: ٢٥٩). وعن حذيفه قال: الّتی تسمّون سوره التوبه هی سوره العـذاب، وما تقرؤون منها ممّا كنّا نقرأ إلّا ربعها (المعجم الأوسط ٢: ٨٦ / ح ١٣٣٠، مجمع الزوائد ٧: ٢٨، مستدرك الحاكم ٢: ٣٦١ / ح ٣٢٧٤، صحيح الإسناد ولم يخرجّاه). وأمثال هكذا روايات كثير.

الموجود بين أيـدينا الحجه على جميع المسـلمين، وإنّه حسب نظرنـا مصـحف النبىّ صـلى الله عليه و آله وبترتيبه، لا ما قالوه بأنّه مصحف عثمان وزيد المزعوم (۱) وقد رتب باجتهاد منه.

فهم قد جدّوا أن ينسبوا هذا المصـحف إلى عثمان متناسين - أو مقللين - دور رسول الله صلى الله عليه و آله والصحابه فيه، وإنّ عملهم هـذا هو من الغلوّ والتطرّف فى الخلفـاء الثلاث والرفع بشأنهم فوق مقام وشأن رسول الله الـذى علّمنا الكتاب وأقرأنا آياته (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَهَ) و(لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ) وإن ما قالوا فى زيد لا يرتضيه أىّ مسلم لانه استنقاص برسول الله والصـحابه، فاستمع لمـا يقوله كبـار علمـاء الإمـاميّه فى عصـرنا الحـالى - ألا ـ وهو الإمام الخوئى رحمه الله - فى دفاعه عن هـذا القرآن، وجوابه عن دعوى وقـوع التحريـف من قبـل أبى بكر وعمر وعثمـان، أذكره بنصّه كى تعرف موقف علمـاء الشـيعه من القرآن:

دعوى وقوع التحريف من الخلفاء وبطلانه

الـدليل الخامس: أنّ القائل بالتحريف إمّا أن يدّعى وقوعه من الشـيخين بعد وفاه النبىّ صـلى الله عليه و آله ، وإمّا من عثمان بعد انتهاء الأمر إليه، وإمّا من شخصٍ آخر بعد انتهاء الدور الأوّل من الخلافه، وجميع هذه الدعاوى باطله.

أما دعوى وقوع التحريف من أبى بكر وعمر: فيبطلها أنّهما فى هذا التحريف

۱- فى البرهان ۱: ۳۱۵ النوع الحادى عشر الأحرف السـبعه قال أبو عمر: وهذا كلّه يدل على أنّ السـبعه الأحرف التى أُشير إليها فى الحديث ليس بأيدى الناس منها إلّا حرف زيد بن ثابت الذى جمع عثمان عليه المصاحف (أنظر: التمهيد ۸۸: ۲۹۲).

إما أن يكونا غير عامدين، وإنّما صدر عنهما من جهه عدم وصول القرآن إليهما بتمامه، لأنّه لم يكن مجموعاً قبل ذلك.

وإمّا أن يكونا متعمِّدَيْن فى هذا التحريف، وإذا كانا عامدين، فإمّا أن يكون التحريف الّذى وقع منهما فى آياتٍ تمسّ بزعامتهما، وإمّا أن يكون فى آياتٍ ليس لها تعلّق بذلك، فالاحتمالات المتصوّره ثلاثه:

أمّا احتمال عدم وصول القرآن إليهما بتمامه، فهو ساقطٌ قطعاً، فإنّ اهتمام النبىّ صلى الله عليه و آله بأمر القرآن؛ بحفظه وقراءته وترتيل آياته، واهتمام الصحابه بذلك فى عهد رسول الله صلى الله عليه و آله وبعد وفاته، يورث القطع بكون القرآن محفوظاً عندهم، جمعاً أو متفرِّقاً، حفظاً فى الصدور أو تدويناً فى القراطيس. وقد اهتمّوا بحفظ أشعار الجاهليّه وخُطَبها، فكيف لا يهتمّون بأمر الكتاب العزيز الّذى عرَّضوا أنفسهم للقتل فى دعوته وإعلان أحكامه، وهجروا فى سبيله أوطانهم، وبذلوا أموالهم، وأعرضوا عن نسائهم وأطفالهم، ووقفوا المواقف الّتى بَيَّضُوا بها وجه التاريخ؟!

وهل يحتمل عاقلٌ مع ذلك كلّه عدم اعتنائهم بالقرآن حتَّى يضيع بين الناس، وحتَّى يُحتاج فى إثباته إلى شهاده شاهدين؟ وهل هذا إلّا كاحتمال الزياده فى القرآن، بل كاحتمال عدم بقاء شىءٍ من القرآن المنزل؟ على أنّ روايات الثقلين المتظافره دالّه على بطلان هذا الاحتمال، فإنّ قوله صلى الله عليه و آله : «إنّى تاركٌ فيكم الثقلَين؛ كتاب الله وعترتى»، لا يصحّ إذا كان بعض القرآن ضائعاً فى عصره، فإنّ المتروك حينئذٍ يكون بعض الكتاب لا جميعه، بل وفى هذه الروايات دلالهٌ صريحه على تدوين القرآن وجمعه فى زمان النبىّ صلى الله عليه و آله ؛ لأنّ الكتاب لا يَصْدُقُ

على مجموع المتفرِّقات، ولا على المحفوظ فى الصدور.

وإذا سُلِّم عدم اهتمام المسلمين بجمع القرآن على عهده صلى الله عليه و آله ، فلماذا لم يهتمَّ بذلك النبىّ بنفسه مع اهتمامه الشديد بأمر القرآن؟ فهل كان غافلاً عن نتائج هذا الإغفال، أو كان غير متمكِّنٍ من الجمع لعدم تهيّؤ الوسائل عنده؟! ومن الواضح بطلان جميع ذلك.

وأما احتمال تحريف الشيخين للقرآن – عمداً – فى الآيات الّتى لا تمسّ بزعامتهما وزعامه أصحابهما، فهو بعيدٌ فى نفسه، إذ لا غرض لهما فى ذلك، على أنّ ذلك مقطوعٌ بعدمه، وكيف يمكن وقوع التحريف منهما مع أنّ الخلافه كانت مبتنيةً على السياسه وإظهار الاهتمام بأمر الدين؟ وهلّا احتجّ بذلك أحد الممتنعين عن بيعتهما والمعترضين على أبى بكر فى أمر الخلافه، كسعد بن عباده وأصحابه؟ وهلّا ذكر ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فى خطبته الشقشقيّه المعروفه، أو فى غيرها من كلماته الّتى اعترض بها على من تقدَّمه؟ ولا يمكن دعوى اعتراض المسلمين عليهما بذلك واختفاء ذلك عنّا، فإنّ هذه الدعوى واضحه البطلان.

وأما احتمال وقوع التحريف من الشيخَين – عمداً – فى آياتٍ تمسّ بزعامتهما، فهو أيضاً مقطوعٌ بعدمه، فإنّ أمير المؤمنين وزوجته الصدّيقه الطاهره وجماعه من أصحابه قد عارضوا الشيخين فى أمر الخلافه، واحتجّوا عليهما بما سمعوا من النبىّ صلى الله عليه و آله ، واستشهدوا على ذلك مَن شهد من المهاجرين والأنصار، واحتجّوا عليه بحديث الغدير وغيره. وقد ذُكر فى كتاب الاحتجاج: احتجاج اثنى عشر رجلاً على أبى بكر فى الخلافه، وذكروا له النصَّ فيها. وقد

عقد العلّامه المجلسیّ باباً لاحتجاج أمیر المؤمنین فی أمر الخلافه، ولو کان فی القرآن شیءٌ یمسّ زعامتهم لکان أحقّ بالذکر فی مقام الاحتجاج، وأحری بالاستشهاد علیه من جمیع المسلمین، ولا سیّما أنّ أمر الخلافه کان قبل جمع القرآن علی زعمهم بکثیر، ففی ترک الصحابه ذکر ذلک فی أوّل أمر الخلافه وبعد انتهائها إلی علیٍّ علیه السلام دلاله قطعیّه علی عدم التحریف المذکور.

وأما احتمال وقوع التحریف من عثمان، فهو أبعد من الدَّعوی الأُولی:

۱ - لأنّ الإسلام قد انتشر فی زمان عثمان علی نحوٍ لیس فی إمکان عثمان أن ینقص من القرآن شیئاً، ولا فی إمکان مَن هو أکبر شأناً من عثمان.

۲ - ولأنّ تحریفه إن کان للآیات الّتی لا ترجع إلی الولایه ولا تمسّ زعامه سلفه بشیء، فهو بغیر سببٍ موجب، وإن کان للآیات الّتی ترجع إلی شیءٍ من ذلک فهو مقطوع بعدمه، لأنّ القرآن لو اشتمل علی شیءٍ من ذلک وانتشر بین الناس لَما وصلت الخلافه إلی عثمان.

۳ - ولأنّه لو کان محرِّفاً للقرآن، لکان فی ذلک أوضح حجَّه وأکبر عذر لقتله عثمان فی قتله عَلَناً، ولَما احتاجوا فی الاحتجاج علی ذلک إلی مخالفته لسیره الشیخین فی بیت مال المسلمین، وإلی ما سوی ذلک من الحجج.

۴ - ولکان من الواجب علی علیٍّ علیه السلام بعد عثمان أن یردّ القرآن إلی أصله، الّذی کان یقرأ به فی زمن النبیّ صلی الله علیه و آله وزمان الشیخین، ولم یکن علیه فی ذلک شیءٌ یُنْتَقَد به، بل ولکان ذلک أبلغ أثراً فی مقصوده وأظهر لحجّته علی الثائرین بدم عثمان، ولا سیّما أنّه علیه السلام قد أمر بإرجاع القطائع الّتی أقطعها عثمان ...

هـذا أَمْرُ عليٍّ عليه السلام فى الأموال، فكيف يكون أمره فى القرآن لو كان محرَّفاً؟! فيكون إمضاؤه للقرآن الموجود فى عصره دليلاً على عدم وقوع التحريف فيه.

وأمّا دعوى وقوع التحريف بعد زمان الخلفاء، فلم يَدَّعها أحدٌ فيما نعلم، غير أنّها نُسبت إلى بعض القائلين بالتحريف، فادَّعى أنّ الحجّاج لمّا قام بنصره بنى أُميّه أسقط من القرآن آياتٍ كثيره كانت قد نزلت فيهم، وزاد فيه ما لم يكن منه، وكتب مصاحف وبعثها إلى مصر والشام والحرمين والبصره والكوفه، وأنّ القرآن الموجود اليوم مطابقٌ لتلك المصاحف، وأمّا المصاحف الأُخرى فقد جمعها ولم يُبْقِ منها شيئاً ولا نسخةً واحده.

وهذه الدعوى تشبه هذيان المحمومين وخرافات المجانين والأطفال، فإنّ الحجّاج واحد من وُلاه بنى أُميّه، وهو أقصر باعاً وأصغر قدراً من أن ينال القرآن بشىء، بل وهو أعجز من أن يغيّر شيئاً من الفروع الإسلاميه، فكيف يغيّر ما هو أساس الدين وقوام الشريعه؟! ومن أين له القدره والنفوذ فى جميع ممالك الإسلام وغيرها مع انتشار القرآن فيها؟! وكيف لم يذكر هذا الخَطْبَ العظيم مؤرِّخٌ فى تاريخه ولا ناقدٌ فى نقده، مع ما فيه من الأهمّيّه وكثره الدواعى إلى نقله، وكيف لم يتعرَّض لنقله واحدٌ من المسلمين فى وقته، وكيف أغضى المسلمون عن هذا العمل بعد انقضاء عهد الحجّاج وانتهاء سلطته؟!

وهبْ أنّه تمكّن من جمع نُسَخ المصاحف جميعها، ولم تشذَّ عن قدرته نسخةٌ واحده من أقطار المسلمين المتباعده، فهل تمكّن من إزالته عن صدور المسلمين وقلوب حفَظَه القرآن؟! وعددهم فى ذلك الوقت لا يحصيه إلّا الله.

على أنّ القرآن لو كان فى بعض آياته شىءٌ يمسُّ بنى أُميّه، لاهتمّ معاويه

بإسقاطه قبل زمان الحجّاج، وهو أشدّ منه قدرةً وأعظم نفوذاً، ولاستدلّ به أصحابُ عليٍّ عليه السلام على معاويه، كما احتجّوا عليه بما حفظه التاريخ وكتب الحديث والكلام.

وبما قدمناه للقارئ، يتّضح له أنّ مَن يدّعى التحريف يخالف بداهه العقل، وقد قيل فى المثل: حَدِّث الرجل بما لا يليق، فإن صدّق فهو ليس بعاقل (۱) – انتهى كلام السيد الخوئى.

إذن، فالقرآن الموجود بين أيدينا هو قرآنٌ معصوم، وقد أخذه الصادق الأمين المعصوم (محمد بن عبد الله) عن جبرئيل الأمين المعصوم (إقْرَأ)، وهما كانا يضبطان آياته وسوره فى شهر رمضان من كلِّ عام، وإنّ رسول الله صلى الله عليه و آله كان قد أمر من قبل البارى بتعليم المسلمين الكتاب العزيز (ويُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ) وقد عيّن بالفعل جماعه من أصحابه يقرؤون الناس وقد وقفت على أسماء بعضهم، وفوق كل ذلك قد علّم رسول الله أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام التنزيل والتأويل والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه وقد أخذه عليه السلام من (فيه ليده) ((۲)).

نعم أنّ عثمان سعى أن يجمع المسلمين على قراءهٍ واحدهٍ بعد اختلافهم فيها ((۳)).

أو قل: بأنّ الأُمّه ألزمت الخلفاء بالرجوع إلى ما أجمع عليه المسلمون على عهد

۱- البيان فى تفسير القرآن: ۲۱۹ – ۲۲۰.

۲- بحار الأنوار ۴۱: ۱۸۱ / ح ۱۷ – عن: كنز جامع الفوائد.

۳- على أثر تفسيرهم الخاطئ للأحرف السبعه وتشريعهم للقراءات المتعدّده فى عهد أبى بكر عمر بن الخطاب.

رسول الله صلی الله علیه و آله .

أجل، إنّ أمیر المؤمنین علیّاً وأولاده المعصومین علیهم السلام قد تمسّکوا بهذا القرآن، ورضوا بتحکیمه فی واقعه صفّین، واستشهدوا بآیاته فی احتجاجاتهم مع الخلفاء وغیرهم، فلو کان هذا القرآن محرَّفاً أو ناقصاً عندهم علیهم السلام لما قَبِلوا بالقرآن المحرّف أو الناقص ولما صار حجه فی الاستدلال عندهم.

نعم، إنّ منهج الخلفاء الخاطئ کاد یوصل الأمه إلی القول بتحریف القرآن، لکن إراده الله من خلال الأئمّه وإجماع الأُمّه صانت الذکر العزیز من التحریف.

وعلیه، فالقرآن الموجود بین أیدینا هو قرآن الله عزّ وجلّ، وقرآن محمّدٍ صلی الله علیه و آله ، وقرآن علیٍّ علیه السلام ، وقرآن جمیع الصحابه، فلا یصحّ ما یقال بأنّه قرآن عثمان وقرآن زید بن ثابت فقط - دون غیرهما - إذ أجمع الصحابه علیه، فالصحابه أجمعوا علی ما اجمع علیه الناس منذ عهد رسول الله صلی الله علیه و آله وقرؤوا به، وجرت السیره علی الأخذ به واعتماده فی کلّ العصور رغم کلّ الصعاب، فهو لیس ما جمعه عثمان وزید بن ثابت، بل إنّهما جمعا وأقرّا ما تواترت علیه الأُمّه بعد مخاضٍ عسیرٍ مرّ به تاریخ جمع القرآن وإدخال شیء من القراءات الشاذه فیه.

کما إنّک ستقف فی هذه الدراسه أیضاً علی کیفیّه استغلال الخلفاء الثلاث وبعدهم معاویه لأسماء کبار الصحابه أمثال أبی بن کعب ومخالفتهم مع أمیر المؤمنین علی علی وجه الخصوص.

فإن صمود هؤلاء الصحابه أمام منهج الخلفاء هو الّذی وقف أمام إقرار مصحف الشیخین إماماً للمسلمین فی عهدهما، حتّی جاء عثمان ورضخ لقرار الأُمّه فأقرّ مصحفه لأنه وافق مصحف المسلمین وما عرفوه علی عهد رسول الله.

فمدرسه الخلافه كانت تريد سلب فضيله جمع القرآن من الإمام علىّ بن أبى طالب عليه السلام بأىِّ شكل كان، وإن كان على حساب الخدش فى القرآن نفسه، لكنّ إراده الله حالت بينهم وبين مبتغاهم، فبقى القرآن محفوظاً مصوناً كما قال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) ((۱)) لأن الناس كانوا قد تلقوه من رسول الله على مكث، وأن رسول الله كان يضبطه لهم – قراءه وعرضا – بين الحين والآخر.

وعليه، فجمع القرآن حسبما قالوه لم تكن فضيله للخلفاء، بل قد يمكن اعتبارها مثلبه لهم حسبما سيتضح لك، وذلك لفتحهم المجال أمام المغرضين وأصحاب الأهواء لإدخال ما ليس من الدين فى الدين باسم القراءات وأمثالها.

وعليه فنحن قد أخذنا القرآن من يد الأئمّه من أهل البيت وعلى رأسهم أمير المؤمنين على بن أبى طالب لا من يد الخلفاء وأن حجيته جاءت عندنا من قبلهم، وهم حُجّه الله على أرضه وحفَظَه دينه والمرجع فى كلّ الأمور، ولولاهم لما حصلت القناعه بما تنقله مدرسه الخلافه فى حجيّه القرآن، وان اقرار الائمه فى العصور المتأخره يؤكد حجيته ومشروعيته عندنا، هذا ما عندنا وعلى الآخرين أن يثبتوا حجيته ومشروعيته عندهم.

أترك القارئ الكريم ليواصل معنا البحث فى تاريخ القرآن الحكيم فى مراحله الأربع:

۱- سوره الحِجر: ۹.

تاریخ القرآن الحکیم فی مراحله الأربع

اشاره

مرّ تاریخ الذکر الحکیم بعدّه مراحل:

الأُولی: التنزیل.

الثانیه: الترتیب.

الثالثه: الجمع والتألیف.

الرابعه: توحید المصاحف.

ص:۱۴۹

۱ – التنزیل:

اشاره

اشتهر بین الأعلام نزول القرآن الکریم علی مرحلتین:

المرحله الأُولی: إنزاله الدفعیّ جملهً واحدهً من اللّوح المحفوظ إلی البیت المعمور أو إلی بیت العزّه فی سماء الدنیا، أو علی قلب النبیّ محمّـد صلی الله علیه و آله جملهً، لقوله تعالی: (وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْ-مُنذِرِينَ) ((۱))، وذلک فی شهر رمضان فی لیله القدر، ثمّ نزوله منجّماً علی رسول الله صلی الله علیه و آله طوال عشرین عاماً أو ثلاثهً وعشرین - حسب اختلاف العلماء فی مدّه إقامته صلی الله علیه و آله بمکّه؛ عشر سنوات أو ثلاث عشره سنه، أمّا إقامته فی المدینه فعشر سنین بالاتّفاق -.

فقد روی الکلینیّ فی (الکافی)، عن حفص بن غیاث، عن أبی عبد الله علیه السلام ، قال: سألتُه عن قول الله تعالی: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ) ((۲))، وإنّما نزل فی عشرین سنه بین أوّله وآخره.فقال أبو عبد الله علیه السلام : «نزل القرآن جملهً واحدهً فی شهر رمضان إلی البیت المعمور، ثمّ نزل فی طول عشرین سنه»، ثمّ قال: «قال النبیّ صلی الله علیه و آله :

۱- سوره الشعراء: ۱۹۲ - ۱۹۴.

۲- سوره البقره: ۱۸۵.

نزلت صُحُف إبراهيم فى أوّل ليلهٍ من شهر رمضان، وأُنزِلت التوراه لستٍّ مضين من شهر رمضان، وأُنزل الإنجيل لثلاث عَشْرَهَ ليلهً خلَت من شهر رمضان، وأُنزل الزّبور لثمان عشرهَ خلَون من شهر رمضان، وأُنزل القرآن فى ليله ثلاثٍ وعشرين من شهر رمضان» ((١)).

وعن مقسم، قال: سأل عطيّهُ بن الأسود ابنَ عبّاس فقال: إنّه وقع فى قلبى الشكُّ فى قوله تعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) ((٢))، وقولِه: (إِنَّا أنزَلْنَاهُ فِى لَيْلَهِ الْقَدْرِ) ((٣))، وقوله: (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِى لَيْلهٍ مُبَارَكَهٍ) ((۴))، وقد أُنزل فى شوّال وذى القعده وذى الحجّه والمحرّم وشهر ربيع الأوّل!

فقال ابن عباس: فى رمضان وفى ليله القدر وفى ليلهٍ مباركهٍ جملهً واحده، ثم أُنزل على مواقع النجوم مرسَلاً فى الشهور والأيّام ((۵)).

وذكر أبو بكر الانبارى فى كتاب (الرد): أن الله تعالى أنزل القرآن جمله إلى سماء الدنيا، ثم فرق على النبى فى عشرين سنه، وكانت السوره تنزل فى أمر محدث والآيه جواباً لمستخبر يسأل، ويوقف جبرئيل ورسول الله على موضع السوره والآيه ... ((۶)).

١- الكافى ٢: ۶٢٩ / ح ۶. وانظر تفسير مجمع البيان فى ذيل سوره القدر عن ابن عباس أيضاً.

٢- سوره البقره: ١٨۵.

٣- سوره الدخان: ٣.

۴- سوره البقره: ١٨۵.

۵- تفسير ابن أبى حاتم ١: ٣١١ / ح ١۶۵٠، تفسير الطبرى ٢: ١۴۶، الدرّ المنثور ١: ۴۵۶.

۶- الجامع لاحكام القرآن ١: ۶٠.

وفی القرآن الکریم آیاتٌ کثیره تدلّ علی إنزاله الدفعیّ، منها قوله سبحانه: (إِنَّا أنزَلْنَاهُ فِی لَیْلَهِ الْقَدْرِ) ((۱))، وقوله تعالی: (وَهذَا کِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَکٌ مُصَدِّقُ الَّذِی بَیْنَ یَدَیْهِ) ((۲))، وقوله عزّ وجل: (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِی لَیْلَهٍ مُبَارَکَهٍ إِنَّا کُنَّا مُنذِرِینَ) ((۳))، وقوله: (وَبِالْ-حَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبالْ-حَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاکَ إِلّا مُبَشِّراً وَنَذِیراً) ((۴))، وقوله: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ هُدیً لِلنَّاسِ) ((۵))، وقوله: (وَإِنَّهُ لَتَنزِیلُ رَبِّ الْعَالَمِینَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِینُ * عَلَی قَلْبِکَ لِتَکُونَ مِنَ الْ-مُنذِرِینَ) ((۶))، ونظائرها کثیرٌ فی القرآن الکریم.

ویمکننا أن نسمّی هذه المرحله من الإنزال بمرحله جمع الإنزال الکلّی للقرآن ((۷))، وقد یسمی بالإنزال الایحائی مقابل الإنزال الإقرائی، وهذا الإنزال قد

۱- سوره القدر: ۱.

۲- سوره الأنعام: ۹۲.

۳- سوره الدخان: ۳.

۴- سوره الإسراء: ۱۰۵.

۵- سوره البقره: ۱۸۵.

۶- سوره الشعراء: ۱۹۳ - ۱۹۴.

۷- الجمع یأتی عموماً علی أربعه معانٍ: الأوّل: الحفظ، ومنه قوله تعالی: (إِنَّ عَلَیْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ)، ویقال للحفّاظ: جمّاع القرآن. الثانی: الجمع فی مکانٍ واحد، سواءً کان مرتّباً أم غیر مرتّب، وذلک قبل حصره ما بین الدفّتین. الثالث: الجمع مرتّباً منظّماً محصوراً ما بین اللّوحین، وهو ما یسمّی الیوم بالمصحف. الرابع: جمع الناس علی قراءهٍ واحدهٍ ومصحفٍ واحد.

تکرّر مرّتین، مرّه إلی البیت المعمور وأُخری علی صدر النبیّ محمّد صلی الله علیه و آله لقوله: (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِینُ * عَلَی قَلْبِکَ) ((۱)).

وللفخر الرازی کلام آخر، وهو: أنّ القرآن نزل إلی السماء الدنیا فی عشرین لیله قدر أو ثلاثٍ وعشرین أو خمسٍ وعشرین، فی کلّ لیلهٍ ما یقدِّر الله إنزاله فی کلّ السنه، ثم نزل بعد ذلک منجّماً فی جمیع السنه. ثمّ أضاف بالقول: یحتمل أنّه کان ینزل فی کلّ لیله قدرٍ ما یحتاج الناس إلی إنزاله إلی مثلها من اللّوح إلی السماء الدنیا ((۲)).

وهناک قولٌ ثالث للشعبی، وهو: أنّه ابتدأ إنزاله فی لیله القدر، ثمّ نزل بعد ذلک منجّماً فی أوقاتٍ مختلفهٍ من سائر الأوقات ((۳)). وهناک أقوال أُخَر نترکها خوفاً من الاطاله.

المرحله الثانیه: النزول التدریجیّ علی ما قضت به حکمه الباریٔ وفْق الحاجه والأحداث والمبرّرات؛ لأنّه جلّ وعلا أنزله جملهً واحده إلی السماء الدنیا، ثمّ فرّق تنزیله منجّماً علی رسوله صلی الله علیه و آله ؛ سورهً سوره، کما فی سوره الأنعام وأمثالها الّتی نزلت دفعهً أو نزولها آیهً آیه، أو خمس آیات أو أکثر من ذلک أو أقل.

قال الطیّبی: أُنزل القرآن أوّلاً جملهً واحدهً من اللّوح المحفوظ إلی السماء الدنیا، ثمّ نزل مفرّقاً علی حسب المصالح، ثمّ أُثبت فی المصاحف علی التألیف والنظم المثبت

۱- سوره الشعراء: ۱۹۳ - ۱۹۴.

۲- أُنظر تفسیره ۳۲: ۲۹، والاتقان ۱: ۱۱۸ / ح ۵۰۱، والنص منه.

۳- أُنظر: الإتقان ۱: ۱۱۹ / ح ۵۰۴.

فی اللوح المحفوظ ((۱)).

وممّا یـدلّ علی النزول التدریجیّ قوله سبحانه: (لَا تُحَرِّکْ بِهِ لِسَانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَیْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) ((۲))، وقوله عزّ وجلّ: (وَإِن مِّن شَیْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُوم) ((۳))، وقوله عزّ من قائـل: (وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلَی مُکْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِیلًا) ((۴))، وقوله: (الر کِتَابٌ أُحْکِمَتْ آیَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَدُنْ حَکِیم خَبِیرٍ) ((۵))، وقوله: (وَقَالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَـةً وَاحِدَةً کَذٰلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَکَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِیلًا * وَلَا یَأْتُونَکَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاکَ بِالْـحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِیراً) ((۶))، وقوله: (وَلَاتَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن یُقْضَی إِلَیْکَ وَحْیُهُ وَقُل رَبِّ زِدْنِی عِلْماً) ((۷))، وقوله: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَیْکَ الْقُرْآنَ تَنزِیلًا) ((۸))، ونظائرها کثیرٌ فی القرآن المجید.

فإنّ قوله تعالی: (وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن یُقْضَی إِلَیْکَ وَحْیُهُ وَقُل رَبِّ زِدْنِی

۱- الإتقان للسیوطی ۱: ۱۷۱ / ح ۸۱۱.

۲- سوره القیامه: ۱۶ و۱۷.

۳- سوره الحِجر:۲۱.

۴- سوره الإسراء: ۱۰۶.

۵- سوره هود: ۱.

۶- سوره الفرقان: ۳۲.

۷- سوره طه: ۱۱۴.

۸- سوره الإنسان: ۲۳.

عِلْماً)، وقوله تعالی: (لَا تُحَرِّکْ بِهِ لِسَانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ)، فیهما إشارهٌ إلی علم النبیّ بالقرآن سابقاً، إذ أنّ الله سبحانه قد نهاه عن العجله بقراءَته قبل أن یتمّ إقراره ووحیه من قبل الله – علی أنه قرآن بواسطه ملک الوحی ((۱)) –، بل علیه الصبر والأناه وانتظار أمر الباری حتّی یقرّه للمسلمین حسب المصلحه وقت الحاجه ((۲))، (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ).

وهذا الإنزال یسمی بالإنزال الإقرائی قبال الإنزال الایحائی الذی سبقه فی لیله القدر.

ما الفائده فی النزول التدریجی للقرآن؟

من المعلوم بأن الکتب السماویه کانت تنزل جمله واحده وهو رأی غالب المحققین، وإن کان هناک من قال بغیر ذلک، لکنّه رأی نادر، وقد تعرض له السیوطی فی الإتقان، فالسؤال: ما الفائده من اختلاف المنهج فی نزول رسالات السماء، فغالبها نزلت جمله واحده بخلاف ما نزل علی النبی محمّد، أو قل لماذا اختصّت رساله النبی محمد بالنزول الدفعی والتدریجی معاً.

ذکروا فی ذلک عده فوائد:

أحدها: لتثبیت فؤاد النبی محمد (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً

۱- اُنظر: تفسیر المیزان ۱۴: ۲۱۴.

۲- مجمع البیان ۷: ۵۹ – ۶۰.

وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ) ((۱)). وقوله: (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْ-مُنذِرِينَ).

ثانيها: لكى تحفظ الأمه القرآن وتدرك معانيه بالتدريج لقوله تعالى: (وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ) ((۲)).

ثالثها: انّ النزول الـدفعى قـد لا يسـمح للناس استيعاب معانى القرآن كاملاً وتنفيذ أحكامه، فقد يتملص من تنفيذها، ولأجل هذا نزلت الاحكام الشرعيه تدريجياً.

فالعربى الذى أنس بالخمر لا يمكنه أن يتركها دفعه واحده، فاستدرج البارى فى بيان حكمه شيئاً فشيئاً، فقيل بأن أول ما نزل هو قوله تعالى: (وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا) ((۳)).

ثم قوله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْ-خَمْرِ وَالْ-مَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا) ((۴)).

وثالثه: قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ) ((۵)).

۱- سوره الفرقان: ۳۲.

۲- سوره الإسراء: ۱۰۶.

۳- سوره النحل: ۶۷.

۴- سوره البقره: ۲۱۹.

۵- سوره النساء: ۴۳.

ورابعه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِى الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ)((۱)).

ومما يؤيد لزوم استيعاب الأمه لأحكام القرآن شيئاً فشيئاً بل لزوم التطابق بين ترتيب النازل نجوماً مع النازل من اللوح المحفوظ دفعه واحده هو عدم مشاهدتنا تأليف القرآن من قبل الله تعالى طبقاً للنزول ، بل ألف طبقاً لترتيب نزوله من اللوح المحفوظ دفعه واحده وفقاً للاحداث والمقتضيات التى لا نعلمها.

وبذلك يختلف ترتيب (قرآن) التلاوه عن ترتيب النزول كما سيتضح لك لاحقاً((۲))، كما ستعرف بأنّ الفائده المرجوه من النزول التدريجى مضافاً الى تثبيت فؤاد النبى محمد هو صيانه القرآن من التحريف وذلك لإقرائهم صلى الله عليه و آله القرآن على مكث.

۱- سوره المائده: ۹۰ - ۹۱.

۲- سنثبت لاحقاً بأنّ للإمام على مصحفاً آخر دُوّن بترتيب آخر لغرض آخر حسب تعبير الآلوسى وغيره، وهو ليس بقرآن تلاوه وذكر، بل هو قرآن علم وتاريخ وفيه كلّ شيء.

ص:۱۵۹

۲ – الترتیب:

اشاره

اختلف الباحثون فی ترتیب سور القرآن وآیاته، هل جمیعه توقیفیّ، أم أنّ ترتیب الآیات فی السور یختلف عن ترتیب السور نفسها، فالأوّل توقیفیّ والثانی مختلَفٌ فیه؟

فبعضهم ذهب إلی توقیفیّه السور، وآخرون إلی أنّها من اجتهادات الصحابه، ورأیٌ ثالث ذهب إلی رأیٍ وسط، وهو توقیفیه الترتیب فی جمیع السور إلّا براءه والأنفال ((۱))، ومثله الأمر بالنسبه إلی ترتیب الآیات فی السور.

وقد استدلّوا علی توقیفیّه الآیات لأنها کانت تحت إشراف رسول الله بأحادیث، منها: حدیث زید بن ثابت: کنّا عند رسول الله صلی الله علیه و آله نؤلّف القرآن من الرقاع ((۲)).

وما أخرجه الترمذیّ وأحمد وأبو داوود والنسائیّ عن ابن عبّاس، قال: قلت لعثمان: ما حملَکم علی أن عمدتم إلی الأنفال وهی من المثانی وإلی براءه وهی من المئین، فقرنتهم بینها ولم تکتبوا بینها سطر (بسم الله الرحمن الرحیم)؟ ... ((۳)) الی آخر الخبر

۱- هذا ما ذهب إلیه البیهقی، أنظر: تفسیر روح المعانی ۱ : ۲۷.

۲- سنن الترمذی ۵: ۷۳۴ / ح ۳۹۵۴، مسند أحمد ۵: ۱۸۴ / ح ۲۱۶۴۷.

۳- سنن الترمذی ۵: ۲۷۲ / ح ۳۰۸۶، مسند أحمد ۱: ۵۷ / ح ۳۹۹ و۶۹ / ح ۴۹۹ من مسند عثمان بن عفّان، سنن أبی داوود ۱: ۲۰۸ / ح ۷۸۶، سنن النسائی الکبری ۵: ۱۰ / ح ۸۰۰۷ الباب ۳۰ السوره الّتی یُذکر فیها کذا.

الدال علی إشراف رسول الله علی ذلک الجمع.

ومنها: ما أخرجه البخاریّ عن ابن الزبیر، قال: قلت لعثمان: (وَالَّذِینَ یُتَوَفَّوْنَ مِنکُمْ وَیَذَرُونَ أَزْوَاجاً ...) قد نسختها الآیه الأُخری، فلمَ تکتبُها ولم تدَعْها؟ قال: یا ابن أخی، لا أُغیّر شیئاً منه من مکانه ((۱)).

ومنها: ما رواه مسلم عن عمر، قال: ما راجعت رسول الله صلی الله علیه و آله فی شیءٍ ما راجعته فی الکلاله، حتّی طعن بإصبعه فی صدری، فقال: «یا عمر، ألا تکفیک آیه الصیف الّتی فی آخر سوره النساء» ((۲)).

ومنها: الأحادیث فی خواتیم سوره البقره ((۳)).

ومنها: ما رواه مسلم عن أبی الدرداء مرفوعاً: «مَن حفظ عشر آیاتٍ من أوّل سوره الکهف عُصِم من الدجّال» ((۴)).

هذه هی الاخبار التی ذکرها السیوطیّ فی (الإتقان)، وأضاف: ومن النصوص الدالّه علی ذلک إجمالاً ما ثبت من قراءته صلی الله علیه و آله لسور عدیده.

ثمّ أخذ السیوطیّ یعدّد تلک السور التی قرأ بها فی حیاته، وقال:

... تدلّ قراءته لها بمشهدٍ من الصحابه أنّ ترتیب آیها توقیفیّ، وما کان الصحابه لیرتّبوا ترتیباً سمعوا النبیّ صلی الله علیه و آله یقرأ علی خلافه، فبلغ ذلک

۱- صحیح البخاری ۴: ۱۶۴۶ / ۴۲۵۶.

۲- صحیح مسلم ۱: ۳۹۶ / ۵۶۷، ۳: ۱۲۳۶ / ۱۶۱۷.

۳- أنظر: صحیح مسلم ۱: ۱۵۷ / ۱۷۳، سنن الترمذی ۵: ۳۹۳ / ۳۲۷۶، وغیره.

۴- صحیح مسلم ۱: ۵۵۵ / ح ۸۰۹ الباب ۴۴ فی فضل سوره الکهف وآیه الکرسی.

مبلغ التواتر.

نعم، يشكل على ذلك ما أخرجه ابن أبى داوود فى (المصاحف) من طريق محمّد بن إسحاق، عن يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه قال: أتى الحارث بن خزيمه بهاتين الآيتين من آخر سوره براءه، فقال: أشهد أنّى سمعتُهما من رسول الله ووعيتهما. فقال عمر: وأنا أشهد لقد سمعتهما. ثمّ قال: لو كانت ثلاث آياتٍ لجعلتها سورةً على حده، فانظروا آخر سورةٍ من القرآن فألحقوها فى آخرها.

قال ابن حجر: ظاهر هذا أنّهم كانوا يؤلّفون آيات السور باجتهادهم، وسائر الأخبار تدلّ على أنّهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك إلّا بتوقيف.

قلت: يعارضه ما أخرجه ابن أبى داوود أيضاً من طريق أبى العاليه، عن أُبىّ بن كعب، أنّهم جمعوا القرآن، فلمّا انتهوا إلى الآيه الّتى فى سوره براءه: (ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَيَفْقَهُونَ) ((۱))، ظنّوا أنّ هذا آخر ما أُنزل، فقال أُبى: إنّ رسول الله أقرأنى بعد هذا آيتين: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ ...) إلى آخر السوره ((۲)).

كان هذا كلام السيوطىّ عن توقيفيه الآيات فى السور، وقد أضاف بعض الأعلام ادله وقرائن أخرى فى ذلك، منها أنّه لو كان اجتهادياً لكان الأَولى تقديم

۱- سوره التوبه: ۱۲۷.

۲- الإتقان ۱: ۱۶۹.

النهار على الليل فى قوله تعالى فى سوره الليل: (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى) على غرار قوله فى سوره الشمس (وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا) وأمثالها، وحيث لم نقف على هكذا شىء عرفنا بأن النص القرآنى - بآياته فى السور - توقيفى لا يجوز التغيير فيه.

ويؤيده ما رواه الشيخ الصدوق والكلينى، عن على بن الحسين قال: قال رسول الله: من قرأ أربع آيات من أول سوره البقره، وآيه الكرسى، وآيتين بعدها، وثلاث آيات من آخرها، لم ير فى نفسه وماله شيئاً يكرهه ... ((۱)) تأكيداً على تحديد أماكن الآيات فى السور.

وجاء قريب من هذا فى البخارى: من قرأ بالآيتين من آخر سوره البقره فى ليله كفتاه ((۲)) ومعناه أن ترتيب الآيات كانت بأمر رسول الله صلى الله عليه و آله ومثله: من قرأ آخر سوره الحشر ثم مات من يومه أو ليلته كفر عنه كل خطيه، وأمثالها.

ونظره واحده على روايات فضائل السور فى كتاب بحار الأنوار للمجلسى توقفك بوضوح على ترتيب السور والآيات، وعلى توقيفيّه الآيات فيها ((۳)).

فهذا بعض الكلام عن توقيفيه الآيات داخل السوره الواحده عند الفريقين، وهو يؤكد وحدته بين المسلمين، لكنّ فى مطاوى كلمات علماء آخرين من أهل السنه

۱- الكافى ۲ : ۶۳ ح ۵ من باب فضل القرآن والصدوق فى ثواب الأعمال : ۱۰۴ وعنه فى بحارالانوار ۹۲: ۲۶۵ / ح ۹.
۲- صحيح البخارى ۴ : ۱۹۱۴ / ح ۴۷۲۲.
۳- انظر: بحار الأنوار ۹۲: ۲۶۲ - ۳۶۹.

والجماعه وحتی عند بعض الإمامیه تری شیئاً آخر، وهو اختلاف ترتیب النزول عن ترتیب التلاوه، مع قبولهم بأنّ کلیهما قرآن، وأنّ توضیح هذا یأتی من خلال بیان سر تکرر العرضات فی کلّ عام.

سر تکرر العرضات کلّ عام

ویمکننا أن نوضح هذا المدَّعی من خلال بیان سرّ تکرّر العرضات بین جبرئیل الأمین والصادق الأمین صلی الله علیه و آله فی کلّ عام، وأنّ هذا اللّقاء الثنائی بینهما لا یمکن أن یکون لغواً، بل فیه هدف مهمّ وفائده عظمی، وهو إرجاع ال-مُنزَل نجوماً - إلی ذلک الحین - إلی المنزَل دفعه، مع التأکید علی أنّ المنزَل نجوماً قد یکون سورهً سوره؛ لقوله تعالی: (سُورَهٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا) ((۱))، وقوله تعالی: (وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَهٌ فَمِنْهُم مَن یَقُولُ أَیُّکُمْ زَادَتْهُ هذِهِ إِیمَاناً) ((۲)). و(یَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَیْهِمْ سُورَهٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِی قُلُوبِهِم) ((۳)) (وَیَقُولُ الَّذِینَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَهٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَهٌ مُّحْکَمَهٌ وَذُکِرَ فِیهَا الْقِتَالُ رَأَیْتَ الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِم مَّرَضٌ یَنظُرُونَ إِلَیْکَ نَظَرَ الْمَغْشِیِّ عَلَیْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَی لَهُمْ...) ((۴)) وأمثالها.

وقد تُنْزَلُ آیاتٌ متقطّعه ویؤلَّف منها سوَر لقوله تعالی (وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ

۱- سوره النور: ۱.

۲- سوره التوبه: ۱۲۴.

۳- سوره التوبه: ۶۲.

۴- سوره محمد: ۲۰.

مَعْلُومٍ) (۱)، وقوله تعالى: (وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا) (۲)، وأمثالها. وإنّ الشارع المقدس لم يسمح بقراءه تلك الآيات المتفرقه والنازله فی مناسبات متعدده فی الصلاه الّا بعد جمعها من قبل رسول الله وإقرارها من قِبل ربّ العالمین بواسطه جبرئیل الأمین علی أنها قرآن، لقوله تعالی: (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) (۳).

وعلیه، فالسوره قد تنزل متفرقه ثم تجمع، وقد تنزل كاملةً ثمّ تبدأ الأحداث الواقعه فیها، أی: أنّ جبریل الأمین كان یأتی مرّةً أُخری إلی النبیّ بالآیات المرتبطه بتلك الوقائع النازله فی تلك السوره، فیقرأها النبیّ صلی الله علیه و آله علی الناس، فیظهر لهم أنّهم كانوا قد سمعوها قبل ذلك التاریخ، لأنّ الناس عموماً لا یدركون عمق حقائق القرآن ودقائقه، وبهذه الطریقه كان یظهر إعجاز القرآن لهم بصورةٍ یفهمونها، لأنّ الإخبار بالمغیّبات قبل حدوثها دلیلٌ علی صدوره مِن عند علّام الغیوب، فلمّا جاءهم رسول الله صلی الله علیه و آله بالآیات قبل وقوع الأحداث فهموا بأنّه منزَلٌ من عند الله.

وقد تُنْزَلُ آیه آیه ثمّ یؤلّف منها سوره سوره طبقاً لما نزل من اللّوح المحفوظ إلی البیت المعمور، وذلك بالتنسیق بین جبریل علیه السلام ورسول الله صلی الله علیه و آله ، لقوله تعالی: (إِنَّ عَلَیْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَیْنَا بَیَانَهُ) (۴).

۱- سوره الحِجر: ۲۱.

۲- سوره الإسراء: ۱۰۶.

۳- سوره القیامه: ۱۸.

۴- سوره القیامه: ۱۷ - ۱۹.

ومن هنا التبس الأمر على بعض الصحابه، فأراد عمر بن الخطاب أن يؤلّف من ثلاث آياتٍ سورةً على حده، فقال: (لو كانت ثلاث آيات لجعلتها سوره على حده). أو قوله فى آخر: (لو لا ـ أن يقال أن عمر زاد فى كتاب الله لكتبتها بيدى). إذ إنّ جمع وتأليف القرآن ليس هو لكلّ أحد، بل إنّه يُقَرَّر مِن قِبل الله تعالى بعد اللّقاء الثنائىّ بين المعصومَين ((۱)) وهو مهمه الله (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) وليس على أبى بكر وعمر وعثمان جمعه، وحتّى إنّ الصادق الأمين محمد بن عبدالله لا ـ يمكنه أن يستعجل بتلاوته قبل إقرار البارى جلّ وعلا له، أى ان الآيات والسور النازله عليه إيحاداً هى قيد التنفيذ حتّى تصير قرآناً عند المسلمين إقراءاً كما جاء فى سوره القيامه: (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِـعْ قُرْآنَهُ) ((۲)).

نعم، إنّ بعض المستشرقين ذهب - تبعاً للنصوص الموجوده فى مدرسه الخلافه - إلى القول بأن جمع القرآن بشاهدين، وعدم وقوف زيد على بعض الآيات إلّا بعد إخبار أبى خزيمه أو خزيمه له إشاره إلى عدم توقيفيه الآيات فى السور. لأن القرآن إما كان مجموعاً على عهد رسول الله أو غير مجموع، فإذا كان مجموعاً فعمل زيد يكون لغواً، وإن كان غير مجموع فتنظيم زيد أو عثمان أو غيره للآيات والسور باطل ولا يعتمد عليه لأنّه ليس من مهامه وصلاحياته.

ولا يخفى عليك بأنّ المستشرقين غالباً ما يقولون بما تقوله به مدرسه الخلافه لأنّ

۱- الصادق الأمين محمّد بن عبد الله صلى الله عليه و آله والأمين جبرئيل عليه السلام .

۲- سوره القيامه: ۱۶ - ۱۸.

فی ذلک نفعهم، فقال کانون سل:

إنّ السور القرآنیه التی تلاها رسول الله علی المسلمین فی ۲۳ عاماً لم تجمع أو تصنف فی حیاته، وهذه السور کانت مکتوبه علی سعف النخل والجلود... وقسم منها محفوظه حفظاً عن ظهر قلب، هذه السور لم تکن مجموعهً بل کانت مفککه، وکان العرب یعتمدون علی ذاکرتهم حتی تلاوته فی الصلاه...

ثمّ استطرد کانون سل بذکر حث الخلیفه الأوّل علی القرآن بعد واقعه الیمامه ومسایره عمر له، آخذاً فی التحدث عن تدوین عثمان وجمعه للقرآن علی ید زید، وأنه کان یسعی للحصول علی مکاسب سیاسیه لدعم موقفه من خصومه الذین کثروا وباتوا یؤرقونه فأراد بذلک أن تنسب له فضیله یتقوّی بها علیهم ((۱)).

وقال جون جیلکرایست: وبما أن زیداً - وهو کاتب هذا القرآن - کانت له حریه القیام بذلک - أی عملیه الجمع - بأمر من عثمان ولیس من محمّد، فکذلک الترتیب الذی جاء علیه النص القرآنی لم یکن أمراً إلهیاً أیضاً، لأنه فی المرتین کانت القضیه موکله لزید ((۲)).

وبهذا فقد عرفت بأن النصوص الموجوده فی مدرسه الخلافه هی التی جرأت أمثال هؤلاء المستشرقین للقول بهذا الکلام وأمثاله ولا لوم.

۱- مجله المصباح العدد ۵ صفحه ۱۴۳ (کانون سل وتدوین القرآن).
۲- مجله المصباح العدد ۵ صفحه ۱۲۶ (أثر روایات جمع القرآن فی الفکر الاستشراقی، دراسه فی کتاب جمع القرآن للمستشرق جون جیلکرایست).

معنی القرآن لغه

ولمّا وصل البحث بنا إلی هنا فلابد من توضیح صحه مدعی اختلاف ترتیب القراءه عن ترتیب النزول وعدمه وذلک بعد بیان بعض معانی کلمه (القرآن) فی کتب اللّغه وعلوم القرآن:

• قال الزرکشیّ: وأمّا (القرآن): فقد اختلفوا فیه؛ فقیل: هو اسمٌ غیر مشتقٍّ من شیء، بل هو اسمٌ خاصٌّ بکلام الله، وقیل: مشتقٌّ من القَرْی، وهو الجمع، ومنه: قَرَیتُ الماء فی الحوض، أی جمعته، قاله الجوهریّ وغیره ((۱)).

وقال السیوطیّ: وقال آخرون - منهم الزجاج -: هو وصفٌ علی فُعْلان، مشتقٌّ من القَرْء، بمعنی الجمع، ومنه: قرأتُ الماء فی الحوض، أی جمعته ((۲)).

وقال الراغب: والقراءه: ضمّ الحروف والکلمات بعضها إلی بعض فی الترتیب [ولیس یقال ذلک لکلّ جمع] لا یقال: قرأتُ القوم، إذا جمعتهم، ویدلّ علی ذلک أنه لا یقال للحرف الواحد إذا تفوّه به: قراءه. والقرآنُ فی الأصل مصدرٌ، نحو: کُفْران ورُجْحان. قال تعالی: (إِنَّ عَلَیْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ). قال ابن عباس: إذا جمعناه وأثبتناه فی صدرک فاعمل به، وقد خصّ بالکتاب المنزل علی محمّد صلی الله علیه و آله ، فصار له کالعَلَم، کما أنّ التوراهَ لِما أُنزل علی موسی والإنجیل علی عیسی. قال بعض العلماء: تسمیه هذا الکتاب قرآناً من بین کتب الله لکونه جامعاً لثمره کتبه،

۱- البرهان للزرکشی ۱: ۲۷۷، الصحاح للجوهری ۶: ۲۴۶۱، مادّه: قرأ.

۲- الإتقان ۱: ۱۴۴ / ح ۶۱۱.

بل لجمعه ثمره جميع العلوم ((۱)).

وقال الهروی: كلّ شیءٍ جمعتَه فقد قرأته ((۲)).

وقال أبو عبيد: سمّی القرآنُ قرآناً، لأنّه جَمْع السوَر وضمّها ((۳)).

• وقال السيوطی: ... وقال قومٌ - منهم الأشعری -: هو مشتقٌّ من قرنت الشیء بالشیء، إذ ضممت أحدهما إلی الآخر، وسُمّی به لِقران السور والآيات والحروف فيه.

وقال الفرّاء: هو مشتقٌّ من القرائن، لأنّ الآيات منه يصدّق بعضها بعضاً، ويشابه بعضها بعضاً، وهی قرائن. وعلی القولَين هو بلا همزٍ أيضاً، ونونه أصليّه ((۴)).

• وفی تفسير الطبری:

... والواجب أن يكون تأويله علی قول ابن عباس من التلاوه والقراءه، وأن يكون مصدراً من قول القائل: قرأت القرآن، كقولك: الخُسْران من خَسِرَهُ. والغُفران: من غفر الله لک، والكفران من كفرتک، والفرقان: من فرق الله بين الحق والباطل.

ومعنی قول ابن عباس هذا: فإذا بيّناه بالقراءه فاعمل بما بيّناه لک بالقراءه، ومما يوضح صحّه ما قلنا فی تأويل حديث ابن عباس هذا، ما

۱- مفردات الراغب: ۶۶۸.

۲- الغريبين للهروی ۵: ۱۵۱۶.

۳- أُنظر: غريب الحديث لابن قتيبه ۱: ۲۴۱.

۴- الإتقان للسيوطی ۱: ۱۴۴.

حـدثنی به محمـد بن سـعد، قـال: حـدثنی أبی، قـال: حـدثنی عمی، قـال: حـدثنی أبی، عن أبیه، عن ابن عباس (إِنَّ عَلَیْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) ((۱)) قال: أن نقرئک فلا تنسی، فإذا قرأناه علیک فاتّبع قرآنه، یقول: اذا تلی علیک فاتّبع ما فیه.

قال أبو جعفر: فقد صرح فی هذا الخبر ابن عباس أن معنی القرآن عنده: القراءه، فانه مصدر من قول القائل (قرأت) علی ما قلناه، وأما علی قول قتاده فإنّ الواجب أن یکون مصدراً من قول القائل: قرأتُ الشـیءَ، اذا جمعته وضممت بعضه إلی بعض، کقولک: (ما قَرَأَتْ هذه النّاقهُ سلا قطُّ) ترید بذلک أنها لم تضم رحماً علی ولد، کما قال عمرو بن کلثوم التغلبی:

تُرْیکَ - إذا دخلتَ علی خَلاءٍوقد أَمِنَتْ عُیُونَ الکَاشِحِینَا -

ذِراعَ-یْ عَ-یْطَلٍ أَدْمَ--اءَ بَکْرٍهِجان اللّ-ون لَمْ تَقْرَأْ جنینا ((۲))

وعلیه، فکلمه القرآن إما مشتقه من القَرْی وهو الجمع، أو من قرنت الشیء بالشیء، أو من جمع القرائن بعضها إلی بعض، أو أنّها مأخوذه من القراءه.

والجمع غالباً ما یأتی بعـد التفریق، أی أنّ الله أمر رسوله بجمع ما أنزله علیه مفرّقاً ومنجّماً وإرجاعه الی المنزل علیه دفعه واحـده، فإذا قضی الوحی بقرآنیّه القرآن

۱- سوره القیامه: ۱۷.

۲- تفسیر الطبری ۱ : ۳۲.

(اقراءاً)، فعلی الرسول اتّباع ذلک المجموع والمقرء فی صـلاته؛ لقوله: (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِـعْ قُرْآنَهُ)، ولا یجوز له صـلی الله علیه و آله العجله بتلاوهٍ مـا لم یحن وقت إقراره من قبـل الله واعتبـاره قرآناً، لقوله تعالی: (وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن یُقْضَی إِلَیْکَ وَحْیُهُ)(۱)، وقوله تعالی: (لَا تُحَرِّکْ بِهِ لِسَانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَیْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ)(۲).

اختلاف ترتیب التلاوه عن ترتیب النزول

نعم هناک کلمات للأعلام تؤکّد وجود ترتیبین فی القرآن، أحدهما للتلاوه والآخر للنزول: وبمعنی آخر:

أحدهما رتّب طبق المنزل دفعه واحده من اللوح المحفوظ إلی السماء الدنیا.

والآخر رتب طبق المنزل نجوماً نظراً للحوادث والوقائع الواقعه زماناً.

وأنّ رسول الله کـان ینتظر نزول الوحی علیه لإکمال الآیات وجمع بعضـها إلی بعض وتعیین مکانها فی السور النازله علیه من قبل رب العالمین دفعه واحده، وهذه هی إحدی فوائد ذلک اللقاء والعرضه من کلّ عام.

وقـد تتقدّم حادثهٌ ویؤخَّر مکانها فی السوره، وقد تؤخَّر آیهٌ وهی مقدَّمه علی سابقتها زمانا فی قرآن التلاوه، مثل تأخیر آیه البلاغ علی آیه الإکمال فی سوره المائده

۱- سوره طه: ۱۱۴.

۲- سوره القیامه: ۱۶ - ۱۸.

وهی متقدّمه زماناً علی آیه الإکمال، ومثل هذا التقدیم والتأخیر بین الآیات تراه کثیراً فی القرآن.

وقد یذکر الباری - فی قرآن التلاوه - الناسخ قبل المنسوخ، والآیه المکّیه فی السوره المدنیه، وأمثالها لمصالح غیبیّه خافیه علی البشر، وأهمّها عدم امتداد ید التحریف إلی الکتاب العزیز.

وعلیه، فالبتّ فی أماکن الآیات من السور أو جعل بعض الآیات سوره لا یمکن إلّا بقرارٍ من رب العالمین، وذلک بعد الاجتماع الثنائی بینه وبین جبرئیل الأمین وإقرارِه من قبله سبحانه، لقوله تعالی: (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِـعْ قُرْآنَهُ) ((۱)).

قال الزرکشیّ فی (البرهان): ... فثبت أنّ سعی الصحابه فی جمعه فی موضع واحد، لا فی ترتیب؛ فإنّ القرآن مکتوبٌ فی اللّوح المحفوظ علی هذا الترتیب الّذی هو فی مصاحفنا الآن، أنزله الله جملةً واحدةً إلی سماء الدنیا، کما قال الله تعالی: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ) ((۲))، وقال تعالی: (إِنَّا أنزَلْنَاهُ فِی لَیْلَهِ الْقَدْرِ) ((۳))، ثمّ کان ینزل مفرَّقاً علی رسول الله صلی الله علیه و آله مدّه حیاته عند الحاجه، کما قال تعالی: (وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلَی مُکْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِیلًا) ((۴))، فترتیبُ النزول غیر

۱- سوره القیامه: ۱۸.

۲- سوره البقره: ۱۸۵.

۳- سوره القدر: ۱.

۴- سوره الإسراء: ۱۰۶.

ترتیب التلاوه، وکان هذا الاتفاق من الصحابه سبباً لبقاء القرآن فی الأُمّه، ورحمهً من الله علی عباده، وتسهیلًا وتحقیقاً لوعده بحفظه، کما قال تعالی: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّکْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) ((۱))، وزال بذلک الاختلاف واتّفقت الکلمه.

قال أبو عبد الرحمان السلمی: کانت قراءه أبی بکرٍ وعمر وعثمان وزید بن ثابت والمهاجرین والأنصار واحده، کانوا یقرؤون القراءه العامّه، وهی القراءه الّتی قرأها رسول الله صلی الله علیه و آله علی جبرئیل مرّتین فی العام الّذی قُبض فیه ... ((۲)).

وهذا النصّ صریحٌ بأنّ النبیّ والصحابه - قبل تسلّم بعضهم الخلافه - کانوا یقرؤون بقراءهٍ رسول الله التی تعلّمها من جبرئیل (إقرأ) (لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلَی مُکْثٍ)، وقد کانت تلک القراءه واحده، لکنْ بعد رسم المنهجیه المغلوطه للخلفاء فی جمع القرآن تعدّدت القراءات وأدّت إلی خلط القراءه الصحیحه بالسقیمه وهذه سببت مشکله للمسلمین لم تحل إلّا علی ید أئمه أهل البیت علیهم السلام .

فأبو بکر تراه لا یعتمد فی جمعه علی کبار قرّاء الأُمّه والذین عرضوا قراءتهم علی رسول الله، فلا یکلّف معاذ بن جبل وأُبیّاً وابن مسعود مع أنّهم من الأسماء الأربعه

۱- سوره الحجر: ۹.

۲- البرهان فی علوم القرآن ۱: ۲۳۷، وانظر: کنز العمّال ۲: ۲۵۰ ح ۴۸۰۲، شرح السنّه للبغوی ۴: ۵۲۱ - ۵۲۲.

الّذين كانوا ممن أمر رسول الله فى الاخذ عنهم فى القراءه ((۱)).

وعمر يقول: إنّا لَندع لحنَ أُبيّ بن كعب ((۲))، فإنّه أقرأ للمنسوخ ((۳)) مع أنّه سيّد القرّاء عند جميع المسلمين.

وعثمان ألزم الصحابه القراءه بحرف زيد بن ثابت وحرق مصاحفهم مع وجود كبار الصحابه فى وسط الأمه، أمثال: ابن مسعود – الّذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه و آله : «مَن أحب أن يقرأ القرآن غضّاً طريّاً، كما أنزل فليقرأ على قراءه ابن أُمّ عبد» ((۴)) – وأبى بن كعب، وعلى بن أبى طالب، وعباده بن الصامت وغيرهم.

وفى الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، قال: وذكر ابن وهب فى جامعه قال: سمعت سليمان بن بلال يقول: سمعت ربيعه يُسأل:

لم قُدِّمَت البقره وآل عمران، وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سوره وإنما نزلتا بالمدينه؟ فقال ربيعه: قد قُدِّمَتا وأُلّف القرآن على علم ممن ألفه، وقد اجتمعوا على هذا بذلك، فهذا مما ننتهى إليه، ولا نسأل عنه ((۵)).

۱- فى البخارى ومسلم عن عبدالله بن عمرو بن العاص: خذوا القرآن من أربعه من عبدالله بن مسعود، وسالم مولى أبى حذيفه ومعاذ بن جبل، وأبى بن كعب، صحيح البخارى ۴ : ۱۹۱۲ / ح ۴۷۱۳، صحيح مسلم ۴ : ۱۹۱۳ / ح ۲۴۶۴.
۲- صحيح البخارى ۴ : ۱۹۱۳ / ح ۴۷۱۹.
۳- تاريخ ابن شبه ۲: ۳۷۷ / ح ۱۱۷۶، الدر المنثور ۸: ۱۶۱، فتح البارى ۸: ۶۴۲.
۴- تاريخ بغداد ۴ : ۳۲۶ / ت ۲۱۳۸، البحر الرائق ۴ : ۳۷۲.
۵- الجامع لاحكام القرآن ۱ : ۵۹ – ۶۰. وباعتقادى أنّ المقطع الأخير من كلام ربيعه (فهذا ممّا ننتهى إليه ولا نسأل عنه) ممّا وضع لتأييد ترتيب مصحف عثمان، لأنّه كان بإمكان أن يقول: إنّما قدّمنا لتقدّم مكانهما فى النزول الدفعى وإن تأخرتا فى النزول التدريجى.

وجاء بعد ذلك قوله: ومما يدل على أنه يجب إثباته فى المصاحف على تاريخ نزوله ما صح وثبت أن الآيات كانت تنزل بالمدينه فتوضع فى السوره المكيه ((۱)).

وعليه فإن كلام الزركشى الآنف صريح بأنّ ترتيب النزول غير ترتيب التلاوه، وأنّ المنزَل من اللّوح المحفوظ إلى البيت المعمور غير الّذى نُزِّلَ منجّماً لحاجه أو لحكمه فيها صالح العباد ويُسر الدين.

وأنّ كثيراً من الصحابه ((۲)) كانوا قد سعوا لجمع القرآن بين الدفّتَين، لكن مصاحفهم كانت ناقصه وقد كتبوها كما سمعوها من رسول الله صلى الله عليه و آله ، وإن اختلفوا فى ترتيب السوَر فى مصاحفهم، أمّا ترتيب الآيات فيها فكان رسول الله يلقّن أصحابه بها ويعلّمهم الترتيب الموجود فى مصاحفنا اليوم، كما جاء ذلك فى كلام من ذكرناهم فيما سبق وفيما يأتى.

وقال القاضى أبو بكر الباقلانى (ت ۴۰۳ ه-) فى (الانتصار):

الّذى نذهب إليه أنّ جميع القرآن الّذى أنزله الله وأمرنا بإثبات رسمه ولم ينسخه ويرفع تلاوته بعد نزوله، هو هذا الّذى بين الدفّتين الّذى حواه ((۳)) مصحف عثمان، وأنّه لم ينقُصْ منه شىءٌ ولا زِيد فيه ... وأنّ

۱- الجامع لاحكام القرآن ۱ : ۶۱.

۲- وليس عثمان وزيد بن ثابت فقط.

۳- لم يقل المؤلّف: اختصّ به عثمان، بل قال: حواه.

ترتیبه ونظمه ثابتٌ على ما نظّمه الله تعالى ورتّبه علیه رسولُه من آی السور ((۱))، لم یقدِّم من ذلک مؤخَّراً ولا أخَّر منه مقدَّماً، وأنّ الأُمّه ضبطت على النبیّ ترتیب آی کلّ سورهٍ ومواضعها، وعرفت مواقعها، کما ضبطت عنه نفس القرآن وذات التلاوه ((۲)).

ثم أضاف الباقلّانی:

غیر أنّنا لا نقول - مع إثبات اختلافهم فی ترتیب السور - أنّه قد کان من النبی صلى الله علیه و آله توقیفٌ على ترتیبها، وأمرٌ ضُیِّق علیهم فی تألیفها، إلّا على حسب ما حدّه ورسمه لهم، بل إنّما کان منهم تألیف سور المصحف على وجه الاجتهاد والاحتیاط، وضمّ السوَر إلى مثلها وما یقاربها.

والّذی نختاره ما قدّمناه، وفیه سقوط ما ظنّوا القدح به فی ظهور نقل القرآن واستفاضته ...

إلى أن یقول:

والّذی یدلّ على ذلک أنّه لو کان من النبیّ صلى الله علیه و آله نص وتوقیف ظاهر على

۱- انظر إلى القید (آی السور)، فهو یؤکد بأن ضبط ترتیب آی السور کانت من قبل الله وقد ضبطت بإشراف النبی.

۲- الانتصار للباقلانی ۱: ۵۹ - ۶۰ تمهید، وعنه فی: المرشد الوجیز لأبی شامه ۱: ۴۷. لکنّ الامام علیاً کان له ترتیب آخر مضافا للترتیب الموجود فی المصحف الرائج الذی کان یقرأ به فی صلاته وفی لیالیه وأیامه والترتیب الثانی کان کتاب تاریخ وعلم - لأنّه دوّنه فی شأن نزول الآیات طبقاً لحوادث التاریخ - ولیس کتاب تلاوه وذِکر.

وجوب ترتیب تـألیف السور فی الکتـابه والرسم لوجب ظهور ذلـک وانتشـاره وعلم الأُمّه به، ویـدلّ علی ذلک قول عثمان – فی حدیثٍ طویل – (وکانت الأنفال من أوّل ما نزل بالمدینه، وکانت براءه من آخر ما نزل من القرآن، فکانت شبیهه بقصّتها، فظننت أنها منها، وقبض صـلی الله علیه و آله ولـم یتبیّن أنها منها، فمن أجل ذلک قرنت بینهما). فهذا تصریح من عثمان بأنّه لم یکن من الرسول نص علی وجوب تألیف الأنفال إلی براءه، وأنهم إنّما عملوا ذلک بالرأی والاجتهاد.

واستدلّ أیضاً قوم علی سقوط ترتیب تألیف السور بأنه قد علم أنه لیس فی الدنیا مترسل أدیب ولا شاعر مُفلِق ولا خطیب مصقع یأخـذ الناس بترتیب قصائده وخطبه ورسائله، وإنما یرید أن یحفظوا قصـیده منها علی ترتیب نظمها وتألیف أبیاتها وسـیاق بیانها، ثمّ لا ـ یبالی أیهما کتب فی دیوانه أولاً وآخراً ووسـطاً، کـذلک المترسّل والخطیب، قالوا: فکـذلک رسول الله إنما أراد من الأُمّه حفظ السور وتلاوتها علی نظامها وترتیب آیاتها فقط، ولم یُرد منهم تألیف کلّ سوره منها قبل صاحبتها...

فأمّیا مَن زعم أنّ الرسول قـد نصّ علی تـألیف سور القرآن ورسـمها فی المصـاحف علی ما هی علیه فی الإمام فقـد اسـتدلّ علی ذلک بأمور لا حجّه فی شـیءٍ منها، فمن ذلک أن قالوا: قد اشـتهر عن بعض السـلف – هو عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر – أنّهمـا کرهـا أن یُقرَأَ القرآن منکوسـاً، فروی أنّ عبـد الله بن مسـعود سـئل عن رجـلٍ یقرأ القرآن منکوسـاً، فقـال: ذلک منکوس القلب. وإنّ عبد الله بن عمر ذُکر له أنّ

رجلًا يقرأ القرآن منكوساً، فقال: لو رآه السلطان لأدّبه أو عاقبه. وكلامٌ هذا نحوه.

قالوا: يدلّ ذلك على وجوب ترتيب السور وتأليفها فى القراءه والرسم، وهذا لا حجّه فيه، لأنّهما عنيا بذلك مَن يقرأ السور منكوسه ويبتدئ من آخرها إلى أوّلها، لأنّ ذلك حرامٌ محظور ...

وليس يريد بذلك مَن قرأ القرآن من أسفل إلى فوق، ومن بدأ بآل عمران وثنّى بالبقره، وكيف يريدون ذلك وهم قد علموا اختلاف تأليف المصاحف.

وقول ابن مسعود: (ذلك رجل منكوس القلب) إنّما خرج على وجه الذم، فلا ذمّ على من قرأ النحل ثمّ ثنّى بالبقره، ويدلّ على ذلك قول ابن عمر: (لو رآه السلطان لأدّبه أو عاقبه)، وقد علم أنّه لا أدب ولا عقاب على مَن قرأ البقره وثنّى بالحج.

واستدلّوا أيضاً على وجوب ترتيب سور القرآن على ما فى الإمام بما رواه أبو قلابه عن رسول الله صلى الله عليه و آله أنّه قال: مَن شهد خاتمه القرآن كان كمن شهد فتحاً فى سبيل الله. وأنّ المسلمين أجمعوا على أنّ للقرآن فاتحه وخاتمه.

وهذا أيضاً لا حجّه فيه، لأنّ قوله: «من حضر خاتمه القرآن» إنما يريد آخر ما يُقرأ منه، الّذى يكون قارئه مع قراءه ما قبله خاتماً لكتاب الله، ولم ينص على خاتمته، فلا حجّه لهم فى ظاهر الخبر، ولكنّنا لا ننكر مع ذلك أن تكون (الحمد) قد جُعلت فاتحه ما يُكتَب ويُتلى، و(الناس) خاتمه لذلك، وإن لم يوجب ترتيب ما بينهما من السور. فلذلك اتّفق

أصحاب المصاحف على الافتتاح بالحمد فى القراءه والختم بسوره الناس، وإن لم يرتّبوا ما بينهما، وإنه يمكن أن تكون الفاتحه والخاتمه قد جعلتا فاتحةً وخاتمه فى التلاوه دون الرسم والكتابه، فلا حجّه فى التعليق بهذا، ونرى أنّ هذا الخبر لم يسمعه أصحاب المصاحف المختلفه الترتيب ((١)).

وقد صرح ابن كثير بأن عثمان هو الذى رتب السور فى المصحف فقال فى (فضائل القرآن):

وكان عثمان رضى الله عنه - والله أعلم - رتّب السور فى المصحف وقدّم السبع الطوال وثنى بالمئين ((٢)).

وبهذا فقد يكون معنى قولهم (إن عثمان جمع القرآن وأنه غيّر ترتيب السور) هو الترتيب فى السور فقط لا جمعه وكتابته من الصحف، لأن من معانى الجمع هو الترتيب أيضاً.

وقد يكون فى كلام ابن حجر الآتى إشارةٌ إلى عدم توقيفيّه الآيات أيضاً، وأنّ ترتيب الآيات والسور معاً من اجتهادات الصحابه، إذ قال:

وإنّ قول عمر: (لو كانت ثلاث آيات)، فظاهره أنّهم كانوا يؤلّفون آيات السور باجتهادهم، وسائر الأخبار تدلّ على أنّهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك إلّا بتوقيف. نعم، ترتيب السور بعضٌ إثر بعض كان يقع بعضه

١- أنظر: الانتصار للباقلانى ١: ٢٧٩ - ٢٨٧ باب القول فى ترتيب السور.

٢- نصوص فى علوم القرآن ٣: ٢٦٢ عن فضائل القرآن.

منهم بالاجتهاد ((١)).

وقال الزرقانی - فی جمع القرآن بمعنی کتابته فی عهد رسول الله صلی الله علیه و آله -:

وکان هذا التألیف عبارةً عن ترتیب الآیات حسب إرشاد النبیّ صلی الله علیه و آله ، وکان هذا الترتیب بتوقیفٍ من جبریل علیه السلام ، فقد ورد أنّ جبریل علیه السلام کان یقول: ضعوا کذا موضع کذا. ولا ریب أنّ جبریل کان لا یصدر فی ذلک إلّا عن أمر الله عزّ وجل.

أمّا الصحابه فقد کان منهم من یکتبون القرآن، ولکن فیما تیسّر لهم من قرطاس أو کتفٍ أو عظمٍ أو نحو ذلک، بالمقدار الّذی یبلغ الواحد عن رسول الله صلی الله علیه و آله ، ولم یلتزموا توالی السور وترتیبها، وذلک لأنّ أحدهم کان إذا حفظ سورةً أُنزلت علی رسول الله صلی الله علیه و آله أو کتبها، ثمّ خرج فی سریّةٍ مثلاً ـ فنزلت فی وقت غیابه سوره، فإنّه کان إذا رجع یأخذ فی حفظ ما ینزل بعد رجوعه وکتابته، ثمّ یستدرک ما کان قد فاته فی غیابه، فیجمعه ویتتبّعه علی حسب ما یسهل له، فیقع فیما یکتبه تقدیم وتأخیر بسبب ذلک. وقد کان الصحابه من یعتمد علی حفظه، فلا یکتب جریاً علی عاده العرب فی حفظ أنسابها واستظهار مفاخرها وأشعارها من غیر کتابه ((٢)).

١- فتح الباری ٩: ١٥ باب جمع القرآن، وانظر ٩: ٣٩ باب تألیف القرآن.

٢- مناهل العرفان ١: ١٧٢ و١٧٣.

وعلیه، فالّذی یذهب إلی توقیفیّه ترتیب السوَر والآیات معاً ((۱))، یستدلّ بأمثال الروایه الآتیه:

روی عن ابن عبّاس قال: قلت لعثمان: ما حملَکم علی أن عَمِدْتُم إلی الأنفال وهی من المثانی وإلی براءه وهی من المِئِین، فقرنتم بینهما ولم تکتبوا بینهما سطر (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ)، ووضعتموها فی السبع الطوال، ما حملَکم علی ذلک؟

فقال عثمان: کان رسول الله ممّا یأتی علیه الزمان وهو تنزل علیه السوَر ذوات العدد، فکان إذا نزل علیه الشیء دعا بعض من کان یکتب، فیقول: ضعوا هؤلاء الآیات فی السوره الّتی یُذکر فیها کذا وکذا، وإذا نزلت علیه الآیه فیقول: ضعوا هذه الآیه فی السوره الّتی یُذکر فیها کذا وکذا، وکانت الأنفال من أوائل ما أُنزلت بالمدینه وکانت براءه من آخر القرآن، وکانت قصّتها شبیهه بقصّتها فظننت أنّها منها، فقُبض رسول الله صلی الله علیه و آله ولم یبیّن لنا أنّها منها، فمن أجل ذلک قرنتُ بینهما ولم أکتب بینهما سطر (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ)، فوضعتها فی السبع الطوال ((۲)).

۱- قال ابن حجر فی فتح الباری ۹: ۴۲ بعد أن جاء بالخبر الآتی: فهذا یدلّ علی أنّ ترتیب الآیات فی کلّ سورهٍ کان توقیفاً، ولمّا لم یفصح النبیّ بأمر براءه أضافها عثمان إلی الأنفال اجتهاداً منه.

۲- سنن الترمذی ۵: ۲۷۲ / ح ۳۰۸۶ قال الترمذی: حدیث حسَن صحیح، مسند أحمد ۱: ۵۷ / ح ۳۹۹، کنز العمّال ۲: ۲۴۵ / ح ۴۷۷۰، وقال الحاکم فی مستدرکه ۲: ۳۶۰ / ح ۳۲۷۲: حدیثٌ صحیح الإسناد ولم یخرجاه.

وهذه الروایه هی الّتی استدلّ بها السیوطی فی (الإتقان) علی توقیفیّه السور والآیات، فی حین أنّه قد ترشدنا جمله ابن عبّاس: «ما حملکم ... فقرنتم بینهما ولم تکتبوا بینهما سطر (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ)»، وجمله عثمان: «وقبض رسول الله صلی الله علیه و آله ولم یبیّن لنا أمرها»، إلی عدم توقیفیّتها (1)، لأنّ ابن عباس سأل عثمان عن سبب قِران الأنفال ببراءه دون فصلها ببسم الله الرحمن الرحیم، وذلک إشاره منه إلی عدم صحّه عمله، وأنّ ما علّله لیس هو السبب الحقیقی فی ذلک، بل هناک سببٌ آخر، إشاره منه إلی وجود روایاتٍ أُخری جاءت عن الامام علیّ علیه السلام فی ذلک.

مع التأکید بأنّ عثمان وإن کان قد اجتهد فی عدم الفصل بالبسمله بین الأنفال وبراءه ظنّاً منه أنّهما سوره واحده، إلّا أنّه قد ثبت فی خبرٍ آخَر عن الإمام علیٍّ علیه السلام وغیره بأن البسمله أمان ورحمه وأنّ سوره براءه نزلت بالسیف.

قال الآلوسی فی (روح المعانی):

والحقّ أنّهما سورتان، إلّا أنّهم لم یکتبوا البسمله بینهما لِما رواه أبو الشیخ وابن مردویه، عن ابن عبّاس، عن علیٍّ، من أنّ البسمله أمان، وبراءه

۱- ذهب الباقلّانی (ت ۴۰۳ ه-) فی (الانتصار للقرآن) باب ترتیب الآیات والسور، إلی عدم توقیفیّه السور، واستدلّ بالخبر الآنف، فقال: ... وفی العلم بعدم ذلک دلیل علی أنّه لم یکن منه توقیف، ویدلّ علی ذلک قول عثمان: «وکانت الأنفال من أوّل ما نزل بالمدینه، وکانت براءه من آخر ما نزل من القرآن، وکانت قصّتها تشبه قصّتها فظننتها منها»، وهذا تصریحٌ منه بعدم التوقیف، وقد تضمّن ذلک أنّهما سورتان، لأنّه سمّی کلّ واحدهٍ باسمها. أنظر: الانتصار ۱: ۲۸۱ و۲۸۲.

نزلت بالسیف. ومثله عن محمّـد بن الحنفیه وسفیان بن عیینه، ومرجع ذلک إلی أنّها لم تنزل فی هذه السوره کأخواتها لِما ذکر ((۱)).

وقال القشیری: والصحیح أنّ التسمیه لم تکتَب؛ لأنّ جبریل ما نزل بها فی هذه السوره ((۲)).

وعلیه، فلا یصحّ ظنّ عثمان بأنّها من الأنفال لتشابه قصّتیهما، وقوله: «فمن أجل ذلک قرنتُ بینهما ولم أکتب بینهما سطر (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ)» ((۳))، لأنّ الأمر لا یعود إلیه، بل یعود إلی ربّ العزّه والجلاله وإلی رسوله الأمین، اللَّذَیْنِ لم یأتیا به، وإلی عدم قراءه المسلمین بالبسمله فی سوره براءه خاصّه وفق ما علّمهم رسول الله صلی الله علیه و آله عن الله فی القراءه.

فتأرجح الصحابه صعب التصدیق، لیس فقط بسبب اختلاف مضمون السورتین اختلافاً تامّاً، ونشوئهما فی فترتین متباعدتین وحسب بل أیضاً بسبب بروز الآیه الأولی من السوره التاسعه بوضوح کبدایه لمقطع جدید((۴)).

ولا یخفی علیک بأن الآلوسی کان قد علّق علی ما رواه ابن عباس فی الخبر الآنف بالقول:

۱- روح المعانی ۱۰: ۴۱.
۲- تفسیر القرطبی ۸: ۶۳، البرهان فی علوم القرآن ۱: ۲۶۳ النوع الرابع عشر (معرفه تقسیمه وترتیب السور والآیات وعددها).
۳- سنن الترمذی ۵: ۲۷۲ / ۳۰۸۶ باب ومن سوره التوبه، الأحادیث المختاره ۱: ۴۹۴ / ۳۶۵.
۴- اُنظر تاریخ القرآن لنولدکه بتصحیح شفالی ۲ : ۳۱۰.

وعثمان وإن لم يقف على ما يفيده القطع فى براءه والأنفال وفعل ما فعل بناءً على ظنه إلاّ أنّ غيره وقف وقبل ما فعله ولم يتوقف.

وكم لعمر موافقات لربه أدَّى إليها ظنّه، فليكن لعثمان هذا الموافقه التى ظفر غيره بتحقيقها من النصوص أو الرموز فسكت، على أن ذلك كان قبل ما فعل عثمان عند التحقيق، ولكن لمّا رفعت الأقلام، وجفّت الصحف، واجتمعت الكلمه فى أيامه، واقتدت المسلمون فى سائر الآفاق بإمامه، نسب ذلك إليه، وقصر من دونهم عليه والسوال منه ... ((۱)).

أترك التعليق على هذا النص والخص ما مر فى نقاط:

۱- أتينا بروايات كثيره داله على إشراف رسول الله على ترتيب مكان الآيات فى السور وهو يثبت توقيفيه الآيات دون السور. أما توقيفيه ترتيب السور فهو مختلف فيه، وإن اشتهر بين الباحثين أنّ ترتيب السور - كما هو الآن - من عمل عثمان بن عفان.

۲- يستفاد من كلام ابن حجر وغيره عدم توقيفيه الآيات أيضاً، وقد يكون فى كلام عائشه ما يؤيده.

۳- أكّدنا وجود ترتيبين للمصحف أحدهما للتلاوه وهو ما أراده الله فى كتابه المنزل دفعه واحده والآخر قد رتب طبقاً لنزول الحوادث والوقائع، وهو كتاب علم لا

۱- روح المعانى ۱ : ۲۷.

تلاوه وذکر.

۴- بیّنا سر تکرر العرضات بین جبرئیل الأمین والصادق الأمین فی کل عام.

۵- استغلال بعض المستشرقین لما حکی من ثبوت القرآن بخبر الآحاد کما فی خبر أبی خزیمه، وإمکان تألیف الصحابی سور قرآنیه من ثلاث آیات!

۶- أشرنا إلی لفظه القرآن وأنّها مأخوذه من القراءه حسب بعض الأقوال.

۷- الخلفاء الثلاثه لا یعتمدون کبار الصحابه فی جمع القرآن، کما وضحنا أیضاً بأن للصحابه مصاحف ناقصه وهو یؤکّد أهمیه رسول الله بأمر التألیف والتدوین.

وأخیراً انتقل إلی موضوع آخر وهو أساسی أیضاً فی موضوع الترتیب ألا وهو:

دور رسول الله وجبرئیل فی ترتیب الآیات

وإلیک الآن بعض الروایات الدالّه علی دور رسول الله صلی الله علیه و آله وجبریل علیه السلام فی ترتیب الآیات، ویمکن من خلالها استفاده توقیفیتها:

ففی (فضائل القرآن) لأبی عبید وغیره، عن ابن عبّاس، عن عثمان بن عفّان، قال: کان رسول الله إذا نزلت علیه سوره دعا بعضَ مَن یکتب، فقال: ضعوا هذه السوره فی الموضع الّذی یُذکَر فیه کذا وکذا ((۱)).

۱- فضائل القرآن: ۲۸۰ باب تألیف القرآن وجمعه کذا هو النص لکن یحتمل أن تکون مکان (سوره) و(السوره) آیه.

كما ورد عن جبريل عليه السلام أنه كان يقول: ضعوا كذا في موضع كذا (۱).

وعن عثمان بن أبي العاص، قال: كنتُ عند رسول الله صلى الله عليه و آله جالساً، إذ شخَصَ ببصره ثمّ صوّبه حتّى كاد أن يلزقه بالأرض، قال: ثمّ شخَص ببصره فقال: أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآيه بهذا الموضع من هذه السوره: (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى) (۲)، فجعلت في سوره النحل بين آيات الاستشهاد وآيات العهد.

وروى القرطبي بسنده عن ابن عبّاس أنّه قال: آخر ما نزل من القرآن: (وَاتَّقُوْا يَوْمَاً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) (۳)، فقال جبريل للنبيّ عليه السلام : يا محمّد، ضَعْها في رأس ثمانين ومائتين من البقره (۴).

هذا النص يدل على أن النبي كان يكتب ويقرأ ويعرف الأعداد وأوائل الآيات وأواخرها وليس كما يشيعه عنه أعدائه من عدم معرفته بالقراءه والكتابه وأمثال ذلك!!

وفي آخر: بين آيتَي الرِّبا والدَّين من البقره (۵).

وقد أخرج البخاري ومسلم وأبو داوود والترمذي، عن أبي مسعود البدريّ أنّه

۱- مناهل العرفان ۱: ۱۷۲، الإتقان ۱: ۱۶۹ /۸۰۱، وكذا في البرهان ۱: ۲۵۶.

۲- مسند أحمد ۴: ۲۱۸ / ح ۱۷۹۴۷، الإتقان ۱: ۱۶۸ / ح ۷۸۲.

۳- سوره البقره: ۲۸۱.

۴- تفسير القرطبيّ ۱: ۶۱، وانظر: تفسير الكشّاف ۱: ۳۵۰.

۵- الإتقان ۱: ۱۷۱ / ۸۱۰، أسرار التكرار في القرآن: ۲۳.

قال: قال النبیّ: الآیتان من آخر سوره البقره من قرأهما فی لیلهٍ کَفَتاه ((۱)).

وأخرج مسلم عن عمر بن الخطّاب، قال: ما راجعتُ رسولَ الله فی شیءٍ ما راجعتُه فی الکَلاله، وما أغلظَ لی فی شیءٍ ما أغلظ لی فیه، حتّی طعن بإصبعه فی صدری، فقال: یا عمر، ألا تکفیک آیهُ الصیف ((۲)) الّتی فی آخر سوره النساء؟! ((۳)).

وأخرج البخاری عن ابن الزبیر، قال: قلت لعثمان بن عفّان: (وَالَّذِینَ یُتَوَفَّوْنَ مِنکُمْ وَیَذَرُونَ أَزْوَاجاً) ((۴))؟ قال: قد نسخَتها الآیه الأُخری، فلِمَ تکتبها أو تدعها؟ قال: یا بن أخی، لا أُغیّر شیئاً منه من مکانه ((۵)).

وهذه الروایات کلّها جاءت فی سیاق إثبات توقیفیّه بعض الآیات فی سور بعینها لا توقیفیه الآیات فی جمیع السور، وفی التأکید علی بیان دور رسول الله صلی الله علیه و آله وجبریل علیه السلام فی ترتیب القرآن.

۱- صحیح البخاری ۴: ۱۹۱۴ / ح ۴۷۲۲ باب فضل سوره البقره، صحیح مسلم ۱: ۵۵۴ / ح ۸۰۷، و۵۵۵ / ح ۸۰۸، وانظر: سنن أبی داوود ۲: ۵۶ / ح ۱۳۹۷، سنن الترمذی ۵: ۱۵۹ / ح ۲۸۸۱.

۲- وقد سُمّیت بآیه الصیف لنزولها فی فصل الصیف، بخلاف الآیه الأُولی من سوره النساء والّتی نزلت فی فصل الشتاء والمسمّاه بآیه الشتاء.

۳- صحیح مسلم ۱: ۳۹۶ / ح ۵۶۷، و۳: ۱۲۳۶ / ح ۱۶۱۷.

۴- سوره البقره: ۲۳۴ و ۲۴۰.

۵- صحیح البخاری ۴: ۱۶۴۶ / ح ۴۲۵۶، و۱۶۴۹ / ح ۴۲۶۲ فی بعض النصوص: فلم تکتبها قالت: تدعها یابن أخی ... .

• كما أنّ هناك روايات أُخرى استُدِلّ بها على التوقيفيه، لكن لا دلاله لها على ذلك أيضاً، فعن زيد بن ثابت، قال:

كنت أكتب الوحى لرسول الله، وكان إذا نزل عليه أخذَتْه بُرَحاه (١) شديدةٌ ... فكنت أدخل عليه بقطعه القتب أو كسره، فأكتُبُ وهو يُملى علَيّ ... فإذا فرغت قال: «إقرأْه»، فأقرأُهُ، فإن كان فيه سقطٌ أقامه، ثمّ أخرجُ به إلى الناس ... (٢).

وليس فى هذه الروايه دلاله على توقيفيّه السور أو الآيات، بل الّذى فيها هو لزوم الضبط فى الإقراء كى لا تسقط منها كلمه، أو فيها إشارةٌ إلى محبوبيّه الكتابه عنده صلى الله عليه و آله ، وأنّ زيد بن ثابت كان من كتّاب الوحى، وأنّه كان يجىء باللّوح والدواه ليكتب ما ينزل على رسول الله.

عن البراء قال: لمّا نزلت: (لَا يَسْتَوِى الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِى الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ الله) (٣)، قال النبىّ: «ادعُ لى زيداً، وليجئ باللّوح والدواه والكتف - أو: الكتف والدواه -»، ثمّ قال: «اُكتب: (لَا يَسْتَوِى الْقَاعِدُونَ ...)» (۴).

١- البرحاء: الحمّى الشديده، والبرحاء: الشدّه، والأمر العظيم، والمشقّه. انظر: تاج العروس ۶: ٣٠٧ مادّه برح.

٢- المعجم الكبير ۵: ١۴٢ / ح ۴٨٨٩، المعجم الأوسط ٢: ٢۵٧ / ح ١٩١٣ وفيه: بقطعه الكتف، مجمع الزوائد ١: ١۵٢، و٨: ٢۵٧ عن الطبرانى فى الأوسط.

٣- سوره النساء: ٩۵.

۴- صحيح البخارى ۴: ١٩٠٩ / ح ۴٧٠۴، تفسير الطبرى ۵: ٢٢٨، صحيح ابن حبان ١: ٢٢٨ / ح ۴٠.

وهذه الروايه أيضاً ليس فيها أكثر من أمر النبىّ صلى الله عليه و آله زيداً بأن يأتيه باللّوح والدواه وأن يكتب الآيه، ومعناه: أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله كان يهتمّ بما ينزل عليه من الوحى، وأنه كان لا يترك كلام ربّه من دون كتابهٍ وتدوين.

وبالنتيجه، ترشدنا تلك النصوص إلى القول بأنّ وضع الآيات جميعها - أو قل بعضها - فى السور كان أمراً توقيفيّاً وبأمر الله سبحانه وتعالى ورسوله؛ لأنّ النبىّ صلى الله عليه و آله كان يعرف انتهاء السوره وابتداء السوره الأُخرى فى قرآن التلاوه بنزول (بِسْمِ الله الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ).

لكنّ هذا الكلام لا يمنع من القول بوجود اختلاف بين ترتيب التنزيل وترتيب التلاوه، أى بين الترتيبين: الترتيب التدريجىّ التاريخى النازل فى الوقائع والحوادث المختلفه، والترتيب الدفعىّ النازل من اللّوح المحفوظ إلى سماء الدنيا فى ليلهٍ مباركه - وهى ليله القدر - مع التأكيد على أن قرآن التلاوه كان يعرف عن غيره بابتدائها بالبسمله، وأن كلَيهما قرآن.

نعم إنّ أمر الصلاه يختلف عن غيره، فالّذى يجب القراءه به فى الصلاه هو المنزل على صدر النبىّ محمّد صلى الله عليه و آله وال-مُقَرّ من قبل جبرئيل عن الله وأنه قرآن تلاوه وذكر([۱])، بشرط أن تكون تلك القراءه هى بالقراءه المشهوره المتداوله عنه صلى الله عليه و آله لا الشاذّه، لقوله تعالى (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِ-عْ قُرْآنَهُ) ([۲]).

۱- أى بعد الإنزال الإقرائى.

۲- سوره القيامه: ۱۸.

وقـد نقـل الزركشـىّ عن أصـحاب الشـافعىّ قولهم: لاـ تجوز القراءه فى الصـلاه ولا غيرِها بالقراءه الشاذّه، لأنّها ليست قرآناً، لأنّ القرآن لا يثبت إلّا بالتواتر، والقراءه الشاذّه ليست متواتره، ومن قال غيره فغالطٌ أو جاهل.

فلو خالفَ وقرأ بالشاذّ أُنكر عليه قراءتها فى الصـلاه وغيرها، وقد اتّفق فقهاء بغداد على استتابه مَن قرأ بالشواذ. ونقل ابن عبد البرّ إجماعَ المسلمين على أنّه لا تجوز القراءه بالشواذّ، ولا يُصلّى خَلْف من يقرأ بها ((۱)).

وإنى سأوضـح فى آخر هذا الكتاب، وفى مبحث (توحيد المصاحف) على وجه الخصوص معنى الشاذ وأنه تاره يعنى ما يخالف المتواتر، وأخرى ما يخالف القراءات السبع، فالأوّل لا يؤخذ به، والثانى يؤخذ به بشرط أن يكون له وجه من العربيه كما يقولون.

وابن أبى داوود عقـد باباً عن اختلاـف الصـحابه فى كتابه المصاحف سـمّاه (باب اختلاف مصاحف الصـحابه) ((۲))، ذكر فيه أسماءهم وما وقعوا فيه من الاختلاف، وأنّ وقوع هذا الاختلاف بين الصحابه يفيد عدم توقيفيّه ترتيب السوَر عندهم.

۱- البرهان فى علوم القرآن ۱: ۳۳۳، وانظر: المجموع للنووى ۳: ۳۴۷.

۲- المصاحف ۱: ۲۸۳.

مصاحف الصحابه

بلی اختلف الصحابه فی طریقه جمع القرآن، فمنهم من جمعه طبقاً لإنزاله وتنزیله(۱). والآخر اکتفی بجمع المنزَل دون تفسیره، وثالث جعل تفسیره معه فی بعض الأحیان.

ولهذا تری أحیاناً ترتیب السور فی مصاحف بعض الصحابه یُخالف المصحف الرائج، أو أنّ المنقول عن مصحف هذا یختلف عن مصحف الآخر، إذ صرّح ابن حجر فی (فتح الباری) أنّ تألیف مصحف ابن مسعود علی غیر التألیف العثمانیّ (۲)، وفی (صحیح البخاری): تألیف ابن مسعود آخرهنّ الحوامیم (۳)، بل ذکر ابن الندیم أنّه رأی عدّه مصاحف - ذکر نسّاخها - أنّها مصحف ابن مسعود، ولم یَرَ فیها مصحفَین

۱- قال عبد الحیّ بن عبد الکبیر الکتانی فی التراتیب الإداریّه ۱: ۴۶: (إنّ الإمام علی بن أبی طالب جمع القرآن علی ترتیب النزول عقب موت النبی). وباعتقادی: أن للامام علیه السلام نسختین من المصحف، إحداهما توافق المصحف الرائج، والأخری رُتّبَتْ تاریخیا وزمنیاً طبق الحوادث النازله علی رسول الله، وقد کُتب فی النسخه الثانیه التفسیر والتأویل وشأن نزول الآیات نجوماً، والنسختان تختلفان فیما بینها فی الترتیب، فالأولی توافق النازل من اللوح المحفوظ، والثانیه فیها یومیّات الدعوه الإسلامیه، وهی کتاب علم لا کتاب ذکرٍ وتلاوه کما فی الأوّل، وهذا ما نوضحه بعد قلیل.

۲- أُنظر: فتح الباری ۹: ۴۰، وفیه: فکان تألیف مصحفه [ابن مسعود] مغایراً لتألیف مصحف عثمان، ولا شکّ أنّ تألیف المصحف العثمانیّ أکثر مناسبهً من غیره.

۳- صحیح البخاری ۴: ۱۹۱۱ / ح ۴۷۱۰ من باب تألیف القرآن.

متّفقَين ((۱)).

وقال الزركشی عن ترتیب السور فی المصاحف وأنّه: لیس هو أمرٌ أوجبه الله، بل أمرٌ راجع إلی اجتهادهم واختیارهم، ولهذا کان لکلّ مصحف ترتیب]خاص به فی السور[، ولکن ترتیب المصحف العثمانی أکمل ((۲)).

منبهین علی أنّ اختلاف ترتیب مصاحف الصحابه یؤکّد بأنّ ترتیب السور فی مصحف عثمان لیس بتوقیفی من عند الله کما یقولون؛ لأنّها لو کانت توقیفیه، لما وقع هذا الاختلاف بین مصاحف الصحابه، بل بماذا یعلّلون سبب اختلاف ترتیب مصحف عثمان مع مصاحف الآخرین؟!

ألا ـ تلزم التوقیفیّه أن تکون مصاحف الصحابه کلّها واحده فی ترتیبها؟ إذن فما یعنی وجود هذا الاختلاف فی ترتیب مصاحفهم؟!

هل هؤلاء الصحابه – والعیاذ بالله – قد خالفوا رسول الله صلی الله علیه و آله فیما رتّبه من سور القرآن؟ أو کان لکلّ واحدٍ منهم نصٌّ عن رسول الله صلی الله علیه و آله فی ترتیبه لسور مصحفه؟!

بل هل یعقَل أن یخالف الإمام علیٌّ علیه السلام رسولَ الله صلی الله علیه و آله فی ترتیب مصحفه الموجود خلف فراشه صلی الله علیه و آله ، ولا یستشیره فی ترتیب ما جمعه من المنزَل وما معه من المفسَّر؟

۱- الفهرست: ۳۹.

۲- البرهان ۱ : ۲۶۲.

عائشه تجیز التقدیم والتأخیر فی السور وآیها

نعم، هناک مِن ال-مُحدّثین مَن شکّک فی توقیفیّه الآیات فی السوَر أیضا، بدعوی: أنّ المقدَّم من النصوص لا یصلح أن یکون دلیلاً، وأقصی ما فیها دلالتها علی توقیفیّتها فی تلک المواضع فقط، وقد مرّ علیک ما نقله الآلوسی عن البیهقی من أنّ جمیع السور ترتیبها توفیقی إلا براءه والانفال، مستدلّاً علی عدم التوقیفیّه بما أخرجه البخاری:

حدّثنا إبراهیم بن موسی، أخبرنا هشام بن یوسف، أنّ ابن جریج أخبرهم، قال: وأخبرنی یوسف بن ماهک، قال: إنّی عند عائشه أُمّ المؤمنین، إذجاءَها عراقیٌّ [فسألها عن مسائل، منها]: أنّه طلب أن تریه مصحفها، قال: یا أُمّ المؤمنین، أرینی مصحفکِ؟ قالت: لِ-مَ؟ قال: لَعلّی أُؤلّف القرآن علیه، فإنّه یُقرَأ غیر مؤلَّف.

قالت: وما یضرّک أیّهَ قرأتَ قبل؟! إنّما نزل أوّل ما نزل منه سوره من المفصّل، فیها ذکر الجنّه والنّار، حتّی إذا ثاب الناس إلی الإسلام نزل الحلالُ والحرام، ولو نزل أوّل شیءٍ (لا تشربوا الخمر) لقالوا: لا نَدَعُ الخمر أبداً، ولو نزل (لا تزنُوا) لقالوا: لا نَدَعَ الزّنی أبداً، لقد نزل بمکّه علی محمّدٍ وإنّی لَجاریهٌ ألعبُ: (بَلِ السَّاعَهُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَهُ أَدْهَی وَأَمَرُّ) ((۱))، وما نزلت سوره البقره والنساء إلّا وأنا عنده.

۱- سوره القمر: ۴۶.

قال: فأخرجَت له ال-مُصْحَف، فأمْلَت عليه آى السُّوره ((۱)).

فعائشه - طبق هذا النصّ - تجيز تقديم السور إحداها على الأخرى وتقديم الآيات وتأخيرها فى السوره الواحده، لقولها: (وما يضرّك أيَّهَ قرأت قبل؟!)، ثمّ أملت عليه آى السُّور، لا السور، سورهً، سورهً كامله.

قال ابن حجر فى (فتح البارى) عند شرحه للخبر فى قوله: (لعلّى أُؤلّف عليه القُرآن، فإنّه يقرأ غير مؤلّف):

... والّذى يظهر لى أنّ هذا العراقىّ كان ممّن يأخذ بقراءه ابن مسعود، وكان ابن مسعود لمّا حضر مُصْحَف عثمان إلى الكوفه لم يوافق على الرجوع عن قراءته [والأخذ بقراءه مصحف عثمان] ولا- [يوافق] على إعدام مُصحَفه، فكان تأليف مُصْحَفه مغايراً لتأليف مُصْحَف عثمان، ولا شكّ أنّ تأليف المُصْحَف العُثمانى أكثر مناسبهً من غيره، فلهذا أطلق العراقىّ أنّه غير مؤلّف.

وهذا كلّه على أنّ السؤال إنما وقع عن ترتيب السُّوَر، ويدلّ على ذلك قولها له: (وما يضرّك أيّهُ قرأت قبل؟)، ويحتمل أن يكون أراد تفصيل آيات كلّ سُوره، لقوله فى آخر الحديث: (فأملَت عليه آى السُّور)، أى

۱- اُنظر: صحيح البخارى ۴: ۱۹۱۰/ ح ۴۷۰۷ من باب تأليف القرآن، الجمع بين الصحيحين للحميدى ۴: ۲۰۱ / ح ۳۳۶۲ باب أفراد البخارى، وفيه: أيّه قرأت قبل. وكذا فى مصنف عبد الرزاق ۳: ۳۵۲ / ۲۹۴۳، وفى فضائل القرآن للنسائى: ۶۵ / ح ۱۲ باب كيف نزل القرآن، وفيه: أيّته قرأت. وانظر: إرشاد السارى ۷: ۴۵۳ وفيه شرح حول الخبر المذكور.

آيات كلّ سوره، كأن تقول له: سوره كذا مثلاً كذا كذا آيه، الأُولى كذا، الثّانيه ... إلخ.

وهذا يرجع إلى اختلاف عدد الآيات، وفيه اختلاف بين المدَنىّ والشّامىّ والبَصْرىّ، وقد اعتنى أئمّه القُرّاء بجمع ذلك وبيان الخلاف فيه، والأوّل أظهر.

ويحتمل أن يكون السّؤال وقع عن الأمرين، والله أعلم ...

إلى أن يقول:

وقال القاضى عِياض فى شرح حديث حُذَيْفه: إنّ النبىّ صلى الله عليه و آله قرأ فى صلاته فى اللّيل بسوره النّساء قبل آل عمران، هو كذلك فى مُصْحَف أُبىّ بن كعب، وفيه حجّه لمن يقول: إنّ ترتيب السُّوَر اجتهاد وليس بتوقيف من النبىّ صلى الله عليه و آله ، وهو قول جمهور العلماء.

واختاره القاضى الباقِلّانىّ، قال: وترتيب السُّوَر ليس بواجب فى التلاوه ولا فى الصلاه ولا فى الدرس ولا فى التعليم، فلذلك اختلفت المصاحف، فلمّا كُتب مُصْحَف عثمان رتّبوه على ما هو عليه الآن، فلذلك اختلف ترتيب مصاحف الصحابه. ثمّ ذكر نحو كلام ابن بَطّال، ثمّ قال: ولا خلاف أنّ ترتيب آيات كلّ سوره على ما هى عليه الآن فى المُصْحَف توقيفٌ من الله تعالى، وعلى ذلك نقلته الأُمّه عن

نبيّها ((١)).

وهـذا توجيهٌ من قِبل ابن حجر لكلام عائشه للعراقىّ لم يقبله دعاه عدم توقيفيّه الآيات فى السور، وذلك لما عرفوا من وجود اختلاف بين مصاحف الصحابه فى ترتيب السور، ولقول الراوى: (فأملت عليه آى السور)، وللتضادّ الموجود بين نصوص الصحابه والتابعين فى ترتيب الآيات والسور، فقد قال ابن عبّاس بأنّه لم ينزل بعد آيه الإكمال ((٢)) فريضه، وهو قريب لما قاله الإمامان الباقر والصادق عليهما السلام والسدّى، واختاره الجبائى والبلخى، بفارق أنّ بعضهم قال: «لم ينزل بعدها حلالٌ ولا حرام»، والآخر: «فريضه» ((٣)).

فى حين أنّ آيه الإكمال هى الآيه رقم ۳ من سوره المائده، وآيات الأحكام الّتى جاءت بعدها فى تلك السوره كثيره، كآيه تحليل الطيّبات والصيد برقم ۴، وآيه طعام أهل الكتاب برقم ۵، وآيه الوضوء برقم ۶، وآيه السارق والسارقه برقم ۳۸، وآيه الأيمان برقم ۸۹، وآيه الخمر برقم ۹۰، وآيه تحريم الصيد برقم ۹۵، وآيه تحريم ما حلّله المشركون برقم ۱۰۳، وآيه الإشهاد فى الوصيّه برقم ۱۰۷.

وقد تساءل من طرح هذا الكلام بالقول: فما هى المناسبه لإقحام آيه الإكمال

١- فتح البارى ٩: ٣٩ - ۴٠، وانظر: الانتصار للباقلانى ١: ٢٨۴ باب القول فى ترتيب السور.

٢- وهى: (الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً) (سوره المائده: ٣).

٣- أُنظر: تفسير الطبرى ۶: ٧٩، تفسير ابن كثير ٢: ١٣، تفسير القمى ١: ١۶٢، التبيان للطوسى ٣: ۴٣۵، الدرّ المنثور ٣: ١۶، مجمع البيان للطبرسى ٣: ٢٧٣.

ضمن آیات تحریم المیته والدم ولحم الخنزیر؟ ((۱))

قالها کأنّه یرید التشکیک بتوقیفیّه الآیات فی السور وأنّ الحقّ مع ابن عبّاس فی قوله: «لم ینزل بعد آیه الإکمال آیات حلالٍ وحرام».

وقد یضاف إلی ما قالوه إنّ دعاه عدم توقیفیّه الآیات فی السوَر قد یستدلّون بما اشتهر عن ترتیب الإمام علیّ علیه السلام للقرآن طبقاً للوقائع والحوادث، وأنّ المنسوخ عنده مکتوب قبل الناسخ، والمکّی قبل المدنی وهو مخالف للمصحف الرائج الیوم، لکن فاتهم أنّه علیه السلام قد کُتبت تلک الآیات طبق التنزیل نجوماً، أی أنّ الآیات المدونه عنده لم تکن للتلاوه، بل هی للعلم والتاریخ، وهی کانت یومیّات الدعوه الإسلامیّه، وقد دوَّنها طبق تاریخ وسنی الحوادث والترتیب الزمنی لها من أول البعثه الی آخرها، وهذا لا یعنی بأنّ مصحف الإمام یخالف الرائج بین أیدی المسلمین الیوم.

فهذه کانت بعض النصوص التی استدلّوا به علی عدم توقیفیّه الآیات فی السور، أما عدم توقیفیه السور فهو کثیر.

قال القسطلانی فی (لطائف الإشارات) - بعد أن أخرج عن ابن أبی داوود حدیثاً، قال:

أتی الحارث بن خزمه((۲)) بهاتین الآیتین من آخر سوره براءه، فقال: أشهد أنی

۱- اُنظر: التمهید فی علوم القرآن للشیخ محمّد هادی معرفه ۱: ۲۱۶ باب تألیف الآیات.

۲- هو الحارث بن خزمه بن عدی بن أبی غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج الأنصاری شهد بدراً والمشاهد ومات بالمدینه سنه اربعین وهو ابن سبع وستین. الإصابه ۱ : ۵۷۱ / ۱۴۰۱.

سمعتهما من رسول الله ووعيتهما، فقال عمر: وأنا أشهد لقد سمعتهما، ثم قال: لو كانت ثلاث آيات لجعلتهما سوره على حده، فانظروا سوره من القرآن فألحقوها فى آخرها – قال: فظاهره أنّهم كانوا يؤلّفون آيات السوَر باجتهادهم (۱).

وقال الكردى فى (تاريخ القرآن وغرائب رسمه):

ففى قول عائشه للعراقيّ: (وما يضرّك أَيَّهَ قرأتَ قبل؟!)، دليلٌ على أنّ ترتيب السُّور فى التلاوه ليس بواجب (۲)، وهو كذلك فى جميع المذاهب، فإنّه يجوز ترك ترتيبها فى الصلاه والتلاوه والدرس، لأنّ كلّ سورهٍ مستقلّهٌ بذاتها مستوفيهٌ لآياتها، ويفهم من هذا الحديث أنّ الناس كانوا يقرؤون القرآن ويكتبونه من غير ترتيبٍ لسُوَره، حتّى جمع عثمان مُصْحَفه وحمل الناس عليه.

فلو كان ترتيب المُصْحَف توقيفيّاً، لم يختلف ترتيب السوَر فى مصاحف كبار الصحابه، كعليّ بن أبى طالب وأُبيّ بن كعب وعبد الله بن عبّاس وعبد الله بن مسعود ومُعاذ بن جَبَل وعائشه أُمّ المؤمنين وزيد بن ثابت، فكلّ واحدٍ من هؤلاء كتب مُصْحَفه على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله .

فمُصْحَف عليّ كان أوّله: (إقرأ)، ثمّ (المدّثّر)، ثمّ (ن)، وهكذا إلى آخر المكّيّ

۱- لطائف الإشارات: ۵۹ – ۶۰.

۲- قد يُقال بأنّ ترتيب الآيات فى السوره الواحده غير واجب أيضاً، لقول عائشه آنف الذكر ولقول الراوى: (ثم أملت عليه آى السور)، وذلك لإمكان قراءه الإنسان من وسط السوره فى التلاوه والدرس، لكنّ الشيعه الإماميّه لا تجيز هذا الأمر فى الصلاه الواجبه، بل ترى لزوم قراءه سورهٍ كامله مع فاتحه الكتاب.

والمدنیّ، ومصحف ابن مسعود کان أوّله: (البقره)، ثمّ (النساء)، ثمّ (آل عمران) علی اختلاف شدید.

وقد ذکر ابن الندیم فی کتابه (الفهرست) ترتیب سُوَر مصاحف بعض الصحابه، کما ذکره أیضاً السیوطیّ فی کتابه (الإتقان)، فراجعهما إن شئت.

فلو کان هناک أمرٌ صریح أو إشارهٌ خفیّه من النبیّ صلی الله علیه و آله فی ترتیب سُوَر المُصْحَف، لما عَزَب ذلک علی هؤلاء، وهم من أجلّاء الصحابه وأکثرهم اتّصالاً به (علیه الصلاه والسلام) ... ((۱)).

وقد نقل القرطبیّ - بعد ذکره ما جاء فی ترتیب سور القرآن وآیاته - کلامَ ابن بطّال:

... ومَن قال بهذا القول [أی بتوقیفیه السور] لا یقول: إنّ تلاوه القرآن فی الصلاه والدرس یجب أن تکون مرتّبهً علی حسب التّرتیب الموقّف علیه فی المُصْحَف، بل إنّما یجب تألیف سُوَره فی الرسم والخطّ خاصّه، ولا یُعلَم أنّ أحداً منهم قال: إنّ ترتیب ذلک واجبٌ فی الصلاه وفی قراءه القرآن ودرسه، وأنّه لا یحلّ لأحدٍ أن یتلقّن الکهف قبل البقره ولا الحجّ قبل الکهف، ألا تری قول عائشه للّذی سألها: (لا یضرّکَ أیّه قرأتَ قبل)، وقد کان النبیّ صلی الله علیه و آله یقرأ فی الصلاه السورهَ فی رکعه، ثمّ یقرأ فی رکعهٍ أُخری بغیر السوره الّتی تلیها ((۲)).

۱- تاریخ القرآن الکریم: ۷۱ - ۷۲.

۲- تفسیر القرطبیّ ۱: ۶۱ باب ما جاء فی ترتیب سوَر القرآن.

قال الشيخ محمد هادی معرفه بعد روايته خبراً عن الإمام الصادق عليه السلام وابن عبّاس، والذی فيه أنّ النبیّ صلی الله عليه و آله كان يعرف انقضاء السوره بنزول (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)، قال:

كان كتبه الوحی يعرفون بوجوب تسجيل الآيات ضمن السُّوره الّتی نزلت بَسْمَلتها، حسب ترتيب نزولها واحدهً تِلو أُخری كما تنزل، من غير حاجهٍ إلی تصريحٍ خاصّ بشأن كلّ آيهٍ آيه. ((۱))

هكذا ترتّبت آيات السُّوَر وِفق ترتيب نزولها علی عهد الرسول الأعظم صلی الله عليه و آله ، وهذا ما نسمّيه (التّرتيب الطبيعی)، وهو العامل الأوّل الأساسیّ للترتيب الموجود بين الآيات فی الأكثريّه الغالبه.

... وقد نجد تغييراً موضعيّاً فی آيهٍ أو آيات علی خلاف ترتيبها الطبيعیّ، فی حين عدم نصّ خاصّ بشأن هذا التغيير، وربّما كانت الآيه نزلت فكتبها كاتب، ثمّ نزلت أُخری فكتبها كاتبٌ آخر فی غيبه الأوّل، فسجّلها قبل الأُولی من غير أن يعلم بما سجّله ذاک((۲))، فعند الجمع

۱- هذا المطلب علی إطلاقه غير ثابت، ذلک لأنّ القرآن الكريم إنّما كان ينزل علی أساس الوقائع والحوادث الخاصّه كما تقتضيه الحكمه الإلهيّه، ولم يثبت أنّ أغلب السور نزلت مترتّبه، فلربما نزلت جمله من آيات سورهٍ ثمّ تعقّبتها آيات من سورهٍ أخری غير السوره الأولی، بل نفس آيات السوره الواحده - خصوصاً إذا كانت من الطوال - لم يثبت أنها نزلت مرتبه، فما أفاده الشيخ معرفه رحمه الله لا يخلو من إشكال وإن كان صحيحاً فی الجمله.

۲- لا نقبل بهذا الكلام، إذ أن رسول الله وجبرئيل الأمين هما أشرفا علی ترتيب الآيات فی السور ولم تكن من فعل الصحابه.

الأخیر فی حیاه الرسول صلی الله علیه و آله أو بعد وفاته حصل ذلک التغییر الموضعیّ لعدّهٍ قلیلهٍ من الآیات.

وهذا احتمالٌ نحتمله بشأن هکذا آیاتٍ خرجت عن التّرتیب الطبیعیّ، ولم نجد علیها نصّاً خاصّاً.

هذا الاحتمال بنفسه کافٍ فی عدم إمکان الاستدلال - لفحوی آیه - بسیاقها الخاصّ، اللّهمّ إلّا إذا کانت المناسبه واضحه أو علمنا بها من خارج.

من ذلک ما نجده فی سوره الممتحنه؛ تبتدئ هذه السوره بآیات (۱ - ۹) نزلت فی العام الثامن بعد الهجره بشأن حاطب بن أبی بَلْتَعه، کان قد کاتَب قُریشاً یخبرهم بتأهُّب النبیّ صلی الله علیه و آله لغزو مکّه، وکان النبیّ صلی الله علیه و آله یحاول الإخفاء.

وتتعقّب هذه الآیات آیتان نزلتا بشأن سبیعه الأسلمیّه العام السادس من الهجره، کانت قد أتت النبیّ صلی الله علیه و آله مسلمهً مهاجرهً تارکهً زوجها الکافر، فجاء فی طلبها، فاستعصمت بالنبیّ صلی الله علیه و آله ، وصادف مجیئُهُ صلح الحُدَیْبیّه، إذ کان النبیّ صلی الله علیه و آله عاهد قریشاً أن یردّ علیهم کلّ مَن یأتیه من مکّه، فأخذ الزوجُ فی محاجّه النبیّ صلی الله علیه و آله قائلاً: أُردد علَیّ امرأتی علی ما شرطتَ لنا، وهذه طینه الکتاب لم تجفَّ. فتحرّج النبیّ صلی الله علیه و آله فی أمرها، فنزلت الآیتان.

وبعد هاتین الآیتین آیاتٌ نزلت بشأن مبایعه النساء عام الفتح، وهی السنه التّاسعه من الهجره!

وأمّا الآيه الأخيره من السُّوره، فإنّها ترتبط مع آيات الصدر تماماً، ومِن ثَمّ قالوا: إنّ دراسه هذه السوره تعطينا خروجاً على النظم الطبيعىّ للآيات، من غير ما سبب معروف.

ومن ذلک أيضاً ما نجده فى سوره البقره فيما يخصّ آيات الإمتاع والإعداد، کان التشريع الأوّل فى المرأه المتوفّى عنها زوجها أن تعتدّ حولاً ـ کاملاً ـ ولا تخرج من بيت زوجها، وکان ميراثها هو الإنفاق عليها ذلک الحول فقط، والآيه نزلت بهذا الشأن، هى قوله تعالى: (وَالَّذِيْنَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُوْنَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ) - الآيه رقم ۲۴۰، ثمّ نُسخ هذا التشريع بآيه الإعداد أربعه أشهر وعشراً برقم ۲۳۴ من نفس السوره، وبآيه المواريث برقم ۱۲ من سوره النساء.

... وينتج من هذا البحث عدم إمکان الاستناد فى تفسير آيهٍ أو فهم فحواها إلى موقعيّتها الخاصّه من آياتٍ سابقه أو لاحقه، إلّا بعد التأکّد القطعىّ من أصاله التّرتيب الموجود بينها وبين قريناتها فى جملهٍ من آياتٍ نزلت دفعهً واحدهً ((۱)).

هذا هو کلام الشيخ معرفه رحمه الله.

وقال العلّامه الطباطبائى فى کتابه (القرآن فى الإسلام):

۱- التمهيد فى علوم القرآن ۱: ۲۱۲، ۲۱۴، ۲۱۷ من باب تأليف الآيات.

والآیـات والسّور القرآنیه لم تنزل قطعاً (۱) علی الترتیب الّـذی نقرؤه فی القرآن الیوم، بـأن تکون أوّلاً ـ سوره الفاتحه ثمّ سوره البقره ثمّ سوره آل عمران ثمّ سوره النسـاء وهکـذا.. لأنّه بالإضافه إلی الشواهـد التاریخیه علی ذلک، فإنّ مضامین الآیات نفسـها تشـهد علیه؛ لأنّ بعض السور والآیـات لهـا مضامین تناسب أوائل زمن البعثه وهی واقعه فی أواخر القرآن، کسوره العلق والنون، وبعضـها تنـاسب مـا بعـد الهجره وأواخر عصـر الرسول وهی واقعه فی أوائـل القرآن، کسوره البقره وآل عمران والنسـاء والأنفال والتوبه.

إنّ اختلاف مضامین السور والآیات وارتباطها الکامل بالأحـداث والحوادث الّتی وقعت طیله أیّام الـدّعوه، یفرض علینا القول بأنّ القرآن نزل فی ثلاثٍ وعشرین سنه؛ عصر الدّعوه النبویّه.

فمثلاً ـ الآیـات الّتی تـدعو المشـرکین إلی الإسـلام ونبـذ عبـاده الأوثان تَتناسب مع عصـر قبل هجره الرسول من مکّه، حیث ابتلی الرسول بالوثنیّین، وأمّا آیات القتال وآیات الأحکام فقد نزلت فی المدینه المنوّره،

۱- لأنّ القرآن نزل منجمـا بعـد نزوله الـدفعی، والسور ألفت بعـد انتهـاء نزول آیاتهـا فی رمضـان من کـل عـام - خلال ثلاث وعشـرین سنه -، فقد تکون سورتان أو عشره سور أو أکثر من ذلک أو أقل انتهی نزولها فی عام واحد، فکان یسمح بقراءتها فی الصلاه وکتابتها فی المصـحف وهو معنی قوله تعالی: (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِـ-عْ قُرْآنَهُ)، وقوله تعالی: (وَقُرْآنا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلَی مُکْثٍ)، وبذلک یکون ترتیب النزول غیر ترتیب التلاوه عندنا.

حیث أخذ الإسلام ینتشر، وأصبحت المدینه تشکّل حکومهً إسلامیّه کبری ((۱)).

وقال فی (المیزان) - معلّقاً علی خبر ابن عباس: قال: قلت لعثمان: ما حملکم علی أن عمدتم إلی الانفال وهی من المثانی؟ ... -:

أقول: السبع الطوال - علی ما یظهر من هـذه الروایه، وروی أیضاً عن ابن جبیر - هی البقره وآل عمران والنساء والمائده والأنعام والأعراف ویونس، وقـد کانت موضوعه فی الجمع الأول [أی فی عهـد أبی بکر] علی هـذا الترتیب، ثمّ غیّر عثمان هـذا الترتیب، فأخذ الأنفال وهی من المثانی وبراءه وهی من المئین قبل المثانی، فوضعها بین الأعراف ویونس مقدِّماً الأنفال علی براءه ((۲)).

والکلام عن هذا الموضوع طویل وشائک، قد نعود إلیه لاحقاً ((۳)).

الإنزال الدفعی والتدریجی ومواضع الآیات

إنّ إنزال القرآن دفعهً واحدهً من اللّوح المحفوظ إلی السماء الدنیا یؤکّد علم الله

۱- القرآن فی الإسلام: ۱۱۹ - ۱۲۰.

۲- المیزان ۱۲: ۱۴.

۳- فی الکتاب الثانی من هذه الدراسه حین مناقشتنا لروایات التحریف عند الفریقین والّتی لم نکتبها بعد.

بکلّ الوقائع والأحداث الّتی ستحدث لاحقاً للناس، لأنّه سبحانه العالم بما کان وما یکون وما هو کائنٌ إلی یوم القیامه.

وقد یُفهَم من اعتراض الکفّار علی الرسول صلی الله علیه و آله فی لزوم نزول القرآن جملهً واحده فی قوله تعالی: (وَقَالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَهً وَاحِدَهً کَذلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَکَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِیلاً * وَلاَ یَأْتُونَکَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاکَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِیراً) ((۱))، بأنّهم عرفوا نزول الکتب السماویّه قبل النبیّ محمّد صلی الله علیه و آله علی الأنبیاء جمله واحده، فلماذا یرون نزول القرآن علی محمّد بن عبد الله صلی الله علیه و آله منجّماً الآن؟

قالوا بذلک لأنّهم کانوا لا یعلمون بإنزاله دفعهً واحدهً من اللّوح المحفوظ إلی السماء الدنیا((۲)) قبل نزوله منجّماً علی رسوله، وإنّ الله سبحانه لم یکذّبهم فیما ادّعوه عن الرسالات السابقه، بل أجابهم ببیان الحکمه فی نزول القرآن مفرّقاً وأنها لتثبیت فؤاد النبی محمّد ولکی یصون أمته من التحریف وما شابه ذلک.

ولو کان نزول الکتب السماویه السابقه مفرّقاً - کالقرآن - لردّ علیهم سبحانه بالتکذیب، ولقال لهم: إنّها سنّه الله وسنّه المرسلین من قبله صلی الله علیه و آله ، کما جاء فی ردّه علیهم فی قوله: (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَکَ مِنَ الْمُرْسَلِینَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَیَأْکُلُونَ الطَّعَامَ وَیَمْشُونَ فِی الأَسْوَاقِ) ((۳))، جواباً لطعنهم فی الرسول وقولهم: (مَالِ هذَا الرَّسُولِ یَأْکُلُ الطَّعَامَ

۱- سوره الفرقان: ۳۲ و۳۳.

۲- بالنزول الإیحائی.

۳- سوره الفرقان: ۲۰.

وَيَمْشِى فِى الْأَسْوَاقِ) ((۱)).

وقد قال السيوطى فى سر إنزاله جمله واحده ومنجماً:

قيل: السرّ فى إنزاله جملهً إلى السماء، تفخيمُ أمره وأمر مَن نزل عليه، وذلك بإعلام سكّان السماوات السبع أنّ هذا آخر الكتب المنزله على خاتم الرسل لأشرف الأُمم، قد قرّبناه إليهم لننزله عليهم، ولولا أنّ الحكمه الإلهيه اقتضت وصولَه إليهم مُنجَّماً بحسَب الوقائع لهبط به إلى الأرض جمله، كسائر الكتب المنزَله قبله، ولكنّ الله بايَنَ بينه وبينها، فجعل له الأمرين: إنزاله جمله، ثم إنزاله مفرّقاً؛ تشريفاً للمُنزَل عليه. ذكر ذلك أبو شامه فى (المرشد الوجيز) ((۲)).

وقال الحكيم الترمذىّ: أُنزل القرآن جملهً واحدهً إلى سماء الدنيا تسليماً منه للأُمّه ما كان أبرز لهم من الحظّ بمبعث محمّد صلى الله عليه و آله ، وذلك أنّ بعثته كانت رحمه، فلمّا خرجت الرحمه بفتح الباب جاءت بمحمّدٍ صلى الله عليه و آله وبالقرآن، فوضع القرآن ببيت العزّه فى السماء الدنيا ليدخل فى حدّ الدنيا، ووضعت النبوّه فى قلب محمّد، وجاء جبرئيل بالرساله ثمّ الوحى، كأنّه أراد تعالى أن يُسلّم هذه الرحمه الّتى كانت حظّ هذه الأُمه من الله إلى الأُمه ((۳)).

۱- سوره الفرقان: ۷.

۲- أنظر: الإتقان ۱: ۱۱۹ / ح ۵۰۸ - عن: المرشد الوجيز: ۴۲.

۳- أنظر: الإتقان ۱: ۱۱۹ / ح ۵۰۹.

وقال السخاوی فی (جمال القرّاء): فی نزوله إلی السماء جملهً تکریمُ بنی آدم وتعظیم شأنهم عند الملائکه، وتعریفهم عنایه الله بهم ورحمته لهم، ولهذا المعنی أمَر سبعین ألفاً من الملائکه لما أنزل سوره الأنعام أن تزفها، وزاد سبحانه فی هذا المعنی بأنْ أَمَرَ جبرئیل علیه السلام بإملائه علی السَّفَره الکرام البرره علیهم السلام وإنساخهم إیاه وتلاوتهم له.

قال: وفیه أیضاً التسویه بین نبیّنا صلی الله علیه و آله وبین موسی علیه السلام فی إنزال کتابه جمله، والتفضیل لمحمّد فی إنزاله علیه منجّماً لیحفظه ((۱)).

وعلیه، فإنّ مسأله عرض رسول الله صلی الله علیه و آله القرآن علی جبریل علیه السلام فی کل عام کانت فیها فوائد عظیمه ((۲))، مضافاً إلی تثبیته فی قلب النبی محمد، ودقه الضبط والتثبت فی الآیات کما یقولون، أهمّها تعیین أماکن الآیات من کلّ سورهٍ فی قرآن التلاوه؛ وبمعنی آخر: إرجاع القرآن المنجَّم (الاقرائی) إلی ترتیب النزول الدفعی الذی أراد الله التلاوه به فی القرآن.

وإنّ فی کلامه صلی الله علیه و آله : «ضعوا الآیه الفلانیّه فی المکان الفلانی من السوره الفلانیه»، أو قوله صلی الله علیه و آله : «أتانی جبریل فأمرنی أن أضع هذه الآیه ... فی سوره النحل»، أو ما جاء فی قول جبریل علیه السلام : «ضعوا کذا فی موضع کذا»، أو: «یا محمّد، ضعها فی رأس ثمانین ومائتین من البقره».. إشاره منه إلی هذا الأمر الخطیر، وأنَّ علی الصادق الأمین

۱- جمال القراء : ۱۵۳ - ۱۵۴، وعنه فی الإتقان ۱: ۱۲۰ / ح ۵۱۰.

۲- کنا قد أشرنا فی أول هذا المبحث - أعنی الترتیب - إلی اللقاء الثنائی بین جبرئیل الأمین والصادق الأمین وفوائد العرضه الأخیره، والآن نستنتج فوائد أخری منها.

وجبرئيل الأمين إرجاع النازل نجوماً إلى أماكنها فى السور فى قرآن التلاوه وذلک بأمرٍ من الله سبحانه وتعالى، وهو معنى قوله تعالى: (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) ((۱))، وقوله تعالى: (كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) ((۲)).

كما أنه يبيّن سرّ إشراف رسول الله صلى الله عليه و آله على ترتيب الكتاب العزيز ((۳))، وسبب عرض رسول الله القرآن على جبرئيل كلّ عام، مع أنّ الله سبحانه صان رسوله من النسيان وقد أقرأه ذلک الكتاب (سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنسَى) ((۴))، إذن فما يعنى سر هذا اللّقاء الثنائىّ بينهما فى كل عام؟ وما الفائده منه؟ مع إقرارنا بأنّ محمّد بن عبد الله صلى الله عليه و آله هو رسول الله، والمبلّغ الصادق الأمين للوحى؟ إلّا أن نقول بأن الدقّه فى الضبط والحفاظ على نصّه ولزوم قراءته وإقرائه طبقاً لما نزل من اللّوح المحفوظ إلى البيت المعمور - أو إلى سماء الدنيا أو على صدر النبى محمّد صلى الله عليه و آله - كانا مما شرعا للوقوف أمام المدعيات الكاذبه للآخرين فى جمع القرآن.

وقد أقرّ نولدکه وهو باحث مستشرق بوجود تطابق بين ترتيب الآيات المنزله

۱- سوره القيامه: ۱۸.

۲- سوره هود: ۱.

۳- فما جاء عنه صلى الله عليه و آله فى فضيله بعض الآيات، أو فى تحديد بعض الآيات لموضوعٍ خاص، كقوله مثلاً: «إقرأ الآيتين من آخر سوره البقره»، أو: «الآيات الأخيره من سوره الكهف»، أو: كذا وكذا، يؤكّد إشرافه صلى الله عليه و آله على ترتيب المصحف الرائج اليوم، لأنّ تأكيده على قراءه الآيات العشر من آخر سوره كذا وأمثالها فيها دلاله على قرآنيتها عند البارى جل وعلا.

۴- سوره الأعلى: ۶.

نجوماً مع النازله دفعه واحده حيث قال:

انّ الآيات المنفرده المختلفه التى يتألّف منها كتاب الإسلام المقدّس، تعود بناءً على إشاراتٍ كثيره متضمّنه فيها، إلى كتاب محفوظ فى السماء، وذلك فى مطابقه دقيقه له، فى حين أنّ كتب المسيحيين واليهود المقدّسه تنبثق من النموذج الأعلى ذاته، غير أنّها تعرّضت لتشويه كبير((۱)).

وبعد هذا يكون ترتيب المصحف اليوم هو ما وافق اللّوح المحفوظ؛ ولم يقع فيه التحريف حسب إقرار علماء الإسلام وبعض المستشرقين أيضاً، بعكس التوراه والإنجيل المحرفتان، لأنّ الله لم يجوّز لرسوله أن يقرأ القرآن قبل أن يقضى به الوحى، فكيف يرضى صلى الله عليه و آله للمسلم أن يقرأ آيات القرآن فى صلاته قبل إكمال نزولها وقضاء الوحى بتلاوتها؟

أو كيف يرضى سبحانه وتعالى أن يقرأ المسلم كتابه المقدّس بالمترادف من الكلمات، أو بالمعنى كما يريده بعض المسلمين؟!

فالله سبحانه كان لا يسمح للنبىّ أن يستعجل فى إقرار الآيات والسور قبل إكمال نزولها منجماً، لقوله تعالى: (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) ((۲))، وقوله تعالى: (وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْکَ وَحْيُهُ وَقُل رَبِّ زِدْنِى عِلْماً) ((۳))، وأمثالها.. فكيف يرضى بما

۱- تاريخ القرآن لنولدكه ۲ : ۲۳۷.

۲- سوره القيامه: ۱۶ - ۱۹.

۳- سوره طه: ۱۱۴.

قالوه عن جمعه بشاهدين، وبيد غير المعصوم، وفى زمن الفتنه على وجه الخصوص؟! إن ما قالوه قبيح جداً لا يستسيغه عاقل.

حصيله البحث

إن مدرسه الخلفاء الثلاثه - بابتعادها عن منهج رسول الله - أساءت إلى الفكر الاسلامى الأصيل، لكنّ مدرسه أهل البيت صححت اتجاههم المغلوط، فإنّهم لو أرادوا الاحتجاج بالقرآن للزمهم أن يقولوا بما تقول به مدرسه الامامه والوصايه وأنه مجموع على عهد رسول الله، وقد أشرف صلى الله عليه و آله على ترتيبه، وقد ضبطت آياته وسوره فى اللقاء الثنائى بين جبرئيل الأمين والصادق الأمين، وجمع ذلك الكتاب بين الدفتين من قبل أكثر الصحابه علماً، وأقدمهم إسلاماً، وأقربهم إلى رسول الله، وهو الذى لم يسجد لصنم قط، أعنى مولانا أميرالمؤمنين على بن أبى طالب.

ولرجوع أصل أربعه من القراءات السبعه إليه عليه السلام ، فإنهم يجب أن يقولوا بهذا الكلام لا أن يقولوا بأنه قد جمع أيام الفتنه وبشاهدين وبيد غير المعصوم! وأن ترتيبه كان باجتهاد الصحابه لا رسول الله!

أجل انّ أتباع مدرسه الخلفاء لم يكتفوا بذلك، بل تعدوه فأخذوا يفسّرون القرآن طبقا لرأيهم، ولم يمنعهم عن ذلك تشابه آياته، ولو كانوا يذعنون أن العلم بتأويل المتشابه هو لم يكن لكل أحد بل هو مما استأثر الله بعلمه للراسخين فيه، وأنّ المتصدى للتفسير والتأويل يجب أن يكون عارفاً بجميع وجوه المعرفه، ومن الراسخين فى العلم - الذين اختصهم الله وارتضاهم - لما ساغ لهم هذا العمل، مع التأكيد على أنّ الخلفاء الثلاثه باعترافهم لا يعرفون جميع ذلك ولم يدعى ذلك أحد منهم إلّا وصى الرسول

محمّد: أعنی علی بن أبی طالب ([(۱)](#)).

کان هذا إجمال الکلام عن المرحله الثانیه من مراحل تاریخ القرآن، وإلیک المرحله الثالثه منها، وهی أصل الدراسه ولُبّ البحث:

۱- قد وضحناه فی کتابنا (منع تدوین الحدیث) فلیراجع.

۳ - الجمع والتأليف:

اشاره

فی جمع القرآن أقوال عدّه:

۱- الجمع فی عهد رسول الله صلی الله علیه و آله .

۲- الجمع بعد وفاته صلی الله علیه و آله مباشرهً بواسطه الإمام علی علیه السلام .

۳- الجمع فی عهد الشیخین.

۴- الجمع فی عهد عثمان بن عفّان.

۱ – الجمع فی عهد رسول الله صلی الله علیه و آله :

اشاره

أشرنا آنفاً إلی النزولین الدفعیّ والتدریجیّ للقرآن أو قل الایحائی والاقرائی، وأنّ الله بواسطه أمینه جبریل أمر نبیّه محمّداً صلی الله علیه و آله بإرجاع تلک الآیات إلی أماکنها من قرآن التلاوه، والرّسول صلی الله علیه و آله أمر کَتَبه الوحی أن یدوّنوها ثمّ یرتّبوها فی السور بإشرافٍ منه صلی الله علیه و آله ؛ لحرصه علی دینه وتدوین کتاب ربّه.

«وقد سنّ صلی الله علیه و آله جمع القرآن وکتابته وأمر بذلک وأملاه علی کَتَبته، وإنّه صلی الله علیه و آله لم یمت حتّی حفظ جمیعَ القرآن جماعهٌ من الصحابه، وحفظ الباقون منه جمیعه متفرّقاً، أو عرفوه وعلموا مواقعه ومواضعه علی وجه ما یعرف ذلک الیوم مَن لیس من الحفّاظ لجمیع القرآن» ((۱)).

فالمسلمون قطعاً کانوا یقرؤون – فی صلواتهم بمکّه المکرّمه – بعض تلک السور النازله علیه هناک، ومن الثابت أیضاً أنّ بعض الصحابه جمعوا تلک السور المقروءه آنذاک والّتی تعلّموها من رسول الله فی صدورهم وفی مصاحف لهم حفظاً وکتابهً، علی تفاوتٍ فی الجمع قلّهً وکثره.

۱- جامع البیان فی القراءات السبع المشهوره لأبی عمرو الدانی (مخطوط)، کما عن رسم المصحف لغانم قدوری الحمد: ۹۹.

فقد يكون بعض الصحابه جمع: الأنعام، والأعراف، ويونس، وإبراهيم، وق، والذاريات، والطور، والنجم، والقمر، والواقعه.

والآخر جمع: الحِجر، والإسراء، والكهف، ومريم، والروم، ولقمان، والسجده، والأعلى، والغاشيه، والفجر، والمُلك.

وثالث جمع: طه، والأنبياء، والمؤمنون، والفرقان، والشعراء، والنمل، والقصص، والعنكبوت، وسبأ، وفاطر، ويس.

ورابع: الصافّات، وص، والزمر، وغافر، وفُصِّلَت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثيه، والأحقاف، والجنّ، ونوح.

وبهذا اختلف جمع وترتيب مصاحف هؤلاء الصحابه فى سعه ما جمعوه قلّهً وكثرهً وفى التقديم والتأخير بين ترتيب السور المجموعه ولهذا ترى ترتيب مصحفى أبى وابن مسعود وعلى وغيرهم من الصحابه يختلفان، فالذى ذكره ابن النديم عن مصحفى أبى وابن مسعود يختلف مع الذى حكاه اليعقوبى عن ترتيب مصحف على بن أبى طالب، وحتّى أنّك ترى اختلاف ترتيب مصحفى أبى وابن مسعود المذكوره فى الفهرس عما هو موجود فى الإتقان عنهما، ولهذا قالوا بعدم توقيفيه ترتيب السور فى القرآن.

فالصحابه إذن كانوا يجمعون ما ينزل على رسول الله صلى الله عليه و آله ويقرؤون ويكتبون بما يُقَرّ من قبل الله ورسوله بعد الاجتماع الثنائى فى شهر رمضان من كل عام أى أنّ الإنزال الإقرائى هو الذى كان يقرأ به.

ومما يؤكّد وجود مصاحف على عهد رسول الله هو أمره أصحابه بعدم أخذ تلك المصاحف الموجوده عندهم إلى أرض العدوّ، إشارهً منه إلى تعظيمها وأهمّيتها.

كلّ هذه الأمور تدل على إصاله التدوين على عهد رسول الله، وهذا أمر يقرّ به

العقل والشرع حتّى ترى كثيراً من المستشرقين يقبلونه ويؤكدون عليه فقال نولدكه:

عدا التدوين الذى كان محمّد نفسه وراءه، ربّما كانت هناك أيضاً عمليات تدوين أخرى تتفاوت فى حجمها، قام بها مناصرون غيورون لتعليمه بأنفسهم أو أوكلوا بها آخرين. إلى جانب هذا، كان هناك الحفظ فى الذاكره، الذى كان فى وقت كانت القراءه والكتابه من الفنون النادره ذا أهميّه كبيره((۱)).

وبهذا قد يكون فيما أخرجه أحمد وأبو داوود وابن ماجه عن أوس بن حذيفه دلالهٌ على مشروعيّه تأليف القرآن على أحزاب، ونصٌّ على عمليه جمع القرآن فى عهد النبى صلى الله عليه و آله ، إذ قال أوس بن حذيفه:

كنت فى الوفد الّذين أتوا رسول الله صلى الله عليه و آله أسلموا من ثقيف من بنى مالك، أُنزلنا فى قبّهٍ له، فكان يختلف إلينا بين بيوته وبين المسجد، فإذا صلّى العشاء الآخره انصرف إلينا، ولا نبرح حتّى يحدّثنا ويشتكى قريشاً ويشتكى أهل مكّه، ثمّ يقول: لا سواء، كنّا بمكّه مستذلّين ومستضعفين، فلمّا خرجنا إلى المدينه كانت سجال الحرب علينا ولنا. فمكث عنّا ليله، ثمّ لم يأتِنا حتّى طال ذلك علينا بعد العشاء. قال: قلنا: ما أمكثك عنّا يا رسول الله؟ قال: طرأَ علَىّ حزبٌ من القرآن، فأَردتُ أن لا أخرج حتّى أقضيه. قال: فسألنا أصحابَ رسول الله حين أصبحنا، قال: قلنا: كيف تحزّبون القرآن؟ قالوا: نحزّبه ثلاث سور، وخمس سور،

۱- تاريخ القرآن بتصحيح شفالى ۲ : ۲۳۹.

وسبع سور، وتسع سور، وإحدى عشره سوره، وثلاث عشره سوره ((۱)).

وعليه، فكما أنّ السوره أو الآيه تسمّى قرآناً من باب إطلاق الكلّ على الجزء، فلا يُستبعَد أن يسمّى الحزب مصحفاً لجمعه بين الدفّتين أيضاً.

ولا أودّ أن يكون كلامى سرداً وادّعاءً فى وجود مصاحف على عهد رسول الله، بل علَىّ أن أُوثّق كل ما أقوله بالأرقام، تاركاً المطالع الكريم مع بعض تلك الأدله لأوكد عدم صحه ما قالوه من إهمال رسول الله أمر جمع القرآن وأنّها دعوى تخالف الحقائق.

۱- أُنظر: سنن أبی داوود ۲: ۵۵ / ح ۱۳۹۳ الباب ۳۲۷ تحزيب القرآن، وسنن ابن ماجه ۱: ۴۲۷ / ح ۱۳۴۵ الباب ۷۸ فی كم يستحبّ أن يختم القرآن، مسند أحمد ۴: ۹ / ح ۱۶۲۱۱ حديث أوس بن أبی أوس الثقفی، والمتن منه.

الأخبار الدالّه على وجود مصحفٍ أو مصاحف على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله :

هناك أخبارٌ كثيره دالّهٌ على وجود مصحفٍ عند النبيّ صلى الله عليه و آله ، كما أنّ للصحابه مصاحف، وأنّ أهل بيت الرساله أشاروا إلى وجود أوراقٍ عند منبر رسول الله مخصوصه لكتابه المصحف، كل ذلك دلالهً منهم على مشروعيّه كتابه المصحف على عهد رسول الله وتحقّقه.

وإليك بعض تلك الأخبار:

١ - روى عثمان بن أبى العاص خبر وفد ثقيف، فقال عثمان: ... فدخلتُ على رسول الله، فسألتُه مصحفاً كان عنده، فأعطانيه ((١)).

٢ - وعن أبى نضره، قال: أتينا عثمان بن أبى العاص يوم جمعه لنعرض على مصحفه مصحفاً لنا ((٢)).

٣ - وعن ابن عبّاس أنّه قال: كانت المصاحف لا تُباع؛ كان الرجل يأتى بورقه عند النبيّ، فيقوم الرجل فيحتسب فيكتب، ثمّ يقوم آخر فيكتب، حتّى يفرغ من

١- الآحاد والمثانى ٣: ١٩١ / ح ١٥٢٨، المعجم الكبير ٩: ٦١ / ح ٨٣٩٣ - عنه: مجمع الزوائد ٩: ٣٧١.

٢- الآحاد والمثانى ٣: ١٩٣ / ح ١٥٣٣، المعجم الكبير ٩: ٦٠ / ح ٨٣٩٢، وانظر: مصنّف بن أبى شيبه ٧: ٤٩١ / ح ٣٧٤٧٨، ومسند أحمد ٤: ٢١٦ / ح ١٧٩٣١ وح ١٧٩٣٢.

المصحف ((۱)).

۴ - وفی (الکافی)، عن روح بن عبد الرحیم، عن أبی عبد الله [الصادق علیه السلام]، قال: سألتُه عن شراء المصاحف وبیعها، [فقال]: «إنّما کان یوضَع الورقُ عند المنبر، وکان ما بین المنبر والحائط قدر ما تمرّ الشاه أو رجل منحرف» ((۲))، قال: «فکان الرجل یأتی ویکتب من ذلک، ثمّ إنّهم اشتروا بعد ذلک».

قلت: فما تری فی ذلک؟

قال: «أشتری أحبُّ إلیَّ من أن أبیعه».

قلت: فما تری إن أُعطی علی کتابته أجراً؟

قال: «لا بأس، ولکن هکذا کانوا یصنعون» ((۳)).

۵ - ویؤیّده ما رواه مسلم، عن ابن الأکوع: أنّه کان یتحرّی موضع مکان المصحف یُسبِّح فیه، وذکر أنّ رسول الله صلی الله علیه و آله کان یتحرّی ذلک المکان، وکان بین المنبر والقبله قدر مَ-مَرِّ الشاه ((۴)).

۱- السنن الکبری للبیهقی ۶: ۱۶ / ح ۱۰۸۴۸، الدرّ المنثور ۱: ۲۰۴ - عن: أبی داوود فی المصاحف ۲: ۵۸۰ / ح ۵۵۹ عن علیّ بن الحسین قال: کانت المصاحف لا تباع. قال: وکان الرجل یجیء بورَقِه عند المنبر، فیقول: من الرّجل یحتسب فیکتب لی؟ ثمّ یأتی الآخر فیکتب، حتّی یتمّ المصحف.

۲- أی: متمایل إلی جانبٍ ما.

۳- الکافی ۵: ۱۲۲ / ح ۳، التهذیب للطوسی ۶: ۳۶۶ / ح ۱۰۵۲.

۴- صحیح مسلم ۱: ۳۶۴ / ح ۵۰۹، الجمع بین الصحیحین ۱: ۵۷۲ / ح ۹۵۰ فی المتّفق علیه من مسند سلمه بن الأکوع.

۶ - وكذا نرى فى قوله صلى الله عليه و آله : «لا صلاه لمن لم يقرأ بفاتحه الكتاب» ((۱))، أو «من صلّى صلاةً لم يقرأ فيها بفاتحه الكتاب فهى خداج» ((۲))، وغيرها من الأخبار - خاصّةً تلك الّتى صدرت فى آخر عهد النبوّه، حيث كان الكتاب غالبه منزَلًا مدوَّناً على العسب ((۳)) واللخاف ((۴)) والأديم والأكتاف ((۵)) والأقتاب ((۶)) والرقاع ((۷)) والحرير((۸)) والقراطيس ((۹)) -، لها دلاله على وجود كتابٍ بين أيدى المسلمين، لأنّ اسم الكتاب لا يصحّ إطلاقه عرفاً إلّا بعد كتابته وترتيب أوراقه ومطالبه، وقد عرفت بأن جمله من ذلك الكتاب كان موجوداً بيد الصحابه فيمكن تسميته كتاباً من باب تسميه

۱- صحيح البخارى ۱: ۲۶۳ / ح ۷۲۳، صحيح مسلم ۱: ۲۹۵ / ح ۳۹۴، سنن الترمذى ۲: ۲۵ / ح ۲۴۷، سنن أبى داوود ۱: ۲۱۷ / ح ۸۲۲، سنن ابن ماجه ۱: ۲۷۳ / ح ۸۳۷.

۲- صحيح مسلم ۱: ۲۹۷ / ح ۳۹۵ باب وجوب قراءه الفاتحه.

۳- العُسُب: جمع العسيب، وهو السعف قبل أن ييبس، ولا يسمّى عسيباً حتّى يجرّد عنه الخوص (جمهره اللغه ۱: ۳۳۸).

۴- اللِّخاف: جمع اللَّخْفه، حجاره بيض الرّقاق (تهذيب اللغه ۷: ۱۶۸).

۵- الأكتاف: جمع كتف، وهو عظم خلف منكب الإبل أو الشاه (المغرب فى ترتيب المعرب ۲: ۲۰۷).

۶- الأقتاب: جمع قتب، وهو الخشب الّذى كانوا يضعونه على ظهر البعير ليركبوا عليه.

۷- الرقاع: جمع رقعه، ولها معنى واسع يشمل أوراق الأشجار وجلود الحيوانات وكلّ ألوان الورق الأُخرى.

۸- الحرير: نسيج كانوا يكتبون القرآن أحياناً عليه.

۹- القراطيس: جمع قرطاس، وهو الورق.

الجزء باسم الكل؛ لأنّ الكتاب مصدرٌ سُمّی به المکتوب، فتسمیه القرآن بالکتاب قد جاء بعد نزوله من اللوح المحفوظ وبعد تدوینه وجمعه فی مصاحف من قبل الصحابه، وإن لم تکن تلک المصاحف شاملهً لجمیع سور القرآن، بل لوجود جمیعها عند جمیعهم.

وقد تأکّد إطلاق اسم الکتاب علی القرآن بعد هجره النبیّ صلی الله علیه و آله إلی المدینه؛ إذ قال سبحانه فی أوّل سوره البقره المدنیّه: (ذلِکَ الْکِتَابُ لاَ رَیْبَ فِیهِ هُدیً لِلْمُتَّقِینَ).

غیر منکرین بأنّ کلمه (الکتاب) قد وردت فی جملهٍ من الآیات والسور المکّیه أیضاً، کقوله تعالی: (إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَیْکَ الْکِتَابَ) ((۱))، وقال تعالی: (تَنزِیلُ الْکِتَابِ لاَ رَیْبَ فِیهِ) ((۲))، وقال تعالی: (الر تِلْکَ آیَاتُ الْکِتَابِ الْ-حَکِیمِ) ((۳))، لکنّ مجیئها فی السور المدنیه لها دلالتها الخاصّه وان رسول الله کان یتلوها من الصحف المطهره لقوله فی سوره البینه: (رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ یَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَهً).

وإن ورودها فی السور المکیه هو إشاره إلی أنّ الله هو العالم بما یؤُول إلیه أمر العالم، وأنّ فی کتابه جمیع الامور، وقد أنزله علی صدر النبیّ محمّد صلی الله علیه و آله ایحاءاً، وإنّ کلّ ما نزل إلی ذلک الحین واُقْرِءَ فقد دُوّن وجُمع، فهو موجودٌ قد تحقّق مصداقه من خلال جمع أجزائه أیّام رسول الله صلی الله علیه و آله - فی العُسُب واللِّخاف والورق وأمثالها - أی: أنّه اُطلق علیه لفظ الکتاب من باب إطلاق الجزء علی الکلّ، ولا یخفی علیک أنّ رسول الله صلی الله علیه و آله قد أشار إلی وجود ذلک الکتاب فی حدیث الثقلین الآتی أیضاً.

۱- سوره العنکبوت: ۵۱.

۲- سوره السجده: ۲.

۳- سوره یونس: ۱.

۷ - قال رسول الله صلى الله عليه و آله فی حدیث الثقلین: «إنّی قد ترکت فیکم الثقلین، أحدهما أکبر من الآخر؛ کتابَ الله وعترتی، فانظروا کیف تخلفونی فیهما ...» ((۱)).

فقوله صلى الله علیه و آله یُشعِر بوجود هذا الکتاب العزیز بآیاته وسوره مدوَّنةً عند المسلمین بحیث تستوجب إطلاق اسم الکتاب علیها، لأن کلمه «الخلافه» فی حدیث الثقلین: (إنی مخلِّف فیکم الثقلین) لا تصح إلّا مع تحقق مصداق الکتاب والعتره، وإنّ أحدهما قد تحقّق من خلال الموجودین من أهل بیت رسول الله آنذاک علی وفاطمه والحسن والحسین، والآخر فی القراطیس المکتوبه من الکتاب العزیز والمنزل إلی ذلک الحین.

قال السید الخوئیّ معقّباً علی حدیث الثقلین بقوله:

وفی هذا دلالهٌ علی أنّه کان مکتوباً مجموعاً، لأنّه لا یصحّ إطلاق الکتاب علیه وهو فی الصدور، بل ولا علی ما کتب فی اللِّخاف والعُسُب والأکتاف، إلّا علی نحو المجاز والعنایه، والمجاز لا یحمل اللّفظ علیه من غیر قرینه، فإنّ لفظ الکتاب ظاهرٌ فیما کان له وجودٌ واحدٌ جمعیّ، ولا یُطلَق علی المکتوب إذا کان مُجزَّءاً غیر مجتمع، فضلاً عمّا إذا لم یکتَب وکان محفوظاً فی الصدور فقط ((۲)).

۸ - کما أنّ وجود الکتاب یُفهَم من کلام عمر بن الخطّاب القائل: حسبنا کتاب

۱- المستدرک علی الصحیحَین ۳: ۱۱۸ / ح ۴۵۷۶، قال: صحیحٌ علی شرط الشیخَین ولم یخرّجاه، سنن النسائی الکبری ۵: ۴۵ / ح ۸۱۴۸، و۱۳۰ / ح ۸۴۶۴، وانظر: صحیح ابن خزیمه ۴: ۶۲ / ح ۲۳۵۷، وسنن الدارمی ۲: ۵۲۴ / ح ۳۳۱۶.

۲- البیان فی تفسیر القرآن: ۲۵۲.

الله ((۱)).

لأنّ قوله صلى الله عليه و آله فی صدر خبر رزیّه یوم الخمیس: «ائتونی بکتِفٍ ودواهٍ کی أکتب لکم کتاباً لن تضلّوا بعدی أبداً»، وتعقیب عمر علی کلام رسول الله ب-: «حسبنا کتاب الله»، یؤکّدان علی معرفه رسول الله بالکتابه ((۲)) ووجود کتابٍ مدوَّنٍ بین أیدی المسلمین أحالهم عمر علیه.

ولا یمکن القول بأنّه کان فی صدورهم فقط؛ لأنّ الرسول صلى الله علیه و آله قال لهم: «ائتونی بکتفٍ ودواهٍ کی أکتب لکم کتاباً»، ثمّ قول عمر: «حسبنا کتاب الله»؛ والکتاب لا یُطلَق علی الألفاظ فقط، بل یطلق علی المدوَّن المکتوب کذلک!

إذن، فکتاب الله کان موجوداً فی الجمله بین أیدی الناس، بل إنّ کلّ النازل من السماء إلی ذلک الحین کان کُلّه عندهم أو کلّه عند کلّهم، علی تفاوتٍ فی الجمع بینهم.

۹ – وممّا یمکن الاستدلال به أیضاً علی وجود الکتابه علی عهد رسول الله صلى الله علیه و آله ، هو ما قاله زید بن ثابت: کنّا عند رسول الله صلى الله علیه و آله نؤلّف القرآن من [خ ل: فی] الرقاع ((۳)).

۱- صحیح البخاری ۴: ۱۶۱۲ / ح ۴۱۶۹، ۵: ۲۱۴۶ / ح ۲۳۴۵، صحیح مسلم ۳: ۱۲۵۹ / ح ۱۶۳۷.
۲- نحن قد أثبتنا فی المقدمه التصحیحه الاولی لمدرسه أهل البیت معرفه رسول الله بالکتابه وأنه کان یقرأ ویکتب بسبعین لغه.
۳- سنن الترمذی ۵: ۷۳۴ / ح ۳۹۵۴، المستدرَک ۲: ۲۴۹ / ح ۲۹۰۱، ۲: ۶۶۸ / ح ۴۲۱۷، صحیح ابن حبّان ۱: ۳۲۰ / ح ۱۱۴، مصنّف ابن أبی شیبه ۴: ۲۱۸ / ح ۱۹۴۴۸، ۶: ۴۰۹ / ح ۳۲۴۶۶، المعجم الکبیر ۵: ۱۵۸ / ح ۴۹۳۳، مسند أحمد ۵: ۱۸۴ / ح ۲۱۶۴۷ وغیرها.

قال صاحب (المرقاه) بعد أن أورد الحديث:

أى: يؤلّفون ما ينزل من الآيات المفرَّقه ويجمعونها فى سورها بإشارته صلى الله عليه و آله . قاله البيهقى، ومن ثَمَّ قال الخطّابى: كُتب القرآن كلُّه فى عهد رسول الله، لكنّه كان غير مجموعٍ فى موضعٍ واحدٍ ولا مرتَّبَ السوَر ((۱)).

وكلام الخطّابى إن قصد فيه أنّه غيرُ مجموعٍ كاملاً فى مكانٍ واحد – أى بين الدفتين – فهو صحيح؛ لأنّ الوحى لم ينتهِ بعد، والعرضه الأخيره لم تحصل آنذاك.

أمّا لو عنى بكلامه أنّه غيرُ مجموعٍ – ولو ناقصاً – عند الصحابه، فقد أخطأ؛ لأنّ الصحابه كانوا يدوّنون كلّ ما يسمعونه من القرآن، فما نقص عند أحدهم أكمله الآخر، وكانوا يسألون عن نزول السور الجديده عندما يعودون من السفر، فيتعلّمونها حفظاً ويدوّنونها كتابه، وبذلك يكون القرآن مكتوباً كلّه عند جميعهم، كما يعنى أيضاً أنّ للصحابه صُحُفاً، أو قل: مصاحف، فقد يكون مصحف أحدهم أكمل من مصحف الآخَر.

ولا يستبعد أن يسمّى الصحابى ما جمعه (مصحفاً) أو (قرآناً) من باب تسميه الجزء باسم الكلّ، فيُقال لعشر سورٍ من القرآن (قرآن) و(مصحف) من باب التغليب، وكذا يقال لخمس عشره سوره من القرآن (قرآن) و(مصحف)، وهكذا..

يؤيّده ما جاء فى (سنن النسائى)، بسندٍ صحيح عن عبد الله بن عمرو بن

۱- المِرقاه ۱: ۴۵۶، وانظر: الإتقان: ۱۶۰ / ح ۷۴۶، فتح البارى ۹: ۱۲ عن الخطّابى.

العاص، قال:

جمعتُ القرآن، فقرأتُ به كلّ ليله، فبلغ النبيّ، فقال: اِقرأ به فی كلّ شهر ((۱)).

فعبد الله بن عمرو بن العاص سمّی ما جمعه (قرآناً) وهو يعلم علم اليقين بأنّ القرآن المجموع عنده ليس جميع القرآن؛ لأنّ نزول الوحی لم ينتهِ بعد علی رسول الله ولم تحصل العرضه الأخيره له صلی الله عليه و آله .

فعدم إتمام نزول الوحی وجمع القرآن كاملاً عند أحد من الصحابه هو الّذی دعا النبیّ صلی الله عليه و آله أن يوصی الإمام عليّاً عليه السلام بجمعِهِ فی مصحفٍ بين الدفّتين بعد ترتيب رسول الله لآياته فی السور فی رمضان من كلّ عام، إذ ليس لأحدٍ أن يعرف ما أراده الله فی العرضه الأخيره كاملاً، ومكان الآيات الأخيره فی القرآن بعد رسول الله صلی الله عليه و آله إلّا وصيه أمير المؤمنين علی بن أبی طالب.

لأنّ الامام عليّاً خليفته من بعده، وهو صاحب العرضه الأخيره، وقد مات رسول الله ورأسه فی حجر علیّ ((۲))، وأنّ رسول الله صلی الله عليه و آله قد سلّم لأمير المؤمنين ودائع النبوّه وصحف إبراهيم وموسی ((۳)) لمكانته عند الله وعنده صلی الله عليه و آله ، وقد صرّح الإمام

۱- السنن الكبری ۵: ۲۴ / ح ۸۰۶۴، صحيح ابن حبّان ۳: ۳۳ / ح ۷۵۶.

۲- قرب الإسناد : ۱۷۵ / ح ۶۴۴، الكافی ۳ : ۳۰۲ / ح ۲، طبقات ابن سعد ۲ : ۲۶۲ - ۲۶۳، المعجم الكبير ۱۲ : ۱۴۱ / ح ۱۲۷۰۸.

۳- كل واحده من هذه الأمور الأربعه قد بحثت فی علم الكلام والعقائد، ولا يمكن تفصيلها هنا، فليراجَع.

الباقر علیه السلام بهذه الحقیقه فی قوله: «ما أحدٌ مِن هذه الأُمّه جمع القرآن إلّا وصیّ محمّد صلی الله علیه و آله » ((۱)) مکذباً الآخرین فی جمعهم للقرآن کاملاً.

وبهذا فقد عرفت بأنّ لا مانع لوجود مصاحف کامله إلی ذلک الحین عند الصحابه مع استمرار نزول الوحی علی رسول الله.

۱۱- وممّا یمکن أن یُستدَلّ به أیضاً علی وجود مصاحف علی عهد رسول الله صلی الله علیه و آله ، الروایات الآتیه:

عن علیٍّ علیه السلام قال: «ما کتبنا عن رسول الله صلی الله علیه و آله إلّا القرآن وما فی هذه الصحیفه»((۲)).

وعن عثمان بن عبد الله بن أوس، عن جدّه، عن النبیّ صلی الله علیه و آله أنّه قال: «مَن قرأ القرآن فی المصحف کانت له ألفا حسنه، ومن قرأه فی غیر المصحف - فأظنّه قال: - کألف حسنه» ((۳)).

وعن أوس الثقفی، عن رسول الله صلی الله علیه و آله أنّه قال: «قراءه الرجل القرآن فی غیر المصحف ألف درجه، وقراءته فی المصحف یضاعف علی ذلک ألفَی درجه» ((۴)).

۱- تفسیر القمّی ۲: ۴۵۱، وانظر: بصائر الدرجات: ۲۱۴ / ح ۵.
۲- صحیح البخاری ۳: ۱۱۶۰ / ح ۳۰۰۸، سنن أبی داوود ۲: ۲۱۶ / ح ۲۰۳۴، ولنا تعلیق علی هذا الخبر لاحقاً.
۳- البرهان فی علوم القرآن ۱: ۴۶۲ - عن: البیهقی فی شعب الإیمان ۲: ۴۰۷ / ح ۲۲۱۷.
۴- المعجم الکبیر ۱: ۲۲۱ / ح ۶۰۱ - عنه: مجمع الزوائد ۷: ۱۶۵، شعب الإیمان ۲: ۴۰۷ / ح ۲۲۱۸.

وعن عائشه: ... والنظر فی المصحف عباده ((۱)).

وعن ابن مسعود مرفوعاً: من سرّه أن یحبّ الله ورسوله، فلیقرأ فی المصحف ((۲)).

وعنه موقوفاً: أدیموا النظر فی المصحف ((۳)).

وعن عبد الرحمان بن أبی لیلی، عن عبد الله بن مسعود، أنّه کان إذا اجتمع إخوانه نشروا المصحف فقرؤوا وفسّر لهم ((۴)).

وعن أبی سعید الخدری، عن النبیّ صلی الله علیه و آله قال: «أعطوا أعینکم حظّها من العباده». قیل: یا رسول الله، وما حظّها من العباده؟ قال: «النظر فی المصحف، والتفکّر فیه، والاعتبار عند عجائبه» ((۵)).

لأنّ القارئ فی المصحف نَظَراً یجمع فی قراءته بین القراءه والنظر والتأمّل والتدبّر، وبه یجتمع فعل الجارحتَین (اللسان والعین)، وهو أکثر ثواباً من فعل الجارحه الواحده، وقد قال عبد الله بن أحمد: کان أُبیّ یقرأ فی کلّ یومٍ سبعاً من القرآن، لا یترکه

۱- البرهان فی علوم القرآن ۱: ۴۶۳ أبو داوود بسنده عن عائشه مرفوعاً، وانظر الفردوس بمأثور الخطاب ۴: ۲۹۷ / ح ۶۸۷۳.

۲- حلیه الأولیاء ۷: ۲۰۹ قال: غریب، وشعب الإیمان ۲: ۴۰۸ / ح ۲۲۱۹ قال: منکر.

۳- مصنّف ابن أبی شیبه ۶: ۱۴۳ / ح ۳۰۱۷۷، المعجم الکبیر ۹: ۱۳۹ / ح ۸۶۸۷، فضائل القرآن لأبی عبید ۱: ۱۰۴، ومجمع الزوائد ۷: ۱۶۵.

۴- فضائل القرآن لأبی عبید: ۱۰۵ باب فضل قراءه القرآن نظراً، غایه النهایه ۱: ۴۵۹.

۵- الفردوس ۱: ۱۰۵ / ح ۳۵۲، نوادر الأُصول ۳: ۲۵۴، شعب الإیمان ۲: ۴۰۸ / ح ۲۲۲۲ والمتن من عنده.

نظراً ((۱)).

وعن ابن عبّاس، عن رسول الله صلى الله عليه و آله : «من أدام النظر فى المصحف، مُتِّع ببصره ما دام فى الدنيا» ((۲)).

وعن ابن عباس، عن عمر، أنّه كان إذا دخل بيته نشر المصحف فقرأ فيه ((۳)).

فمن هذا النص نفهم بأنّ لعمر بن الخطّاب مصحفاً كان يقرأ فيه، وقد يكون قوله: «حسبنا كتاب الله»، إشاره منه إلى ذلك المصحف الّذى بين أيديهم وبعضه عنده.

وإذا كان موجوداً ومدوناً فلماذا لا يعتمده ويكلف زيداً بجمعه؟ نعم لا يستبعد أن يكون هذا المصحف هو الذى كان عند حفصه والذى أعطته لعثمان ثمّ أحرقه مروان!

وعنه أيضاً، أنّه عهد إلى عثمان بن أبى العاص: لا تَمَسَّ المصحف وأنت غير طاهر((۴)).

وعن أنس مرفوعاً: سبعٌ يجرى للعبد أجرُهُنّ وهو فى قبره بعد موته.. وعدّ منهنّ: من وَرَّثَ مصحفاً ((۵)).

وعن حذيفه، عن رسول الله صلى الله عليه و آله : «مَن قرأ القرآن ظاهراً أو ناظراً حتّى يختمه،

۱- البرهان للزركشى ۱: ۴۶۲، المغنى لابن قدامه ۱: ۴۵۹.

۲- كنز العمّال ۱: ۲۶۹ / ح ۲۴۰۶ أبو الشيخ عن ابن عباس.

۳- فضائل القرآن لأبى عبيد: ۱۰۵، تفسير الطبرى ۷: ۲۵۷.

۴- كنز العمّال ۱: ۳۰۹ / ح ۲۸۷۴ عن أبى داوود فى المصاحف ۲: ۶۳۷ / ۷۳۸.

۵- الفردوس بمأثور الخطاب ۲: ۳۳۰ / ح ۳۴۹۲، حليه الأولياء ۲: ۳۴۴.

غرس الله له به شجرةً فی الجنّه» ((۱)).

وروی أیضاً عن عبد الله بن الزبیر، قال: قال رسول الله: «مَن قرأ القرآن ظاهراً أو نظراً، أُعطیَ شجرةً فی الجنّه» ((۲)).

وعن ابن الزبیر، عنه صلی الله علیه و آله أیضاً: «مَن ختم القرآن عن ظهر قلبه أو نَظَرٍ، أعطاه الله شجرةً فی الجنّه» ((۳)).

وعن ثویر بن أبی فاخته، عن ابن عمر أنّه قال: إذا رجع أحدُکم من سوقه، فلینشر المصحف فلیقرأ ((۴)).

وعن الأعمش، عن خیثمه، قال: دخلت علی عبد الله بن عمر وهو یقرأ فی المصحف، فقال: هذا جزئی الّذی أقرؤه اللّیله ((۵)).

وعلیه فکلمه «المصحف» کالقرآن یُطلَق علی الکلّ والبعض. وأن هذه المجموعه من الروایات دالّه علی وجود مصحفٍ أو مصاحف علی عهد رسول الله صلی الله علیه و آله ، أو قل: أنها تدل علی وجود صحف تضمّ آیات الذکر الحکیم النازله علیه صلی الله علیه و آله إلی ذلک الحین،

۱- کنز العمّال ۱: ۲۶۹ / ح ۲۴۱۵. ویعنی ب- (ظاهراً) مَن قرأها عن ظهر الخاطر، و(ناظراً) مَن قرأها فی المصحف.

۲- المعجم الأوسط ۳: ۳۴۴ / ح ۳۳۵۱، مسند البزّار ۶: ۱۴۸ / ح ۲۱۹۱، مستدرک الحاکم ۳: ۶۳۸ / ح ۶۳۴۴.

۳- کنز العمّال ۱: ۲۶۹ / ح ۲۴۱۴ ابن مردویه عن ابن الزبیر.

۴- فضائل القرآن لأبی عبید: ۱۰۵ باب فضل قراءه القرآن نظراً.

۵- فضائل القرآن لأبی عبید: ۱۰۵ باب فضل قراءه القرآن نظراً.

سواءً أكانت تلك الصحف متفرّقةً عند آحاد الصحابه أم مجموعةً عند مجموعهم والتى تؤلف منها المصاحف.

وإنّ وجود ما يُطلَق عليهم (كُتّاب الوحى) هو دليلٌ آخر على وجود صحفٍ مكتوبهٍ عندهم، إذ لا يصح أن يكون هناك كُتابٌ للوحى دون وجود مكتوب.

وبالجمله: فالنبىّ صلى الله عليه و آله لم يترك جمع كتاب ربّه، بل كان هو أحرص عليه من غيره، فإنّه صلى الله عليه و آله - مضافاً إلى حثّه المسلمين على جمع القرآن فى الصدور - قد أمرهم بجمعه فى السطور أيضاً.

قال السيّد الخوئى:

وفى الحثّ على القراءه فى نفس المصحف نكتهٌ جليله ينبغى الالتفات إليها، وهو الإلماع إلى كلاءه القرآن عن الاندراس بتكثّر نسَخِه، فإنّه لو اكتُفى بالقراءه عن ظهر القلب لَ-هُجرت نسَخ الكتاب، وأدّى ذلك إلى قلّتها، ولعلّه يؤدّى أخيراً إلى انمحاء آثارها.

على أنّ هناك آثاراً جزيله نصّت عليها الأحاديث لا تحصل إلّا بالقراءه فى المصحف، منها قوله: «مُتّع ببصره»، وهذه الكلمه من جوامع الكلِم، فيُراد منها أنّ القراءه فى المصحف سببٌ لحفظ البصر من العمى والرمَد، أو يُراد منها أنّ القراءه فى المصحف سببٌ لتمتّع القارئ بمغازى القرآن الجليله ونكاته الدقيقه؛ لأنّ الإنسان عند النظر إلى ما يروقه من المرئيّات تبتهج نفسه، ويجد انتعاشاً فى بصره وبصيرته، وكذلك قارئ القرآن إذا سرّح بصره فى ألفاظه وأطلق فكرَه فى معانيه وتعمّق فى معارفه الراقيه وتعاليمه الثمينه، يجد فى نفسه لذّهَ الوقوف عليها ومتعه الطموح إليها،

ویشاهد هشّهً من روحه وتطلّعاً من قلبه ((۱)).

قال القاضی أبو بکر الباقلّانی:

ولیس علی جدید الأرض أجهل ممّن یظنّ أن الرسول والصحابه کانوا جمیعاً یهملون أمر القرآن، ویعدلون عن تحفّظه وإحرازه، ویعوّلون علی إثباته فی رقعهٍ تُجعل تحت سریر عائشه وحدها ... وقد کان له علیه السلام جماعهٌ أماثل عقلاء أفاضل، کلُّهم کتبه له ومعروفون بالانتصاب لـذلک من المهـاجرین والأنصـار، فممّن کتب له من قریش من المهـاجرین: أبو بکر، وعمر، وعثمـان، وعلیّ، وزیـد بن أرقم، وخالد بن سـعید. وذکر أهل السیَر أنّه کان ائتمنه [خالد بن سـعید]، حتّی کان یأمره بطیّ ما کتب وختمه ((۲)).

وإنّ قصّه عمر بن الخطّاب مع أُخته وصـهره علی أُخته وقراءتهمـا فی صـحیفهٍ کانت فیها سوره طه فی مکّه ((۳))، لَتؤکّد وجود صحف الـذکر الحکیم فی مکّه المکرّمه - أوائل الـدعوه - فإذا کانت تلک الصـحف موجودهً آنذاک فکیف لا تکون موجوده أیضاً فی نهایتها فی المدینه المنوّره مع تَطوُّر الکتابه وانتشارها، وبَدْء تأسـیس الدوله الإسلامیه والحاجه للعهود والعقود ووو، کُلّ ذلک، مع معرفه الجمیع بأنّ لرسول الله کتّاباً

۱- البیان فی تفسیر القرآن: ۲۶.

۲- الانتصار للقرآن للباقلّانی ۱: ۴۱۲ - ۴۱۳.

۳- اُنظر: فضائل أحمد ۱: ۲۸۰، سیره ابن هشام ۲: ۱۸۸، الاکتفاء بما تضمّنه مغازی رسول الله ۱: ۲۵۱.

مخصوصین لهذا العمل یُطلَق علیهم (کتّاب الوحی)؟! وهم لیسوا بالآحاد، بل بالعشرات کما یقولون.

غیر منکرین بأن بعضهم ادعی الکتابه لنفسه ثمّ نسب إلی رسول الله عدم معرفته بها، فقد روی الواقدی: أن معاویه لما عاد من العراق إلی الشام بعد صلح الإمام الحسن علیه السلام واجتماع الناس إلیه خطب فقال:

أیها الناس، إن رسول الله صلی الله علیه و آله قال لی: «إنک ستلی الخلافه من بعدی، فاختر الأرض المقدسه، فإن فیها الأبدال، وقد اخترتکم، فالعنوا أبا تراب. فلعنوه.

فلما کان من الغد کتب کتاباً، ثم جمعهم فقرأه علیهم، وفیه: هذا کتاب کتبه أمیرالمؤمنین معاویه، صاحب وحی الله الذی بعث محمداً نبیّاً، وکان أمیّاً لا یقرأ ولا یکتب، فاصطفی له مِنْ أهله وزیراً کاتباً أمیناً]یعنی نفسه[، فکان الوحی ینزل علی محمد وأنا أکتبه، وهو لا یعلم ما أکتب، فلم یکن بینی وبین الله أحد من خَلْقِه. فقال له الحاضرون کلهم: صدقت یا أمیرالمؤمنین» ((۱)).

تأمل فی کلمات معاویه لتعرف من هو وراء فکره عدم معرفه رسول الله القراءه والکتابه ومن هم هؤلاء وما هی أهدافهم المبیتته لرسول الله والرساله.

إذن الدعوه الإسلامیه قائمهٌ علی الذکر الحکیم والسنّه المطهّره، والنبیّ صلی الله علیه و آله کان

۱- شرح نهج البلاغه ۴: ۷۲.

عالماً باختلاف أُمّته من بعده - ووجود أمثال معاويه فيهم - وإنّه كان يخاف من أن يكون دور لليهود فى تحريف شريعته، كما كان صلى الله عليه و آله يخاف أن تضيّع أُمّتُه القرآن كما ضيّعته اليهود والنصارى.

فهو صلى الله عليه و آله العالم بموت الصحابه وقتلهم فى الزمن اللّاحق، وأنّ ذلك سيفضى إلى ضياع القرآن إذا لم يكن مجموعاً ومدوَّناً على عهده.

فكيف يُعقَل إهمال رسول الله صلى الله عليه و آله تدوين كتاب ربّه، وهو المرغِّب بتلاوته نظراً، والمشجِّع على تعليمه وقراءته آناء اللّيل وأطراف النهار؟!

أجل إنّ رسول الله صلى الله عليه و آله حينما حبَّذ القراءه فى المصاحف، كان يعنى تلك السور المسموح بكتابتها فى المصاحف الموجوده آنذاك وقراءتَها فى الصلاه، والّتى تجاوزت احتمال وقوع النسْخ فيها، أى قراءه السور التى أُمضيَت من قِبل ربّ العالمين إقراءاً بواسطه جبريل الأمين عليه السلام وثبتت قرآنيّتها عند الله ورسوله، لقوله تعالى: (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِـعْ قُرْآنَهُ).

مدى صحّه دعوى النسخ

سؤالنا الآن: هل يصحّ التشكيك بوجود هكذا مصحفٍ على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله ، بدعوى إمكان نسخ بعض آياته أو عدم إتمام نزول الوحى عليه صلى الله عليه و آله ؟ لأنّ الآيات والسور لو جُمعت بين الدفّتين فى مصحفٍ وجاء النسْخ، للزم تبديلها وتغييرها على استمرار!

إن هذا الكلام خاطئ وبعيد عن الدين والعقل، إذ لا تضاد بين وجود الناسخ والمنسوخ فى القرآن وبين وجود المصحف مدوناً على عهد رسول الله مع استمرار

نزول الوحی علی النبی صلی الله علیه و آله ، ولا ضروره فی حذف المنسوخ من قرآن التلاوه، لأنه یبین الظروف التاریخیه والموضوعیه التی مرت بها الاحکام.

لکنّهم تحت طائله هذا التعلیل وأمثاله قالوا باستحاله جمع القرآن علی عهد رسول الله، لتغیّره وتبدیله کلّ حین، وهی دعاوی باهته لا یقبلها عاقل، لأنّ الاجتماع الثنائیّ بین الصادق الأمین والأمین جبرئیل فی کلّ عام قد حلّ هذه الإشکالیه، لأنهما لم یقرّرا ما لم یقرّره الله، إذ هما بلقائهما فی شهر رمضان کانا یریدان بیان تمامیه قرار الباری جلّ وعلا بقرآنیّه النازل إلی ذلک الحین، وأنّ علی المسلمین اتباعه، لقوله تعالی: (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ)، ثمّ تأتی بعد ذلک المرحله الثالثه وهی بیان الله ورسوله فی تفسیر تلک الآیات: (ثُمَّ إِنَّ عَلَیْنَا بَیَانَهُ).

کما یمکن لمن یعتقد بوجود مصحفٍ علی عهد النبیّ صلی الله علیه و آله أن یسأل مخالفیه بالقول:

هل وقفتُم علی نصٍّ لرسول الله صلی الله علیه و آله یدعو أصحابه لرفع الآیه المنسوخه الفلانیّه من مصاحفهم، مثلما کان یأمرهم بوضع الآیه الفلانیّه فی المکان الفلانی من القرآن؟

بل هل یمکن لأحدٍ منکم أن یدّعی عدم وقوع نسْخ آیهٍ من آیات القرآن الحکیم فی کلّ تلک المدّه من تاریخ الدعوه وإنزال القرآن؟

فإذا کان النسخ قد وقع حسبما یقولون، فما یعنی عدم إرشاده صلی الله علیه و آله إلی مکان المنسوخ فی القرآن الکریم ودعوته إلی رفعه؟ کما کان یدعوا إلی وضع الآیات فی أماکنها من السور؟

إنّ ما قالوه یدعونا إلی تسخیف جعل النسخ ذریعهً لعدم جمع القرآن علی عهد رسول الله صلی الله علیه و آله ، بل یؤکّد بأنّ جمع القرآن وترتیب الآیات فی السور کان مدروساً

ومفروغاً عنه فی الاجتماع الثنائی، ولا مسوّغ لقولهم الآنف، لاعتقادنا بأنّ ورود الناسخ والمنسوخ لا یضرّ بأصل القرآن فکیف یضر بجمعه.

بل کیف یقول النبیّ صلی الله علیه و آله أو جبرئیل الأمین: «ضعوها فی مکان کذا من سوره کذا»، لو لم یکن ذلک بأمرٍ من الله، وأنّ احتمال النسخ قد انتفی فیه؟!

وأختم کلامی بما علّله الخطّابی وغیره فی سبب عدم جمع القرآن علی عهد رسول الله صلی الله علیه و آله -وإن کنتُ أراه تعسّفاً ومغالاه - إذ قال:

إنّما لم یجمع صلی الله علیه و آله القرآن فی المُصْحَف، لما کان یترقّبه من ورود ناسخٍ لبعض أحکامه أو تلاوته، فلمّا انقضی نزوله بوفاته صلی الله علیه و آله ، ألهم الله الخلفاء الراشدین ذلک، وفاءً بوعده الصادق بضمان حفظه علی هذه الأُمّه، فکان ابتداء ذلک علی ید الصدّیق بمشوره عمر ((۱)).

ولا أدری ما علاقه نسخ بعض الأحکام بجمع القرآن؟ إذ نسخ الحکم لا یعنی نسخ الآیه، وذلک کما فی آیه النجوی وأمثاله، فتعلیل الخطابی علیل من هذه الجهه، وأمّا نسخ التلاوه فهو باطل علی ما حُقّق فی محلّه.

ولو صحّ ما علله هذا الخطّابی لکان النبیّ الأعظم صلی الله علیه و آله - نستجیر بالله - جاهلاً بوقت وفاته ((۲))، جاهلاً بشریعته، جاهلاً بوظیفته، وسبحانه القائل: (لَیْلَهُ الْقَدْرِ خَیْرٌ

۱- أنظر: فتح الباری ۹: ۱۲، والإتقان فی علوم القرآن ۱: ۱۶۰ / ح ۷۴۶ النوع الثامن عشر: جمعه وترتیبه.

۲- مع أنّه صلی الله علیه و آله أخبر أصحابه بدنوّ أجله فی حجه الوداع، وبعدها، وحینما سئل عن کیفیه معرفته بدنو أجله، أجاب صلی الله علیه و آله بأنّ جبرئیل کان یعارضه بالقرآن مره واحده کل سنه، لکنه فی هذه السنه عارضه بالقرآن مرتین.

مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَهُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ) ((۱))، وقال تعالى: (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) ((۲)).

وليله القدر جاريه فى كلّ سنه، فمن المستحيل أن لا يعلم الرسول بكلّ أحداث سنته من صغير وكبير؟!

هل حفظ القرآن شرف خارِق للجامعين أم لا؟

من هذا المنطلق انبلج خطأ ما ذهب إليه البعض من أنّ المقصود من قولهم:

«جمَع القرآن على عهد رسول الله أربعه - كلّهم من الأنصار -: أُبيّ، ومُعاذ بن جبل، وأبو زيد، وزيد بن ثابت» ((۳)).

هو الإشاره إلى جنس مَن جمع القرآن، سواءً كانوا من الأنصار أو من غيرهم، وأنّ جمعهم كان جمعاً فى القلوب والصدور لا جمعاً فى الصحائف والسطور((۴)) وأمثال ذلك.

۱- سوره القدر : ۳ - ۴.

۲- سوره الدخان: ۴.

۳- أُنظر: صحيح البخارى ۳: ۱۳۸۶ / ح ۳۵۹۹ الباب ۴۷ مناقب زيد بن ثابت، و۴: ۱۹۱۳ / ح ۴۷۱۷ الباب ۸ القرّاء من أصحاب النبيّ صلى الله عليه و آله ، ورواه مسلم فى صحيحه بطريقَين عن أنس ۴: ۱۹۱۴ / ح ۲۴۶۵ الباب ۳ فضائل أُبيّ بن كعب وجماعه من الأنصار.

۴- أُنظر كلام الزرقانى فى مناهل العرفان.

فإنّهم لو أرادوا أن يقولوا بهذا الكلام، فلا مزيد شرفٍ وفضيلهٍ لهؤلاء على غيرهم من الصحابه؛ لأنّ كثيراً من الصحابه كانوا قد حفظوا ما نزل من القرآن إلى ذلك الحين، إذ كانت أناجيلهم صدورهم، وكانوا يحيون ليلهم بتلاوه القرآن حتّى تتورّم أقدامهم، ولم يختصّ الأمر بأربعهٍ أو ستّه أوعشره من الأنصار أو المهاجرين أو أقل أو أكثر من ذلك.

قال أبو زهره فى (المعجزه الكبرى): وإنّ النبىّ لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى إلّا وقد جمع القرآن فى صدر طائفهٍ من الصحابه، قيل: إنّ عددهم مائه أو يزيدون. ونحن نرى أنّهم كانوا أكثر من ذلك عدداً؛ فإنّه قُتل من القرّاء فى إحدى مواقع الردّه عددٌ يزيد على السبعين، وقيل على السبعمائه ((۱)).

وقال الزرقانى: فإنّ الّذين حفظوا القرآن من الصحابه كانوا كثيرين، حتّى كان عدد القتلى منهم ببئر معونه ويوم اليمامه أربعين ومائه ((۲)).

وقال القرطبى: قد قُتل يوم اليمامه سبعون من القُرّاء، وقُتل فى عهد رسول الله ببئر معونه مثل هذا العدد ((۳)).

قال أبو شامه فى (المرشد الوجيز): ... وحفِظَه فى حياته جماعهٌ من أصحابه، وكلّ قطعهٍ منه كان يحفظها جماعهٌ كثيره، أقلّهم بالغون حدّ التواتر، ورخّص لهم قراءته على سبعه أحرفٍ توسعهً عليهم ...

۱- المعجزه الكبرى: ۲۸ باب كتابه القرآن وجمعه.

۲- مناهل العرفان ۱: ۱۶۹.

۳- تفسير القرطبى ۴: ۲۱۹، الإتقان للسيوطى ۱: ۱۹۳ / ح ۹۷۹، مناهل العرفان ۱: ۱۶۹.

إلى أن قال: قال المازرى: وإن لم يكمل القرآن سوى أربعه، فقد حفظ جميعَ أجزائه مِئون لا يُحصَون، وما من شرط كونِهِ متواتراً أن يحفظ الكلُّ الكلَّ، بل الشىء الكثير إذا روى كلَّ جزءٍ منه خلقٌ كثير عُلم ضرورةً وحصل متواتراً ((۱)).

إذن الحفظ ليس فيه شرف خارِق للصحابى حسبما صوّروه؛ لأنّ العربىّ الجاهلى كان قد اشتهر بقوّه الحفظ وهى سجيه مستمره عندهم، حتّى إنّه كان يحفظ الأشعار والمعلَّقات فى أقلّ وقتٍ ممكن، لأنه كان مغرماً بالأدب شعراً ونثراً، وكان من دأب العرب أن يجتمعوا فى أسواق مكّه (ذى المجاز وعكاظ وعرفات وغيرها) يستمعون قصائد شعرائهم ويحفظونها عن ظهر قلب.

وبما أنّ السور المكّيه - مع قصرها - كانت أبلغ من قصائد العرب، لذلك كان حتّى المشركون يتسابقون لاستماع تلاوه رسول الله صلى الله عليه و آله فى صلاه اللّيل ويحفظونها عن ظهر القلب، استلذاذاً بقوّه الفصاحه وسموّ البلاغه ورفعه التركيب فى القرآن الكريم.

فقد كان قاده قريش يأتون رسول الله فى اللّيل متنكّرين ليسمعوا آياته. قال محمّد بن إسحاق فى (السيره): حدّثنى محمّد بن مسلم بن شهاب الزهرى، أنّه حدّث:

أنّ أبا سفيان بن حرب، وأبا جهل بن هشام، والأخنس بن شريق، خرجوا ليلةً ليسمعوا من رسول الله صلى الله عليه و آله وهو يصلّى بالليل فى بيته، فأخذ كلّ منهم مجلساً ليستمع فيه، وكلٌّ لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتّى إذا أصبحوا أو طلع الفجر تفرّقوا، فجمعهم الطريق

۱- المرشد الوجيز: ۴۸، ۵۳.

فتلاوموا وقال بعضهم لبعض: لا تعودن، لو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم فی نفسه شیئاً.

ثمّ انصرفوا، حتّی اذا کانت اللّیله الثانیه عاد کلُّ رجلٍ منهم إلی مجلسه، فباتوا یستمعون له، حتّی إذا طلع الفجر تفرّقوا فجمعتهم الطریق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مره، ثم انصرفوا فلما کانت اللیله الثالثه أخذ کل رجل منهم مجلسه فباتوا یستمعون له حتّی إذا طلع الفجر تفرّقوا، فجمعهم الطریق فقالوا: لا نبرح حتّی نتعاهد لا نعود. فتعاهدوا علی ذلک، ثمّ تفرقوا.

فلمّا أصبح الأخنس بن شریق، أخذ عصا ثمّ خرج، حتّی أتی أبا سفیان بن حرب فی بیته، فقال: أخبرنی یا أبا حنظله عن رأیک فیما سمعت من محمّد. قال: یا أبا ثعلبه، واللهِ لقد سمعتُ أشیاء أعرفها وأعرف ما یُراد بها، وسمعت أشیاء ما عرفت معناها ولا ما یُراد بها. قال الأخنس: وأنا والّذی حلفت له به.

قال: ثمّ خرج من عنده، حتّی أتی أبا جهل فدخل علیه بیته، فقال: یا أبا الحکم، ما رأیک فیما سمعتَ من محمّد؟ قال: ماذا سمعت؟! قال: تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف؛ أطعَموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطینا، حتّی إذا تجاثینا علی الرکب وکنّا کفرسَی رِهان، قالوا: منّا نبیٌّ یأتیه الوحی من السماء. فمتی ندرک هذه؟ والله لا نؤمن به أبداً

ولا نصدّقه. قال: فقام عنه الأخنس بن شريق ((۱)).

وقد اشتهر كلام الوليد بن المغيره فى القرآن:

والله لقـد سـمعتُ منه [أى من النبى صـلى الله عليه و آله] كلامـاً، ما هو من كلام الإنس وما هو من كلام الجنّ، وإنّ له لحلاوه، وإنّ عليه لطلاوه، وإنّ أعلاه لمثمر، وإنّ أسفله لمُغدِق، وإنّه ليعلو ولا يُعلى عليه، وما يقول هذا بشر... ((۲)).

وقال نحو ذلك عتبه بن ربيعه:

ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانه ... فوَ الله ليكوننّ لقوله الّذى سمعت منه نبأٌ عظيم ((۳)).

فلو كان هذا شأن المشركين من العرب!! فهل هناك من فضيلهٍ خارقه للصحابىّ إذا حفظ القرآن عن ظهر قلبه؟ ألم يكن فى هذا الكلام استخفافٌ بالصحابه؟!

لاـ شـكّ فى أنّ حفـظ القرآن أمرٌ حَسَنٌ وقـد دعى إليه العقل والـذوق والشـرع، لكنّ القرآن نزل للعمل لا للحفظ، وإن مدرسـه الخلافه ركّزت على الحفظ محرِّفه اهتمامات الإنسان المؤمن فى العمل بالقرآن إلى الحفظ له، ولأجل هذا جاء التأكيد من قِبل

۱- سيره ابن إسحاق ۴: ۱۶۹ - ۲۳۲، وانظر: دلائل النبوّه للبيهقى ۲: ۲۰۶ وفيه: يا ابا حنظله، بدل: يا أبا الحكم.

۲- الجامع لأحكام القرآن ۱۹: ۷۴، وانظر: الاستيعاب لابن عبد البر ۲: ۴۳۳ / ح ۲۱۶، دلائل النبوه للبيهقى ۲: ۱۹۹.

۳- سيره ابن هشام ۲: ۱۳۲، سيره ابن إسحاق ۴: ۱۸۸.

الرسول والأئمّه على الاهتمام بالمفاهيم القرآنيه والتدبر فى آياته ومعانيه ورعايه حدوده وفرائضه أكثر من الاهتمام بالألفاظ، فقالوا عن الجامعين للقرآن: أقاموا حروفه وحرّفوا حدوده تأكيداً على تحريفهم للمسيره الفكريه للاسلام.

فحفظ القرآن أمرٌ محبوب، لكن ليس كلُّ محبوبٍ دِيناً، فإنّ الخوارج من الحَفَظه حسب اعتراف الجميع، لكنّهم مارقون ملعونون، وهم الّذين عناهم الرسول فى قوله: «لا يتجاوز القرآن تراقيهم» ((۱)).

فهل يكون بعد هذا للجامعين للقرآن - بمعنى الحافظين - فضيله عظمى ومنزله لا تُجارَى؟!! ولماذا يحصرون جهد الصحابه فى القرآن بالمحفوظ دون المدون المكتوب؟ إنه تجهيل للأمه وتسخيف للحقائق.

وإذا كان الحفظ معياراً فلماذا لا يستفيد زيد بن ثابت من حافظته لتدوين القرآن، بل نراه يتتبع الآيات فى العسب واللخاف وعند هذا وذاک، وينسى ما كان عند خزيمه أو أبى خزيمه ويطلب الشهداء مع ذلك؟!

والحاصل: أنّ مَن شذّ قائلًا: لا يوجد مصحف مكتوب على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله ، ولو مفرّقاً على العُسُبْ واللِّخاف والأديم.. فهو مستخفٌّ جاهلٌ بكلّ الحقائق الّتى قلناها، أجلاها وأوضحها أنّه مستخفٌّ بالنبىّ الكريم صلى الله عليه و آله وطريقه حفظه للكتاب العزيز - والعياذ بالله -.

وما أشبه هذا القول بقول القائلين سابقاً: إنّ رسول الله صلى الله عليه و آله لم يستخلف أحداً

۱- أنظر: صحيح البخارى ۶: ۲۵۴۱ / ح ۶۵۳۵ باب من ترک قتال الخوارج.

من بعده، وتَرَك الأُمّه هَمَلاً من دون راعٍ وخليفه، وهذا ما يقولونه الآن فى عِدْل العتره (القرآن المجيد) أيضاً، فادّعوا أنّه صلى الله عليه و آله ترك القرآن دون أن يدوِّنه أحدٌ على عهده. قالوا بذلك كى يبعدوا الأُمّه عن الكتاب والعتره معاً فيختلقوا ما شاءوا من قراءات وتصحيفات ويخلطوا قراءه صحيحه مع قراءه سقيمه فيأخذوا من هذه شىء ومن هذا شىء، وينصِّبُوا من شاءُوا ممن لا يحمل العلم والمعرفه، وليس أهلاً للخلافه الإلهيه والوصايه.

كما أنّهم قالوا بأشياء باطله أُخرى، مثل: أنّه صلى الله عليه و آله نهى عن كتابه حديثه ((۱))، مع أنّه هو الناشر لعلمه والمبيّن لأحكام ربّه.

وادّعوا أيضاً بأنّه صلى الله عليه و آله كان لا يعلم بأنّه نبيٌّ مرسَل من قِبَل الله حتّى أخبره ورقه بن نوفل بن أسد (ابن عمّ خديجه) ((۲)).. - والذى رأيت كيفيه استغلال المستشرقين لهذه المقوله فى كلماتهم - مع أنّ خاتم النبوّه كان موجوداً بين كتفيه، وهو المعلَّم من قِبل الله، إلى غيرها من التقَوُّلات الباطله والتُّرّهات التافهه الّتى أخذوها من اليهود والنصارى، وغالبها أمورٌ سلبيّه تمسّ بكرامه الله ورسوله، ليس فيها جانبٌ إيجابىّ واحد.

والسبب الجامع بين تلك المقولات هو تأسيس منظومهٍ ذات هدفٍ واحد، ألا وهو التجاوز على القِيَم وال-مُثُل، وتضعيف مكانه الرسول والرساله، والقول بأن

۱- لنا دراسه فى هذا المجال بعنوان (منع تدوين الحديث)، فليراجعه.

۲- أُنظر: صحيح البخارى ۱: ۴ / ح ۳ باب بدء الوحى.

لیس لهـذا الدین کتاب موثوق به، إذ کتب القرآن فی العصور اللاحقه من بعده، کما لیس لهذا الدین من راع وحافظ؛ لأنّ النبیّ لاـ یعلم أنّه نبیّ حتّی علّمه ورقه بن نوفل النصـرانی بـذلک، وأنّ رسول الله صـلی الله علیه و آله ترک أُمّته بـدون خلیفه وکتاب، وقد نهی صلی الله علیه و آله عن نشر حدیثه وکلامه وأمثال ذلک من الأقوال الباهته.

علی علیه السلام .. الجامع الحقیقی للقرآن

إذن فالمشکله لم تکن فی جمع القرآن ووجود من جَمَعَه علی عهد رسول الله صلی الله علیه و آله أو عدمه، بل المشکله تبدو فی عدم قبولهم لمَن جمع القرآن مع تفسیره وتأویله، محکمه ومتشابهه، ناسخه ومنسوخه، فتراهم لا یذکرون الإمام علیّاً ضمْن الجامعین للقرآن الحکیم - عناداً - مع أنّه عِدْلُ القرآن والأَولی بمعرفه ناسخه ومنسوخه من غیره من الصحابه، وهذا واضحٌ یعرفه کلّ من راجع روایات تدوین القرآن فی کتب الجمهور.

وفی المقابل تراهم یذکرون اسم المتأخّرین صحبهً لرسول الله صلی الله علیه و آله - أمثال زید بن ثابت - ضمن جامعی القرآن الکریم، بل یجعلونه اللولب الأساس فی هذه العملیه تارکین اسم أوّل القوم إسلاماً واسم کبار الصحابه وقرّاء الأُمه، وإسم الذین مدحهم رسول الله فی أمر القرآن علی وجه الخصوص کابن مسعود ومعاذ وأُبیّ.

فلو عدّوا الخلفاء الثلاثه من الجامعین للذکر الحکیم، فلماذا لا یکون الإمام علیٌّ علیه السلام منهم، مع أنّه أَولی من غیره؛ بسابقته فی الإسلام، وقربه للنبیّ صلی الله علیه و آله ، وجهاده علی تنزیل الکتاب وتأویله.

فإنّه علیه السلام کان یسمع رنّه الشیطان حین نزول الوحی علی رسول الله صلی الله علیه و آله ، وقد سأل رسولَ الله صلی الله علیه و آله عن تلک الرنّه، فقال صلی الله علیه و آله له: «هذا الشیطان، آیسَ من عبادته. إنّک تسمع ما أسمع وتری ما أری، إلّا أنّک لستَ بنبیّ» ((۱)).

۱- نهج البلاغه ۲: ۱۵۸ الخطبه ۱۹۲ المعروفه بالقاصعه.

فإنّهم ضعّفوا أخبار جمع الإمام على للقرآن، مع أنّ الضعف فى كلامهم وفيما استدلوا به على جمع الثلاثه للقرآن!! لأنّ هناك فارقاً جوهريّاً بين جمع الإمام على وجمع الخلفاء، حيث إنّ القول بكلّ واحدٍ من الرأيين تترتّب عليه آثار.

فالخلفاء الثلاثه – على فرض صحه جمعهم – آمِرُون بجمع ما كان مدوَّناً مفرَّقاً عند الصحابه، لا مباشرون له! بينما الإمام علىّ عليه السلام كان مباشراً لتدوينه وقد جمعه بنفسه الكريمه، مع وجود فارقٍ آخر، وهو أنّ أُولئك غير معصومين ومتعدّدون، وأمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام هو شخصٌ واحدٌ وهو معصوم ((۱))، وقد أخذه من فم رسول الله المعصوم، عن جبرئيل المعصوم، عن ربّ العالمين.

على والقرآن

وللشيخ محمود أبو ريّه كلام موجَّهٌ بهذا الصدد، نذكره بتمامه. قال تحت عنوان (غريبةٌ توجب الحَيْرَه):

من أغرب الأُمور وممّا يدعو إلى الحيره، أنّهم لم يذكروا اسم علىٍّ عليه السلام فى مَن عُهِد إليهم بجمع القرآن وكتابته، لا فى عهد أبى بكرٍ ولا فى عهد عثمان! ويذكرون غيره ممّن هم أقلّ منه درجةً فى العلم والفقه! فهل كان علىٌّ لا يحسن شيئاً من هذا الأمر؟ أو كان من غير الموثوق بهم؟ أو ممّن لايصحّ استشارتهم أو إشراكهم فى هذا الأمر؟

۱- هذا المدعى قد نوقش فى البحوث الكلاميه، فليراجَع.

اللّهمّ إنّ العقل والمنطق ليقضيان بأن يكون عليٌّ أوّل من يُعْهَد إليه بهذا الأمر، وأعظم مَن يشارك فيه، وذلك بما أُتيح له من صفاتٍ ومزايا لم تتهيّأ لغيره من بين الصحابه جميعاً؛ فقد ربّاه النبيّ صلى الله عليه و آله على عينه، وعاش زمناً طويلاً تحت كَنَفِه، وشهد الوحی من أوّل نزوله إلی يوم انقطاعه، بحيث لم يَنِدَّ عنه آيه من آياته!

فإذا لم يُدْعَ إلی هذا الأمر الخطير، فإلی أیّ شیءٍ يُدعی؟!

وإذا كانوا قد انتحلوا معاذير ليسوّغوا بها تخطّيهم إيّاه فی أمر خلافه أبی بكر فلَمْ يسألوه عنها ولم يستشيروه فيها، فبأیّ شیءٍ يعتذرون من عدم دعوته لأمر كتابه القرآن؟ فبماذا نعلّل ذلك؟ وبماذا يحكم القاضی العادل فيه؟ حقّاً إنّ الأمر لعجيب، وما علينا إلّا أن نقول كلمهً لا نملك غيرها، وهی: لك الله يا علیّ، ما أنصفوك فی شیء! ((۱))

ونحن نقول: لله أنت يا أبا ريّه ما أشدَّ إنصافك! وسيرحمك الله لجهرك بالحق.

إنّ الإمام علياً عليه السلام بحسب المعطيات العلميّه وإن كان مستاءاً من القوم بسبب الإجحاف الذی لاقاه منهم، إلّا أنّه أمضی المجموع القرآنی آنذاك؛ لكونه تامّاً وليس فيه ما يخل بأصل القرآن، ثم كتب مصحفاً آخر وفق التسلسل التاريخی علی ترتيب النزول لغرض آخر حسب تعبير الآلوسی ((۲))، وهو الموجود عند الإمام الحجه المهدی

۱- أضواء علی السنّه المحمّديه: ۲۴۹.

۲- روح المعانی ۱: ۲۷.

المنتظر.

وإليك الآن نبذه بسيطه عن كيفيه وصول النص القرآنی من رسول الله إلى اُمّته ومدی وثاقه الموجود عندنا؛ وإن كان هذا الموضوع يحتاج إلى بحث موسع أكثر مما كتبناه هنا ونحيله إلى وقته.

وثاقه النص القرآنی وارتباطه بالإمام علی

من المعلوم بأن رسول الله أوصل القرآن إلى أمته عن طريقين:

أحدهما: الانتقال الشفاهی الخاص، وهو ما يسمّی بالعرض، ومعناه: أنّه كان يُقرأ بعض أصحابه ما أنزله الله عليه فيعيه الصحابی ثمّ يقرأ الصحابی أمام النبی ما تلی عليه وما وعاه من القرآن أخذا عنه صلی الله عليه و آله فی المجلس نفسه أو فی مجلس آخر؛ للتحقق من صحته وضبط حروفه وحركاته، فإن أقرّه رسول الله فيسمح له بإقراء الناس وإلّا فلا.

وقد عدّ الذهبی فی كتابه «معرفه القرّاء الكبار، باب الطبقه الأولی الذين عرضوا علی رسول الله» أسماء سبعه من الصحابه الذين تلقّوا القرآن عن رسول الله عرضاً ولم يذكر اسم الشيخين ضمنهم، فی حين ذكر الذهبی اسم: عثمان، وعلی، وأبیّ، وابن مسعود، وزيد بن ثابت، وأبی موسی الأشعری، وأبی الدرداء.

ثم عد أسماء خمسه آخرين ليس فيهم إسم أبی بكر وعمر فقال:

«وقد جمع القرآن غيرهم من الصحابه كمعاذ بن جبل، وأبی زيد، وسالم مولی أبی حذيفه، وعبد الله بن عمر، وعتبه بن عامر، ولكن لم

تتصل بنا قراءتهم فلهذا اقتصرت على هؤلاء السبعه رضى الله عنه» ((۱)).

وبذلک صاروا ۱۲ فی الطبقه الأولی عند الذهبی، لأنّا لو جمعنا السبعه مع الخمسه لصاروا ۱۲، فلو أضیف اسم الشیخین الیهم کما یستفاد من نصوص أخری عند الآخرین، واسم واثله بن الأسقع، وفضاله بن عبید الأنصاری، وأنس بن مالک، وعباده بن الصامت، لصاروا ۱۸ شخصاً.

وقد یمکن أن یصل عدد الذین عرضوا قراءتهم علی رسول الله إلی ۲۳ صحابیا، فهؤلاء هم الذین تلقوا القرآن من متلقیه صلی الله علیه و آله مباشره، وتکون قراءاتهم هی أصح القراءات؛ إن صحت نسبه العرض والتلقی عن رسول الله إلیهم.

هذا وقد ذکر الذهبی اسم سته من الصحابه والتابعین الذین أخذوا أو رووا القراءه عن أبی بن کعب، منهم: أبو هریره، وابن عباس، وعبد الله بن السائب، وعبد الله بن عیاش، وأبو العالیه ((۲))، وأبو الأسود الدؤلی؛ وإن کان الأخیر قد أخذ القراءه أولاً عن أمیر المؤمنین ثم عن أبی بن کعب.

کما أنّک ستعرف بوجود أکثر من هذا العدد قد أخذوا عن علی بن أبی طالب ((۳)) مذکوره أسماءهم فی کتب القراءات، ونحن سنشیر إلی بعضها لاحقاً.

فالذهبی ذکر أسماء کل هؤلاء فی حین لم یذکر إلا اسماً واحداً قد أخذ القراءه عن

۱- أُنظر معرفه القراء للذهبی ۱ : ۲۴ - ۴۲ باب فی الطبقه الأولی الذین عرضوا علی رسول الله .

۲- انظر معرفه القراء للذهبی ۱ : ۴۳ التراجم ۸، ۹، ۱۰، ۱۶، ۱۹.

۳- سنأتی بأسماء بعضهم فی صفحه ۳۹۶.

عثمان فقال فی الطبقه الأولی:

عثمان بن عفان بن أبی العاص بن أمیه بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصی بن کلاب أمیر المؤمنین أبو عمرو وأبو عبد الله القرشی الأموی ذو النورین رضی الله عنه، أحد السابقین الأولین وأحد من جمع القرآن علی عهد رسول الله صلی الله علیه و آله قرأ علیه المغیره بن أبی شهاب المخزومی.

ویقال: قرأ علیه ابن عامر ولیس بشیء، وإنما قرأ علی المغیره وعنه حدّث عنه بنوه ...((۱))

ثمّ قال فی الطبقه الثانیه:

المغیره بن أبی شهاب المخزومی قرأ القرآن علی عثمان رضی الله عنه، وعلیه قرأ عبد الله بن عامر الیحصبی، وأحسبه کان یقرئ بدمشق فی دوله معاویه، ولا یکاد یعرف إلّا من قراءه ابن عامر علیه ... ((۲))

وبهذا فقد عرفت بأن تلقی هؤلاء عن رسول الله کانت بالمشافهه لا بالکتابه، مع أنّ رسول الله کان قد أجاز لهم الکتابه أیضا، وقد کانت لهم مصاحف آنذاک ناقصه مما تعلموه من رسول الله.

وهذه الطریقه (المشافهه الخاصه) هی امتداد لطریقه تلقی النبی الوحی من عند

۱- معرفه القراء للذهبی۱ : ۴۳.

۲- المصدر السابق ۱ : ۴۸ / ت ۱۱.

الله، فهو صلى الله عليه و آله كان يتلقاه بسمعه إلى قلبه أو بقلبه مباشره، وكان يقول: (أقرأنى جبرئيل القرآن) ((۱)) أو (يتمثل لى الملك رجلا فيكلّمنى فأَعِيَ ما يقول) ((۲)) أو يقول عن كيفيه إتيان الوحى له: (يأتينى مثل صلصله الجرس - وهذا أشدّه على - فيفصم عنى وقد وعيت ما قال)((۳))، وهذا التلقى ليس من جنس المكتوب كما فى حاله إنزال التوراه على موسى ألواحاً مكتوبه فقال سبحانه: (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا) ((۴)) وقوله تعالى: (وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ) ((۵)) وقوله تعالى: (وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ) ((۶)).

وثانيهما: الانتقال الجماعى، وذلك من خلال قراءه رسول الله الآيات والسور فى صلاته أو فى خطب الجمعه وغيرها إسماعاً للمسلمين بلا عرض.

ومن المعلوم أنه صلى الله عليه و آله كان يقرأ بالسور الطوال والقصار فى الصلوات الخمس مضافا إلى صلاه الجمعه مع فاتحه الكتاب، وهذه الصلوات كان يسمعها الناس ولم يكن يتخلف عنها أحد إلّا ذوو الضروره القاهره، وجاء عن عائشه: لما أنزلت الآيات

۱- التسهيل لعلوم التنزيل ۴ : ۱۱۲، كنز العمال ۲ : ۲۳ / ح ۳۰۶۸.

۲- صحيح البخارى ۱ : ۴ / ح ۲ باب بدء الوحى، الجمع بين الصحيحين ۴ : ۹۲ / ح ۳۲۰۲ من المتفق عليه من مسند عائشه.

۳- تفسير البغوى ۴ : ۴۰۸، البدايه والنهايه ۳ : ۲۱.

۴- سوره المزمل: ۵.

۵- سوره النمل: ۶.

۶- سوره القصص: ۸۶.

الأواخر من سوره البقره خرج رسول الله فتلاهن فی المسجد فحرم التجاره فی الخمر((۱)).

فالتلاوه إذن قد یتسع معناها من القراءه العادیه إلی القراءه بصوت مرتفع لإسماع الآخرین، قال سبحانه: (وَاتْلُ عَلَیْهِمْ نَبَأَ ابْنَیْ آدَمَ بِالْحَقِّ) ((۲)) وقوله تعالی: (وَاتْلُ عَلَیْهِمْ نَبَأَ الَّذِی آتَیْنَاهُ آیَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا) ((۳)) ومن هذا القبیل (قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّکُمْ عَلَیْکُمْ...) ((۴)) وکذلک: (إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَهِ الَّذِی حَرَّمَهَا وَلَهُ کُلُّ شَیْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَکُونَ مِنَ الْمُسْلِمِینَ * وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَی فَإِنَّمَا یَهْتَدِی لِنَفْسِهِ) ((۵)) و(کَذَلِکَ أَرْسَلْنَاکَ فِی أُمَّهٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَیْهِمُ الَّذِیَ أَوْحَیْنَا إِلَیْکَ) ((۶)).

هذا إلی جانب ما جاء فی القرآن بصیغ خبریه کقوله تعالی: (وَإِذَا تُلِیَتْ عَلَیْهِمْ آیَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِیمَانًا) ((۷)) وقوله: (وَیَسْأَلُونَکَ عَن ذِی الْقَرْنَیْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَیْکُم مِّنْهُ

۱- صحیح البخاری ۴ : ۱۶۵۱ / ح ۴۲۶۷، الجمع بین الصحیحین ۴ : ۱۶۷ / ح ۳۲۹۴، من المتفق علیه من مسند عائشه.

۲- سوره المائده : ۲۷.

۳- سوره الأعراف : ۱۷۵.

۴- سوره الأنعام : ۱۵۱.

۵- سوره النمل: ۹۱ - ۹۲.

۶- سوره الرعد: ۳۰.

۷- سوره الانفال: ۲.

ذِكْرًا) ((١)) وقوله: (كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا) ((٢)) وقوله: (وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ) ((٣)) وقوله: (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاء لَقُلْنَا مِثْلَ هَـذَا) ((٤)).

فالله سبحانه أمر نبيه بأن يتلو القرآن على أمته، أي أن يسمعهم ويبلغهم الآيات جهراً.

فطريقه الانتقال الجماعى كانت بإسماعه من حضر فى المسجد سواء كانت الآيه تعنيهم أم لا، فقد قيل بأنّ الآيه: (لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ) ((٥)) لما نزلت سأل الأعمى الحاضر أمّ مكتوم رسول الله: يا رسول الله فكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين؟ ثمّ نزول (غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ) بعدها واُلحقت بالآيه ((٦)).

ومثله المروى عن أبى هريره، قال: كنا عند رسول الله حين أُنزلت سوره الجمعه فتلاها فلما بلغ (وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) ((٧)) قال له رجل:

١- سوره الكهف: ٨٣.

٢- سوره البقره : ١٥١.

٣- سوره آل عمران: ١٠١.

٤- سوره الانفال: ٣١.

٥- سوره النساء : ٩٥.

٦- تفسير القرطبى ٥ : ٣٤٢، سنن ابى داود ٣ : ١١ / ح ٢٥٠٧.

٧- سوره الجمعه: ٣.

يا رسول الله من هؤلاء الذين لم يلحقوا بنا؟ فلم يكلمه.

قال أبو هريره: وسلمان الفارسى فينا، قال: فوضع رسول الله على سلمان يده فقال: والذى نفسى بيده لو كان الإيمان بالثّريّا لتناوله رجال من هؤلاء ((١)).

فإن إبلاغ رسول الله تجمعات المسلمين ما نزل من القرآن - فيما يهمهم بواسطه رسل منه إليهم - كما تراه فى نزول سوره التوبه، أو آيه البلاغ يوم الغدير، وتكليفه أصحابه بأن يُقْرِئُوا إخوانهم وخاصه حديثى الإسلام القرآن، وبعثه الرسل إلى القرى والأقاليم ليعلّموا الناس القرآن، وتكليفه أمراء جيوشه أن يقيموا فى الذين يسلمون ويعلّموهم القرآن، إلى غيرها من عشرات الأمور كلّها من أنواع الإبلاغ الجماعى للمسلمين.

إذن الإقراء - والتلقى - الشفهى مباشره من فم رسول الله هو أهم طرق الوثاقه بالنص، وهو أهم من الانتقال الجماعى غير المباشر، وقد عرفت بأنّه لم يثبت عند الذهبى ولا عند غيره من كبار علماء الجمهور تلقى وعرض أبى بكر وعمر قراءتهما على رسول الله مباشره.

أما قراءه عثمان، فباعتقادى أن تلقّيه وعرض قراءته على رسول الله لم يثبت أيضاً وإن ذهب إليه الذهبى ((٢))؛ لأنّ الذى قد عرض قراءته على رسول الله عليه أن يرفع اللحن من القرآن لا أن يحيله للعرب كى يقومونه، فإنّ إثبات كون عثمان من الذين

١- الجامع للترمذى ٥: ٤١٣ / ٣٣١٠.

٢- انظر معرفه القراء الكبار الطبقه الأولى الترجمه ١ لعثمان بن عفان.

عرضوا قراءتهم على رسول الله أو لا يحتاج إلى بحث مستقل أرجو أن أوفّق للكتابه فيه، لكنى أريد هنا أن أوضح مفرده خاصه، وهى أنّهم اخترعوا عَرْضه عثمان ليصححوا عمله فى حرق المصاحف، والقول بأنّ نسخته هى نسخه الأصل ومصحفه هو مصحف الإمام وأن ما يخالفه يجب أن يحرق.

كما أريد أن أؤكّد أيضاً عدم صحه ما نقلوه من عرض السُّلمى قراءته على عثمان. فإنّه لو كان قد عرض قراءته على رسول الله صلى الله عليه و آله ، فلم يجز له أن يترك القرآن ملحوناً للعرب كى يقومون، ألم يكن من واجبه رفع اللحن وهو الجامع للقرآن!! فعثمان لم يقل سمعت بأن فيه لحناً بل قال: «أرى فيه لحناً»، فلو كان قد رأى فيه لحناً، ألا يلزم عليه تصحيحه؟!! وأن يباشر بنفسه لجمع القرآن لا أن يحيله إلى لجنه.

نحن نقول بهذا ونريد من خلاله التأكيد على سند مدرسه أهل البيت إلى هذا القرآن وأن أصل أربعه قراءات من السبعه هى ترجع قراءتها إلى الامام على عليه السلام ، وأنّ مدرسه الإمامه وإن كانت لهم تحفظات على منهجيه أبى بكر وعمر فى جمع القرآن؛ لكنهم كانوا يأخذون بهذا المصحف.

بلى أنّ مدرسه الصحابه والخلافه قد خلطوا القراءه الثابته الصحيحه والمعروضه على رسول الله مع القراءات المشكوكه والمتعدده، ثمّ سمحوا فى الأخذ بجميعها، بدعوى أن رسول الله قد أجازها من خلال حديث (نزل القرآن على سبعه أحرف) وهذا ليس بصحيح، لأنّ الذى عرض قرائته على رسول الله غير الذى سمعه منه صلى الله عليه و آله فى صلاته وخطبه وماشابه ذلك.

كما أنّ وجود شاهدين على قراءه ما لا يعنى أنها اختيارات شرعيه أمضاها رسول الله صلى الله عليه و آله للمسلمين.

وبهـذا فإنّ مـدرسه أهل البيت قـد حلّت الإشـكاليه المتوجهه إلى القراءات وذلك بإقرارها القراءه المشـهوره عنـد الناس، وعـدم جواز المخالفه معها وأنّك ستعلم بأنّ القراءه الرائجه اليوم هى قراءه الإمام على لا غيره رغم وجود الاختلاف بين الرواه فيه.

القراءات السبع والإمام على عليه السلام

المتأمـل فى القراءات السـبع التى أُقرّت من قبـل ابن مجاهـد فى القرن الرابع الهجرى يعرف بـأن أصـل أربعهٍ منها ترجع إلى أمير المؤمنين على عليه السلام وهى قراءات:

۱ - عاصم بن أبى النجود (ت ۱۲۷ ه-)، عن أبى عبد الرحمان السـلمى، الذى قرأ مباشرهً على الإمام علىّ، واشتهر قوله: ما رأيتُ رجلًا أقرأ من على ((۱)).

علماً بأنّ قراءه عاصم عن طريق حفص بن سليمان بن المغيره هى الشائعه الآن فى أكثر بلاد المشرق.

۲ - أبى عمرو بن العلاء (ت ۱۵۴ ه-)، عن نصر بن عـاصم ويحيى بن يعمر، وهمـا قرءا على أبى الأسود الـدؤلى، وهو قرأ على أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب.

۳ - حمزه بن حـبيب الزيّات (ت ۱۵۸ ه-)، عن جعفر الصـادق، عن محمّـد البـاقر، عن علىّ بن الحسـين زين العابـدين، عن أبيه الحسين، عن علىّ بن أبى طالب عليه السلام .

۴ - الكسائى (ت ۱۸۹ ه-)، وقد قرأ على حمزه بالسند المتقدّم.

۱- المجالسه وجواهر العلم للدينورى: ۱۸۹ / ح ۱۰۷۸، البيان فى عدد آى القرآن لأبى عمرو الدانى: ۳۱، تاريخ دمشق ۴۲: ۴۰۲.

وهؤلاء الأربعه كانوا يعيشون فی الكوفه، إلّا أبا عمرو بن العلاء الذی اشتهرت قراءته فی البصره، فإنّ وجود أئمّه أهل البيت فی بلد ما، أو وجود شيعتهم فيه يصحّح القراءه الموجوده فی ذلک البلد بنظرنا؛ لأن الإمام عليه السلام كان قد قال: «إقرأ كما يقرأ الناس» ((۱))، وهو حُكْمٌ منهم بمشروعيه تلک القراءه فی ذلک البلد أيام حياتهم.

ويمكن أن يضاف إلی هؤلاء الأربعه: قراءه نافع التی كان يَقرَأ بها أهل المدينه، لأنّه موطن سكن الإمام الصادق عليه السلام ، فيمكن تصحيحها من خلال قول الإمام: «إقرأ كما يقرأ الناس».

أما قراءه ابن عامر فقد كانت فی الشام موطن أعدائهم، والتی لم يسكنها أئمّه أهل البيت ولم يكن فيها شيعتهم حتی يمكن تصحيح كلام الإمام بصددهم.

ومثلها قراءه ابن كثير، فلم تكن شائعةً فی البلدان التی يسكنها الشيعه، وهی متروكه اليوم ولا يُقرَأ بها أحد.

إذن، هذه القراءات الأربعه هی الرائجه آنذاک وحتی اليوم، وأصلها يرجع إلی أمير المؤمنين، وإنّ الأئمه من ولده قد أقروها. وإن كان بينها اختلاف نظراً لاختلاف نقل الرواه مما يعنی بأنّ المصحف الموجود والقراءه الرائجه هی قراءه الإمام علی لا قراءه عثمان بن عفان وحرف زيد بن ثابت فقط كما يقولون.

ولم يقتصر كلامنا عن سند الشيعه الإماميه إلی هذا القرآن ورجوع أربع من القراءات المشهوره إلی أمير المؤمنين علی بن أبی طالب، بل الأمر يفوق ذلک، حيث

۱- الكافی ۲ : ۶۳۳ / ح ۲۳، وسائل الشيعه ۶ : ۱۶۳ / ح ۷۶۳۰ عنه.

ترى مؤلفات كثيره أُلّفت فى (قراءه أمير المؤمنين على) على وجه الخصوص فى القرون الأُولى، ككتاب (قراءه أمير المؤمنين) لزيد الشهيد ابن علىّ بن الحسين (ت ۱۲۲ ه-). و(قراءه أمير المؤمنين) للجلودى (ت ۳۰۲ ه-). وكتاب (قراءه على) لابن شنبوذ (ت ۳۲۸ ه-)، و(قراءه أمير المؤمنين) لأبى طاهر المقرئ (ت ۳۴۹ ه-) غلام ابن مجاهد صاحب كتاب (السبعه). وكتاب (قراءه أمير المؤمنين) لابن الحجّام، وغيرها. وهو الآخر مما يدلّ على اهتمام الشيعه بالقرآن وعمق الارتباط بين أهل البيت وهذا القرآن المجيد. كما أنّها تؤكّد ارتباط الأُمّه بقراءه أميرالمؤمنين على.

وستعرف لاحقاً بأنّ الراوين عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب فى القراءه القرآنيه من غير أهل بيته ثلاثه، هم:

أبو عبد الرحمان السلمى، وأبو الأسود الدؤلى، وعبد الرحمان بن أبى ليلى.

وأنّ أبا الأسود الدؤلى برسمه قواعد النحو قد ربط القرآن المحفوظ فى الصدور بالمكتوب فى السطور، لأنّه قال لمن أراد أن يكتب القواعد العربيه:

إذا رأيتَنى قد فتحتُ فمى بالحرف فانقط نقطةً على أعلاه، وإذا ضممتُ فمى فانقط نقطةً بين يدَى الحرف، وإذا كسرتُ فمى فاجعل النقطهَ تحت الحرف، فإن أتبعتُ شيئاً من ذلك غُنّه فاجعل النقطه نقطتين ((۱)).

فإنه بهذه الطريقه ربط المحفوظ فى الصدور بالمكتوب، ودوّن ما سمعه أميرُ

۱- مراتب النحويّين لأبى الطيّب اللغوى: ۱۰ و۱۱ ط مكتبه نهضه مصر - القاهره ۱۹۵۵ م بتحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم.

المؤمنين عن رسول الله من القراءه تلقياً وعرضاً، صوتاً وشفهاً إلى المكتوب ورقاً وقرطاساً، وهذا ما لا يفعله غيره فى جمعه.

كما روى قراءهَ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من أهل بيته: الحسنان عليهما السلام ، ومحمد بن الحنفيه.

وروى عليُّ بن الحسين عن أبيه الحسين قراءه جدّه أمير المؤمنين على عليهم السلام .

وعن علىّ بن الحسين روى القراءهَ ابناه: الباقر عليه السلام وزيد.

وعن الباقر عليه السلام أخذ ابنه الصادق، وحمران بن أعين الشيبانى، وزيد بن على بن الحسين ((۱)).

وهذا يعنى بأن زيد بن على قد أخذ القراءه عن على بطريقين عن أبيه السجاد وعن أخيه الباقر (عليهما السلام).

وإنّ حمزه الزيّات - أحد القرّاء - أخذ قراءته عن سليمان الأعمش وحمران بن أعين وأبى إسحاق السبيعى ومحمد بن عبد الرحمان بن أبى ليلى وطلحه بن مصرف ومغيره بن مقسم ومنصور وليث بن أبى سليم وجعفر بن محمد الصادق ((۲))، والأخير عن محمّد بن علىّ الباقر، عن على بن الحسين السجّاد، عن الحسين بن علىّ، عن علىّ بن أبى طالب عليهم السلام ، عن رسول الله صلى الله عليه و آله .

وغالب هؤلاء الذين مرّ أسماءهم كانوا على ارتباط بأهل البيت.

۱- أنظر: غايه النهايه ۱: ۱۹۶ / ت ۹۰۴، ۲۴۴ / ت ۱۱۱۴، ۲۰۲ / ت ۳۲۵۴، ۵۳۴ / ت ۲۲۰۶.

۲- غايه النهايه ۱: ۲۶۱ / ت ۱۱۹۰ لحمزه بن حبيب الزيات.

فالنهج الحاكم من أجل أن ينكروا على أميرالمؤمنين هذه الفضيله الّتى يشهد بها القاصى والدانى، والموافِقه للعقل والمنطق والفطره السليمه والتاريخ الصحيح، جدّوا كى يقللوا من مكانه الإمام فى القرآن وأن ينسبوا إليه عليه السلام بعض الأقوال زوراً وباطلاً كقوله فى أبى بكر: رحم الله أبا بكر، هو أوّل من جمع بين اللَّوحين! ((۱)) وهو كلام ضحل لا يمكن صدوره عن أمير المؤمنين عليه السلام ، لأنّهم قد ذكروا أنّ سالماً مولى أبى حذيفه كان من الجامعين للقرآن قبل أبى بكر، وهو الّذى سمّى مصحفه بالسِّفْر، فإنّه ينقض ما يحكونه عن أميرالمؤمنين على بن أبى طالب فى أبى بكر.

كما أنّهم ذكروا: أنّ أُبىّ بن كعب، وابن مسعود، ومُعاذ بن جبل وغيرهم كانوا من الجامعين للقرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله أيضاً، وقد أثبتنا بأنّ جمعهم هو بمعنى الكتابه.

فلو كان هؤلاء من الجامعين الأوائل، فما يعنى ما نُسِب إلى أمير المؤمنين قوله: رحم الله أبا بكر، هو أول مَن جمع بين اللوحين؟ ألم يكن هذا الكلام باطلًا وعن الحق مائلاً.

وبتأمّلٍ بسيط يشهد الباحث خطأ مقولتهم، وأنّ أمير المؤمنين هو الأَولى بجمع القرآن من أبى بكر؛ لأنّه – عدا كونه أوّل كتّاب الوحى – هو صهر الرسول صلى الله عليه و آله وابن عمّه، وزوج البتول عليها السلام ، وأبو ذرّيّته، وهو أوّل القوم إسلاماً، وإنّه لم يفارقه فى حضرٍ ولا سفر، فهو الحرىّ بجمع القرآن لا غيره؛ لأنّه عِدْله، وأحد الثقلين، وأعلم

۱- مصنّف ابن أبى شيبه ۶: ۱۴۸ / ح ۳۰۲۲۹، و۷: ۲۴۸ / ح ۳۵۷۵۱ و۳۵۷۵۲، فضائل أحمد ۱: ۲۳۰ / ح ۲۸۰.

الصحابه بالتنزيل والتأويل وشأن النزول بإقرار الجميع.

وقد صرّح الإمام عليه السلام أكثر من مرّه بأنّه اختُصّ بخصائص لم تكن عند غيره من الصحابه، منها: أنّه كان يخلو برسول الله صلى الله عليه و آله صباحاً ومساءاً، وكان يسأله عن مسائل الشريعه والدِّين، وإذا سكت ابتدره صلى الله عليه و آله بالكلام، وكان يعلم بنزول القرآن أهو فى سهلٍ أو فى جبل، وهل نزل فى ليلٍ أو فى نهار، ومنها أنه قد اختصه الله ورسوله بجمع القرآن وقد دوّن كتاب ربّه بالفعل.

لذلك كان أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام – ولغزاره علمه – يطلب من المسلمين أن يسألوه عن غوامض الأشياء، وخصوصاً القرآن منها، حتّى يوضّح لهم متشابهاته، بعكس مَن لم يثبت بأنه عرض قراءته على رسول الله((۱))، ومن كان لا يعرف معنى الكلاله كأبى بكر، أو مَن ضرب صبيغاً ((۲)) وجعله وضيعاً بعد أن كان سيّداً فى قومه، لسؤاله عن الذاريات والنازعات كعمر بن الخطاب.

لقد خطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فى عامه الّذى قُتل فيه، فقال:

«أيّها الناس، إنّ العلم يُقبَض قبضاً سريعاً، وإنّى أُوشَك أن تفقدونى، فسَلُونى، فلن تسألونى عن آيهٍ من كتاب الله إلّا أنبأتكم بها وفيما أُنزلت،

۱- حسب تحقيقنا السابق.

۲- جاء فى الخبر: سأل صبيغ بن عسل عمرَ عن بعض متشابه القرآن، فقال عمر: تسأل محدثه؟! فأرسل عمر إلى رطائب من جريد فض-ربه بها، حتّى ترك ظهره دبره، ثمّ تركه حتّى برِئَ، ثمّ عاد له، ثمّ تركه حتّى برِئَ، فدعا به ليعود له، قال صبيغ: إن كنت تريد قتلى فاقتلنى قتلاً جميلاً، وإن كنت تريد أن تداوينى فقد والله برئت! ... سنن الدارمى ۱: ۶۷ / ح ۱۴۸.

وإنّكم لن تجدوا أحداً من بعدى يحدّثكم» ((۱)).

وعن أبى الطفيل أنه قال:

شهدتُ عليّاً يخطب وهو يقول: «سلونى، فوالله لا تسألونى عن شىءٍ إلّا أخبرتُكم، وسلونى عن كتاب الله، فوالله ما من آيهٍ إلّا وأنا أعلم أبليلٍ نزلت أم بنهار، أم فى سهلٍ أم فى جبل» ((۲)).

فأمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام – وكما قلنا – كان الأولى بجمع القرآن فى السطور من أبى بكر وعمر وعثمان؛ لأنّه كاتب الوحى، والعالم بالتنزيل والتأويل، وآخر الناس عهداً به صلى الله عليه و آله ، ورسول الله مات ورأسه فى حِجر علىّ بن أبى طالب.

فهذه هى رابطه أمير المؤمنين علىٌّ بن أبى طالب مع القرآن، وهو الّذى سعى أن يربط المحفوظ فى الصدور بالمدوّن فى السطور عن طريق تلميذه أبى الأسود الدؤلى.

ومع كلّ هذا نرى الخلفاء الحكّام وأتباعهم يعتمون على دور الإمام ولا يرتضون الكلام عن رابطه أمير المؤمنين مع القرآن، أو ارتباط جمع القرآن مع أمر الخلافه والإمامه، وفى المقابل نراهم يؤكّدون على دور زيد بن ثابت ويعدّونه الشخص الوحيد الّذى شهد العرضه الأخيره!! فهو المنفرد الوحيد عندهم بجمع القرآن فى عهود الخلفاء الثلاثه وعلى عهد رسول الله تاركين اسم ابن مسعود ومعاذ بن جبل وأُبَيّاً وغيرهم.

بل يعدّون معاويه بن أبى سفيان كاتباً للوحى! مع أنه هو الأول – مع عائشه –

۱- تاريخ مدينه دمشق – ترجمه الإمام عليه السلام ۴۲: ۳۹۷.

۲- الاستيعاب ۳: ۱۱۰۷، فتح البارى ۸: ۵۹۹، تفسير القرطبىّ ۱: ۳۵، زاد المسير ۴: ۲۴۵، كنز العمّال ۲: ۲۳۹ / ح ۴۷۴۰.

الـذَین أشاعـا عن النبی بأنه أمی بمعنی لا یعرف القراءه والکتابه والعیاذ بالله، فهؤلاء یؤکّدون علی رسم الخط العثمان مع أنّه لم یثبت کتـابه عثمان للقرآن، کما أنّهم یقولون بأن أمیه بن حرب هو الـذی علّم العرب الکتابه، یقولون بکلّ ذلک ولا یرتضون أن یکون علیّ بن أبی طالب جامعاً للقرآن(۱)، أو کاتباً للوحی أو الحافظ لجمیع القرآن!!

إنّ أتبـاع مـدرسه الخلافه لا یعجبهم أن یـذکر اسم الإمام علی علیه السـلام ضـمن جامعی القرآن، رغم وقوفهم علی مکانته فی الإسـلام وعند رسوله، وأولویّته علیه السلام بهذا الامر علی غیره، وإنهم إن أرادوا أن یذکروه فعلی نحو الاستنقاص یذکروه، مثل قولهم: «بأنّه مات ولم یحفظ القرآن(۲)» ومثل قولهم: «بأنّه جمَع القرآن فی صـدره لا عن تـدوینٍ وکتابهٍ(۳)» وأمثالها، قالوا بکلّ ذلک استنقاصاً منهم له.

۱- وقد وقفت علی کلام الإمام الباقر علیه السـلام : «ما ادّعی أحدٌ من الناس أنّه جمع القرآن کلَّه کما أُنزل إلّا کذّاب، وما جمعه وحفظه کما نزّله الله تعالی إلّا علیّ بن أبی طالب والأئمّه من بعده علیهم السـلام ». إشاره منه إلی تنزیله وتأویله. وعنه علیه السلام : «ما یستطیع أحدٌ أن یدّعی أنّ عنده جمیع القرآن کلّه ظاهره وباطنه غیر الأوصیاء» (الکافی ۱: ۲۲۸ / ح ۱ و۲، بصائر الدرجات: ۲۱۳ / ح ۱ و۲)

۲- البیان للخوئی : ۵۳۷، عن القرطین ۱ : ۱۵۸ رواه عن الشعبی.

۳- فتح الباری ۹ : ۱۳.

اضعاف أخبار جمع الإمام علیّ علیه السلام للمصحف، حقیقهٌ أم وهم؟

أجل إنّهم ضمن خطتهم راحوا یضعفون (۱) روایات جمع الإمام علیه السلام للمصحف، بعد ثبوتها وتطابقها مع الواقع والعقل، فقالوا عن ذلک الجمع بأنّه جمع حفظٍ فی الصدور، أو جَمْعٌ من الصدور، فمن تلک الأخبار ما أخرجه السجستانی فی (المصاحف)، بسنده عن أشعث، عن محمّد بن سیرین قال:

لمّا تُوفّی النبیّ صلی الله علیه و آله ، أقسم علیٌّ أن لا یرتدی برداءٍ إلّا لجمعهٍ حتّی یجمع

۱- قال الآلوسی فی روح المعانی ۱: ۲۲: وما شاع أنّ علیّاً کرّم الله وجهه لمّا توفّی رسول الله تخلّف لجمعه، فبعض طریقه ضعیف، وبعضها موضوع، وما صحّ فمحمولٌ - کما قیل - علی الجمع فی الصدر، وقیل: کان جمعاً بصورهٍ أُخری لغرضٍ آخر - انتهی کلام الآلوسی. فالضعیف الّذی عناه الآلوسی إن کان یقصد به ما أخرجه أبو داوود فی سننه - الّذی یُعتبر من الصحاح الستّ - من طریق ابن سیرین، فله طریقٌ آخَر أخرجه ابن الضریس عن ابن سیرین عن عکرمه عن علیّ. وهذا هو ما قاله السیوطی فی الرد علی ابن حجر: (قلت: قد ورد من طریق آخر أخرجه ابن الضریس فی فضائله ... وأخرجه ابن اشته فی المصاحف من وجه آخر عن ابن سیرین) الاتقان ۱: ۲۰۴ النوع الثامن عشر. وأمّا الموضوع، فلا أدری ما یعنی به، فغالب ما أخرجه المحدّثون - کالصنعانی فی مصنّفه، وابن سعد فی طبقاته، وابن أبی شیبه فی مصنّفه، وابن ضریس فی فضائل القرآن، وغیرهم من کبار علماء العامّه ومحدّثیهم - لم أقف فیه علی حدیث موضوع بحسب ضوابطهم الحدیثیه. وأمّا حمله الجَمْع الوارث فی الأحادیث الصحیحه علی الجمع فی الصدور فهو تعسّف ما بعده تعسّف.

القرآن فی مصحف، ففعل، فأرسل إلیه أبو بکر بعد أیّام: أکَرِهتَ إمارتی یا أبا الحسن؟

قال: لا والله، إلّا أنّی أقسمت أن لا أرتدی برداءٍ إلّا لجمعه. فبایعه ثمّ رجع.

قال أبو بکر [السجستانی]: لم یذکر المصحف أحدٌ إلّا أشعث، وهو لیّن الحدیث، وإنّما رووا (حتّی أجمع القرآن)، یعنی أُتِمّ حفظه، فإنّه یُقال للّذی یحفظ القرآن: قد جَمَعَ القرآن ((۱)).

وما قاله السجستانی من کون الأشعث (لیّن الحدیث) لا یقبله کثیرٌ من الرجالیّین، ولو راجعتَ (تهذیب الکمال) ((۲)) لوقفت علی أسماء رجالیّین یوثّقونه أو یحسّنونه، أمثال یحیی بن مَعِین والعجلی وابن شاهین ((۳)) والبزّار، هذا أوّلاً..

وثانیاً: إنّ ما قاله السجستانی: (لم یذکر المصحف أحدٌ إلّا أشعث) غیر صحیح، إذ ورد ذکر (المصحف) فی روایات أُخری، أی أنّ لخبر الأشعث شاهداً صحیحاً من الأخبار الأُخری الّتی مرت علیک فی صفحه ۵۸.

۱- أُنظر: المصاحف للسجستانی ۱: ۱۶۹ / ح ۳۱، وقد تابع السجستانی فی التشکیک بورود کلمه المصحف کلٌّ من: ابن حجر فی فتح الباری ۹: ۱۳ کتاب الفضائل باب ۳، والعینی فی عمده القاری ۲۰: ۱۷، تحفه الأحوذی ۸: ۴۰۷، مرقاه المفاتیح ۵: ۱۰۴.

۲- تهذیب الکمال ۳: ۲۶۴ / الترجمه ۵۲۴.

۳- تاریخ أسماء الثقات: ۳۶ /ت ۷۰. قال: وسئل عثمان بن أبی شیبه عن أشعث بن سوار، فقال: ثقه صدوق.

وثالثاً: إنّ جمله (حتّی یجمع القرآن فی مصحف) أدلّ دلیلٍ علی کون الجمع هو جمع تدوینٍ لا جمع حفظ کما یقولون، وذلک لأنّه علیه السلام جَمَعَ القرآن فی مصحف بین الدفّتین.

کما أنّه نقضٌ صریح لقول السجستانی الّذی أراد أن یستدلّ به علی الحفظ، فکلام أمیر المؤمنین نصٌّ، وکلام السجستانی اجتهاد! ولا معنی للاجتهاد قبال النص.

أمّا ما قالوه عن الإمام أمیر المؤمنین علیّ علیه السلام بأنّه جلس فی بیته کی یجمع القرآن من صدره، فهو باطلٌ أیضاً؛ لأنّ الإمام غیر محتاج إلی ذلک، لاختصاصه بالنبیّ صلی الله علیه و آله وخُلُوِّه به فی اللّیل والنهار وکتابه القرآن عنه مباشره - مِن فِیه لیده - فضلاً عن کتابته مع تفسیره وتأویله، فمَن کان هذا حاله فلا داعی لأن یجلس فی بیته لیجمع القرآن من صدره تارهً أُخری.

وسؤالنا هو: أنّ أمیر المؤمنین لِ-مَن یجمع القرآن من صدره؟ هل یجمعه لأُمّته وهم یتلون الکتاب ویعرفونه، أم یجمعه لنفسه ولا داعی له، لأنه کان قد حفظه؟!

نعم، إنّ جمعه من الصحف کتابهً وتدویناً لا حفظاً هو المطلوب للمسلمین، وقد فعله امتثالاً لأمر رسول الله صلی الله علیه و آله ؛ لکی یُعصَم الموجود عن الزیاده والنقیصه والتحریف، وقد جمعه علیه السلام احترازاً وحیطه کی (لا یزید الشیطان فیه) وأن (لا ینفلت القرآن) حسبما جاء فی کلامه علیه السلام .

بل کیف لهم أن ینسبوا إلی الإمام علیّ علیه السلام جمعه عن ظهر قلبه فی الزمن المتأخّر، وخلیفتهم عمر ینهی الصحابه عن کتابه القرآن عن ظهر القلب؟!

فقد أخرج السجستانی فی کتابه (المصاحف)، بسنده عن قیس بن مروان، قال: جاء رجل إلی عمر وهو بعَرَفه، فقال: یا أمیر المؤمنین،

جئتُک من الکوفه وترکتُ بها رجلاً ـ يُملی المصاحف عن ظهر قلبه. قال: فغضب عمر وانتفخ حتّی کاد أن يملأ ما بين شُعبَتَی الرجل. قال: من هو؟ ويحک! قال: هو عبد الله بن مسعود ... ((۱)).

فلو کان هذا حال عمر مع مَن يکتب القرآن عن ظهر قلبه، فکيف ينسبون للإمام علیّ عليه السلام ، فعل شیء لا يرتضيه حتی خليفتهم عمر بن الخطّاب؟!

فلو کان الجمع؛ بمعنی التدوين والتأليف عند الخلفاء الثلاثه، فليکن کذلک عند الإمام أمير المؤمنين علیّ عليه السلام أيضاً.

فلماذا يقبلون ذلک للخلفاء ولا يرتضونه لعلیّ عليه السلام ، ويکيلون الأُمور بمکيالَين؟!

ألم يکن الإمام أمير المؤمنين علیّ عليه السلام من الحَفَظَه والکَتَبَه والقُرّاء والعلماء علی عهد رسول الله ثم من بعده؟! إنّه تساؤلٌ يبيّن عُمق الإجحاف بحقّ أمير المؤمنين عليه السلام من قِبل أبناء أُمّته، وخصوصاً ما لاقاه من مشايخهم وذوی سلطانهم.

کما يؤکّد کتابه الإمام للمصحف فی الصدر الأول الاسلامی ما جاء فی (فضائل القرآن) لابن ضريس:

إنّ أبا بکر سأل الإمام عليّاً عليه السلام : ما أقعدک عنّی؟ فقال عليه السلام : رأيتُ کتاب الله يُزاد فيه، فحدّثت نفسی أن لا ألبس ردائی إلّا لصلاه جمعه

۱- المصاحف ۲: ۵۰۹ / ح ۴۱۲.

حتّی أجمعه. فقال له أبو بکر: فإنّک نِعْمَ ما رأیت (۱).

علی أنّ الجمْع فی هذا النص بمعنی الکتابه لا الحفظ، وذلک لأُمور:

الأوّل: إنّ جمله (حتّی أجمعه) لا یمکن حملها علی الحفظ کما یدّعون!! لأنّها لو حُمِلَت علی ذلک المعنی فلا یرتبط بقوله الآخر: (رأیتُ کتابَ الله یُزاد فیه).

الثانی: إنّ قول القائل عن جمع الإمام أمیر المؤمنین علیّ علیه السلام للذکر الحکیم بأنه: «جمع الصدر لا جمع المصحف، وحفظ نزول الآیات لا الجمع للقراءه» (۲)، هو رجمٌ بالغیب وتخرّصٌ محض، لثبوت معرفه الإمام علیٍّ علیه السلام بأسباب النزول ومکان التنزیل، أهو فی سهلٍ أم فی جبل، فی لیلٍ أم فی نهار، بغضّ النظر عن حفظه والاستشهاد بآیاته فی خُطَبه وکلامه، فلو کان المراد من الحفظ حفظ الصدر فلا داعی للجلوس فی بیته لمدّهٍ حتّی یجمعه وإن ذلک کان یتحقق بأقل من ذلک.

الثالث: إنّ حمل الجمع علی جمع الحفظ فی الصدر هو مجازٌ یستدعی القرینه، ولا قرینه قائمه فیما نحن فیه، فلا یُحمَل علیه، بل هناک قرائن علی خلافه فی شخصٍ مثل الإمام علیّ علیه السلام ؛ الذی هو عدل القرآن المجید، کما هو مصرّح به فی حدیث الثقلین.

الرابع: إنّ النصوص الدالّه علی جمع الإمام أمیر المؤمنین علیّ علیه السلام للمصحف فی کتب الإمامیه تشیر إلی أنّها کانت بوصیّهٍ من رسول الله صلی الله علیه و آله ؛ إذ أنّه قال لعلیٍّ علیه السلام : «إنّ

۱- فضائل القرآن لابن ضریس: ۳۶ / ح ۲۲.

۲- وهو قول اللکنوی الهندی فی مصنّفه فواتح الرحموت المطبوع بهامش المستصفی: ۲: ۱۲، وقال ابن حجر فی فتح الباری ۹: ۱۳ معلِّقاً علی خبر مصحف الإمام علیّ: وعلی تقدیر أن یکون محفوظاً، فمراده بجمعه حفظه فی صدره.

القرآن خلف فراشي ... فجمعه عليٌّ في ثوبٍ أصفر ...» ((۱)).

وفي آخر: «إنّ رسول الله أوصاني إذا واريتُه في حفرته لا أخرج من بيتي حتّى أُؤلّف كتاب الله» ((۲)).

وفي ثالثٍ: «يا عليّ، لا تخرج ثلاثه أيّام حتّى تؤلّف كتاب الله، كي لا يزيد فيه الشيطان ولا ينقص منه شيئاً» ((۳)).

وفي رابع: «هذا كتاب الله قد ألّفتُه كما أمرني وأوصاني رسول الله كما أُنزل» ((۴)). وهذه النصوص تؤكّد بأنّ الجمع لم يكن جمع حفظ - كما يدّعونه - بل هو جمع كتابهٍ وتدوين.

الخامس: إنّ يمين الإمام عليّ عليه السلام وقَسَمه بأن لا يخرج من بيته إلّا بعد جمع المصحف، ووجود المصحف عند آل جعفر - كما قال ابن النديم - وغيرهما من النصوص، لَتؤكّد أنّ الجمع كان جمعَ تدوينٍ لا جمع حفظٍ كما يدّعون.

السادس: إنّ ما جاء في خبر عبد خير وقوله عليه السلام : «حتّى أجمع ما بين اللّوحَين»، صريحٌ بأنّ الجمعَ هو جمع كتابهٍ لا جمع حفظٍ أيضاً.

السابع: يرى الباحث في المتاحف والمكتبات في العالم مصاحف منسوبه كتابتها إلى الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ، وهي تشير إلى أنّ الجمع كان جمعَ كتابهٍ لا جمع حفظٍ

۱- تفسير القمّي ۲: ۴۵۱ - عنه: بحار الأنوار ۸۹: ۴۸ / ح ۷.

۲- تفسير العيّاشي ۲: ۶۶ / ح ۷۶ - عنه: بحار الأنوار ۲۸: ۲۲۷ / ح ۱۴.

۳- تفسير فرات: ۳۳۹ / ح ۵۳۰ - عنه: بحار الأنوار ۲۳: ۲۴۹ / ح ۲۳.

۴- إثبات الوصيّه: ۱۲۳.

أيضاً، وقد حُقّق أخيراً المصحفُ المنسوب إلى أمير المؤمنين على (نسخه صنعاء)، والّذى طُبع بالتعاون بين مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافه الإسلاميه التابعه لمنظمه التعاون الإسلامى (IRCICA) وحكومه اليمن، بتقديم الدكتور طيّار آلتى قولاچ، والذى يؤكّد مطابقه المصحف المنسوب إلى أمير المؤمنين مع المصحف الذى بين أيدينا اليوم فى ترتيب السوَر والآيات، ومعناه وحده المسلمين فى القرآن الكريم.

وقال ابن عِنَبَه (المتوفّى ۸۲۸ ه-) فى (عمده الطالب):

«وقد كان بالمشهد الشريف الغروىّ مصحفٌ فى ثلاث مجلّدات بخطّ أمير المؤمنين علىّ عليه السلام ، احترق حين احترق المشهد سنه خمسٍ وخمسين وسبعمائه، يُقال: إنّه كان فى آخره: (وكتب علىّ بن أبو طالب) ...».

ومنها نسخه منه بالمذار، قال: «وقد رأيتُ أنا مصحفاً بالمذار فى مشهد عبيد الله بن علىّ بخطّ أمير المؤمنين فى مجلّدٍ واحد، وفى آخره بعد تمام كتابه القرآن المجيد: (بسم الله الرحمن الرحيم. كتبه علىّ بن أبى طالب)...، واتّصل لى بعد ذلك أنّ مشهد عبيد الله احترق واحترق المصحف الّذى فيه» ((۱)).

وخلاصه المطلب: أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن يرتضى ما انتهجه الخلفاء من منهج فى جمع القرآن وما فسروه فى الأحرف السبعه، وشرعيّه تعدّد القراءات المصطنَعه، وخلط قراءه من تلقّاه بالعرض - كأبى بن كعب وابن مسعود - مع الذى سمعه من رسول الله فى صلاهٍ أو خطبهٍ أو ما شابه ذلك، لأنّ الأول لم يكن كالثانى على

۱- عمده الطالب: ۲۰ - ۲۱.

وجه القطع واليقين، كما أنه لم يصح ما نسب إليه عليه السلام القول الأخير: بأنه لو كان والياً عليهم لفعل مثلما فعله عثمان أو أنّه ترحم على ابن ابى قحافه لجمعه القرآن وأمثال ذلك.

أخبارٌ كاذبه:

١- الإمام على وجمع أبو بكر المصحف بين الدفتين

أجل إنّ الخلفاء وأتباعهم كانوا يعلمون بأهميه القرآن ومكانه جامعه، لـذلك أخذوا ينسبون إلى الامام على أقوالاً مجافيةً للواقع يكذّبها التاريخ ومجريات الأحداث بعد رسول الله صلى الله عليه و آله ، فقد أخرج ابن أبى داوود فى (المصاحف)، بإسنادٍ حسن عن عبد خَيْر، قال:

سمعتُ عليّاً يقول: أعظم النّاس فى المصاحف أجراً أبو بكر، فإنّه أوّل من جمع بين اللّوحين ((١)).

فالمقدّمه والذيل باطلتان؛ لأنّ الرسول صلى الله عليه و آله كان قد دوّن الآيات ورتّبها فى حياته

١- المصاحف ١: ١٥٣ - ١٥٤ / ح ١٥ - ٢٠ و ١ : ١٥٤ / ح ١٧قال السيوطى فى (الإتقان): ومن غريب ما ورد فى أوّل مَن جمعه ما أخرجه ابن اشته فى كتاب المصاحف من طريق كَهَمْسَ، عن ابن بريده قال: أوّل من جمع القرآن فى مُصحف سالم مولى أبى حذيفه، أقسم لا يرتدى برداءٍ حتّى يجمعه. الإتقان ١: ١٦٢ / ح ٧٥٤.

ولا يحتاج إلى ترتيب وإجتهاد من الصحابه بعد ذلك.

كما أنّه كان قد كلّف عليّاً بأن يجمع المرتَّب من القرآن ويوحّد شكله بين الدفّتين، وقد فعل ذلك بعد وفاه رسول الله مباشره، وشهد له بذلك الصحابه والتابعون وتابعو التابعين، ونصوصها موجوده فى كتب الفريقين ((۱))، كما إنّ أبابكر كان قد عرف ذلك وسكت عنه، ولم يلزمه بالرجوع إليه أو إلى زيد بن ثابت، بل فى حديث المناشده ترى إقرار أبى بكر لعلى بفضيله جمعه للقرآن، وبذلك يكون الامام على عليه السلام هو أول من جمع القرآن بين اللوحين لا غيره.

نعم انّهم قالوا بذلك قِبالاً لما عُرف عن الإمام أمير المؤمنين علىّ عليه السلام من أنّه أوّل من جمع المصحف بين الدفّتين، كما روى عن عبد خير نفسه أيضاً نصاً آخر خلافاً للمحكىّ عنه آنفا.

ففى حليه الأولياء عن السدى، عن عبد خير، عن على قال: لما قبض رسول الله أقسمت أو حلفت أن لا أضع ردائى عن ظهرى حتى أجمع ما بين اللوحين، فما وضعت ردائى عن ظهرى حتى جمعت القرآن ((۲)).

فكلامهم مردود حتى عندهم، لأنّ القرمانى قال فى (المختصر) بأن أول من جمعه بين اللوحين هو عمر بن الخطاب!!

۱- يمكنك أن تشاهدها فى (الجمع بعد وفاه رسول الله بواسطه الامام على).

۲-)حليه الأولياء ۱: ۶۷، وعنه فى كنز العمال ۱۳: ۶۶ / ح ۳۶۴۷۳.

وروی عن أبی بریده أنه قال: أول من جمع القرآن فی مصحف سالم مولی أبی حذیفه((۱))!!

وهذان النصان الاخیران یُخَطّآن ما حکی عن عبد الخیر عن علی فی أبی بکر، کما أنه یخالف الأخبار التی جاءت فی کون الامام هو أول من دوّن القرآن بعد رسول الله. لدعوی اولویه جمع عمر وسالم فی تلک الأخبار، فهی أخبار موجوده فی کتبهم وهی حجه علیهم ولیست بحجه علینا، وتلزمهم ولا تلزمنا. واقل ما فیها انّها تنقض مقولتهم فی أولویه أبی بکر فی جمع القرآن وحتی ما قالوه عن أبی بکر فهو لیس الجامع للقرآن بل الآمر بالجمع ، والجامع فی روایاتهم هو زید بن ثابت لا أبوبکر.

فأَتساءل: أیّ الاحتمالَین أقرب إلی المنطق والعقل؛ جمْعُ الإمام علیٍّ علیه السلام للقرآن بعد وفاه رسول الله مباشره - وهو صهر الرسول، وزوج البتول، وأوّل القوم إسلاماً والذی لم یسجد لصنم قط، وأحد الثقلین الّذین خلّفهم رسول الله فی أُمّته - أم جمْعُ الخلفاء الثلاثه، وخصوصاً الأول منهم بعد واقعه الیمامه؟

۲- الإمام علی ومدحه لعثمان فی المصاحف

إنّ الأمویین حکوا عن الإمام علیه السلام قوله فی شرعیّه جمع عثمان للمصاحف - أو قل: فی شرعیّه إحراقها -:

یا معشر الناس اتقوا الله! وإیاکم والغلو فی عثمان وقولکم: حرّاق

۱- أُنظر: تفسیر روح المعانی ۱ : ۲۲.

المصاحف، فوالله ما حرقها إلا عن مَلأ من أصحاب محمّد ((۱)).

أو قوله فی نصٍّ آخر: «والله لو وُلّیت لفعلتُ مثل الّذی فعل» ((۲)).

أو: لو کنت الوالی وقت عثمان لفعلت فی المصاحف مثل الذی فعل عثمان ((۳)) أیضاً.

وصدور هذا الکلام عن الإمام علیّ علیه السلام وإن کان غیر صحیح قطعاً ویخالف سیرته وأقواله الأُخری، کما أنه یخالف اعتراضات الصحابه علی عثمان لحرقه المصاحف، ولکن لو تنزّلنا وأردنا الجمع بینه وبین الأقوال الأخری لأمکن القول: إنّ هدف الإمام علیه السلام جاء فی سیاق توحید الأُمّه علی القراءه الواحده ورفع الاختلاف بین المسلمین، وهو منتهی هَمِّ الإمام وغمِّه، لا تصحیحاً لحرق عثمان المصاحف وما انتهجه من منهج خاطئ فی جمعه کاستکتاب صغار الصحابه وترک أجلائهم.

نعم إنّهم ذکروا هذا الکلام کی یصحّحوا ما فعله عثمان من حرق المصاحف - الّذی کان أحد الأسباب التی أدّت إلی مقتله -، فإنّهم حکوا هذا الکلام عن الإمام لکی یقولوا: بأنّ الإمام علیّاً علیه السلام رضی بفعل عثمان فی الحرق، کغیره من الصحابه الراضین بفعله!!

فی حین أنّ الواقع یثبت عکس ذلک تماماً فی الإمام علیه السلام وفی غیره من الصحابه، فإنهم لم یرضوا بالحرق، کما أنهم لم یرضوا بانتدابه زید بن ثابت لجمع القرآن، ولم

۱- الجامع لاحکام القرآن ۱ : ۵۴، المصاحف ۱: ۱۷۶ / ح ۳۹.

۲- تاریخ مدینه دمشق ۳۹: ۲۴۵ و۲۴۸، تاریخ المدینه ۲: ۱۱۸ - ۱۱۹ / ح ۱۷۱۹.

۳-)الجامع لاحکام القرآن ۱ : ۵۴.

يرتضوا بأعماله وإحداثاته الأخرى.

من فضائل عثمان: حرق المصاحف!!

نعم إن مدرسه الخلافه اعتبرت حرق عثمان للمصاحف من فضائله، فقال الزركشی – عند تفنيده لكلام الروافض حسب زعمه –:

وأما تعلّق الروافض بأنّ عثمان أحرَق المصاحف، فإنّه جهلٌ منهم وعمىً، فإنّ هذا من فضائله وعلمه ((۱))، فإنّه أصلح ((۲))، وأَلَمَّ للشَّعَث ((۳))، وكان ذلك واجباً عليه ((۴))، ولو تركه لعصى؛ لما فيه من التضييع ...

وأمّا قولهم: إنّه أحرق المصاحف، فإنّه غير ثابت، ولو ثبت لوجب حمله

۱– كيف يكون من فضائله وعلمه أن يحرق آيات الله وأسماء الجلاله ولا يميثها بالماء أو يدفنها فی الأرض؟ إنّ هذا لَشیءٌ عجيب! وإنّك ستقف بعد قليل على كلام للقرطبی يُخْرِجُ من فَعَلَ ذلك من الدين.

۲– كيف يكون حرق أسماء الجلاله أصلح من إماثتها بالماء أو دفنها تحت الأرض أو القاءها فی البحر؟! وهل بحرق وتمزيق المصاحف صلحت الأمه أم تشتَّتَتْ؟ هذا ما يجب أن نقف عليه فی آخر الكتاب.

۳– نسأل: هل حقّاً حصل بحرق المصاحف لمّ الشعث، أم ثارت عليه الأُمّه حتّى قتلته واستمرّ الخلاف بين المسلمين بعد مقتله؟ كما ستقف عليه فی (توحيد المصاحف) آخر الكتاب.

۴– فإن كان واجباً عليه حقّاً، فلماذا ردّ مصحف حفصه بعد استنساخه ولم يحرقه؟

على أنّه أحرق مصاحف قد أُودعت ما لا يحلّ قراءته ((۱)).

وقال فی آداب تلاوه القرآن: قال الحلیمی: وإن أحرَقها [أی: المكلَّفُ للمصاحف] بالنار فلا بأس، أحرق عثمانُ مصاحفَ فیها آیاتٍ وقراءات منسوخه، ولم یُنكَر علیه.

وذكر غیره أنّ الإحراق أولی من الغَسل، لأنّ الغساله قد تقع على الأرض. وجزم القاضی فی تعلیقه بامتناع الإحراق وأنّه خلاف الاحترام، والنووی بالكراهه ... ((۲)).

هذا هو جواب القوم فهم بهذه النصوص أرادوا أن یصحّحوا عمل عثمان، ناسبین إلى كبار الصحابه - وخصوصاً إلى الإمام على علیه السلام - رضاهم بحرق المصاحف، وهذا الكلام غیر صحیح، لأنّ الأُمّه ثارت على عثمان لاحداثاته، وكان ضمن احداثاته حرقه وتمزیقه المصاحف، وقد سمّوه ب-: حرّاق المصاحف، تعریضاً به وبما فعله.

فحرق المصاحف وإتمامه الصلاه بمنى والعفو عن عبید الله بن عمر وردّه للشهود وتعطیل الحدود فی الولید بن عقبه وتقدیم الخطبه عن الصلاه فی العیدین وأمثال ذلك أهم من تولیته الفساق وإعطاء ذوی رحمه من بیت المال والتنكیل بالصحابه وإرجاع المطرودین على عهد رسول الله وغیر ذلك، لأنّ تلك ترتبط بصمیم

۱- البرهان ۱: ۲۴۰.

۲- البرهان ۱: ۴۷۷.

الشريعه وهذه بالتصرّفات الخاصه.

وممّا يؤيّد كلامنا ما حكوه عن المختار الثقفى - تعريضاً به وبالإمام على -، والّذى أخرجه السجستانى فى (المصاحف) بسنده عن عقبه بن جرول الحضرمى، أنّ سويد بن غفله أخبره بما قال له المختار فى على والمصاحف، قال:

لمّا خرج المختار، كُنّا - هذا الحىّ من حضرموت - أوّلَ من يسرع إليه، فأتانا سُوَيْدُ بن غَفَلَهَ الجُعْفِىُّ، فقال: إنّ لكم عَلَىَّ حقّاً، وإنّ لكم جِواراً، وإنّ لكم قرابه، والله لا أُحدّثكم اليوم إلّا شيئاً سمعتُه من المختار: أقبلتُ من مكّه، فإنّى لأسير إذ غمزنى غامز من خلفى، فإذا المختار، فقال لى: يا شيخ، ما بقى فى قلبك من حبِّ ذلك الرجل - يعنى عليّاً -؟

قلت: إنى أُشْهِدُ الله أنّى أحبُّه بسمعى وقلبى وبصرى ولسانى.

قال: ولكنْ أُشهد الله أنّى أبغضه بقلبى وسمعى وبصرى ولسانى.

قال: قلتُ أَبيتَ والله إلّا تثبيطاً ((۱)) عن آل محمّدٍ وترثيثاً ((۲)) فى إحراق المصاحف - أو قال: حَراق، هو أحدها، يشكّ أبوداوود -.

فقال سويد: والله لا أُحدّثكم إلّا شيئاً سمعته من علىّ بن أبى طالب، سمعته يقول: يا أيّها الناس، لا تغلوا فى عثمان ولا تقولوا له إلّا خيراً - أو: قولوا له خيراً - فى المصاحف وإحراق المصاحف، فوالله ما فعل

۱- التثبيط: التعويق والشغل عن المراد (لسان العرب ۷: ۲۶۷ ماده ثبط).

۲- الترثيث: التضعيف فى أمر الشىء (النهايه لابن الأثير ۲: ۱۹۵ مادّه رَثَث).

الّذی فعل فی المصاحف إلّا عن ملَأٍ مِنّا جمیعاً.

فقال: ما تقولون فی هذه القراءه؟ فقد بلغنی أنّ بعضهم یقول: إنّ قراءتی خیرٌ من قراءتک، وهذا یکاد أن یکون کفراً.

قلنا: فما تری؟

قال: نری أن یُجمَع الناس علی مصحفٍ واحد، فلا تکون فُرقهٌ ولا یکون اختلاف.

قلنا: فنِعْمَ ما رأیت.

قال: فقیل: أیُّ الناس أفصح، وأیّ الناس أقرَأ؟ قالوا: أفصح الناس سعید بن العاص، وأقرؤهم زید بن ثابت، فقال: لیکتب أحدهما ویُملی الآخر. ففعلا، وجُمع الناس علی مصحف.

قال: قال علیّ: والله لو وُلّیتُ لفعلتُ مثل الّذی فَعَل (۱).

هذا هو زعمهم، فی حین أنّ الموجود فی کتب الإمامیّه غیر ذلک، ففی کتاب عاصم بن حمید الحنّاط، عن أبی بصیر، قال: حدّثنی عمرو بن سعید بن هلال، قال: حدّثنا عبد الملک بن أبی ذر، قال:

لقینی أمیر المؤمنین علیه السلام یوم مزّق عثمان المصاحف، فقال: ادعُ لی أباک. فجاء إلیه مسرعاً، فقال: یا أبا ذر، أتی الیوم فی الإسلام أمرٌ عظیم؛ مُزّق کتاب الله، ووُضع فیه الحدید، وحقّ علی الله أن یسلّط الحدید علی مَن

۱- المصاحف للسجستانی ۱: ۲۰۵ - ۲۰۶ / ح ۷۷.

مزّق کتاب الله بالحدید ((۱)).

بهذا فقد انتهینا من بیان بعض الأکاذیب وملابسات بعض الأقوال فی جمع القرآن وغیره، فقد نقل الدکتور طیّار آلتی قولاچ قولاً للیعقوبیّ فی تاریخه، ثمّ علّق علیه، فقال: قال الیعقوبی: «وروی بعضهم أنّ علیّ بن أبی طالب علیه السلام جمع القرآن عند وفاه الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله ورتّب سوره علی سبع مجموعات. وعلی هذا یبدأ الترتیب الأوّل مثلًا بسوره البقره ثم ینتهی بسوره الأعلی».

وبصرف النظر عن درجه اعتمادنا علی تلک الروایه الّتی لا یُعرَف حتّی راویها، فالجدیر بنا أن نذکر بأنّ الصحابه علیهم رضوان الله کانوا یجعلون لأنفسهم مجموعات خاصّه من سور وآیات القرآن الکریم فی حیاه الرسول صلی الله علیه و آله ، ولم یکن أمامهم نصٌّ مرتَّبٌ یحتذونه فی الترتیب ...

إلی أن یقول: ویکون من الطبیعیّ إذا صحّت الروایه القائله بأنّه عمل مصحفاً لنفسه بعد وفاه النبیّ صلی الله علیه و آله مباشرهً أن یختلف ترتیب ذلک المصحف ((۲)).

والأمر المهمّ هنا أنّه وافق - مثل بقیّه الصحابه - علی العمل الّذی قام به کلٌّ من أبی بکر الصدّیق وعثمان بن عفّان فی موضوع المصاحف، ولیس

۱- انظر رجال الکشی : ۱۰۸ / ح ۵۰، مستدرک الوسائل ۴ : ۲۳۶ / ح ۴۵۸۴ والنص منه.

۲- انّ قول الأستاذ هذا یخالف المصحف المنسوب للإمام علیّ والذی طبع فی صنعاء بتقدیم الأستاذ نفسه والذی أشار فیه إلی أنّ ترتیب المصحف العلوی لا یتخلف مع ترتیب المصحف الرائج الیوم.

هناك شكٌّ على الإطلاق فى أنّ موافقته قد تمّت للعمل الّذى قام به كلا الخليفتَين ((۱))...

ولكنّ هناك أمراً دقيقاً فى تلك الروايه، وهو أنّ الخليفه أبا بكرٍ عندما سأل عليّاً عن سبب قعوده فى البيت، كانت إجابته هى: «رأيتُ كتاب الله يُزاد فيه ...»، فإذا كانت تلك الروايه صحيحه، أفلا يمكن أن يحدث مثلاً - وفى تلك الظروف الّتى لا توجَد فيها نسخه رسميّه يستطيع الكلّ أن يحتذيها - أن يتصوّر أحدُهم أنّ حديثاً شريفاً للنبىّ صلى الله عليه و آله من آيات القرآن فيخلطه به؟

إذاً فليس هناك أمرٌ غير مفهوم فى كون علىّ بن أبى طالب لمّا رأى هذا وأشباهه من الأمثله، قد جعل همّه الأوّل - بصفهٍ فرديّه - ضبطَ متن القرآن حتّى قبل جمع القرآن الكريم بين دفّتين بعد موقعه اليمامه ... وليس فى هذا المصحف المنسوب إلى على بن أبى طالب - كما سنوضّح فيما يلى - أمرٌ يفسد على الأُمّه الإسلاميه وحدَتها فى موضوع المصحف((۲)).

أجل، إنّ الإمام أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام لا يمانع من وحده المسلمين وتوحيد المصاحف وأخذهم بأصلٍ واحد وهو أمله وأمنيّته، بل يسعى لذلك - وخصوصاً لو

۱- لا أدرى من أين فَهم الرجل موافقه أمير المؤمنين على عمليهما.

۲- مقدمه المصحف المنسوب إلى علىّ بن أبى طالب - نسخه صنعاء: ۱۶۷.

كان الأخذ عن الأصل الواحد هو الأخذ بالمكتوب بأمر رسول الله صلى الله عليه و آله - لكنّه يمانع الحرق وما يستتبعه من تكثّر وجوه القراءه عند المسلمين، وخلط القراءات المعروضه على رسول الله مع غيرها، وما استغلوه فى تفسير حديث الأحرف السبعه، والقول فى القرآن بالرأى، وجواز التقديم والتأخير فى الآيات(۱)، والنقصان والزياده فيه، وأنه من باب هلم وتعال وأمثال ذلك، والّذى انتشر فى عهد عمر بن الخطّاب، ثم من بعده، فإنّ هذه الأُمور كان يخالفها الإمام علىّ عليه السلام .

لأن منهج البيّنه والشهود لا يمكن له أن يقف أمام منهج التواتر والاشتهار وإقراء الناس على مكث والذى عُرف عند المسلمين على عهد رسول الله، أو منهج التلقى والعرض الذى اشتهر بينهم.

فإنهم لو أرادوا أن يأخذوها من أفراد فكان عليهم أن يأخذوا القرآن عمن أمر رسول الله فى الاخذ منه وثبت عرض قراءته صلى الله عليه و آله عليه، كعلى بن أبى طالب، وابن مسعود، وأبى بن كعب، لأنّ الاعتماد على جميع الصحابه والأخذ بشهاده شاهدين فى كل الحالات قد يمكن أن يُعارَض بشاهدين آخرين يقرآنه بشكل آخر، فالذى يقرأ القرآن طبقاً لما عرضه على رسول الله قد يختلف عن الذى سمعه بالنقل الجماعى وبذلك ستتعدد القراءات ويكون الكل صحيحاً حسب منهجهم، فى حين لم يكن كذلك إلّا بتصحيح المعصوم.

۱- كسكره الحق بالموت أو الموت بالحق.

نعم، إنّهم ابتدعوا هذه التعاليل (۱) على لسان أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام وعلى لسان غيره، مع أنّهم كانوا قد ردّوا الروايات الدالّه على جمع الإمام على للقرآن، فهم قالوا بكلّ ذلك من أجل أن يثبتوا للنّاس بأنّ الخلفاء الثلاثه هم - وحدهم - الّذين جمعوا القرآن، دون أمير المؤمنين عليّ بن أبى طالب عليه السلام وابن مسعود ومُعاذ بن جبل وأُبيّ بن كعب.. وغيرهم ممّن عرضوا قراءتهم على رسول الله وجاءت أسماؤهم فى ضمن الجامعين للقرآن على عهده صلى الله عليه و آله فى مصنفات القوم.

إذن هذا القرآن الرائج اليوم هو قرآن الجميع، وقد أخذ به أتباع الإمام على وأتباع ابن مسعود وأتباع معاذ وأتباع عثمان، فلماذا يسعون لإبعاد محبّى ابن مسعود، وأنصار معاذ، وأتباع أمير المؤمنين على بن أبى طالب عنه، والقول بأنّه أُلف على حرف زيد بن ثابت دون غيره؟!! وان ابن مسعود حكى المعوذتين وان فلاناً وضع كذا وكذا فى القرآن. إنّ وراء هذه الأقوال أهدافاً سياسيةً ستقف على بعضها لاحقاً.

* * *

بهذا يمكننا أن نصطلح على الجمع المقصود فى عهد رسول الله بأنّه كان جمع ترتيب الآيات والسوَر، ثمّ جواز تأليفه فى مصاحف خاصه بعد إقرار ربّ العالمين لتلك السور والآيات - فى اللقاء الثنائى بين جبرئيل الأمين والصادق الأمين - فى شهر رمضان من كلّ عام، - أى بعد الإنزال الإقرائى - وإنّ ذلك المصحف كان مصحفاً جامعاً لما نزل على رسول الله إلى ذلك الحين لا جامعاً لما سينزل عليه صلى الله عليه و آله لاحقاً

۱- كالمحكيّ عن الإمام علي: لو وُلّيت لفعلت.

أیضاً((۱)).

فسؤالنا باقٍ ولم نقف علی جوابه، وهو: لماذا لا یأخذ الخلفاء الثلاثه بمصحف رسول الله الذی کان عند الإمام علی أو بمصاحف کبار الصحابه الذین عرضوا قراءتهم علی رسول الله والمجمَع علی صحه قراءتهم من قبله صلی الله علیه و آله ، أمثال: مصحف ابن مسعود، وأُبیّ بن کعب، و ...؟ بل نراهم یفعلون عکس ذلک تماماً عملیّاً، حیث یبدؤون بکتابه المصحف من جدیدٍ وبمنهجیّه جدیده وبإشراف صغار الصحابه، بمنهج یؤول إلی التشکیک فی تواتر القرآن واشتهاره عند المسلمین انّها فاجعه حقّاً.

فهل یمکننا أن نقبل بتعلیلهم العلیل فی ذلک الجمع، وأنّهم أخذوا بالشاهدَین للتثبت؟ ودقه فی الضبط؟ وهل التثبت یأتی بهذه الطریقه أو بإعداد لجنه تضم کبار

۱- ولا- أُنکر وجود التفسیر السیاقی للقرآن فی مصاحف الصحابه وأهل البیت بهامش نفس المصحف أو علی انفصال، فکلّ واحدٍ من هؤلاء الصحابه کان یکتب ما یحصل علیه من علم من رسول الله صلی الله علیه و آله فی تفسیر الآیات وتأویلها، وإنّ تلک العلوم موجودٌ بعضها الیوم فی المجامیع الحدیثیه، وهی مرویّه عن أُولئک الصحابه وأهل البیت، تراها فی التفاسیر المأثوره مثل (الدرّ المنثور) للسیوطیّ و(جامع البیان) للطبریّ و(البرهان فی تفسیر القرآن) للبحرانیّ وغیرها. قال ابن الأثیر الجزری فی النشر فی القراءات العشر ۱: ۳۳، وعنه فی الاتقان ۱ : ۲۰۹ / ح ۱۰۵۳: وربّما کانوا یدخلون التفسیر فی القراءات إیضاحاً وبیاناً، لأنهم محققون لما تلقوه عن النبی قرآناً، فهم آمنون من الالتباس وربما کان بعضهم یکتبه معه. وقد قال الحاج خلیفه فی (کشف الظنون ۱ : ۴۲۹): یُنسَب إلی أُبیّ بن کعب نسخهً کبیره من التفسیر، روی ذلک أبو جعفر الرازی، عن ربیع بن أنس، عن أبی العالیه، عن أُبیّ بن کعب، وإسناده صحیح.

الصحابه أمثال: أمیر المؤمنین علیاً وابن مسعود وأُبیّاً وأبی الدرداء وأبی موسی ومعاذاً وغیرهم من الذین ثبت عرض قراءتهم علی رسول الله.

وما یعنی التثبت فی ضبط النصّ بعد ثبوت إقراء جبرئیل ((۱)) له صلی الله علیه و آله - بالنزول الاقرائی - وإقراره لتلک الآیات والسور بعد اللقاء الثنائی ((۲)) فی کل عام، ثمّ تعلیم رسول الله أُمّته ((۳)) القرآن إقراءاً فردیاً وجماعیاً، وتدوین الصحابه القرآن بأمره وبین یدَیه صلی الله علیه و آله ، وهم العدول حسبما یقولون؟ وتعیین فلاناً وفلاناً لاقراء وتعلیم المسلمین القرآن؟

کما یسأل الباحث: لماذا لا یأخذون بقراءه من شهد بفضله رسول الله وأنه قرأ القرآن غضّاً کما أنزل کابن مسعود، فقد روی جریر بن عبد الله بن یزید الصهبانی، عن کمیل، قال:

قال عمر بن الخطاب: کنت مع رسول الله ومعه أبو بکر ومن شاء الله، فمررنا بعبد الله بن مسعود وهو یصلّی، فقال رسول الله: مَن هذا الذی یقرأ القرآن؟ فقیل له: هذا عبد الله بن أُمّ عبد. فقال: إنّ عبد الله یقرأ القرآن غضّاً کما أُنزل ((۴)).

فلو کان عثمان أحد جامعی الذکر الحکیم علی عهد رسول الله صلی الله علیه و آله - کما قیل -

---

۱- فی قوله تعالی: (إِقْرَأ).
۲- فی قوله تعالی: (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) سوره القیامه: ۱۸.
۳- فی قوله تعالی: (وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلَی مُکْثٍ) سوره الإسراء: ۱۰۶.
۴- الجامع لأحکام القرآن ۱: ۵۷.

فلماذا لا يأتى بما جمعه على عهد رسول الله، ويعتمده فى عمله، بل نراه يعيد عمليّه الجمع تارةً أُخرى أيّام خلافته؟ بل لماذا لا يصحح ما وقع فيه لجنته من اللحن والاختلاف؟

وهل حقّاً أنّ جمع عثمان للقرآن فى أيّام خلافته كان بمعنى توحيدهم على قراءهٍ واحده؟ أو أنّه جمع الآيات والسور من الصحف، لاسيّما من مصحف حفصه - كما صرّحت بذلك بعض النصوص -؟

أو أنّه فعل كِلا الأمرين معاً، أى أنّه جمعها من مصاحف الصحابه ومن مصحف حفصه بنت عمر؟ كما أنّه وحّدهم وجمعهم على قراءهٍ واحده؟

بل لماذا اشترط الشيخان أخذ الآيات بشاهدَين وتركا القراءات المعروضه على النبى، مع وجود رجال قد عينهم رسول الله لهذا الغرض، فلماذا يؤخذ بالشاهدين ويترك أولئك؟ مع إيماننا وإيمانهم باشتهار القرآن عند المسلمين؟!

أيحتاج إثبات قرآنيه القرآن إلى شاهدَين ونحن نرى الصحابه يتلونه آناء اللّيل وأطراف النهار، وكان لهم دويٌّ كدويِّ النحل، ويتدارسونه ويعلّمونه ويتعلّمونه ويتلونه فى صلواتهم وأوقات فراغهم؟!

فما يعنى ما قالوه من نقصان آيهٍ أو آيتين من القرآن، ثمّ وجودها عند فلانٍ وفلان؟ ألا يشكّك هذا الكلام فى تواتر القرآن وحجيّته؟ فمن هو وراء شيوع هكذا أفكار؟ وعلى عاتق من يقع إعطاء المبرر لأعداء الدين للتشكيك فيه؟

فلو تأمّلت أخبار جمع القرآن عند الجمهور، لرأيتها تتّفق على أنّ عثمان بن عفّان جمع مصحفه على ضوء مصحف أبى بكر وعمر والّذى كان عند حفصه، فما يعنى هذا الكلام؟ ألا يخالف هذا الكلام الأقوال الأُخرى المذكوره عندهم بهذا الصدد؟

فلو كـان أبو بكر وعمر قـد جمعـا القرآن - على عهـدهما - فسـيكون جمع عثمـان فى الزمن المتـأخّر لغواً، أو يكون جمعهما أو جمعه من قبل على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله كذباً.

فعثمان بن عفّان لو كان قـد عرض قراءته على رسول الله وكان هو جامع الـذكر الحكيم على عهد رسول الله وهو صـهره وأمينه!! فهو يخالف ما قيل عن جمع الشيخين للقرآن فى عهدهما، لأنّه كان عليهما أن يُقرّا ما دُوّن من قِبل عثمان أو حفظه سابقاً.

نعم، إنّهم يـأوّلون تلـك الأخبـار ويسعون للجمع بينهـا، فيقولون بـأنّ جمع عثمـان لاحقـاً يختلف عن جمع أبى بكرٍ وعمر؛ لأنّ المعنىّ بجمع عثمان عندهم هو توحيدهم على مصـحفٍ واحدٍ وقراءةٍ واحده، لا جمعه من الصـحف وتدوينه للقرآن، وقد عرفت عدم صـحه هذا القول أيضاً؛ فهم يقولون بكلا الأمرين لعثمان، وكلا توجيههم باطل، لأنّ الصـحابه أيام رسول الله صلى الله عليه و آله كـانت قراءتهم واحـده - وفق قراءه رسول الله - سواء المعروضه عليه أو التى كـانوا يسـمعونها منه صـلى الله عليه و آله فى صلاته وخطب الجمعه وأمثالها، وقد كانت صدورهم أناجيلهم، يتلونه حسـبما سـمعوه منه صلى الله عليه و آله ، فلا يمكن تصور خطأ جبرئيل حينما أقرأ رسول الله أو خطأ رسول الله حينما قرأ على جبرئيل (إقرأ) كما لا يمكن تصور خطأ رسول الله حينما أقرأ أمته وخصوصاً قـد كانت قراءته لهم على مكث، إذن القرآن واحـد فى زمن رسول الله، فلا يحتاجون إلى أن يوحّدهم أحد على قراءه واحده، لأن رسول الله كان يقرئهم القرآن على مكث (وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ)، وقد عيّن صـلى الله عليه و آله رجالاً منهم لكى يعلّمونهم القرآن، فروى عن عباده بن الصامت:

كـان رسول الله صـلى الله عليه و آله يُشْـغَل، فإذا قـدم الرجل مهاجراً دفعه إلى رجل منا يعلمه القرآن، فـدفع إلىّ رسول الله رجلاً فكان معى فى البيت وكنت

أعشيه عشاء البيت وكنت أقرئه القرآن ((١)).

ومن هذا: أنه لما جاء وفد غامد إلى النبى ليسلموا أمر النبى أبى بن كعب فعلمهم قرآناً ((٢)).

وقال أبى بن كعب: كنت أختلف إلى رجل مكفوف أقرئه القرآن، فكنت إذا أقرأته دعا لى بطعام فأكلت منه، فحاك فى نفسى منه شىء، فأتيت رسول الله صلى الله عليه و آله فأخبرته فقلت: يا رسول الله إنى آتى فلان بن فلان فأقرئه القرآن فيدعو لى بطعام لا أكل مثله بالمدينه، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله : إن كان ذلك الطعام طعامه وطعام أهله الذين يأكلون فكُلْ، وإن كان طعاماً يتحفك به فلا تأكل ((٣)).

وعن أبى الدرداء: إن أبى بن كعب أقرأ رجلاً ـ من أهل اليمن سوره فرأى عنده قوساً، فقال: بعنيها، فقال: لا، بل هى لك، فسأل رسول الله صلى الله عليه و آله عن ذلك، فقال: إن كنت تريد أن تُقَلَّدَ قوساً من نار فخذها ((٤)).

وعن سهل بن سعد الانصارى، قال: خرج علينا رسول الله ونحن نقترئ، يقرئ بعضنا بعضاً، فقال: الحمد لله كتاب الله عزوجل واحد فيه الأحمر والأسود إقرؤوا القرآن، إقرؤوا، اقرؤوا قبل أن يجىء أقوام يقيمونه كما يقام القدح ... لا يجاوز

١- مسند الشاميين ٣ : ٢٧١ / ح ٢٢٣٧، كنز العمال ٢ : ١٤٩ / ح ٤٢٠٠.

٢- زاد المعاد ٣ : ٦٧١، فصل فى قدوم وفد غامد، الاكتفاء بما تضمنه من مغازى رسول الله ٢ : ٣٦٦، فصل فى وفد غامد.

٣- فضائل القرآن لأبى عبيد : ٢٠٧ - ٢٠٨.

٤- فضائل القرآن لأبى عبيد : ٢٠٧.

تراقيهم، يتعجلون أجره ولا يتأجّلونه ((۱)).

وعن أبی سعيد الخدری، قال: أتی علينا رسول الله صلی الله عليه و آله ونحن أناس من ضَعَفَه المسلمين ورجل يقرأ علينا القرآن ويدعو لنا ((۲))، وأمثال هذه الروايات كثيره فی كتب الحديث وكلّها تؤكّد بأن لا اختلافَ بينهم فی قراءه القرآن.

بلی، إنّ الشيخَين - وخصوصاً عمر بن الخطاب - قد سمحا بتعدّد القراءات فی عهدهما، بل تجاوزا فی ذلك حتّی قالا بجواز قراءه القرآن بأیِّ شكل كان ما لم تجعل آيه رحمه آيه عذاب، لأنّه بتصورهم قد جاء من باب هلم وتعال وقصدی وإلیّ، وهذه الفكره قد فتحت الباب علی مصراعيه لأعداء الدين لتمويع النص القرآنی وخلط الحابل بالنابل كما أنّها أثّرت علی وحده القراءه بين المسلمين، وأضاعت القرآن (كما اُنزل) بين قراءات متعدده.

ثم أضافوا إليه: بأن رسول الله هو الذی صحّح اختلاف القراءات بين الصحابه وإن كل ما جاء فی القراءات هی اختيارات إلهيه شرعت من قبله صلی الله عليه و آله ، وهذا الكلام هو الآخر باطل باعتقادی، وقد وضع لتصحيح عمل عمر بن الخطاب ومنهجه، إذ لو أردنا أن نصحح إجازه رسول الله فی القراءات، فإننا نقول: إنّ رسول الله قد صحح اختلاف اللهجات لا السماح بقراءه القرآن بأی شكل كان ما لم يجعل آيه رحمه آيه عذاب! إنّ هذه شیء غريب.

۱- فضائل القرآن لأبی عبيد : ۶۸.

۲-)حليه الاولياء ۱: ۳۴۲.

ومثله الـذى روى عن أبى بن كعب واختلافه مع ابن مسـعود ورجل آخر فى قراءه سورهٍ أو آيه ومجيئهم إلى رسول الله وتجويزه صلى الله عليه و آله قراءتهما معاً، فإنّهم روَوا هذه الأخبار تصحيحاً لموقف عمر فى فهم الأحرف السبعه، وطعناً على قراءه أبى بن كعب وابن مسعود.

إنّ دعوى توحيـد الأُـمّه على مصـحفٍ واحـد لم يكن مختصّـِاً بعثمـان بن عفّـان، فقـد ادُّعى مثـل ذلـك لعمر بن الخطّـاب، وهو يضعّف القول المشهور عندهم بأن (المصحف الإمام) هو عنوان يطلق على مصحف عثمان فقط؛ إذ إنهم سعوا أن يطلقوه على ما جمعه عمر بن الخطاب أيضاً كما سيأتى لاحقاً((۱)).

فسؤالنـا هو: لو كـان جمع القرآن بعـد رسول الله لابـدّ منه، فلمـاذا لاـ يجمعونه على ضوء ما تركه رسول الله صـلى الله عليه و آله خلف فراشه والموجود عند أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السـلام ، أو على ضوء مصاحف الصحابه الذين تلقّوه وعرضوه على رسول الله، أمثـال: ابن مسـعود - الـذى قرأ القرآن غضاً طرياً كما أنزل - وأُبىّ بن كعب - الـذى أمر الله نبيّه أن يسـتمع إليه كما فى أخبارهم -، أو أبى الدرداء وأبى موسـى الأشعرى ومعاذ، وغيرِهم ممّن عُرفوا بالتدوين والكتابه على عهده صلى الله عليه و آله ؟! بل تراهم يجمعونه على ضوء مصحف حفصه بنت عمر على وجه الخصوص، فعلى أىّ شىءٍ يدلّ هذا؟

وما هى منزله حفصه بالنسبه إلى أولئك الصـحابه؟ ولماذا لا يأتى الذهبى باسـمها واسم عائشه ضـمن الذين عرضوا القراءه على رسول الله ؟

۱- وقد يمكننا أن نطلقه على مصحف الإمام على أيضاً.

والأهمّ من ذلك: لماذا تختصّ روايات جمع القرآن وتدوينه – فی العصور الثلاثه – بزيد بن ثابت وابنه خارجه؟! بل ماذا يعنی وجود كتَبَهٍ لرسول الله صلی الله عليه و آله يكتبون الوحی عنه مع اختصاص الأمر عندهم بزيد بن ثابت؟

ألا يخالف وجود الكتبه علی عهد رسول الله، ومن كبار الصحابه، ما يريدون قوله فی جمع القرآن لزيد؟

ألا يعنی ذلك بأنّ رسول الله صلی الله عليه و آله كان هادفاً فی عمله وليس مهملاً بكتاب ربّه، وأنّه أراد بكتابته القرآن أن يصون رسالته وأن يحصّن فكر أُمّته من بعده، وأنّه صلی الله عليه و آله قد سمح للصحابه عموماً بتدوين كتاب ربّه بعد أن أقرأهم القرآن علی مكث كی تكون المصاحف – وإن كانت ناقصةً – دستوراً لهم وللأجيال القادمه من بعده؟

إنّ ما ادّعوه من جمع عثمان – أو قل الخلفاء الثلاثه – للمصاحف لاحقاً يخدش عمل رسول الله صلی الله عليه و آله فی ترتيب الآيات والسوَر وسماحه بالتدوين والكتابه، ويجعله لغواً، والعياذ بالله ((۱)).

ومن الطبيعیّ أن لا يقول بذلك مسلم يؤمن بالله ورسوله، لأنّه لا يتّفق مع إسلامه وإيمانه.

وعليه، فكتابه المصحف كانت موجودةً ومرتّبه علی عهد رسول الله صلی الله عليه و آله ، ولا يصحّ ما أشاعوه لاحقاً من أنّه صلی الله عليه و آله ترك تدوين كتاب ربّه لاستمرار نزول الوحی عليه.

۱- بل يخدش فی توقيفيه القرآن أيضاً.

فلو كان مكتوباً ومدوَّناً ومرتَّباً فی بیت رسول الله صلی الله علیه و آله ، فلماذا لا یکلّفون أنفسهم بالسؤال عنه؟ وأین ذهب ذلک المصحف؟ وبید مَن وقع حتی یأخذون به.

وإذا كان القرآن مكتوباً ومدوّناً، وأنّ الجمع حقیقةً وواقعاً لا یختص بجمعه فی الصدور بل هو یشمل الجمع فی السطور أیضاً، فلماذا یطلبون شاهدَین علی کون الآیات قد کُتبت بین یدی رسول الله صلی الله علیه و آله ، أو تراهم یجلسون علی باب المسجد مستفسرین من الصحابه عمّا حفظوه من الذکر الحکیم لکی یدوّنوه؟! ((۱))

وهل حقّاً كان عملهم هذا للتثبّت والاطمئنان بصحّه كلام الصحابیّ فی نقله لآیات القرآن، أم كان وراءه شیء آخر؟

فلو كان الصحابیّ غیر أمین وكاذباً، فما أسهل أن یأتی بشاهدٍ آخر یعینه علی كذبه؟! وإن كان صادقاً ومتثبتاً فلیؤخذ بنقله ومدونته.

ولو صح ما ادَّعاه ابن حجر فی تفسیر الشاهدَین وأنّ أحدهما الکتابه والآخر الحفظ ((۲))، فیأتی سؤالنا: إذا قرأ صحابیٌّ جلیل - كأُبیّ بن كعب أو ابن مسعود أو علی بن أبی طالب - آیهً ولم نرها مكتوبهً عند غیره، فهل یحقّ لنا حذفها من القرآن بدعوی عدم وجودها مكتوبهً عند صحابیٍّ آخر؟! إنّ هذا لَشیء عجیب!

إذ كیف یمكن ترک قراءه صحابی كأبی بن كعب وهم ینقلون عن أنس أنّ رسول الله قال لأبی: إنّ الله أمرنی أن أقرأ علیک (لَمْ یَكُنِ الَّذِینَ كَفَرُوا)، قال أبی: وسمانی؟

۱- أنظر: الدرّ المنثور ۴: ۳۳۲، مناهل العرفان ۱: ۱۷۶، كنز العمال ۲: ۲۴۲ / ۴۷۵۴.

۲- قال ابن حجر فی فتح الباری ۹: ۱۴: وكأنّ المراد بالشاهدَین الحفظ والكتاب، أو المراد أنّهما یشهدان علی أنّ ذلک المكتوب كُتب بین یدَی رسول الله صلی الله علیه و آله .

قال: نعم، فبکی ((۱)) بدعوی عدم وجودها مکتوبه عند آخر.

وهکذا العکس، فإذا وقفنا علی آیهٍ مکتوبهٍ مشهوره یقرّ الجمیع بقرآنیتها، لکنّ الأُمّه أجمعوا علی عدم الشهاده بها عند لجنه التحکیم الّتی ألّفها عثمان، فهل یسقطها عن قرآنیّتها وحُجّیتها؟ إن ما قرروه لشیء عجیب!

بعض أُصول النهجَین فی جمع القرآن

وعلیه فإن هذه الإشکالیه وهذا التعارض یؤکد لنا وجود منهجَین فی جمع القرآن بعد رسول الله صلی الله علیه و آله ، وأنَّ وجود أمثال هذه الأفکار من قبل مدرسه الخلافه هی التی وسّعت دائره الاختلاف بین المسلمین، بعکس مدرسه أهل البیت التی تؤکّد دوماً علی لزوم الأخذ عمن ثبتت قراءته علی رسول الله وما اشتهر عند الناس، وعدم اختصاصه بواحد منهم وإن کان أمیرالمؤمنین علی رئیسهم، ولنجمل لک بعض تلک الأصول المختلف فیها:

أحدهما: یقول بتواتر آیات القرآن، وأنّ العلم به کالعلم بالبلدان والحوادث والوقائع العِظام، وأنّه یجری مجری ما عُلم بالضروره ککتاب سیبویه والمزنی، فلو أدخل شخصٌ باباً فی کتاب سیبویه لعُرف ومُیّز وعُلم أنّه لیس من أصل الکتاب.

والآخر: لا یری حجّیه القرآن إلّا بالبیّنه والشهود وحتی خبر الآحاد، واختصاص هذا الأمر بزید بن ثابت!

۱- صحیح البخاری ۳ : ۱۳۸۵ / ح ۳۵۹۸، ۴ : ۱۸۹۶ / ح ۴۶۷۶، صحیح مسلم ۱ : ۵۵۰ / ح ۷۹۹، والآیه فی سوره البینه : ۱.

وأحدهما: يقول بضروره جمع القرآن على يد المعصوم لا غير.

والآخر: يُوكِلُ جمعه إلى غير المعصوم.

وأحدهما: يرى أنّ كتابته وترتيبه تمّ فى عصر الرسول.

والآخر: يذهب إلى أنّ جمعه وترتيبه كان فى زمن الفتنه (عهد عثمان) وهكذا...

فالمنهج الأوّل هو منهج الإمام علىّ عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام وكثير من الصحابه وهو منهج علماء الشيعه فى طول العصور.

والمنهج الثانى هو منهج الخلفاء وأتباعهم، وهم الذين رجوا بعملهم هدفاً سياسيّاً لا يخفى على أهل العلم والتحقيق مغزاه، وهؤلاء هم الّذين استعانوا بزيد بن ثابت وأمثاله لأسبابٍ معلومه لتدوين القرآن!

۲ – الجمع بعد وفاه رسول الله مباشرهً بواس–طه الإمام على عليه السلام :

اشاره

اتضح ممّا سبق وجود قولَين فی جمع القرآن بعد رسول الله صلی الله علیه و آله .

أحدهما: قائلٌ بأنّ الإمام علی علیه السلام هو الّذی جمع القرآن بعد رسول الله وبوصيّهٍ منه صلى الله علیه و آله .

والآخر: يـدّعی بأنّ أبا بكر هو الّذی جمعه بعـد رسول الله، وتحديـدا بعد مقتل القرّاء فی اليمامه لخوفه من ضـياع القرآن بموت القراء.

وبمـا أنّ القول الثانی هو المشـهور عنـد كتّاب تاريـخ جمع القرآن من أهل السـنه والمستشـرقين، فأحببنا تقـديم الكلام عن أدّله القول الأوّل، ومن خلاله نبيّن أدلّه القول المشهور ثمّ ننقضه.

ما استدلت به الإماميه

قبل البدء فی الحديث عن ذلک لابدّ من توضيح بعض الأمور الهامه:

الأولى: اشـتهر عند جميع المسـلمين أنّ الإمام علی بن أبی طالب قد رتب مصحفه على حسب النزول، فما يعنى هذا الكلام؟ وما المراد منه؟ وهل معناه: أنّ الإمام رتب مصحفه طبقاً لنزول الآيات نجوماً يوماً بعد يوم، المكی منها ثمّ المدنی.

أو أنّه رتب خصوص السور مكيـا ثم مـدنياً، تلـک السور التی أُقرت من قبل جبرئيل الأمين والنبی الصادق الأمين فی رمضان من كل عام، بمعنى: أنّه رتب

المصحف بعد إقرار ربّ العالمين لتلك السور وأنّها صارت قرآناً للمسلمين يجب أن تتلى فى الصلاه، فدوّن فى مصحفه أولاً فأول: سوره إقرأ، ثمّ المدثر، ثم نون والقلم ثم المزمل ثم تبت ثمّ التكوير ثمّ سبح وهكذا إلى آخر المكى ثمّ المدنى((۱)).

وهذا التأليف من قبل الإمام يختلف عن التأليف العثمانى الذى بدأ بالطوال ثمّ بالمئين ثم ختم بالقصار.

كما لا ـ يستبعد أن يكون الإمام قد اعتمد المنهجين وألّفهما معاً، بمعنى: أنّه رتب مصحفه المفسر طبقاً للنازل على رسول الله نجوماً، فى حين رتب مصحفه المجرد طبقاً لما اقر من قبل جبرئيل فى رمضان من كل عام، وهذا ما سنوضحه بعد قليل.

قال الشيخ المفيد (ت ۴۱۳ ه‍) : وقد جمع أمير المؤمنين المنزل من أوله إلى آخره وألفه بحسب ما وجب من تأليفه، فقدم المكى على المدنى والمنسوخ على الناسخ ووضع كل شىء منه فى محله((۲)).

وقال الشيخ البلاغى (ت ۱۳۵۲ ه‍): من المعلوم عند الشيعه أنّ علياً أمير المؤمنين بعد وفاه رسول الله لم يرتد برداء إلا للصلاه حتّى جمع القرآن على ترتيب نزوله وتقديم منسوخه على ناسخه((۳)).

وقال السيد شرف الدين (ت ۱۳۷۷ ه‍) : أول شىء دونه أمير المؤمنين كتاب الله عزّ وجل فإنّه بعد فراغه من تجهيز النبى آلى على نفسه أن لا يرتدى إلّا للصلاه أن

۱- فتح البارى فى شرح صحيح البخارى ۹ : ۳۸.

۲- المسائل السرويه : ۷۸ - ۸۲.

۳- آلاء الرحمن ۱ : ۵۱.

يجمع القرآن فجمعه مرتباً على حسب النزول وأشار إلى عامه وخاصه ومطلقه ومقيده ومحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه وعزائمه ورخصه([۱]).

وقال السيد محمّد حسين الطباطبائى: ... قد ورد عن على أنّه جمع القرآن على ترتيب النزول عقب موت النبى ([۲]).

فهذه النصوص تشير إلى تقديم المنسوخ على الناسخ فى مصحف الإمام على، فى حين نرى فى المصحف الرائج اليوم هو تقديم الناسخ على المنسوخ، والمدنى على المكى، مع التأكيد على أن النسخ لو لحظ فى القرآن فهو فى الآيات، فلا توجد لدينا سوره فى القرآن قد نسخت بكاملها، كما أنّ النسخ فى الآيات هى الأخرى مختلف فيها، فقال بعضهم أنّها على الأكثر أربع وعشرون، وقال آخرون عشره، وحصره السيد الخوئى بواحده وهى آيه النجوى.

إذن الكلام هو عن تقديم المنسوخ على الناسخ فى مصحف الإمام على، لا اشتمال المصحف على الناسخ والمنسوخ كما يريد أن يقوله بعض الأعلام، لأنّ الاشتمال ليس بمائز وفارق عما دوّنه الآخرون من الصحابه.

نعم قد يُرَدُّ كلّ هذا لو تأملت فى ما قلناه فى جمع رسول الله، وفى مبحث الترتيب والذى يؤكد القول الثانى، وأنّ رسول الله أشرف على جمع القرآن بنفسه، وأنّ الإمام دوّن ما جمعه الرسول بفارق أنّ جمعه للسور قد رتب حسب النزول مكياً ثمّ مدنياً: إقرأ ثم

۱- المراجعات : ۴۱۱، المراجعه : ۱۱۰.

۲- تفسير الميزان ۲ : ۱۲۸، القرآن فى الإسلام : ۱۳۵.

المدثر ثم نون والقلم ... بخلاف مصحف عثمان الذی اُلف طبقاً لطول وقصر السور.

الثانیه: ما المراد من کلمه «کما اُنزل» الوارده فی کلام رسول الله والأئمه من أهل بیته، وبتصوری أنّ ذلک لا یخرج عن أحد معنیین:

الأوّل: أن یکون بیاناً للمراد الحقیقی لما أنزله الله علی رسوله من دون زیاده أو نقیصه، أی قد روعی فیه الشکل الدقیق للقراءه القرآنیه الصحیحه، فجاء عن جابر أنّه قال: سمعت أبا جعفر یقول: ما ادعی احد من الناس أنّه جمع القرآن کما اُنزل إلّا کذّاب وما جمعه وحفظه کما نزله الله إلّا علی بن أبی طالب والأئمه من بعده ((۱)).

أی أن الإمام علیه السلام فی آخر الزمان یخرج القرآن ویقرأه علی حدّه ووجهه الصحیح من بین القراءات المتداوله.

فالکلام تاره عن القراءه الصحیحه للقرآن (وکما اُنزل) وأخری عن جمع جمیع القرآن بالقراءه الصحیحه، فرسول الله حینما قال عن ابن مسعود: من أراد أن یقرأ القرآن غظاً طریاً کما اُنزل فالیقرأ بقراءه ابن مسعود أراد أن یؤکد صحه قراءته فیما تعلمه (کما اُنزل)، لکن هذا لا یعنی بأنّه جمع جمیع القرآن کله کما أنزل فی مکان واحد، کما یفهم من کلام الإمام الباقر الآنف بأنّ معرفه المقصود الواقعی لکلام الله والقراءه الصحیحه فیه لا یعلمه إلا عدل القرآن، وذلک لعطف الأئمه من آل البیت علی الإمام علی، مع أنّه لم یعرف عن أحدهم بأنّ له قرآن مختصّ به، فکل ما کان عندهم هو الذی کان یقرأ به الإمام علی.

۱- الکافی ۱ : ۲۸۶ / ح ۱ باب ۳۵، شرح اُصول الکافی ۵ : ۳۱۲، تفسیر الصافی ۱ : ۲۰.

الثانی: أن یکون معناه - نفس ما قلناه قبل قلیل - فی أنّ الإمام علیاً قد رتب مصحفه علی الترتیب الذی نزل به جبرئیل علی رسول الله یوماً بعد یوم وأولاً ـ بأول مع تفسیره وتأویله وشأن نزوله، ولو قصد هذا المعنی لاتضح مقصود الإمام الصادق علیه السلام بأنّه یرید من کلامه: «لو قرئ القرآن کما أُنزل [مرتبا مع تفسیره عن ربّ العالمین والنازل تدریجیاً وقائعیاً للناس] لألفیتنا فیه مسمین». هذا الأمر لا غیر.

وکذا یعرف من خلاله مقصود ما رواه حبه العرنی عن أمیر المؤمنین: أُنظر إلی شیعتنا بمسجد الکوفه وقد ضربوا الفساطیط یعلمون الناس القرآن کما أُنزل.

أو ما رواه المفید فی الإرشاد: إذا قام قائم آل محمد ضرب فساطیط لمن یعلم الناس القرآن علی ما أنزل الله جلّ جلاله فاصعب ما یکون علی ما حفظه الیوم لأنّه یخالف فیه التألیف(1). فکلام الإمام فی هذه النصوص صریح بأنه یرید أن یعلمهم القرآن طبقا لتاریخ النزول والحوادث والوقائع النازله آنذاک لاطبقا لترتیب التلاوه التی اعتاد الناس علی حفظها لصلاتهم ، وبهذا فقد عرفت سقم ما أشاعوه أن هذه الروایات وأنّها روایات داله علی التحریف، فی حین أنّک تری فی تلک الروایات قید التعلیم لا التلاوه والقراءه فی الصلاه ، وهو أعم من القراءه، وأنّ النصوص السابقه غالبها تفسیریه وترتبط بالعلم والتعلیم، فقد یکون الإمام قد عنی بکلامه بأنّ الفرد لو قرأ القرآن بالترتیب الذی نزل به الله علی رسوله یوماً بیوم تعلیماً مع شرحه وتفسیره لالفانا مسمین فیه، لا أنّه قرأها آیه قرآنیه تعبدیه ضمن سوره کما یتصوّره المستشکل،

1- الإرشاد ۲ : ۳۸۶.

ويؤيد كلامنا ما اشتهر عن رسول الله من أنّه صلى الله عليه و آله كان لا يتجاوز عشره آيات حتى يعلمهم ما فيها من العلم والعمل، أى: أن الناس لو وقفوا على تفسير تلك الآيات لما اختلف فيه اثنان.

ويضاف إليه ما جاء فى بعض الأخبار عن الإمام قوله: هذا كتاب الله وقد ألفته كما أمرنى وأوصانى رسول الله كما أُنزل.

وما رواه أبو رافع: فألفه كما أنزله الله وكان به عالماً.

أو ما رواه ابن الضريس: قال محمّد: فقلت له: الفوه كما أُنزل الأول فالأول؟ قال: لو اجتمعت الإنس والجن على أن يؤلفوا ذلك التأليف ما استطاعوا.

كانت هذه فائده أحببت لفت نظر القارئ إليها ولنذكر الآن الأدله الناهضه على جمع الإمام على للقرآن المنزل ثم نأتى بعد ذلك بجمعه للقرآن مع تفسيره وشأن نزوله.

ما يدل على الجمع الأول «المصحف المجرد»

۱- روى عن أبى عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ رسول الله صلى الله عليه و آله قال لعليٍّ عليه السلام : يا عليّ، القرآن خلف فراشى فى الصحف والحرير والقراطيس، فخذوه واجمعوه، ولا تضيّعوه كما ضيّعت اليهود التوراه. فانطلق عليٌّ عليه السلام فجمعه فى ثوبٍ أصفر، ثمّ ختم عليه فى بيته، وقال: لا أرتدى حتّى أجمعه. فإنّه كان الرجل لَيأتيه فيخرج إليه بغير رداء، حتّى جمعه». قال: «وقال رسول الله صلى الله عليه و آله : لو أنّ النّاس قرؤوا القرآن كما أُنزل،

ما اختلف اثنان» ((۱)).

وهذا النصّ يُفهَم منه وجود القرآن كاملا مدونا ومكتوبا على عهد رسول الله، لكنه على شكل صحف وعلى وسائل مختلفه من وسائل الكتابه: الحرير، القرطاس و...

كما يفهم منه وحده القرآن عند المسلمين آنذاك وعدم صحّه تعدّد القراءات عندهم، «لأنّ النّاس لو قرؤوا القرآن كما أُنزل ما اختلف اثنان»، وفيه تنويهٌ إلى ضروره الأخذ عن الذين قرأوا القرآن (كما اُنزل) وهم الذين عرضوا قراءتهم على رسول الله، وأمر صلى الله عليه و آله بالأخذ عنهم فی القرآن.

وكما أنّ فيه إشاره إلى إمكان تعدّد القراءات بعد رسول الله، وأنّه صلى الله عليه و آله كان يخاف من تلك الظاهره على أُمّته، لتأكيده المستمر على لزوم القراءه بما اُنزل و«إقرؤوا بما عُلّمتُم» حسب تعبيره صلى الله عليه و آله ، ولذلك ألزم رسول الله الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بالإسراع فی جمعه بعد وفاته مباشرةً، کی لا یضیع القرآن كما ضاع أصل التوراه عند اليهود.

وقد قال الدكتور طيّار آلتی قولاچ فی مقدّمته على المصحف المنسوب إلى الإمام علیّ بن أبی طالب (نسخه صنعاء)، بأنّ الإمام عليه السلام - بعد وفاه رسول الله صلى الله عليه و آله - «قد كَرَّسَ فكره للوحی النازل من سوَر وآيات القرآن الكريم، فی الوقت الّذی لم يكن يخطر ببال أحد جَمْعُ آيات القرآن فی مصحف، فحبس نفسه فی بيته حتّی يُتمّ حفظَه.

۱- تفسير القمّی ۲: ۴۵۱ - عنه: بحار الأنوار ۸۹: ۴۸ / ح ۷.

ولنقبل أنه لم يقم بتقويه حفظه واستظهاره للقرآن فقط، وإنّما جمع ما بين يديه من سور وآيات القرآن فجعل منها مصحفاً.

ولكن يبدو أن اعتكافه فى بيته قد فُهم على أنّه كره بيعه أبى بكر، فسأله أبو بكرٍ عن هذا الأمر، فأنكر عليٌّ ذلك، ثم بايعه وعاد إلى منزله. فماذا حدث بعد ذلك؟ فإنّه لمّا ظهرت الحاجه إلى إعداد أوّل نسخهٍ من المصحف الرسمىّ من قِبل الخليفه، فإن كان علىّ بن أبى طالب قد قام - عندما قعد فى منزله - بتكوين مصحف حقّاً، فمن المحتمل أن تكون قد تمّت الاستفاده منه أيضاً فى هذا العمل. وليس هناك أىّ دليلٍ فى أيدينا حول وجود اختلاف بين نسخته المفترضه وجودها وبين النسخه الرسميّه» ((۱)).

۲- وعن أبى جعفر الباقر عليه السلام أيضاً قوله: «ما أحدٌ من هذه الأُمّه جمع القرآن إلّا وصىّ محمّد صلى الله عليه و آله » ((۲)).

وفى هذا الخبر إشارهٌ إلى تكذيب الإمام للرأى السائد والمشهور بين الناس والقائل بجمع القرآن من قِبل أبى بكرٍ وعمر وعثمان، وأنه قول كاذب وباطل، لأنّ الخلفاء الثلاثه كانوا غير معصومين باعتقاد الجميع، فلو كانوا غير معصومين فمعناه أنّهم يخطؤون ويسهون، ويزيدون وينقصون، فكيف يمكن الاعتماد على قرآن معصوم جُمع بيد غير معصوم؟ فجاء الإمام الباقر ليرسم الحل وأنه:

۱- المصحف المنسوب إلى علىّ بن أبى طالب (نسخه صنعاء): ۱۶۷.

۲- تفسير القمّى ۲: ۴۵۱، - عنه: بحار الأنوار ۸۹: ۴۸ / ح ۵، وفى بصائر الدرجات: ۲۱۴ / ح ۵ من الباب ۶ بسنده عن الباقر عليه السلام قال: «ما أجد أحداً من هذه الأُمّه مَن جمَع القرآن إلّا الأوصياء» وعنه فى بحار الأنوار ۸۹ : ۸۹ / ح ۳۰.

۳- «ما ادّعى أحدٌ من النّاس أنه جمع القرآن كلّه كما أُنزل إلّا كذّاب، وما جمعه وحفظه كما نزّله الله تعالى إلّا علىّ بن أبى طالب والأئمّه من بعده» ((۱)) والذى مرّ عليك نصه قبل قليل.

۴- وقوله عليه السلام : «ما يستطيع أحدٌ أن يدّعى أنّ عنده جميع القرآن كلّه ظاهره وباطنه غير الأوصياء» ((۲)).

وهذه النصوص تشير إلى أنّ جمع القرآن «كما أُنزل كاملاً» كان بيد وصى النبى محمّد: على بن أبى طالب وأولاده المعصومين بعده لا غير.

وفى خبر أبى رافع: أنّ النبىّ صلى الله عليه و آله قال فى مرضه الّذى تُوفّى فيه لعلى: «يا على، هذا كتاب الله خذه إليك». فجمَعه علىٌّ فى ثوب، فمضى به إلى منزله، فلمّا قُبض النبىّ جلس علىٌّ فألّفه كما أنزله الله، وكان به عالماً ((۳)).

وفى (بصائر الدرجات)، أن الامام الصادق أخرج المصحف الّذى كتبه علىٌّ عليه السلام وقال: «أخرَجه علىٌّ عليه السلام إلى النّاس حيث فرغ منه وكتبه، فقال لهم: هذا كتاب الله كما أنزل الله على محمّد، وقد جمعتُه بين اللّوحَين» ((۴)).

وفى هذه الاخبار إشاره إلى أنّ الإمام جمع القرآن المنزَل تاره على انفراد وأخرى

۱- الكافى ۱: ۲۲۸ / ح ۱ باب أنّه لم يجمع القرآن كلّه إلّا الأئمّه عليهم السلام .

۲- الكافى ۱: ۲۲۸ / ح ۲، ليس معنى:«جميع القرآن كلّه ظاهره وباطنه غير الأوصياء» هو القرآن النازل المركّب من كلماتٍ وحروف، وإنّما الظاهر والباطن يعود إلى المفسر.

۳- مناقب آل أبى طالب لابن شهرآشوب ۱: ۳۱۹.

۴- بصائر الدرجات: ۲۱۳ / ح ۳.

مع تفسیره، لأنّه «کان بما أنزل الله علی رسوله عالماً» تفسیراً وتألیفاً، وأن تألیفه جاء مقروناً بأسباب نزوله، وفیم نزل؟ وقد بیّن الإمام فی مصحفه الآیات المکیه والمدنیه، والناسخ والمنسوخ فیها، ولم یستطع أحد أن یدّعی أن عنده جمیع القرآن کله ظاهره وباطنه غیر الأوصیاء.

وبهذا فقد عرفت أنّ جمع القرآن من قبل الامام لم یکن خاضعاً لرأیه بل کان بتکلیف من قبل رسول الله؛ لأنّ تنفیذ هذه المهمّه وإکمالها لا یتمّ إلّا بید وصیّ محمّد صلی الله علیه و آله ، وهو علیّ بن أبی طالب علیه السلام .

وعن ابن جزی الکلبیّ، قال: لمّا توفّی رسول الله، قعد علیّ بن أبی طالب فی بیته فجمَع القرآن ((۱)).

إنّ الصحف الموجوده عند رسول الله کانت مکتوبهً علی وسائل مختلفه، فی الحریر والقرطاس والعسب والکتف، وإنّه صلی الله علیه و آله أراد من الإمام أن یوحّد شکلها ونظمها، وأن یجمعها ما بین اللّوحین - کما أُنزل من اللوح المحفوظ دفعهً واحدهً فی لیله القدر -، ثم یجمعها تارهً أُخری مع تفسیرها النبویّ وما جاء فی شأن نزولها، لأنّه کان بها وبشأن نزولها عالماً، وأنها متی نزلت؟ وفیم نزلت؟

وقد ذکر الأُستاذ عزّه دروزه فی کتابه (القرآن المجید) الخبر الآنف المرویَّ عن الإمام الصادق علیه السلام ، ثمّ قال:

وهذا یفید أنّ القرآن کان یدوَّن علی وسائل الکتابه المعروفه، وکان

۱- التسهیل لعلوم التنزیل ۱: ۴.

مدوَّناً كذلك في حياه النبيّ، وكان النبيّ يُعنى بحفظه في بيته ((۱)).

كما يؤكّد خبر وصيّه رسول الله صلى الله عليه و آله لعليٍّ عليه السلام - في أمر جمع القرآن - ما رواه العيّاشي في تفسيره في ذيل روايه طويله:

قال عليّ: «إنّ رسول الله أوصاني - إذا وارَيْتُهُ في حفرته - أن لا أخرج من بيتي حتّى أؤلّف كتاب الله، فإنّه في جرائد النخل وفي أكتاف الإبل...» ((۲)).

وجاء في تفسير الآيه (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا) ((۳)):

أنّ المراد بالكتاب هنا هو أجزاء القرآن المتفرّقه الّتي كانت في دار النبيّ صلى الله عليه و آله ، فورثها منه عليٌّ عليه السلام وجمعها، وورثها من عليٍّ عليه السلام الأئمّهُ عليهم السلام من بعده.

وروى ابن شهرآشوب عن الإمامين الباقر الصادق عليهما السلام في تفسير: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا)، أنّهما قالا: «هي لنا خاصّه، وإيّانا عنى» ((۴)).

وقال الطبرسيّ: وهذا أقرب الأقوال؛ لأنّهم أحقّ النّاس بوصف الاصطفاء والاجتباء وإيراث علم الأنبياء، إذ هم المتعبّدون بحفظ

۱- نصوصٌ في علوم القرآن ۳: ۴۳۶ - عن: كتاب دروزه.

۲- تفسير العيّاشي ۲: ۶۶ / ح ۶۷ - عنه: بحار الأنوار ۲۸: ۲۲۷ / ح ۱۴.

۳- سوره فاطر: ۳۲.

۴- مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ۳: ۲۷۴، وسائل الشيعه ۲۷: ۲۰۰ / ح ۳۳۵۹۰.

القرآن ((۱)).

وإنی نظراً لحساسیّه البحث وعدم تطرّق الأعلام لهذا الموضوع - وخصوصاً ارتباط مسأله جمع القرآن مع الإمامه والخلافه، بل إجحاف الأمه حقّ الإمام علیّ بن أبی طالب علیه السلام وسلبه فضائله علیه السلام -، کان علَیّ أن أُفصّل بعض الشیء فی موضوع جمع الإمام للقرآن بعد رسول الله صلی الله علیه و آله ، مستقرئاً النصوص الحدیثیه والتاریخیه عند الفریقین فیها.

فأوردتُ أوّلاً الأخبار الموجوده فی کتب الشیعه الإمامیّه عن مصحف الإمام علیٍّ علیه السلام ، ثمّ نقلت بعد ذلک أقوال علمائهم فیه، وبعدها ذکرت روایات الجمهور وأقوال علمائهم فی تخلّف الإمام عن البیعه لأبی بکر وجلوسه فی البیت لجمع القرآن، ذکرت کلَّ ذلک طبقاً للتسلسل الزمنی لوفیات الأعلام ولکی أکون شمولیّاً وموضوعیّاً فی بحثی وأن لا أنحاز لطرفٍ دون آخر.

ولکون دراسه مصحف الإمام علیّ علیه السلام له أهمیّهً تاریخیّه عظیمه عند المسلمین تعود جذوره وصلته برسول الله وقرابته منه صلی الله علیه و آله ، ومعرفه الامام بالناسخ والمنسوخ والمحکم والمتشابه، وعلمه بالتنزیل والتأویل، وأین نزلت الآیات؟ وفیمَ نزلت؟ وتسجیله علیه السلام کل ذلک فی المصحف، من فیه صلی الله علیه و آله لیده علیه السلام فإن البحث عن کلّ هذا له قیمته التاریخیه والعلمیه، غیر مستبعد حصول التکرار عند نقلی للنصوص، وذلک لاستشهاد المتأخر بکلام المتقدم، فهذا التکرار إن حصل فهو منهم ولیس منی.

۱- مجمع البیان ۸: ۲۴۵.

مصحف الإمام علی علیه السلام فی مصادر الشیعه وکتب علمائهم:

* عن سُلَیم بن قیسٍ الهلالیّ (ت ۷۶ ه-) - وهو یتحدّث عن تلک الحُقبه الّتی عاشها الإمام علیه السلام بعد وفاه رسول الله صلی الله علیه و آله -: ... لزم بیته وأقبل علی القرآن یؤلّفه ویجمعه، فلم یخرج من بیته حتّی جمعه، وکان فی الصحف والشِّظاظ والأَسیار والرقاع، فلمّا جمعه کلَّه وکتبه بیده علی تنزیله وتأویله والناسخ منه والمنسوخ، بعث إلیه أبو بکرٍ أن اخرج فبایع، فبعث إلیه علیّ علیه السلام : «إنّی لَمشغول، وقد آلیتُ علی نفسی یمیناً أن لا أرتدی رداءً إلّا للصلاه حتّی أُؤلّف القرآن وأجمعه».

فسکتوا عنه أیّاماً، فجمعه فی ثوبٍ واحدٍ وختمه، ثمّ خرج إلی الناس وهم مجتمعون مع أبی بکر فی مسجد رسول الله صلی الله علیه و آله ، فنادی علیّ علیه السلام بأعلی صوته: «یا أیّها النّاس، إنّی لم أزل منذ قبض رسول الله صلی الله علیه و آله مشغولاً بغسله، ثمّ بالقرآن، حتّی جمعتُه کلَّه فی هذا الثوب الواحد، فلم یُنزل الله تعالی علی رسول الله صلی الله علیه و آله آیةً إلّا وقد جمعتها، ولیست منه آیه إلّا وقد أقرأنیها رسول الله صلی الله علیه و آله وعلّمنی تأویلها».

ثمّ قال لهم علیٌّ علیه السلام : «لئلّا تقولوا غداً: (إِنَّا کُنَّا عَنْ هذَا غَافِلِینَ)» ((۱)).

ثمّ قال لهم علیّ علیه السلام : «لئلّا تقولوا یوم القیامه أنّی لم أَدْعُکُمْ إلی نُصرتی ولم أذکّرکم حقّی، ولم أدعُکم إلی کتاب الله من فاتحته إلی خاتمته».

فقال عمر: ما أغنانا بما معنا من القرآن عمّا تدعونا إلیه ((۲)).

۱- سوره الأعراف: ۱۷۲.

۲- کتاب سُلَیم بن قیس: ۱۴۷، الاحتجاج ۱: ۱۰۷، بحار الأنوار ۲۸: ۲۶۵، و۸۹: ۴۰.

* وفیه أیضاً علی لسان طلحه: یا أبا الحسن، شیءٌ أُرید أن أسألک عنه: رأیتُکَ خرجتَ بثوبٍ مختومٍ علیه، فقلتَ: «یا أیّها النّاس، إنّی لم أزل مشغولاً برسول الله صلی الله علیه و آله ؛ بغسله وتکفینه ودفنه، ثمّ شُغِلتُ بکتاب الله حتّی جمعتُه، فهذا کتاب الله مجموعاً لم یسقط منه حرف»، فلم أرَ ذلک الکتاب الّذی کتبتَ وألّفت، ولقد رأیتُ عمر بعث إلیک - حین استخلف - أن: ابعث به إلَیّ، فأبیتَ أن تفعل، فدعا عمر النّاس، فإذا شهد اثنان علی آیه قرآنٍ کتبها، وما لمْ یشهد علیها غیرُ رجل واحدٍ رماها ولم یکتبها! ...

فأجابه أمیر المؤمنین علیه السلام قائلًا:

«یا طلحه، إنّ کلّ آیهٍ أنزلها الله فی کتابه علی محمّدٍ صلی الله علیه و آله عندی، بإملاء رسول الله صلی الله علیه و آله وخطّ یدی.

وتأویل کلّ آیهٍ أنزلها الله علی محمّد صلی الله علیه و آله ، وکلّ حلال أو حرام، أو حدّ أو حکم، أو أیّ شیءٍ تحتاج إلیه الأُمّه إلی یوم القیامه، عندی مکتوبٌ بإملاء رسول الله وخطّ یدی، حتّی أَرْش الخَدْش».

قال طلحه: کلّ شیءٍ؛ من صغیرٍ أو کبیر، أو خاصٍّ أو عامّ، کان أو یکون إلی یوم القیامه، فهو مکتوبٌ عندک؟ قال: «نعم...» ((۱)).

* وقال فی خطبهٍ له علیه السلام : «فلمّا قُبض رسول الله صلی الله علیه و آله ، مال النّاس إلی أبی بکرٍ فبایعوه، وأنا مشغولٌ برسول الله صلی الله علیه و آله ؛ بغسله ودفنه، ثمّ شُغلت بالقرآن، فآلیتُ علی

۱- کتاب سُلَیم بن قیس: ۲۰۹ - ۲۱۱، وانظر: الاحتجاج: ۲۲۲، بحار الأنوار ۳۱: ۴۲۳، و۸۹: ۴۱، وتفسیر الصافی ۱: ۴۲.

نفسی أن لا أرتدی إلّا للصلاه حتّی أجمعه فی کتاب، ففعلت» ((۱)).

* وفیه أیضاً احتجاج ابن عبّاس علی معاویه، إذ قال: یا معاویه، إنّ عمر بن الخطّاب أرسلنی فی إمارته إلی علیّ بن أبی طالب علیه السلام : إنّی أُرید أن أکتب القرآن فی مصحف، فابعث إلینا ما کتبتَ من القرآن. فقال علیه السلام : «تُضرَب والله عنقی قبل أن تصل إلیه». فقلت: ولم؟! قال علیه السلام : «لأنّ الله یقول: (لاَ یَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) ((۲))، یعنی لا یناله کلّه إلّا المطهّرون، إیّانا عنی، نحن الّذین أذهب الله عنّا الرجس وطهّرنا تطهیراً، وقال: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْکِتَابَ الَّذِینَ اصْطَفَیْنَا مِنْ عِبَادِنَا) ((۳))، فنحن الّذین اصطفانا الله من عباده، ونحن صفوه الله، ولنا ضُربت الأمثال، وعلینا نزل الوحی».

قال: فغضب عمر وقال: إنّ ابن أبی طالب یحسب أنّه لیس عند أحدٍ علم غیره، فمن کان یقرأ من القرآن شیئاً فلیأتنا به. فکان إذا جاء رجلٌ بقرآنٍ فقرأه ومعه آخر کتبه، وإلّا لم یکتبه.

فمن قال - یا معاویه - إنّه ضاع من القرآن شیءٌ فقد کذب، هو عند أهله مجموعٌ محفوظ ((۴)).

* فی «بصائر الدرجات» للصفّار (ت ۲۹۰ ه-)، بإسناده عن سالم بن أبی سلمه، عن الإمام الصادق علیه السلام ... أنّه: أخرج المصحف الّذی کتبه علیٌّ علیه السلام وقال: «أخرجه

۱- کتاب سلیم بن قیس: ۲۱۶.

۲- سوره الواقعه: ۷۹.

۳- سوره فاطر: ۳۲.

۴- کتاب سلیم بن قیس الهلالی: ۳۶۹، وقریب منه فی الاحتجاج ۲: ۷.

علیٌّ علیه السلام إلی النّاس حیث فرغ منه وکتبه فقال لهم: هذا کتاب الله کما أَنزل الله علی محمّد، وقد جمعتُه بین اللَّوحین. قالوا: هو ذا عندنا مصحفٌ جامعٌ فیه القرآن، لاحاجه لنا فیه. قال: أما والله لا ترونه بعد یومکم هذا أبداً، إنّما کان علَیَّ أن أُخبرکم به حین جمعتُه لتقرؤوه» ((۱)).

* وروی العیّاشی (ت ۳۲۰ ه-) فی تفسیره، عن بعض أصحابنا، عن أحدهما علیهما السلام : «... فلمّا قُبِضَ نبیُّ الله صلی الله علیه و آله کان الّذی کان؛ لِما قد قُضِیَ من الاختلاف، وعمد عمر فبایع أبا بکر ولم یُدفَن رسول الله صلی الله علیه و آله بعد، فلمّا رأی ذلک علیٌّ علیه السلام ورأی الناسَ قد بایعوا أبا بکر، خشی أن یفتتن الناس، ففرغ إلی کتاب الله وأخذ یجمعه فی مصحف، فأرسل أبو بکرٍ إلیه أن: تَعالَ فبایع، فقال علیٌّ علیه السلام : لا أخرج حتّی أجمع القرآن، فأرسل إلیه مرّةً أُخری، فقال: لا- أخرج حتّی أفرغ، فأرسل إلیه الثالثه ابنَ عَمٍّ له یقال له قنفذ، فقامت فاطمه بنت رسول الله علیها السلام تحول بینه وبین علیٍّ علیه السلام ، فضربها» ((۲)).

* وفی (تفسیر فرات الکوفی) (ت ۳۲۵ ه-)، بسنده عن أبی جعفر الباقر علیه السلام فی تفسیر (قُل لا أَسْأَلُکُمْ عَلَیْهِ أَجْراً إِلّا الْ-مَوَدَّهَ فِی الْقُرْبَی) ((۳))، قال: «... ومرض یوم الإثنین! وقال: یا علیّ، لا تخرج ثلاثه أیّام حتّی تؤلّف کتاب الله، کی لا یزید فیه

۱- بصائر الدرجات: ۲۱۳ / ح ۳ باب أنّ الأئمّه عندهم جمیع القرآن، بحار الأنوار ۸۹: ۸۸ / ح ۲۸، والکافی ۲: ۶۳۳ / ح ۲۳، وفیه: «جمعتُه من اللّوحین».

۲- تفسیر العیّاشی ۲: ۳۰۷ / ح ۱۳۴، بحار الأنوار ۲۸: ۲۳۱ / ح ۱۶، غایه المرام: ۵ / ۳۳۷، وفیه: «ففزع إلی کتاب الله»، بدل: «ففرغ».

۳- سوره الشوری: ۲۳.

الشيطان شيئاً ولا ينقص منه شيئاً، فإنّك فی ضِدّ سُنَّهِ وصیِّ سليمان عليه الصلاه والسلام. فلم يضع علیٌّ رداءَه على ظهره حتّى جمع القرآن، فلم يزد فيه الشيطان شيئاً ولم يُنقِص منه شيئاً» ((۱)).

* وروى الكلينیّ (ت ۳۲۹ ه-) فی «الكافی»، عن الإمام علیّ عليه السلام أنّه قال: «وقد كنتُ أدخل على رسول الله صلی الله علیه و آله كلّ يوم دَخْله، فيُخْلِينی فيها، أدور معه حيث دار، وقد علم أصحاب رسول الله صلی الله علیه و آله أنّه لم يصنع ذلك بأحدٍ من النّاس غيری، فربّما كان فی بيتی يأتينی رسول الله صلی الله علیه و آله أكثر ذلك فی بيتی، وكنتُ إذا دخلت عليه بعض منازله أخلانی وأقام عنّی نساءَه، فلا يبقى عنده غيری، وإذا أتانی للخلوه معی فی منزلی لم تقم عنّی فاطمه ولا أحدٌ من بَنِیّ، وكنت إذا سألتُه أجابنی، وإذا سَكَتُّ عنه وفَنِيَتْ مسائلی ابتدأنی، فما نزلت على رسول الله صلی الله علیه و آله آيهٌ من القرآن إلّا أقرأَنيها وأملاها علَیّ، فكتبتُها بخطّی، وعلّمَنی تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصَّها وعامّها، ودعا الله أن يعطينی فهمها وحفظها، فما نسيتُ آيهً من كتاب الله ولا عِلْماً أملاه علَیّ وكتبتُه منذ دعا الله لی بما دعا، وما ترك شيئاً علَّمَه الله – من حلالٍ ولا حرام، ولا أمرٍ ولا نهیٍ كان أو يكون، ولا كتاب منزل على أحدٍ قبله من طاعهٍ أو معصيه – إلّا علَّمنيه وحفظته، فلم أنسَ حرفاً واحداً، ثمّ وضع يده على صدری ودعا الله لی أن يملأ قلبی علماً وفهماً وحكماً ونوراً، فقلت: يا نبیّ الله، بأبی أنت وأُمی، منذ

۱- تفسير فرات الكوفی: ۳۹۸ / ح ۵۳۰، بحار الأنوار ۲۳: ۲۴۹ / ح ۲۳، قال المجلسی: «فی ضدّ سنّه وصیّ سليمان» إشاره إلى أنّ إبليس وضع كتاب السحر تحت سرير سليمان ولبّس الأمر على النّاس.

دعوتَ الله لی بما دعوت لم أنسَ شیئاً ولم یَفُتْنی شیءٌ لم أکتبه، أفتتخوّف علَیّ النسیانَ فیما بعد؟ فقال: لا، لستُ أتخوّف علیک النسیان والجهل» ((۱)).

* وفی «إثبات الوصیّه» للمسعودیّ (ت ۳۴۶ ه-)، فی خبرٍ طویل: «... إنّ أمیر المؤمنین بعد أن فرغ من غسل الرسول وتحنیطه وتجهیزه ودفنه ... قال: إنّ لی بخمسهٍ من النبیّین أُسوه ... ثمّ ألّف القرآن، وخرج إلی النّاس وقد حمَلَه فی إزارٍ معه وهو یَنِطُّ((۲)) من تحته، فقال لهم: هذا کتاب الله، قد ألّفتُه کما أمرنی وأوصانی رسول الله، کما أُنزل. فقال له بعضهم: اترکه وامض. فقال لهم: إنّ رسول الله قال: إنّی مخلّفٌ فیکم الثقلین؛ کتابَ الله وعترتی ...» ((۳)). حتّی یردا علَیّ الحوض. فإن قبلتموه فاقبلونی معه، أحکم بینکم بما فیه من أحکام الله». فقالوا: لا حاجه لنا فیه ولا فیک، فانصرِفْ به معک لا تفارقه ولا یفارقک. فانصرف عنهم، فأقام أمیر المؤمنین علیه السلام ومَن معه من شیعته فی منزله بما عهد إلیه رسول الله صلی الله علیه و آله ((۴)).

* وفی «الخصال» للصدوق (ت ۳۸۱ ه-)، بسنده عن مکحول، قال: قال أمیر المؤمنین علیّ بن أبی طالب علیه السلام : «لقد علم المستحفظون من أصحاب النبیّ محمّد صلی الله علیه و آله أنّه لیس فیهم رجلٌ له منقبه إلّا وقد شرکتُه فیها وفَضَلْتُه، ولی سبعون منقبهً لم یَشْرَکْنی

۱- الکافی ۱: ۶۴ / ح ۱ الباب ۲۱ فضل العلم، وشرح أُصول الکافی للمازندرانیّ ۲: ۳۰۶، الخصال: ۲۵۷.

۲- وفی نسخه: یَئِطُّ.

۳- إثبات الوصیّه للمسعودی: ۱۲۳.

۴- إثبات الوصیّه: ۱۲۳.

فیها أحدٌ منهم».. إلی أن یقول: «وأمّا الخامسه والخمسون: فإنّ رسول الله صلی الله علیه و آله قال لی: سیُفتَتن فیک طوائف من أُمّتی، فیقولون: إنّ رسول الله صلی الله علیه و آله لم یخلّف شیئاً، فبماذا أَوْصَی علیّاً؟ أوَ لیس کتاب ربّی أفضل الأشیاء بعد الله عزّ وجلّ؟ والّذی بعثنی بالحقّ لئن لم تجمعه بإتقانٍ لم یُجمَع أبداً. فخصّنی الله عزّ وجلّ بذلک من دون الصحابه» ((۱)).

وهذا النص یدلّ علی أنّ کلّ مَن جمع القرآن من الصحابه مفتقرٌ إلی صفه الإتقان، والمقصود بالاتقان - عدا سلامه متنه من الزیاده والنقیصه -: الترتیب، والقراءه، والضَّبط، والتفسیر المأخوذ عن رسول الله صلی الله علیه و آله وهو مفقود عند کثیر من الصحابه.

* وفی «خصائص الأئمّه» للشریف الرضی (ت ۴۰۶ ه-)، عن هارون بن موسی، عن أحمد بن محمّد بن عمّار، عن أبی موسی الضریر، عن الإمام الکاظم علیه السلام ، عن أبیه علیه السلام قال: «قال رسول الله صلی الله علیه و آله لعلیٍّ علیه السلام حین دفع إلیه الوصیّه: ... إنّی لَأعرف خلاف قولهم، فإذا قُبضتُ وفرغتَ من جمیع ما أوصیتُک به وغیّبتَنی فی قبری، فالزم بیتک، واجمع القرآن علی تألیفه، والفرائض والأحکام علی تنزیله، ثمّ امضِ علی عزائمه وعلی ما أمرتُک به، وعلیک بالصبر علی ما ینزل بک منهم حتّی تقدِم علَیّ» ((۲)).

* وروی الطبرسیّ (ت ۵۴۸ ه-) احتجاج الإمام علیّ علیه السلام علی الزندیق الّذی قال له: لولا ما فی القرآن من الاختلاف والتناقض لدخلتُ فی دینکم ...، حیث یقول أمیر المؤمنین علیه السلام فی جمله جوابه: «قال: (یُرِیْدُوْنَ أَنْ یُبَدِّلُوا کَلامَ اللهِ) ((۳))، ولقد أحضرتُ الکتاب کملاً مشتملاً علی التأویل والتنزیل، والمحکم والمتشابه، والناسخ

۱- الخصال: ۵۷۲ - ۵۷۹ / ح ۱ أبواب السبعین وما فوقه، بحار الأنوار ۳۱: ۴۴۳ / ح ۲.

۲- خصائص الأئمّه: ۷۲ - ۷۳ عنه: بحار الأنوار ۲۲: ۴۸۳ / ح ۳۰ .

۳- سوره الفتح: ۱۵.

والمنسوخ، لم يسقط منه حرف ألفٍ ولا لام، فلمّا وقفوا على ما بيّنه الله من أسماء أهل الحقّ والباطل، وأنّ ذلك إن أُظْهِرَ نَقَضَ ما عهدوه، قالوا: لا حاجه لنا فيه، نحن مستغنون عنه بما عندنا. وكذلك قال: (فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ) ((۱))» ((۲)).

* وفى «المناقب» للخوارزمى (ت ۵۶۸ ه-)، عن عبد خير، عن علىّ عليه السلام أنّه قال:

«لمّـا قُبِضَ رسول الله صلى الله عليه و آله ، أقسمت – أو حلفت – أن لا أضع ردائى عن ظهرى حتّى أجمع ما بين اللّوحين، فما وضعتُ ردائى عن ظهرى حتّى جمعتُ القرآن» ((۳)).

– وفيه عن علىّ بن رباح: جمع القرآنَ على عهد رسول الله علىُّ بن أبى طالب وأُبَىُّ بن كعب ((۴)).

– قال ابن النديم – بسندٍ يذكره -: إنّ علياً رأى من النّاس طَيْرَةً عند وفاه النبىّ صلى الله عليه و آله ، فأقسم أنّه لا يضع عن ظهره رداءه حتّى يجمع القرآن، فجلس فى بيته ثلاثه أيّامٍ ((۵)) حتّى جمع القرآن، فهو أوّل مصحفٍ جمع فيه القرآن من قلبه

۱- سوره آل عمران: ۱۸۷.

۲- الاحتجاج ۱: ۳۸۳ – عنه: بحار الأنوار ۹۰: ۹۸.

۳- أُنظر: المناقب للخوارزمى: ۹۴ / ح ۹۳، حليه الأولياء: ۱ /۶۷.

۴- المناقب للخوارزمى: ۹۳ / ح ۹۱.

۵- قال الطريحى (ت ۱۰۸۵ ه-) فى مجمع البحرين ۱: ۳۹۹ مادّه جمع: وفى نقلٍ آخر: أنّ أمير المؤمنين جمع القرآن فى المدينه بعد وفاه رسول الله صلى الله عليه و آله بمدّهٍ قدرها سبعه أيّام بعد وفاته، وهو موجودٌ فى كتابى (التوحيد) و(الأمالى) للصدوق أيضاً.

((۱))، وكان المصحف عند أهل جعفر.

– قال: ورأيت أنا فى زماننا عند أبى يعلى حمزه الحسنى رحمه الله مصحفاً قد سقط منه أوراقٌ، بخطّ علىّ بن أبى طالب، يتوارثه بنو حسن على مرّ الزمان ((۲)).

– وترى مثله عند أحمد بن فارس، رواه عن السدّى، عن عبد خير، عن علىّ عليه السلام ((۳)).

نلخّص الروايات السابقه فى نقاط:

۱ – إنّ كتابه القرآن كانت بوصيّهٍ من رسول الله صلى الله عليه و آله .

۲ – إنّ رسول الله صلى الله عليه و آله كان قد عيّن مكان الصحُف المكتوبه على عهده، وأنّها كانت فى بيته وخلف فراشه.

۳ – خوف الرسول صلى الله عليه و آله من أن تُضيّع أُمّتُه القرآنَ كما ضيّعت اليهود التوراه.

۴ – إنّ الإمام عليّاً عليه السلام جمع الموجود من القرآن فى ثوبٍ أصفر، ثمّ ختم عليه فى بيته.

۵ – إنّ رسول الله صلى الله عليه و آله قال لعليٍّ عليه السلام : «يا على، لا تخرج ثلاثه أيّامٍ حتّى تؤلّف كتاب الله، كى لا يزيد فيه الشيطان شيئاً ولا ينقِص منه شيئاً» ... فلم يزد الشيطان

۱– لا نقبل كلام ابن النديم، لأنّ الصحف كانت فى بيت رسول الله صلى الله عليه و آله وخلف فراشه، والإمام جمع المصحف منها لا من قلبه، وإن كان فى قلب أمير المؤمنين غنىً وكفايه.

۲– الفهرست لابن النديم: ۴۱ باب الجماع للقرآن على عهد النبى.

۳– الصاحبى: ۳۲۶.

شیئاً ولم ینقص منه شیئاً.

۶ - تعهّد الإمام علیّ علیه السلام أن لا یخرج من بیته بغیر رداءٍ حتّی یجمع القرآن.

۷ - إنّ جمع القرآن کان من سِمَاتِ وصیّ محمّد صلی الله علیه و آله ، «وما ادّعی أحدٌ غیر علی بن أبی طالب جمعَ القرآن کلِّه کما أُنزل إلّا کذّاب»، حسب تعبیر الإمام الباقر علیه السلام .

۸ - لو قُرئ القرآن کما أُنزل ما اختلف اثنان.]إشاره منه إلی ضروره الأخذ عن الذین عرضوا قراءتهم علی متلقّیه عن جبرئیل الأمین - أعنی رسول الله -[.

۹ - إنّ الإمام علیه السلام أخرج الکتاب المفسَّر إلی النّاس، ولکنّهم رفضوه.

۱۰ - إنّ الإمام علیه السلام أخبرهم بأنّه جمع القرآن مع تفسیره وتأویله، کی یقرؤوه ویقفوا علی حقائقه، لکنّهم أبَوا الأخذ به.

۱۱ - خشیه الإمام علیه السلام من أن یفتتن النّاس فی عهد أبی بکر.

۱۲ - أبو بکر کرّر إرسال موفده إلی الإمام علیه السلام لأخذ البیعه منه والإمام علیه السلام یمتنع، وفی المرّه الأخیره هجم قنفذ علی بیت الإمام علیه السلام فحالت الزهراء علیها السلام بینه وبین الإمام علیه السلام .

۱۳ - إنّ الإمام علیه السلام جمع المصحف الشریف وکتبه علی تنزیله وتأویله وناسخه ومنسوخه و...

۱۴ - إنّ الإمام علیه السلام قدّم مصحفه مع ما فیه من تفسیر للخلفاء، کی لا یقولوا غداً: (إِنَّا کُنَّا عَنْ هذَا غَافِلِینَ) ((۱)).

۱- سوره الأعراف: ۱۷۲.

۱۵ - إنّ الإمام علیه السلام وضّح خصائص مصحفه لطلحه، وأنّه یحتوی علی مجموعتین:

أُولاهما: فیها کلّ آیهٍ أنزلها الله فی کتابه علی محمّد صلی الله علیه و آله ، فهی مکتوبه عنده بإملاء رسول الله صلی الله علیه و آله وخطّ یده.

والثانیه: فیها تأویل کلّ آیهٍ أنزلها الله علی محمّد صلی الله علیه و آله وکلّ حلالٍ وحرام، فهی أیضاً مکتوبه عنده بإملاء رسول الله صلی الله علیه و آله وخطّ یده، حتّی أَرْش الخدش(۱).

کما أنّ هذا الکلام جاء عن الإمام فی روایه الکافی أیضاً:

۱- فما نزلت علی رسول الله آیه من القرآن إلّا أقرأنیها وأملاها علیَّ فکتبتها بخطی،

۲- وعلّمنی تأویلها وتفسیرها وناسخها ومنسوخها ومحکمها ومتشابهها وخاصها وعامها وکتبته منذ دعا الله لی بما دعی(۲).

وعلیه فالإمام قد جمع فی مصحفه المفسر جمیع ما جاء عن رسول الله فی معنی الآیات والأحکام حتّی أرش الخدش، لأنّ ما من شیء إلا ویوجد حکمه فی الکتاب العزیز، ومن هذه الکلیه أراد أن یقول لطلحه بأنّ مصحفه المفسر هو الجامع لجمیع الأحکام حتّی أرش الخدش.

۱۶ - إنّ النبیّ صلی الله علیه و آله کان یخلو بالإمام علیّ کلّ یوم ویخبره بما نزل علیه من آیه،

۱- کتاب سلیم : ۲۰۹ - ۲۱۱، وانظر الاحتجاج : ۲۲۲.

۲- الکافی ۱ : ۶۴ / ح ۱ الباب ۲۱.

فكان صلى الله عليه و آله يمليها عليه ويُقرِؤها إيّاه، وكان الإمام عليه السلام يكتبها بخطّه.

١٧ - إنّ الإمام عليه السلام استدلّ حين تقديمه مصحفه - الّذى فيه التفسير والتأويل للخلفاء - بحديث الثقلين، فقال: «فإن قبلتموه فاقبلونى معه، أحكم بينكم بما فيه من أحكام الله»، قالوا: لا حاجه لنا فيه.

١٨ - إنّ رسول الله صلى الله عليه و آله أوصى عليّاً عليه السلام بقوله: «فالزم بيتک، واجمع القرآن على تأليفه، والفرائضَ والأحكام على تنزيله ...، وعليك بالصبر على ما ينزل بك منهم حتّى تقدم عَلَىّ».

ولا شكّ فى أنّ القرآن ينتقل بعد النبىّ الحجّه إلى الحجّه التى تأتى بعده، وهو الإمام.

١٩ - فى خبر (الاحتجاج): «لقد أحضرتُ الكتاب كُمُلًا مشتملًا على التأويل والتنزيل ... لم يسقط منه حرف (ألف) ولا (لام)». وفى خبر (تفسير فرات الكوفى): «فلم يزد فيه الشيطان شيئاً، ولم ينقص منه شيئاً».

وفى هذين النصّين الأخيرين دلالهٌ على عدم تحريف القرآن عند الشيعه، وذلک لقوله (لقد أحضرت الكتاب كملا ... لم يسقط حرف (ألف) ولا- (لام)) وقوله (فلم يزد فيه الشيطان ولم ينقص منه) وهذا هو مذهبهم قديماً وحديثاً بخلاف ما ينسبه إليهم أعدائهم، وستقف فى الصفحات اللاحقه على كلام أعلامهم، أمثال: الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ ه-)، والشيخ المفيد (ت ٤١٣ ه-)، والسيّد المرتضى (ت ٤٣٦ ه-)، والشيخ الطوسىّ (ت ٤٦٠ ه-)، والشيخ الطبرسىّ (ت ٥٤٨ ه-)، والعلّامه الحلّى، وابنه الحسن بن يوسف (ت ٧٢٦ ه-)، والمحقّق الأردبيلى (ت ٩٩٣ ه-)، وغيرهم.. وكلها تؤكّد على أنّ القرآن المنزَل لم تنقص منه كلمهٌ أو آيه أو سوره، ولو

حصل حذفٌ أو زياده فهو فی تأويله وتفسيره ((۱)). فسيأتی كلام الشيخ المفيد فی أوائل المقالات بطوله وكذا كلام غيره لكنّی أكتفی هنا بنقل كلام السيد الخوئی:

إنّ وجود الزيادات فی مصحف علی عليه السلام وإن كان صحيحاً، إلّا أنّ هذه الزيادات ليست من القرآن، ومما أمر رسول الله صلی الله عليه و آله بتبليغه إلی الأمه، فإنّ الالتزام بزياده مصحفه بهذا النوع من الزياده قول بلا دليل، مضافاً إلی أنّه باطل قطعاً. ويدلّ علی بطلانه جميع ما تقدم من الأدله القاطعه علی عدم التحريف فی القرآن((۲)).

* * *

هذه هی بعض النصوص الحديثيه عند الشيعه الإماميه، قد ذكرناها من مصادرها الأُم، ومن تمام الفائده أن ندعمها بأقوال علماء المذهب الشيعیّ الإمامیّ، نأتی بها لأهمّيتها التاريخيّه والعقائديّه القصوی، ومن خلالها قد نرد بعض الشبهات المطروحه علی المذهب من هذه الزاويه، ونثبت بأنّ مصحف الإمام علیّ عليه السلام المُفسَّر هو أوّل كتابٍ قد دُوّن فی الإسلام، لكنه ومع الاسف قد لاقی الإهمام والإجحاف من قبل الآخرين، وبذلك يكون إثبات وجود مصحفٍ للإمام أو نفيه هی القاعده الأساسيّه الّتی تبتنی عليها أمثال هكذا دراسات تحليليه.

فلو كان هناك مصحف للإمام بعد رسول الله – وقد كان – وقد جُمع بين الدفّتين طبقاً لترتيب رسول الله، فلماذا يُنسَب (المصحف الإمام) لعثمان ولزيد بن ثابت، ولا

۱- هذا ما أثبته السيد الخوئی فی مبحث صيانه القرآن من التحريف من كتابه (البيان) فراجع.
۲- البيان فی تفسير القرآن : ۲۲۵.

يُنسَب لعليّ بن أبى طالب أو لرسول الله الّذى أمر عليّاً بجمعه وتأليفه، بل نقول صراحه: لماذا لا يكون (المصحف الامام) هو مصحف الامام على الذى رتبه رسول الله أو مصحف رسول الله نفسه.

أقوال علماء الشيعه فى مصحف الإمام علىّ عليه السلام :

- قال الفضل بن شاذان (ت ۲۶۰ ه-) فى مقام الاحتجاج على العامّه ما لفظه:

ثمّ رويتم بعد ذلك كلّه أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله عهد إلى علىّ بن أبى طالب عليه السلام أن يؤلّف القرآن، فألّفه وكتبه، ورويتم أنّ إبطاء علىٍّ على أبى بكر البيعهَ [على ما] زعمتم لتأليف القرآن، فأين ذهب ما ألّفه علىّ بن أبى طالب عليه السلام حتّى صرتم تجمعون من أفواه الرجال، ومن صُحُفٍ زعمتم كانت عند حفصه بنت عمر بن الخطّاب؟! ((۱))

- وقال الصدوق (ت ۳۸۱ ه-) فى (الاعتقادات): اعتقادنا أنّ القرآن الّذى أنزله الله تعالى على نبيّه محمّد صلى الله عليه و آله هو ما بين الدفّتين، وهو ما فى أيدى النّاس ليس بأكثر من ذلك ...

ومَن نسب إلينا أنّا نقول أنّه أكثر من ذلك، فهو كاذب.

إلى أن يقول: كما كان أمير المؤمنين عليه السلام جمعه، فلمّا جاءهم به قال: «هذا كتاب ربّكم كما أُنزل على نبيّكم، لم يُزَدْ فيه حرف ولم يُنقَص منه حرف» ((۲))، فقالوا: لا حاجه لنا فيه، عندنا مثل الّذى عندك. فانصرف وهو يقول: (فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوا

۱- الإيضاح: ۲۲۲.

۲- قد يكون فى هذا النص إشاره إلى بطلان مقوله الحروف أو القراءات السبعه التى استغلت كثيراً.

بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ) ((۱)).

وروى رحمه الله أيضاً فى (التوحيد) و(الأمالى) خطبةً لأمير المؤمنين عليه السلام ، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام فى خطبةٍ خطبها بعد موت النبىّ صلى الله عليه و آله بسبعه أيّام، وذلك حين فرغ من جمع القرآن ((۲)).

- وقال الشيخ المفيد (ت ۴۱۳ ه-): لا شكّ أنّ الّذى بين الدفّتين من القرآن جميعه كلام الله تعالى وتنزيله، وليس فيه شىءٌ من كلام البشر ...

إلى أن يقول: وقد جمع أمير المؤمنين عليه السلام القرآن المنزَل من أوّله إلى آخره، آلفه بحسب ما وجب من تأليفه ... ((۳)).

وقال أيضاً فى كتاب (أوائل المقالات): وقد قال جماعةٌ من أهل الإمامه: إنّه لم يُنقَصْ من كَلِمِهِ ولا من آيِهِ ولا من سُوَرِهِ، ولكن حُذِف ما كان مثبتاً فى مصحف أمير المؤمنين عليه السلام من تأويله وتفسير معانيه على حقيقه تنزيله ((۴))، وذلك كان ثابتاً منزلاً

۱- الاعتقادات للصدوق: ۸۳ - ۸۶ باب الاعتقاد فى مبلغ القرآن، والحديث تجده فى بصائر الدرجات: ۲۱۳ / ح ۳، والكافى ۲: ۶۳۳ / ح ۲۳، والآيه من سوره آل عمران: ۱۸۷.

۲- التوحيد: ۷۳ / ح ۲۷، الأمالى: ۳۹۹ / ح ۵۱۵ وفيه: بتسعه أيّام، وقد أشار الطريحىّ فى مجمع البحرين ۱: ۳۹۹ إلى مفاد هذه الروايه فى مادّه (جَمَع)، وانظر: الكافى ۸: ۱۸ / ح ۴.

۳- المسائل السرويّه: ۷۸ - ۷۹ المسألة التاسعه: صيانه القرآن من التحريف.

۴- ولكى نرد دعوى وجود نقيصه فى القرآن وحذف آيات الولايه منه نأتى بما قاله السيد الخمينى فى أنوار الهدايه فى التعليق على الكفايه: وبالجمله : لو كان الامر كما ذكره هذا]إشاره إلى كلام نعمه الله الجزائرى والمحدث النورى[وأشباهه من كون الكتاب الالهىّ مشحوناً بذكر أهل البيت وفضلهم وذكر أميرالمؤمنين وإثبات وصايته وإمامته، فلِمَ لم يحتجّ بواحد من تلك الايات النازله والبراهين القاطعه من الكتاب الالهى أميرالمؤمنين وفاطمه والحسن والحسين وسلمان وأبوذر والمقداد وعمار وسائر الأصحاب الذين لا يزالون يحتجون على خلافته، ولِمَ تشبّث سلام الله عليه بالأحاديث النبويه والقرآن بين أظهرهم؟ ولو كان القرآن مشحونا باسم أميرالمؤمنين وأولاده المعصومين وفضائلهم وإثبات خلافتهم فبأىّ وجه خاف النبى فى حجّه الوداع آخر سنين عمره الشريف وأخيره نزول الوحى الالهى عن تبليغ آيه واحده مربوطه بالتبليغ، حتّى ورد: (وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) ولِمَ احتاج النبى الى دواه وقلم حين موته، للتصريح باسم على عليه السلام ؟ فهل رأى أن لكلامه أثراً فوق أثر الوحى الالهى؟ (صيانه القرآن من التحريف: ۷۷ نقلا عن خط تعليقه السيد الخمينى على كفايه الاصول). نعم هناك آيات نزل بها جبرئيل على رسول الله مبيناً بأن تفسيرها ومعناها هو على بن أبى طالب وأولاده المعصومين، أو أنّ تفسيرها شىء آخر وقد كان من منهج الصحابه أن يدوّنوا ما سمعوه من رسول الله فى تفسير الآيه وشأن النزول على هامش المصحف، فى حين أنّ عمر كان ينهى عن هذا العمل لأُمورٍ سياسيّه قد وضحناها فى كتابنا (منع تدوين الحديث) بلى إنّ أميرالمؤمنين كان لا يحبذ جعل تلك التفاسير فى سياق الآيات متناً، بل فصل عليه السلام بين ما أراده الله فى ترتيب مصحفه المنزل وبين المصحف المفسّر الذى كان عنده، نعم

إنّ بعض الصحابه كان يجعل تفسير كل آيه عندها وهذا ما كان لا يرتضيه عمر، فعن عامر الشعبی قال: كتب رجلٌ مصحفاً وكتب عند كلّ آيهٍ تفسيرها، فدعا به عمر فقرضه بالمقراضين. مصنّف ابن أبی شيبه ۶: ۱۳۶ / ح ۳۰۱۰۶ - عنه: كنز العمال ۲: ۱۳۷ / ح ۴۱۰۵.

وإن لم يكن من جمله کلام الله تعالی الّذی هو القرآن المعجز، وقد یسمّی تأویل القرآن قرآناً، قال الله تعالی: (وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن یُقْضَی إِلَیْکَ وَحْیُهُ وَقُل رَبِّ زِدْنِی

عِلْماً) ((۱))، فسمّی تأویلَ القرآن قرآناً، وهذا ما لیس فیه بین أهل التفسیر اختلاف. وعندی أنّ هذا القول أشبه من مقال من ادّعی نقصان کلِمٍ من نفس القرآن علی الحقیقه دون التأویل، وإلیه أمیل.

قال: وأمّا الزیاده فیه فمقطوع علی فسادها من وجه ویجوز صحتها من وجه، فالوجه الذی أقطع علی فساده أن یمکن لأحد من الخلق زیاده مقدار سوره فیه علی حد یلتبس به عند أحد من الفصحاء، وأما الوجه المجوز فهو أن یزاد فیه الکلمه والکلمتان والحرف والحرفان وما أشبه ذلک مما لا یبلغ حد الإعجاز، ویکون ملتبساً عند أکثر الفصحاء بکتم القرآن غیر انّه لابد متی وقع ذلک من أن یدل الله علیه ویوضح لعباده عن الحق فیه، ولست أقطع علی کون ذلک بل أمیل إلی عدمه وسلامه القرآن عنه.

قال: ومعی بذلک حدیث عن الصادق جعفر بن محمّد علیه السلام ((۲)).

وقال ابن شهر آشوب (ت ۵۸۸ ه-) فی (مناقب آل أبی طالب) حکایهً عن قول الآخرین: ... ضَمَّنَ الله محمّداً أن یجمع القرآن بعد رسول الله صلی الله علیه و آله علیَّ بن أبی طالب. قال ابن عبّاس: فجمع الله القرآنَ فی قلب علیٍّ، وجمَعه علیٌّ بعد موت رسول الله بستّه أشهر...

وحدّثنی أبو العلاء العطّار [الحسن بن أحمد الهمدانیّ] والموفّق خطیب خوارزم

۱- سوره طه: ۱۱۴.

۲- أوائل المقالات: ۸۱ القول فی تألیف القرآن وما ذُکر من الزیاده فیه والنقصان.

فی کتابَیهما، بالإسناد عن علیّ بن رباح: أنّ النبیّ أمر علیّاً بتألیف القرآن، فألّفه وکتبه.

[وعن] جبله بن سحیم، عن أبیه، عن أمیر المؤمنین علیه السلام قال: «لو ثُنِیَت لی الوساده وعُرِفَ لی حقّی، لأخرجتُ مصحفاً کتبتُه وأملاه علَیَّ رسولُ الله».

ورویتم أیضاً أنّه إنّما أبطأ علیٌّ علیه السلام عن بیعه أبی بکرٍ لتألیف القرآن ... ((۱)).

وقال أیضاً فی مقدّمه کتاب (معالم العلماء) فی فهرست کتب الشیعه: بل الصحیح أنّ أوّل مَن صنّف فیه أمیر المؤمنین علیه السلام ؛ جمع کتاب الله جلّ جلاله ((۲)).

- وقال السیّد ابن طاووس (ت ۶۶۲ ه-) فی (سعد السعود) نقلًا عن کتاب محمّد بن منصور المقرئ: إنّ القرآن جمَعه علی عهد أبی بکر زیدُ بن ثابت، وخالفه فی ذلک أُبیّ وعبدُ الله بن مسعود وسالم مولی أبی حذیفه، ثمّ أعاد عثمان جمْعَ المصحف برأی مولانا علیّ بن أبی طالب ((۳))، وأخذ عثمان مصحف أُبیّ وعبد الله بن مسعود وسالم مولی أبی حذیفه فغسلها غسلًا، وکتب عثمان مصحفاً لنفسه، ومصحفاً لأهل المدینه، ومصحفاً لأهل مکّه، ومصحفاً لأهل الکوفه، ومصحفاً لأهل البصره، ومصحفاً لأهل الشام ((۴)).

کما أنّه رحمه الله نقل کلام الرهنی الذی لفظه: قلت: ولم یدع أبو حاتِمٍ - مع ما قاله

۱- مناقب آل أبی طالب ۱: ۳۲۰ باب درجات أمیر المؤمنین علیه السلام .
۲- معالم العلماء فی فهرست کتب الشیعه: ۳۸.
۳- قد یکون حذیفه سرّب مصحف الإمام إلی عثمان بعد أن رأی عدم قناعه الصحابه بمصحف زید.
۴- سعد السعود: ۲۷۸.

وهجاؤه الكوفه وأهلها - ذِكرَ تأليف عليّ بن أبی طالب القرآن، وأنّ النبیّ صلی الله علیه و آله عهِدَ إلیه عند وفاته أن لا یرتدی بُرْدَه إلّا لجمعهٍ حتّی یجمع القرآن، فجمعه. ثمّ حکی عن الشعبیّ علی إِثر ما ذکره أنّه قال: کان أعلم النّاس بما بین اللّوحین علیٌّ بن أبی طالب علیه السلام ((١)).

- وقال العلّامه الحلّی (ت ٧٢٦ ه-) فی (کشف الیقین) - وهو فی مقام بیان فضائل أمیر المؤمنین علیه السلام -: وإنّه علیه السلام اشتغل بجمع القرآن بعد موت النبیّ صلی الله علیه و آله قَبل کلّ أحد. روی أبو المؤیّد [یعنی أخطب خوارزم الموفّق بن أحمد الحنفی]، بإسناده إلی علیٍّ علیه السلام ، قال: «لمّا قُبض رسول الله صلی الله علیه و آله ، أقسمتُ أن لا أضع ردائی عن ظهری حتّی أجمع ما بین اللّوحین، فما وضعتُ ردائی عن ظهری حتّی جمعتُ القرآن ...» ((٢)).

وقال أیضاً فی (تذکره الفقهاء): «یجب أن یُقرأ بالمتواتر من القراءات، وهی السبعه ... ویجب أن یُقرأ بالمتواتر من الآیات، وهو ما تضمّنه مصحف علیّ علیه السلام ، لأنّ أکثر الصحابه اتّفقوا علیه، وحرق عثمانُ ما عداه ((٣)).

* * *

بهذا فقد عرفتَ أنّ أخبار جمع الإمام علیّ بن أبی طالب علیه السلام للمصحف موجودهٌ

١- سعد السعود: ٢٢٧ و٢٢٨. وهذا الکلام الحق من الشعبیّ یناقض ما نُسب إلیه من أنّ علیّاً دخل حفرته ولم یحفظ القرآن والتناقض سجیه عندهم لأنّهم فی مقام الدفاع عن الباطل وحاشا الله أن لا یفضحهم.

٢- کشف الیقین فی فضائل أمیر المؤمنین: ۶۵.

٣- أُنظر: تذکره الفقهاء ٣: ١۴١ / المسأله ٢٢٧ مبحث الوضوء.

فی غالب الکتب الحدیثیّه والفقهیّه والکلامیّه والتفسیریّه الشیعیّه، وهی مسلَّمهٌ عندهم، وکذا هی موجوده عند الفریق الآخر، ولکن فی بعضها أنّ الإمام علیه السلام قد جمعه فی ثلاثه أیّام، وفی أُخری سبعه أو تسعه أیّام، وفی ثالثهٍ ستّه أشهر، وبما أنّ الفارق کبیرٌ بین أن یکون جمعه فی ثلاثه أیّامٍ أو سبعهٍ أیّام وبین أن یکون فی ستّه أشهر، فکان علینا السعی للجمع بین تلک الأقوال، وخصوصاً من خلال استفادتنا من کلام الامام علیه السلام لطلحه وما جاء فی الکافی عنه علیه السلام بأن له نسختین من المصحف، إحداهما مجرّده وفیها، کل آیه أنزلها الله فی کتابه علی محمد، والأُخری فیها نص القرآن مع تفسیره وتأویله لقوله: وتأویل کل آیه أنزلها علی محمد ((۱)).

إذن فأخبار مصحف أمیر المؤمنین علیه السلام مستفیضه إن لم نقل بتواترها فی کتب الشیعه، وهی کذلک موجوده فی کتب الجمهور ویمکن استفاده التواتر منها أیضاً، ونحن ناتی بتلک الأخبار علی ما هی علیه حتّی لا یُتّهَمونا بالتفرّد والخروج عمّا أجمع علیه المسلمون، وإلیک تلک الأخبار:

۱- مرّ علیک قول الإمام والذی جاء فی کتاب سلیم والاحتجاج: ۱ - یا طلحه، إنّ کلّ آیهٍ أنزلها الله فی کتابه علی محمّدٍ عندی بإملاء رسول الله وخطّ یدی. ۲ - وتأویل کلّ آیه أنزلها الله علی محمّد ... مکتوبٌ عندی بإملاء رسول الله وخطّ یدی. وجاء فی الکافی عنه علیه السلام : ۱- فما نزلت علی رسول الله آیه من القرآن إلّا اقرأنیها وأملاها علیّ، فکتبتها بخطّی. ۲- وعلّمنی تأویلها وتفسیرها، وناسخها ومنسوخها، ومحکمها ومتشابهها، وخاصّها وعامّها، ودعا الله أن یعطینی فهمها وحفظها، فما نسیت آیه من کتاب الله ولا علماً أملاه علی وکتبته منذ دعا الله لی بما دعا.

أخبار مصحف الإمام عليّ عليه السلام فی کتب الجمهور:

إنّ أخبار مصحف الإمام علی مرویّه فی کتب الجمهور عن بعض الصحابه والتابعین أو تابعی التابعین، فی القرون الأُولی، وقد رواها أصحاب المعاجم ومشایخ الرواه بأسانید حسنه ومعتبره، وإلیک ما بعد القرنین الأول والثانی:

القرن الثالث الهجری:

* روی الصنعانیّ (ت ٢١١ ه-)، بسنده عن عکرمه قال: لمّا بویع لأبی بکر، تخلّف علیٌّ فی بیته، فلقیه عمر، فقال: تخلّفتَ عن بیعه أبی بکر؟ فقال: إنّی آلیت بیمینٍ حین قُبض رسول الله صلی الله علیه و آله أن لا أرتدی برداءٍ إلّا إلی الصلاه المکتوبه حتّی أجمع القرآن، فإنّی خشیتُ أن یتفلَّت القرآن. ثمّ خرج فبایعه ((١)).

* وروی ابن سعد (ت ٢٣٠ ه-) فی (الطبقات الکبری)، عن إسماعیل بن إبراهیم، عن أیّوب وابن عون، عن محمّد [بن سیرین] قال: نُبِّئتُ أنّ علیّاً أبطأ عن بیعه أبی بکر، فلقیه أبو بکر فقال: أکرِهتَ إمارتی؟ فقال: لا، ولکنّنی آلیتُ بیمینٍ أن لا أرتدی بردائی إلّا إلی الصلاه حتّی أجمع القرآن. قال: فزعموا أنّه کتبه علی تنزیله. قال محمّد: فلو أُصیب ذلک الکتاب کان فیه علم. قال ابن عون: فسألتُ عکرمه عن ذلک الکتاب، فلم یعرفه ((٢)).

١- المصنّف لعبد الرزّاق ٥: ٤٥٠ / ح ٩٧٦٥ باب بیعه أبی بکر، شواهد التنزیل للحسکانی ١: ٣٧ / ح ٢٤ وفیه: فإنّی خشیتُ أن ینقلب القرآن.

٢- الطبقات الکبری ٢: ٣٣٨.

* وروى ابن أبي شيبه (ت ٢٣٥ ه-) في (مصنّفه)، قال: حدّثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا ابن عون، عن محمّد قال: لمّا استخلف أبو بكر قعد عليٌّ في بيته، فقيل لأبي بكر، فأرسَلَ إليه: أكرِهتَ خلافتي؟ قال: لا، لم أكره خلافتك، ولكن كان القرآن يُزاد فيه، فلمّا قُبض رسول الله صلى الله عليه و آله جعلتُ علَيَّ أن لا أرتدي إلّا إلى الصلاه حتّى أجمعه للنّاس. فقال أبو بكر: نِعمَ ما رأيت ((١)).

* وفي (شواهد التنزيل) عن ابن سيرين أنّ رجلاً قال لأبي بكر: إنّ عليّاً قد كرهك، فأرسِلْ إليه. فقال: أكرهتَني؟ فقال: والله ما كرهتك، غير أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله قُبِضَ ولم يُجمَع القرآن، فكرهتُ أن يُزاد فيه، فآليتُ بيمينٍ أن لا أخرج إلّا إلى الصلاه حتّى أجمعه. فقال: نِعمَ ما رأيت ((٢)).

* وذكر البلاذري (ت ٢٧٩ ه-) في (أنساب الأشراف) ما نصّه: المدائنيّ، عن مسلمه ابن محارب، عن سليمان التيميّ، وعن ابن عون: أنّ أبا بكر أرسل إلى عليٍّ يريد البيعه، فلم يبايع، فجاء عمر ومعه فتيله، فتلقّته فاطمه على الباب، فقالت فاطمه: يا ابن الخطّاب، أتراك محرّقاً علَيَّ بابي؟ قال: نعم، وذلك أقوى فيما جاء به أبوك. وجاء عليٌّ فبايع، وقال: كنتُ عزمتُ أن لا أخرج من منزلي حتّى أجمع القرآن ((٣)).

فرجال هذا الخبر ثقات على شرط الشيخَين، سوى مسلمه، وثّقه ابن حبّان وترجم له البخاري وأبو حاتم دون طعن.

١- المصنّف لابن أبي شيبه ٦: ١٤٨ / ح ٢٠٢٣٠.

٢- شواهد التنزيل ١: ٣٦ / ح ٢٢.

٣- أنساب الأشراف ٢: ٢٦٨ /ح ١١٨٤ أمر السقيفه وبيعه أبي بكر.

* وفيه أيضاً: حدّثنا سلمه بن الصقر وروح بن عبد المؤمن، قالا: حدّثنا عبد الوهاب الثقفى، أنبأنا أيّوب، عن ابن سيرين، قال: قال أبو بكر لعليٍّ عليه السلام : أكَرِهتَ إمارتى؟ قال: لا، ولكنّى حلفتُ أن لا أرتدى بعد وفاه النبىّ صلى الله عليه و آله برداءٍ حتّى أجمع القرآن كما أُنزل ((١)).

* وقال اليعقوبى (ت ٢٩٢ ه-) فى (تاريخه): وروى بعضهم أنّ علىّ بن أبى طالب كان جمعه لمّا قُبض رسول الله وأتى به يحمله على جمل، فقال: هذا القرآن قد جمعتُه. وكان قد جزّأه سبعه أجزاء، فالجزء الأوّل البقره ... ((٢)).

* وروى ابن الضريس (ت ٢٩۴ ه-) فى (فضائل القرآن): أخبرنا أحمد، حدّثنا أبو علىّ بشر بن موسى، حدّثنا هوذه بن خليفه، حدّثنا عوف، عن محمّد بن سيرين، عن عكرمه - فيما أحسب - قال: لمّا كان بعد بيعه أبى بكر، قعد علىّ بن أبى طالب فى بيته، فقيل لأبى بكر: قد كره بيعتَك. فأرسل إليه، فقال: أكرِهتَ بيعتى؟ فقال: لا والله. قال: ما أقعدَك عنّى؟ قال: رأيتُ كتاب الله يُزاد فيه، فحدّثتُ نفسى أن لا ألبس ردائى إلّا لصلاهٍ حتّى أجمعه. فقال له أبو بكر: فإنّك نِعْمَ ما رأيت.

قال محمّد [بن سيرين]: فقلتُ له ((٣)): ألّفوه كما أُنزل، الأوّل فالأوّل؟ قال: لو اجتمعت الإنسُ والجنّ على أن يؤلّفوه ذلك التأليف ((۴)) ما استطاعوا. قال محمّد: أراه

١- أنساب الأشراف ٢: ٢۶٩ /ح ١١٨٧ أمر السقيفه وبيعه أبى بكر.

٢- تاريخ اليعقوبىّ ٢: ١٣۵.

٣- أى: لعكرمه.

۴- يعنى إستحاله تأليفهم القرآن كما أنزل.

صادقاً ((۱)).

القرن الرابع الهجری:

* وفی کتاب (المصاحف) للسجستانی (ت ۳۱۶ ه-)، بسنده عن ابن سیرین أنّه قال: لمّا توفّی النبیّ صلی الله علیه و آله ، أقسم علیٌّ أن لا یرتدی برداءٍ إلّا لجمعهٍ حتّی یجمع القرآن فی مصحف، ففعل، فأرسل إلیه أبو بکر بعد أیّام: أکَرِهتَ إمارتی یا أبا الحسن؟ قال: لا والله، إلّا أنّی أقسمتُ أن لا أرتدی برداءٍ إلّا لجُمعه. فبایعه ثمّ رجع ((۲)).

* وروی الجوهریّ (ت ۳۲۳ ه-) فی کتاب (السقیفه وفدک)، عن یعقوب، عن رجاله، قال: لمّا بویع أبو بکر تخلّف علیٌّ فلم یبایع، فقیل لأبی بکر: إنّه کره إمارتک. فبعث إلیه وقال: أکرِهتَ إمارتی؟ قال: لا، ولکنّ القرآنَ خشیتُ أن یُزاد فیه، فحلفتُ أن لا أرتدی رداءً حتّی أجمعه، اللّهمّ إلّا إلی صلاه الجمعه ((۳)).

* وفی کتاب (الأوائل) لأبی هلال العسکری (ت ۳۹۵ ه-): أبو أحمد، ثنا الصولی، ثنا الغلّابی، ثنا أحمد بن عیسی، ثنی عمّی الحسین (ذی الدّمعه) ابن زید، عن جعفر بن محمّد، عن أبیه، عن جدّه قال: لمّا قُبِضَ رسول الله صلی الله علیه و آله تشاغل علیٌّ علیه السلام بدفنه، فبایع النّاس أبا بکر، فجلس علیٌّ علیه السلام یجمع القرآن، وکتبه فی الخزف وأکتاف الإبل وفی الرِّقّ ((۴)).

۱- فضائل القرآن لمحمّد بن أیّوب بن الضریس: ۳۶ / ح ۲۲.

۲- المصاحف للسجستانی ۱: ۱۶۹ / ح ۳۱.

۳- السقیفه وفدک: ۶۶، وانظر: شرح نهج البلاغه ۶: ۴۰.

۴- الأوائل لأبی هلال: ۱۰۳ / ح ۷۰.

القرن الخامس الهجری:

* وفی (حلیه الأولیاء) لأبی نعیم (ت ۴۳۰ ه-): حدّثنا سعد بن محمّد الصیرفی، حدّثنا محمّد بن عثمان بن أبی شیبه، حدّثنا إبراهیم بن محمّد بن میمون، حدّثنا الحکم بن ظهیر، عن السدّی، عن عبد خیر، عن علیٍّ، قال: «لمّا قُبض رسول الله صلی الله علیه و آله ، أقسمتُ - أو حلفت - أن لا أضع ردائی عن ظهری حتّی أجمع ما بین اللّوحین((۱))، فما وضعتُ ردائی عن ظهری حتّی جمعتُ القرآن» ((۲)).

* وروی المستغفری (ت ۴۳۲ ه-) فی (فضائل القرآن)، بإسناده عن کثیر بن أفلح، قال: اختلف الناس فی القراءه فی إماره عثمان ... فلمّا قُبض رسول الله صلی الله علیه و آله لزم علیّ بن أبی طالب بیته، فقیل لأبی بکر: إنّ علیّاً کره إمارتک. فأرسل إلیه أبو بکر فقال له: تکره إمارتی؟ فقال: لا، ولکن کان النبیّ صلی الله علیه و آله حیّاً والوحی ینزل والقرآن یُزاد فیه، فلمّا قُبض النبیّ صلی الله علیه و آله جعلتُ علی نفسی أن لا أرتدی بردائی حتّی أجمعه للناس. فقال أبو بکر: أحسنت. قال محمّد: فطلبتُ ما ألَّف، فأعیانی ولم أقدر علیه، ولو أصبتُه کان فیه علمٌ کثیر ((۳)).

* قال ابن عبد البرّ (ت ۴۶۳ ه-) فی (الاستذکار): وجَمْعُ علیّ بن أبی طالب للقرآن أیضاً عند موت النبیّ صلی الله علیه و آله وولایه أبی بکر، فإنّما کلّ ذلک علی حسب الحروف

۱- هذه إشاره إلی انّ ما بین اللوحین من جمع علی (لا من غیره .

۲- حلیه الأولیاء ۱: ۶۷ ترجمه الإمام علیّ.

۳- فضائل القرآن للمستغفری ۱: ۳۵۸ / ح ۴۲۰.

السبعه ((۱)) لا كجمع عثمان على حرفٍ واحد (حرف زيد بن ثابت)، وهو الّذى بأيدى النّاس بين لوحَى المصحف اليوم ((۲)).

* وفى (شواهد التنزيل) للحسكانى (من أعلام القرن الخامس)، بسنده عن السدّى، عن عبد خير، عن علىٍّ عليه السلام أنّه: رأى من النّاس طَيْرَهً ((۳)) عند وفاه رسول الله صلى الله عليه و آله ، فأقسم أن لا يضع على ظهره رداءً حتّى يجمع القرآن، فجلس فى بيته حتّى جمع القرآن، فهو أوّل مصحفٍ جُمع فيه القرآن، جمعَه من قلبه، وكان عند آل جعفر ((۴)).

* وفى خبرٍ آخر عن السدّى، عن عبد خير، عن يمان قال: لمّا قُبض النبىّ صلى الله عليه و آله ، أقسم علىٌّ - أو حلف - أن لا يضع رداءه على ظهره حتّى يجمع القرآن بين اللّوحَين، فلم يضع رداءَه على ظهره حتّى جمع القرآن ((۵)).

* وروى الحسكانى فى (شواهد التنزيل) أيضاً، بإسناده عن محمّد بن سيرين أنّه قال: لمّا مات النبىّ صلى الله عليه و آله جلس علىٌّ فى بيته فلم يخرج، فقيل لأبى بكر: إنّ علياً لا يخرج من البيت كأنّه كره إمارتك. فأرسل إليه فقال: أكرهتَ إمارتى؟ فقال: ما كرهتُ

۱- هذا ما تخيّله ابن عبد البر، والصحيح أنه عليه السلام جمعه ورتّبه وبيّن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه وشأن النزول، وليس على الحروف السبعه بالمعنى الذى يتخيّلونه.

۲- الاستذكار ۲: ۴۸۵.

۳- لاحظ أنّ الطيره هى غصب الخلافه، وهى أحد الثقلين، فأراد أمير المؤمنين أن يحفظ الثقل الثانى وهو القرآن.

۴- شواهد التنزيل ۱: ۳۶ / ح ۲۳، الصاحبى لابن فارس: ۳۲۶.

۵- شواهد التنزيل ۱: ۳۷ / ح ۲۵، وانظر: المناقب للخوارزمى: ۹۴ / ح ۹۳.

إمارتک، ولکنّی أری القرآن یُزاد فیه، فحلفتُ أن لا أرتدی برداءٍ إلّا للجمعه حتّی أجمعه. قال ابن سیرین: فنُبّئتُ أنّه کتب المنسوخ وکتب الناسخ فی أثره ((۱)).

القرن السادس الهجری:

* وقال محمّد بن عبد الکریم الشهرستانی (ت ۵۴۸ ه-) فی مقام التعلیق علی جمْع الخلفاء للقرآن: کیف لم یطلبوا جمعَ علیٍّ بن أبی طالب؟! أوَ ما کان أکتبَ من زید بن ثابت؟ أو ما کان أعربَ من سعید بن العاص؟! أو ما کان أقرب إلی رسول الله صلی الله علیه و آله من الجماعه؟! بل ترکوا بأجمعهم جمعَه، واتّخذوه مهجوراً، ونبذوه ظهریّاً، وجعلوه نسیاً منسیّاً، وهو علیه السلام لمّا فرغ من تجهیز رسول الله صلی الله علیه و آله وغسله وتکفینه والصلاه علیه ودفنه، آلی أن لا یرتدی بُرداً إلّا لجمعهٍ حتّی یجمع القرآن؛ إذ کان مأموراً بذلک أمراً جزماً، فجمَعه کما أُنزل من غیر تحریفٍ وتبدیل، وزیادهٍ ونقصان، وقد کان أشار النبیّ صلی الله علیه و آله إلی مواضع الترتیب والوضع، والتقدیم والتأخیر. قال أبو حاتم: إنّه وضع کلّ آیهٍ إلی جنب ما یشبهها.

ویُروی عن محمّد بن سیرین أنّه کان کثیراً ما یتمنّاه، ویقول: لو صادفنا ذلک التألیف لصادفنا فیه علماً کثیراً.

وقد قیل: إنّه کان فی مصحفه المتن والحواشی، وما یعترض من الکلامین المقصودین کان یکتبه علی العرض والحواشی ((۲)).

۱- شواهد التنزیل ۱: ۳۸ / ح ۲۷.

۲- مفاتیح الأسرار ومصابیح الأبرار ۱: ۱۲۰ - ۱۲۱.

* وفی (تاریخ دمشق) لابن عساکر (ت ۵۷۱ ه-)، عن ابن سیرین قال: لما توفی النبی صلی الله علیه و آله أقسم علی ألا یرتدی برداء إلا لجمعه حتی یجمع القرآن فی مصحف ففعل((۱)).

القرنان السابع والثامن الهجریّان:

* وفی (شرح نهج البلاغه) لابن أبی الحدید (ت ۶۵۶ ه-)، قال أبو بکر [الجوهری]: وقد رُوی فی روایهٍ أُخری أنّ سعد بن أبی وقّاص کان معهم فی بیت فاطمه علیها السلام والمقداد بن الأسود أیضاً، وأنّهم اجتمعوا علی أن یبایعوا علیّاً علیه السلام ، فأتاهم عمر لیحرق علیهم البیت، فخرج إلیه الزبیر بالسیف، وخرجت فاطمه علیها السلام تبکی وتصیح، فنهنهت من النّاس، وقالوا: لیس عندنا معصیه ولا خلاف فی خیرٍ اجتمع علیه النّاس، وإنّما اجتمعنا لنؤلّف القرآن فی مصحفٍ واحد. ثمّ بایعوا أبا بکر، فاستمرّ الأمر واطمأنّ الناس ((۲)).

* وقال محمّد بن جزی الکلبی (ت ۷۴۱ ه-) فی (التسهیل لعلوم التنزیل): کان القرآن علی عهد رسول الله صلی الله علیه و آله متفرّقاً فی الصحُف وفی صدور الرجال، فلمّا توفّی رسول الله صلی الله علیه و آله قعد علیّ بن أبی طالب علیه السلام فی بیته فجمعه علی ترتیب نزوله ((۳))، ولو وُجد مصحفه لکان فیه علمٌ کبیر، ولکنّه لم یوجَد ((۴)).

۱- تاریخ دمشق ۴۲: ۳۹۸.

۲- شرح نهج البلاغه لابن أبی الحدید ۲: ۵۷.

۳- لاحظ أنّ ترتیب قرآن علی المفسَّر لیس کترتیب قرآننا المتلو.

۴- التسهیل لعلوم التنزیل: ۱: ۴.

وقال محمّد بن سيرين: لمّا توفى رسول الله أبطأ عليٌّ عن بيعه أبى بكر، فلقيه أبوبكر فقال: أكرهت إمارتى؟ فقال على: لا ولكن آليت لاـ أرتدى بردائى إلّا إلى الصلاه حتّى أجمع القرآن. فزعموا أنّه كُتب على تنزيله فقال محمد: ولو أصبت ذلك الكتاب لكان فيه العلم ((۱)).

وقال سعيد بن المُسَيَّب: لم يكن أحدٌ من الصحابه يقول: (سلونى)، إلّا علىّ ((۲)).

وقال الذهبى (ت ۷۴۸ ه–) فى (تاريخ الإسلام) – ضمن عدّه رواياتٍ فى فضائل الإمام علىّ عليه السلام -: ومنها: عن سليمان الأحمسى، عن أبيه قال: قال علىّ: «والله ما نزلت آيهٌ إلّا وقد علمتُ فيما نزلت، وأين نزلت، وعلى مَن نزلت، وإنّ ربّى وهب لى قلباً عقولاً ولساناً ناطقاً» ((۳)).

هذه مجموعهٌ من النصوص جئتك بها – كما هى – وفق تسلسل وفيات من نقلوها وإن كانت بعضها مكرره، وهى تُنبِؤك عن اتّفاق الفريقَين على وجود هذا المصحف لعلىّ بن أبى طالب عليه السلام ، بل ترى أن تكثّرها وتعدّدها عند الآخر هو أكثر مما عند الشيعه الاماميه.

فالصنعانى (ت ۲۱۱ ه–) وابن سعد (ت ۲۳۰ ه–) وابن أبى شيبه (ت ۲۳۵ ه–) والبلاذرى (ت ۲۷۹ ه–) واليعقوبى (ت ۲۹۲ ه–) وابن الضريس (ت ۲۹۴ ه–)

۱– الاستيعاب لابن عبد البر ۳: ۹۷۴، وانظر: شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد ۶: ۴۱.

۲– تاريخ الإسلام ۳: ۶۳۸.

۳– تاريخ الإسلام ۳: ۶۳۷، وذكره أيضاً ابن سعد فى الطبقات الكبرى ۲: ۳۳۸، والبلاذرىّ فى أنساب الأشراف ۲: ۳۵۱.

والسجستانی (ت ۳۱۶ ه-) والجوهری (ت ۳۲۳ ه-) وأبو هلال العسکری (ت ۳۹۵ ه-) وغیرهم من أهل السنه والجماعه رووها تزامنا مع روایه الصفار (ت ۲۹۰ ه-) والعیاشی (ت ۳۲۰ ه-) وفرات (ت ۳۲۴ ه-) والکلینی (ت ۳۲۹ ه-) والمسعودی (ت ۳۴۶ ه-) والصدوق (ت ۳۸۱ ه-) وغیرهم من محدّثی الشیعه، وهذا یؤکد اتفاق الفریقین علی حقیقه وجود هذا المصحف لعلی بن أبی طالب فی القرون الأُولی من تاریخ الاسلام، وقد استمر الإقرار بها حتی العصور اللاحقه، مع عدم إنکارنا وجود بعض دعوات التشکیک فی وجودها من قبل الجمهور والتی سعت هذه الدراسه أن تردها.

وعلیه فإن الروایات والأقوال التی مرت وإن کنّا لا نقبل بکلّ ما فیها، لکنّها متّفقه علی بیان أمرٍ واحد، وهو أنّ أمیر المؤمنین علیّاً علیه السلام کان أوّل مَن جمع القرآن بین الدفّتین، وذلک ما یحدو بنا إلی التشکیک بما قیل عن جمع أبی بکر وعمر للقرآن بعد مقتل القُرّاء بالیمامه ونوایاهما فی ذلک، وترحم الإمام علی ابن أبی قحافه لکونه أول من جمع القرآن! کما وقفت بأنّ الإمام الباقر قد عرض بالقائلین بجمع الشیخین.

کما یلاحَظ فی تلک الروایات سکوت أبی بکر - أیّام خلافته - عن جمع الإمام أمیرالمؤمنین علیّ علیه السلام للمصحف - مع تأویله وتفسیره -، بل قوله للإمام علیه السلام : «نِعْم ما رأیت»، وفی آخر: «أحسنت»، وهو یؤکد علم أبی بکر بوجود هذا المصحف عند الإمام علیٍّ وکتابتِه قَبل خلافه أبی بکر، وأنّه علیه السلام أراد فی عهد أبی بکر أن ینظِّم الموجود عنده ویوحّد شکله؛ لأنّ جمع القرآن کاملاً مع تفسیره وتأویله لا یأتی بین عشیّهٍ وضحاها، بل یؤکد أنه علیه السلام کان قد بدَأ فی کتابه القرآن وجمعه مع تفسیره وتأویله منذ عصر الرسول صلی الله علیه و آله .

كما أنّ النصوص التى مرّت عليك فى تدوين الإمام على عليه السلام للمصحف - عند الفريقَين - تخطِّى ء أو تضعِّف ما حُكى عن ابن أبى قحافه من أنّه كلّف زيداً بجمع القرآن؛ لأنّه لو كان قد كلّفه بهذا الأمر لما قَبلَ عذر الإمام عليه السلام وتعليلَه فى التخلّف عن البيعه والجلوس فى البيت، ولقال له: لا أقبل تعليلك، لأنى كلّفتُ زيد بن ثابت بهذه المهمّه فعليك الانصياع لأمر زيد.

نعم، قد يقال بأنّه كلّف زيداً بعد الأشهر الستّه الّتى جلس فيها الإمام عليه السلام فى بيته لجمع القرآن، أى أنّه كلّفه بهذا الأمر بعد أن ردّ أبو بكر مصحف الإمام علىّ عليه السلام المفسر؛ لاشتماله على فضائح القوم من لسان رسول الله صلى الله عليه و آله فى تفسير الآيات، إذ فى خبر (الاحتجاج): فلمّا فتحه أبو بكر، خرج فى أوّل صفحهٍ فتحها فضائح القوم...((۱)).

فلو قلنا بهذا الاحتمال، فهو يصحّح ما جاء فى المصادر الشيعيّه من أنّ الخليفه أراد بجمعه شيئاً آخر غير ما علّلوه فى سبب جمعه((۲))، وإنّ ما جاء فى المصادر الشيعيّه هو منقصه لأبى بكر لا مدحٌ له، لقول الراوى فى تلك الأخبار:

ثمّ أحضروا زيد بن ثابت - وكان قارئاً للقرآن - فقال له عمر: إنّ عليّاً جاء بالقرآن، وفيه فضائح المهاجرين والأنصار، وقد رأينا أن نؤلّف القرآن ونُسقِط منه ما كان فيه فضيحهٌ وهتك للمهاجرين والأنصار. فأجابه زيد إلى ذلك ... ((۳)).

۱- الاحتجاج ۱: ۲۲۷ بروايه ابى ذر الغفارى.

۲- وهو ضياع القرآن بمقتل القرّاء يوم اليمامه.

۳- الاحتجاج ۱: ۲۲۸.

فإن جمله (نؤلّف القرآن ونُسقِط منه) يدل على شیء خطير سنوضحه لاحقا.

* * *

بعد كلّ هذا، علينا تلخيص ما جاء فی كتب الجمهور فی نقاط:

۱ - ثبوت تخلُّف الإمام علیّ عليه السلام عن بيعه أبی بكر واشتغاله بجمع القرآن.

۲ - إنّ النّاس قالوا لأبی بكر: إنّ عليّاً كره مبايعتك، أو إنّ أبا بكرٍ قال لعلیّ: كرهتَ خلافتی؟ فأجاب الإمام عليه السلام على ما فی بعض الأخبار: «خشيتُ أن ينفلت القرآن»، وفی آخر: «خشيت أن يُزاد فيه»، وفی ثالث: «رأيت كتاب الله يُزاد فيه»، أو: «كرهت أن يُزاد فيه»، وفی رابع: «بأنّ النبیّ كان حيّاً والوحی ينزل عليه والقرآن يُزاد فيه، فلمّا قُبض ...» وفی كلّ هذه النصوص إشاره إلی تخوف الرسول والأمير من الزياده والنقصان فی القرآن، وأنّ جمله (خشيت) هی احترازيه ووقائيه لا واقعيه، وذلك لكی لا يؤلف الآخرون القرآن ويزيدوا أو يسقطوا منه شيئاً. إذ وقفت سابقاً على أمنيه عمر - فی خلافته - فی الزياده فی القرآن، أو جعله الآيات الثلاث سوره لولا خوفه من الناس.

فالزياده والنقصان فی القرآن لم يتحقق فی الخارج (وقد جمع القرآن كما أنزل النبی محمد لم يُزَدْ فيه حرف ولم ينقص منه حرف) وحسب تعبير الامام (لم يسقط حرف ألف ولا لام) منه وأنّ الإمام فعل ذلك (لكی لا يزيد فيه الشيطان شيئاً ولا ينقص منه شيئاً) حسب تعبير الإمام الباقر كما فی تفسير فرات، ونحوه قول ابن عباس لمعاويه: فمن قال أنه ضاع من القرآن شیء فقد كذب، هو عند أهله مجموع محفوظ.

۳ - رضی أبوبكر بفعل الإمام لقوله: (فإنّك نِعم ما رأيت)، وفی آخر: (لقد أحسنت).

۴ - إنّ الإمام علیه السلام أقسم أن لا یرتدی برداءٍ حتّی یجمع القرآن کما أُنزل. قال ابن سیرین: نُبِّئتُ بأنّه کتب المنسوخ وکتب الناسخ. وفی نصٍّ آخر عنه: (فزعموا أنّه کتبه علی تنزیله). وقال أیضاً: (طلبتُ ما أُلّف، فأعیانی). وفی کلام الجزی: فجمعَه علی ترتیب نزوله، ولو وُجد مصحفه لکان فیه علمٌ کثیر، ولکنّه لم یوجَد.

۵ - إنّ الإمام علیّاً علیه السلام حمل مصحفه (الّذی فیه تفسیر القرآن وتأویله وشأن نزوله) إلی القوم علی جمل، ثمّ قال: «هذا القرآن ((۱)) قد جمعتُه».

۶ - فی کلام ابن عبد البرّ: أنّ الإمام علیه السلام جمع القرآن - عند موت النبیّ صلی الله علیه و آله وولایه أبی بکر - علی حسب الأحرف السبعه، لا کجمع عثمان علی حرفٍ واحد (حرف زید بن ثابت)، لکنّ هذا یناقض ما اختاره القاضی أبو بکر: من أنّ عثمان أثبت الأحرف السبعه، وأنّ هذه الأحرف تختلف معانیها تارهً وألفاظها أُخری، ولیست متضادّه ولا متنافیه((۲)).

۷ - أن الإمام علیه السلام - علی ما فی روایه الذهبی - قال: «والله ما نزلت آیهٌ إلّا وقد علمتُ فیما نزلت وأین نزلت وعلی مَن نزلت» وهو یؤکد أعلمیته علیه السلام فی أمر القرآن.

وقال سعید بن المسیّب: لم یکن أحدٌ من الصحابه یقول: سلونی، إلّا علیّ بن أبی طالب علیه السلام ((۳)).

۱- قد اتضح لک سابقاً - من خلال کلام الشیخ المفید - بأنّ التفسیر والتأویل یطلق علیه قرآن أیضاً.

۲- الإستذکار ۲:۴۸۵.

۳- تاریخ الإسلام للذهبی ۳: ۳۶۷ - ۳۶۸.

النتیجه:

إذن، فمسأله جمع القرآن ترتبط بشکلٍ أساسی بالإمام علیّ علیه السلام فی المصادر الأساسیّه عند الفریقین، وإن تغافل عن بیانها کتّاب تاریخ القرآن فی بحوثهم.

وأمّا ارتباطها بسائر الجامعین للقرآن فتأتی فی المرتبه الثانیه، لأنّک قد عرفت بأنّ القرآن معصومٌ ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ ((۱)) وهو ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ((۲))، وکتاب کهذا یجب أن یُجمَع من قِبل المعصوم، وهذه حقیقه یعرفها کل من له أدنه بصیره وعلم بالشریعه والصحابه لیسوا بمعصومین باعتراف الجمیع ولیس عندهم علم جمیع القرآن.

وإنّ ادّعاء أنّ جمیعه عند جمیعهم یؤکّد عدم وجود جمیعه عند أحدهم، ومن ادّعی بأنه جمع جمیعه فهو کذّاب، وخصوصاً أن یکون قد جمعه کما اُنزل وقد أشار الامام الباقر إلی ذلک بقوله: «وما ادّعی أحدٌ من النّاس ((۳)) أنّه جمع القرآن کلَّه کما اُنزل إلّا کذّاب».

وقد خالف ابن مسعود وغیرُهُ من الصحابه جمع زید بن ثابت للقرآن، وهو یشیر إلی عدم تمامیّه جمع زید أو خطأه فی بعض المفردات، هذا من جهه.

ومن جههٍ اُخری: لم یرد دلیلٌ من العقل أو الشرع علی وجوب اتّباع مصحف

۱- سوره فصلت: ۴۲.

۲- سوره البقره : ۲.

۳- أی غیر علی کما فی صدر الحدیث.

صحابیٍّ بعینه، إذ لا دلیل علی أن زیداً أو غیره کان عنده جمیع القرآن کما أُنزِل، وحتی الذین قلنا بأنهم تلقّوا القراءه علی رسول الله مثل: أبی بن کعب أو عبدالله بن مسعود أو معاذ، فلیس فی تلک النصوص دلاله علی وجود مصحف کامل عند أحدهم - بل انّ من أراد أن یقرأ القرآن کما اُنزل فالیقرأه بقراءه ابن أم عبد وأمثال ذلک - غیر الإمام علی الذی نسخته هی نسخه رسول الله وهو وصیه والکاتب لعلومه.

هذا وإنّ سیاسه الأخذ من جمیع الصحابه واعتبارهم بمرتبه واحده - سواء الذی ضبطه بالعرض مباشره علی رسول الله، أو الذی سمعه عن طریق النقل الجماعی - یعرض القرآن للخطأ والاشتباه، لا محاله وبذلک یحتمل أن یکون ذلک الصحابیّ ممّن قدّم ما أخّره الله أو أخّر ما قدّمه، لهذا نری الخلفاء الثلاثه قد اعتمدوا الشاهدَین - عند تدوینهم المصحف - لکی یتلافوا بزعمهم هذه المشکله، أی أنّهم اعتمدوا البیّنه فی جمعهم للقرآن لا التواتر والتلقی والعرض علماً بأنّ الأصول الثلاثه الأخیره هی اصول یعترف بها الجمیع غیرالأولی المشکوک فی حجیتها.

فی حین أنّ إثبات القرآن لا یحتاج إلی الشهود، لأنه مقروءٌ عند المسلمین فی صلواتهم، وأنّهم کانوا یعرفونه بآیاته وسوره، وقد کان رسول الله قد أقرأهم القرآن علی مکث وکان لا یتجاوز عشر آیات حتّی یعلمهم ما فیها من العلم والعمل، - کما قال تعالی: (وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ) (۱) -، وعلّمهم بکیفیه قراءته، لقوله: «اقرؤوا بما عُلّمتُم»، فلا یمکن لأحدٍ أن یزید أو یَنقُص منه، لکنّهم

۱- سوره الإسراء: ۱۰۶.

أرادوا بعملهم هذا استغلال عدم وجود نسخهٍ كاملهٍ صحيحهٍ عند أحدٍ من أتباعهم من الصحابه، لطرح البديل الذى يريدونه.

إنّ منهجم الخاطئ هذا يُفهِمُ بأنّ القرآن كان مهجوراً عند المسلمين بحيث يطلب شاهدين لتصحيحه، ولا يخفى عليك بأن شهاده رجلين قد تعارض بشاهدين آخرين، ومن هنا تأتى التعدديه فى القراءه، ويأتى بعدها تصحيح عمر لها من خلال الأحرف السبعه، ومن خلال ذلك تنفذ فكره التحريف إلى هيكل القرآن تحت ضابطه الاختيار بين القراءات والأحرف إنّها مأساه واقعاً.

لكنّ ذلك كلّه لم يؤثّر فى القرآن والحمد لله، لأنّ رسول الله صلى الله عليه و آله كان قد جمع الآيات النازله عليه إلى ذلك الحين فى صحف ثمّ ضبط نصها فى اللقاء الثنائى بينه وبين جبرئيل، وإليه جاءت الإشاره بقوله تعالى: (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِـعْ قُرْآنَهُ) ((۱))، وقد كانت تلك الصحف المكتوبه بأنامل كتّاب الوحى موجودهً عنده وخلف فراشه - حسبما عرفتَ -، وقد أوصى الإمام علياً عليه السلام أن يوحّد شكلها وأن يجمعها بين الدفّتين. وسبحانه صرّح فى كتابه بأن جمع القرآن هو من مهامه (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ)، وليس من مهام ووظائف أبى بكر وعمر وعثمان غير وصيه على لأنّ جمله (إِنَّ عَلَيْنَا) تشمل من يرتبط بالله كجبريل الأمين ورسول الله وعلى بن أبى طالب كل بحسبه.

ولمّا تُوفّى رسول الله صلى الله عليه و آله ، أسرع الإمام عليه السلام للعمل بوصيّه النبىّ صلى الله عليه و آله ، خوفاً من

۱- سوره القيامه: ۱۷ و۱۸.

أن يُزاد فی القرآن، فأقسم أن لا يرتدی برداءٍ إلّا للجمعه حتّی يجمعه، فجمع القرآن المنزَل فی مصحفٍ مرّه، ثمّ جمعه مرّةً أُخری بعدها مع تفسيره وتأويله وشأن نزوله، فی مجموعهٍ أُخری هی علميّه تاريخيّه.

إلّا أنّ مدرسه الخلافه كانت لا تريد أن تقرَّ بهذا الشرف لأمير المؤمنين عليه السلام ، لذا سعت إلی التشكيك فی وجود مدوّنات خلف فراش رسول الله صلی الله عليه و آله ، بل شكّكت فی وجود مصحف للإمام علی عليه السلام ، بعد تشكيكها فی أصل كون الامام وصیَّ رسول الله وخليفته من بعده.

ولنقرب الفكره بشكل آخر: إنّ إدعاء جمع الخلفاء فی العصور المتأخره يؤدّی بالأُمّه إلی أمرٍ خطير، وهو وجود علمٍ إجمالیٍّ بعدم جمع رسول الله صلی الله عليه و آله للقرآن علی عهده ((۱))، فالقائلون بهذا الكلام يكونون قد ضربوا الدين فی صميمه؛ لأنّه لو ثبت ما قالوه لأمكن ادّعاء وقوع التحريف فی الكتاب العزيز؛ لأنّ العقل لا يُمكنه أن يُثبِت بأنّ المجموع من قبل الخلفاء هو جمعٌ لجميع القرآن، بل يمكن أن يكون قد سقط منه شیءٌ أو أُضيف إليه شیءٌ آخَر - وهو المستفاد من النصوص الكثيره الموجوده فی مدرسه الخلافه - وذلك لعدم تصدّر المعصوم((۲)) لجمعه وتدوينه وترتيبه له بل إنّ جمعَه قد حصل بعد وفاته صلی الله عليه و آله ، وفی أيّام الفتنه وظهور البدع، ومن قبل غير المعصوم.

فمن الطبيعیّ أن يُفتَح هذا الادعاء باب الشكّ بهكذا جمعٍ للقرآن ولا يُطمئنّ

۱- أی أنّ تشكيكهم فی عدم وجود مصحف للإمام علی - مع إقرارهم بوجود جميعه عند جميعهم - يدعو إلی القول بعدم جمع رسول الله للقرآن بنفسه. واختصاصه بما كتبه نساخ الوحی عنده.

۲- أعنی رسول الله صلی الله عليه و آله أو وصيّه.

إليه، لاحتمال الزياده والنقصان والخطأ والسهو والنسيان فيه، إذ العقل والشرع يمنعان من اتّباع غير العلم. فيكون القرآن فى معرض التشكيك، وتعدّد الوجوه، وغياب وضياع وَجهُه المنزل من الله تعالى.

ونحن لا نقبل بأطروحتهم وبما قالوه ونرى أنّ فى ذلك مساساً بالدين، مؤكّدين على أنّ القرآن الموجود بأيدينا اليوم هو نفسه الّذى نزل على النبىّ محمّد صلى الله عليه و آله فى الإنزال الدفعى، وأنّه ذلك القرآن الّذى أشرف على ترتيبه وتدوينه جبريل الأمين والصادق الأمين، وأنّه صلى الله عليه و آله هو الّذى كان يُقرِئ به الناس بسوَره وآياته فى عهده، ثمّ مِن بعده، بلا زيادهٍ ولا نقصان لقوله: (وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ) ((۱))، ومعناه: أنّ أُطروحه جمع الخلفاء لهذا القرآن هى أُطروحه خاطئه تسىء إلى الدين القويم بقصد أو بدون قصد، إذ أنّ التواتر بقرآنيّه هذا القرآن واشتهاره بين المسلمين ((۲)) هو الّذى يصحّح قرآنيّته، لأنّه قد انتقل من متلقيه صلى الله عليه و آله مباشره إلى أُمّته بطريقين: العرض الشفهى، وعلى رأس هذا النوع مشافهه أمير المؤمنين على بن أبى طالب، والانتقال الجماعى، هذا كله مضافاً إلى أنّ التواتر الذى يقولون به فى علم الدرايه والحديث يتحقق بخمسه أو عشره أو اثنى عشر((۳)) وهو متحقق فيما نحن فيه فى القراءه، وهذا غير ما اعتبروه من شهاده الاثنين - فى طريقه جمع الخلفاء للقرآن -، فإنّا لا نقبل أُطروحتهم ونُخطّؤها، لأنّها أقرب إلى التعريض للتحريف من القول بحجّيه القرآن.

۱- سوره الإسراء: ۱۰۶.

۲- (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) سوره القيامه: ۸.

۳- انظر غايه الوصول شرح لبّ الأصول، للشيخ زكريا الانصارى : ۹۵ - ۹۶.

وقفه مع صاحب (معجم القراءات القرآنيه):

قدمنا ما فيه الكفايه عن سندنا إلى هذا القرآن وحجيته، كما تكلّمنا عن ارتباط جمع القرآن بالإمام على، لكن علينا الآن الوقوف على آراء بعض المعاصرين فى ما قلناه وهل أنّهم يوافقوننا الرأى أم لا، وكذا هل تصحّ التهم الموجهه فى التحريف إلى هذا الطرف أو ذاك ومنهم وراء طرح أمثال هذه الإشكاليات وكيف بنا فى حلّها، ولنبدأ بذكر كلام الدكتورين أحمد مختار عمر وعبد العال سالم مكرم فى مقدّمه كتابهما (معجم القراءات القرآنيه) معلقين عليه؛ إذ قالا:

«وممّا لا شكّ فيه أنّ هذا يدلّ على أنّ عليّا كانت فكره جمع المصحف مستقرّه فى ذهنه قبل أن يجمع أبو بكر مصحفه.

ولمصحف علىّ قيمه تاريخيه، إلى جانب أنّ عليّا كان من القرّاء، فقراءته يمثّلهامصحفه.

وقيمته التاريخيه ترجع إلى أنّ قراءات أربعه قرّاء من القرّاء السبعه تنتهى إلى قراءه علىّ كرّم الله وجهه، أمّا هؤلاء القرّاء الأربعه فهم:

١ - أبو عمرو بن العلاء ...

٢ - عاصم بن أبى النَّجُوْدِ ...

٣ - حمزه الزيّات ...

۴ - الكسائى ...

ثمّ أضافا قائلَيْن: وممّا يجب أن نَلْفِت النظر إليه أنّ مصحف (علىّ) كرّم الله وجهه لا يختلف عن مصحف عثمان المصحف الإمام، اللهمّ إلّا فى القراءه الّتى يحتملها رسم

المصحف العثمانی، فإنّ علیّا کرّم الله وجهه کتب مصحفه علی حسب القراءه الّتی سمعها من الرسول صلی الله علیه و آله ، وقد کُتِبَ مصحف أبی بکر علی مرأی ومسمع منه، فلو کان هناک خلاف فی ترتیب أو تباین فی زیاده أو نقص لما سکت علیّ، ولأظهر رأیه فی وضوح؛ لأنّه لا یلیق برجل مثله وهو من هو فی الإسلام أن یسکت عن شیء لا یرتضیه فی المصحف الّذی هو دستور الأمّه، وعماد العقیده.

إنّ قراءه علیّ فی مصحفه لا تخرج عن الرسم العثمانی...» ((۱)).

ثمّ أشار الاُستاذان إلی بعض القراءات الشاذّه عن الإمام أمیر المؤمنین علیّ علیه السلام فقالا: «... فی ضوء هذه القراءات السابقه المنسوبه إلی الإمام علیّ کرّم الله وجهه تقرّر ما یلی:

۱ - لیس مصحف علیّ - الّذی احتفظ به إلی عهد عثمان، قبل أن یقوم عثمان بتوحید المصحف الإمام، وحرّق جمیع ما سواه - مخالفاً للمصحف الإمام إلّا فی القراءات التفسیریه أو الاُحادیه.

۲ - بعد توحید المسلمین علی مصحف واحد، کانت هناک قراءات اُحادیه منسوبه إلی علیّ کرّم الله وجهه، وتناقل الرواه تناقلاً لم یصل إلی حدّ التواتر هذه القراءات الّتی سُجّلت فی کتب التفسیر واللغه والقراءات.

۳ - وبعد مرحله توثیق النصّ القرآنی فی عهد عثمان... کان لنا أن نعتدّ بقراءه فی مجال التوثیق غیر القراءات العامّه المشهوره.

۱- معجم القراءات القرآنیه ۱ :۱۴ - ۱۵.

۴ – ما نسب إلى الإمام علیّ من القرآن فهو مخالف لما فی المصحف الّذی بین أیدینا متجاوزاً مخالفه الرسم، لا یعتدّ به فی مجال القراءات الصحیحه أو الشاذّه، وإنّما هو تفسیر من کلام علیّ علیه السلام لا من کلام الله تعالی.

وقد تنبّه إلی هذه الحقیقه جماعه من أهل الإمامیه، فقد قالوا عن المصحف الإمام – وهو مصحف عثمان الّذی احتفظ به لیکون مرجعاً لمصاحفه العثمانیه الأُخری – قالوا: إنّه لم ینتقص من کلِمِه، ولا ـ من آیِه، ولا من سُوَرِه، ولکن حذف ما کان مثبتاً فی مصحف أمیر المؤمنین علیه السلام من تأویله وتفسیر معانیه علی حقیقه تنزیله، وذلک کان ثابتاً منزّلاً ((۱))، وإن لم یکن من جمله کلام الله تعالی الّذی هو من القرآن المعجز، وقد یسمّی تأویل القرآن قرآناً...

إلی أن یقولا:

وقد سجّلنا آنفاً رأی فریق من الشیعه – وهم الإمامیه – حیث یعتبرون تفسیرات الإمام علیّ أو تأویلاته للقرآن من قبل القرآن تفسیراً ومجازاً، لا واقعاً وحقیقه.

وما نسب إلی الإمامیه من اتّهام کبار الصحابه کأبی بکر وعمر وعثمان بأنّهم حرّفوا القرآن أو أسقطوا منه، أو زادوا علیه، فهو محض افتراء بعید عن الحقّ، دفع إلیه هوی النفس، ووسوسه الشیطان.

والواقع أنّ الإمامیه لم یکونوا جمیعاً علی هذا الرأی، فقد بیّنّا فیما سبق أنّهم مؤمنون بأنّ القرآن لم یحدث فیه تغییر أو تبدیل أو زیاده أو نقص، وما نسب إلی الإمام

۱– وهو مثل الحدیث القدسی الّذی یکون منزلاً لکنّه لیس بقرآن.

علیّ من قرآن فهو تفسیر معنی جاء بأسلوبه ومن نسج کلامه...» ((۱)).

* * *

ونحن مع تقدیرنا للأُستاذین وما أبدیاه من رأی، علینا أن نبدی وجهه نظرنا فی ما قالاه أیضاً، لأن الآراء تعبّر عن الأفکار، وهی منتزعه من القناعات والتصوّرات وإن کانت ملاحظاتنا دقیقه قد یُعذَر فیها المتساهل فی کلامه، وإلیک بعضها.

۱ - إنّ قولهما: «وقد کتب مصحف أبی بکر علی مرأی ومسمع منه» صحیح من جهه وغیر صحیح من جهه أخری؛ لأنّ أبا بکر دعا إلی کتابه المصحف مضاده ومخالفهً لمصحف الإمام علیّ علیه السلام الّذی کان قد أقدم علیه قبل إقدام أبی بکر وفور وفاه رسول الله، أما أبو بکر فقد أقدم علی کتابه مصحفه بعد واقعه الیمامه، أو قل: إنّ أبا بکر أراد التجاوز علی إراده الأمه ورکوب الموجه وما کانوا یقرؤون به لیلًا ونهاراً، وعرفوه وتلقوه من فی رسول الله، وسرقه مشروعهم ثمّ کتابه القرآن من جدید وبمنهجیه خاصه، وهذا ما کان یعرفه الإمام علی بإخبار من رسول الله له، لأنّ رسول الله کان قد علّم الإمام ألف باب من علمه، وأخبره بأمور کثیره ومهمه فی الشریعه والحیاه، ومساله القرآن کانت من بینها، ومن أجل ذلک أقسم بالله أن لا یخرج من بیته حتّی یجمع القرآن، لعلمه بأنّ أیّ منهجیّه غیر ما أراده الله ورسوله ستدعو الناس إلی الزیاده والنقصان فی القرآن، وهذا ما لا یرتضیه الله ورسوله، وقد مر علیک کلام الإمام کما

۱- معجم القراءات القرآنیه ۱ : ۱۷ - ۱۸.

فی المصنف لعبد الرزاق: «فإنّی خشیت أن ینفلت القرآن» ([(۱)](#)) أو: «فکرهت أن یزاد فیه» ([(۲)](#)) أو: «رأیت کتاب الله یزاد فیه» ([(۳)](#)).

علماً بأنّ القوم لم یَدْعُوه للمشارکه فی هذا الجمع، ولم یشاوروه، ولم یُرُوه المجموع عندهم من الآیات والسور، وحتّی إنّهم لم یروه آیه من ذلک المصحف بالرغم من معرفتهم بمکانته عند رسول الله صلی الله علیه و آله وقربه منه صلی الله علیه و آله .

مع التأکید بأنّ المدوَّن علی عهد أبی بکر کان صُحُفاً ولم تصل إلی حدّ المصحف، وأنّ هناک فارقاً بین الجمعین، فعلی بن أبی طالب جمع القرآن بنفسه، أمّا أبو بکر فقد أوعز إلی زید بن ثابت فی الجمع وأشرف علی جمع القرآن ولم یباشره.

۲ - إنّ قولهما: «فلو کان هناک خلاف فی ترتیب أو تباین فی زیاده أو نقص لماسکت»، فهو کذلک صحیح من جهه وغیر صحیح من جهه اُخری.

فصحیح من جهه أنّ مصحف الإمام علیّ بن أبی طالب علیه السلام لم یخالفه مصحف أبی بکر ولا مصحف عمر ولا مصحف عثمان فی ماده القرآن وأصله ومتنه، لکن لا لجهه صحّه منهجیه أبی بکر فی جمع القرآن، بل لقرآنیه هذا القرآن عند المسلمین جمیعاً، ولترتیبه من قبل رسول الله، ولقراءته صلی الله علیه و آله والصحابه به، ولکون الإمام قد أمضی المشهور المتداول بین المسلمین.

أمّا الشیء غیر الصحیح فی کلام الاُستاذین فهو قبول الإمام علیّ علیه السلام بکل ما

۱- المصنف لعبد الرزاق ۵: ۴۵۰/ ح ۹۷۶۵.

۲- شواهد التنزیل ۱: ۳۶ / ح ۲۲.

۳- فضائل القرآن لابن الضریس: ۳۶/۲۲.

فعله أبو بكر وعمر وعثمان فى القرآن، ورِضاه بصحه ما رسموه من منهج فى طريقه جمع القرآن وفى غيره فهذا غير صحيح؛ لأنَّ المسلم أيـاً كان لا يرتضـى المنهجيّه الجديـده للخلفاء لأنّها تؤدّى إلى تزلزل القول بتواتر القرآن، مع اعتقاد الجميع بأنّ اختلاف ترتيب السور فى مصـاحف الصـحابه لا يخـدش بحجيه القرآن، ولا ضـروره لأن يبيـح الإمام برأيه فى ترتيب القرآن - لو اختلف ترتيب مصـحفه مع مصـحف عثمـان - كما وأنّ اختلاف ترتيب مصاحف أُبىّ وابن مسـعود وعلىّ بن أبى طالب عليه السـلام مع ترتيب مصاحف الخلفاء الثلاثه لا يؤثر على قرآنيه القرآن.

والأـهم من ذلك أنّنا نرى الإمام لم يكتف بجمع المصـحف المجرد؛ إذ أعقبه بجمعه القرآن مع تفسـيره وتأويله، لاعتقاده بعـدم انفكـاك كلاـم الرسول صـلى الله عليه و آله وكلام الوصـى عن القرآن المجيـد؛ فعلى مع القرآن والقرآن مع على، إذ لا يتصوّر معرفه مراد كلام الله إلّا بعد معرفه تفسيره من قبل رسول الله صلى الله عليه و آله ، فكان عليه أن يجمعهما معاً لتصل الحجّه كامله للناس.

وقد أشار الزرقانى الى شـيوع ظاهره التفسـير السياقى للقرآن عند الصحابه على عهد رسول الله، وأنّهم كانوا يكتبون ما ليس قرآناً فى مصاحفهم - دلاله على جوازه - كالذى كانوا يكتبونه شـرحاً لمعنى، أو بياناً لناسخ ومنسوخ، أو نحو ذلك ((۱)). وقد حكى الزرقانى عن صاحب الانتصار قوله:

إن كلام القنوت المروىّ أنّ أُبىّ بن كعب أثبته فى مصحفه لم تقم الحجّه

۱- مناهل العرفان: ۱۸۹ وانظر الانتصار للباقلانى ۱ : ۶۲.

بأنّه قرآن منزل، بل هو ضربٌ من الدعاء، وأنّه لو كان قرآناً لنقل إلينا نقل القرآن وحصل العلم بصحّته.

ثمّ قال: ويمكن أن يكون منه كلام كان قرآناً منزلاً ثمّ نُسخ وأُبيح الدعاء به وخُلط بما ليس بقرآن، ولم يصحّ ذلك عنه، إنّما روى عنه أنّه أثبته فى مصحفه، وقد أثبت فى مصحفه ما ليس بقرآن من دعاء أو تأويل ((۱)).

وهذا النص وما قبله يوضح بأنّ بعض الجُمل التى جاءت ضمن القرآن وعلى لسان الصحابه ليست قرآناً بل هى تفسير للقرآن، وكان ذلك شائعاً عند الصحابه، غير أنّ ما جمعه الإمام على مع تفسيره وتأويله هو الأكمل ما بين تلك المصاحف.

۳- وأمّا قولهما: «وما نسب إلى الإماميه من اتّهام كبار الصحابه كأبى بكر وعمر وعثمان بأنّهم حرّفوا القرآن أو أسقطوا منه أو زادوا عليه، فهو محض افتراء بعيد عن الحقّ، دفع إليه هوى النفس، ووسوسه الشيطان».

فنحن نقدّر ونشكر الأستاذين لقولهما كلام الحقّ، إذ قد وقفت فى تمهيد هذه الدراسه على كلام السيد الخوئى وجوابه عن دعوى وقوع التحريف من قبل أبى بكر وعمر وعثمان، فى القرآن، وأنّه كان «محض افتراء بعيد عن الحق دفع إليه هوى النفس ووسوسه الشيطان»، لكن ماذا نقول عما نشاهده فى المصادر السنّيه، وهى تنسب إلى

۱- مناهل العرفان ۱: ۱۹۵ المقصود من القنوت هو ما يسمى فى بعض الأخبار بسورتى الحفد والخلع واللتان كان يقرأ بهما رسول الله فى قنوت صلاته حسبما يقولون.

أبی بکر وعمر وعثمان أقوالاً ـ یُشَمُّ منها رائحه التحریف ((۱))، وتلک الروایات لم تأت من قبل الشیعه، بل ذکرت من قبل الجمهور وإن کانت غیر مقبوله عندهم، لدلالتها علی وجود الزیاده والنقصان فی القرآن.

فلا ندری کیف نفعل بنصوص وردت علی لسان ابن حزم الذی صحّح فیها ما روی عن أُبیّ بن کعب من کون سوره الأحزاب لتقارب البقره أو لهی أطول منها، ووجود آیه الرجم فیها.قال ابن حزم:

هذا إسناد صحیح کالشمس لا مغمز فیه. ثم قال: ولکنها ممّا نسخ لفظها وبقی حُکمُها ((۲)).

کما أنّه روی عن طریق حماد وعبد الرحمان، عن عروه، عن عائشه أنّها قالت: نزل القرآن (أن لا یحرم إلّا عشر رضعات)، ثم نزل بعد (وخمس معلومات). وفی لفظ عبد الرحمان: کان مما نزل من القرآن ثمّ سقط (لا یحرم من الرضاع إلّا عشر رضعات)، ثمّ نزل بعد (وخمس معلومات). قالت: فتوفّی رسول الله وهی ممّا یُقرأ من القرآن، قال ابن حزم:

وهذان الخبران فی غایه الصحه وجلاله الرواه وثقتهم، ولا یسع أحد الخروج عنهما ((۳)).

وقال فی موطن ثالث: وقد توهّم قوم أنّ سقوط آیه الرجم إنّما کان لغیر هذا،

۱- سنأتی ببعضها فی جمع القرآن علی عهد عمر بن الخطّاب إن اقتضی الأمر.

۲- المحلی ۱۱: ۲۳.

۳- المحلی ۱۰: ۱۴ و۱۶.

وظنّوا أنّها تلفت بغير نسخ، لما روى عن عائشه، قالت: لقد نزلت آيه الرجم والرضاعه فكانتا فى صحيفه تحت سريرى، فلمّا مات رسول الله صلى الله عليه و آله تشاغلنا بموته فدخل داجن فأكلها.

قال: وهذا حديث صحيح وليس على ما ظنّوا، لأنّ آيه الرجم إذا نزلت حُفظت وعُرفت وعَمل بها رسول الله صلى الله عليه و آله ، إلّا أنه لم يكتبها نسّاخ القرآن فى المصاحف ولا أثبتوا لفظها فى القرآن، وقد سأله عمر بن الخطّاب ذلك فلم يجبه، فصحّ نسخ لفظها وبقيت الصحيفه التى كتبت فيها كما قالت عائشه فأكلها الداجن ولا حاجه بأحد إليها.

قال: فصحّ أنّ الآيات التى ذهبت لو أُمر رسول الله صلى الله عليه و آله بتبليغها لبلّغها، ولو بلّغها لحفظت وما ضرّها موته عليه السلام ، كما لم يضرّ موته كلّ ما بلّغ فقط من القرآن. وإن كان عليه السلام لم يبلّغ أو بلّغه فأُنسيه هو والناس أو لم ينسوه لكن لم يأمر عليه السلام أن يكتب فى القرآن، فهو منسوخ بيقين من عند الله تعالى، لا يحلّ أن يضاف إلى القرآن ((١)).

فهذا الكلام من ابن حزم فى الآيات المُدّعاه، وخصوصاً قوله بأنها أخبار لا مغمزه فى إسنادها أو أنّ رواتها فى غايه الصحه والجلاله، لا تراه فى كتب الإماميّه، فقد قال السيد الخوئى عن أخبار التحريف الموجوده فى كتب الشيعه بأنّها:

ضعيفه السند، فإن جمله منها نقلت من كتاب أحمد بن محمد السيارى

١- المحلى ١١: ٢٣٥ - ٢٣٦.

الـذی اتفق علماء الرجال علی فساد مـذهبه، وانّ یقول بالتناسـخ، ومن علی بن أحمد الکوفی الذی ذکر علماء الرجال أنّه کذاب وانّه فاسد المذهب ((۱)).

وقال السـید البروجردی فی تقریرات بحثه: إنّ الروایات التی دلت علی وقوع التحریف قـد أخـذت من کتب لا اعتماد علیها، فإنّ أکثرهـا مـأخوذ من کتـاب أحمـد بن محمـد بن السـیار المعروف بالسـیاری، وهو منسوب إلی فساد المـذهب. فعن النجاشـی أنّه ضعیف الحـدیث فاسـد المـذهب، ذکر ذلـک الحسـین بن عبیـد الله مجفو الروایه کثیر المراسـیل انتهی. وعن ابن الغضـائری فی رجاله: أحمد بن محمّد بن سیار، یکنّی أبا عبد الله القمی المعروف بالسیاری ضعیف متهالک غال منحرف، استثنی شیوخ روایته من کتاب نوادر الحکمه، وحکی عن محمّد بن علی بن محبوب فی کتاب نوادر المصـنّف أنّه قال بالتناسخ. (انتهی). وقریب مما حکی عن النجاشـی مـا حکی عن العلّامه رحمه الله فی الخلاصه، فلا ریب فی ضـعفه. وکثیر من تلک الأخبار - أی الـداله علی التحریف - عن فرات بن إبراهیم الکوفی، وهو وإن لم ینسب إلی فسـاد المـذهب بـل فی رجـال المامقانی رحمه الله أنّه کان من مشایخ الشـیخ أبی الحسن علی بن بابویه، وقد أکثر الصدوق رحمه الله الروایه عنه لکنّه لم یرد توثیق له من علماء الرجال بالنسبه إلیه. وعده منها عن تفسیر العیاشی رحمه الله، وهو وإن کان من الإمامیه وکان ثقه، لکن أکثر الروایات المنقوله فی تفسیره مرسله فلا اعتبار بها. وعده منها لا ربط لها بالمقام،

۱- البیان : ۲۴۶ .

بل راجعه إلى كيفيه اختلاف القراءات. وعده منها مقطوع كذبها((۱)).

وقد قال غيره من علماء الإماميه – ممن سبقه أولحقه – بمثل الكلام السابق أيضاً.

نعم انّ الأخبار التى يستشم منها رائحه تحريف القرآن فى كتب الجمهور، لم ينحصر نقلها عن الشيخين فقط، بل هى منقوله عن أبى موسى الأشعرى وعائشه وغيرهم أيضاً. وإنّى لأرى غالب تلك الروايات إما تفسيريه أو أنها دخيله وأجنبيه عن تراثنا، والأخيره وردتنا من اليهودى والنصارى، وهذا ما كان يخاف منه رسول الله على أمته.

إنّ وجود تلك الروايات هى التى جرأت جون جيلكرايست للتعريض بالقرآن والقول: إنّ النص القرآنى ليس هو نفسه الذى صدر من محمد دون زياده أو نقصان، وعلى علماء المسلمين أن يعترفوا أنّه فُقد منه الكثير، إذ إنهم غالباً ما يلجؤون إلى القول ببساطه: إنّ هذه الروايات ضعيفه، وحينما نطبق عليها معايير الصحه التى تفرضها كتب الحديث والجرح والتعديل وعلم الرجال، نجدها مطابقه لتلك المعايير، كما أنّهم لا ينكرون صحتها؛ لكى لا يتحملوا النتائج المنطقيه التى تنتج عن هذا الإنكار ((۲)).

وكلام جيلكرايست باطل وقد يرد بعضه على بعض مبانى أهل السنه والجماعه حتّى أنّ كثيراً من علماء الجمهور لا يصححون تلك الروايات أو لهم وجه فى تفسيرها لم يقف عليه جيلكرايست وأمثاله، أما علماء الشيعه فيضعفونها أو يحملونها على أنّها تفسير للآيه وليست منه فالقول بأنّ: «النص القرآنى ليس هو نفسه الذى صدر من محمد دون زياده أو نقصان» باطل وغير واقعى.

۱- تقريرات فى أصول الفقه للشيخ على الاشتهاردى: ۲۵۷ – ۲۵۸.

۲- مجله المصباح العدد الخامس الصفحه : ۱۳۴.

أخبار التحريف فی کتب الفريقين

إنّ وجود روايه فی کتاب حديثیّ عند أحد الفريقين أو وجود ادعاءٍ لمحدّثٍ أو عالمٍ شيعی أو سنّی، لا يمکن تعميمه علی کلّ أتباع هذا المذهب أو ذاک، فلا يحقّ للشيعی أن يحمّل السنی ما قاله طه حسين فی (الأدب الجاهلی) عن القرآن، أو ما کتبه ابن الخطيب المصری محمّد عبد اللطيف فی سنه ۱۹۴۸ ه- فی کتابه (الفرقان).

وکذا العکس، فلا يمکن الهجوم علی الشيعه لأقوال السيّد نعمه الله الجزائری فی (الأنوار النعمانيّه) أو کتبه الأخری، أو ما جاء عن المحدّث النوری فی (فصل الخطاب).

فأخبار التحريف إذا کانت موجوده فی کتب الفريقين، فلا يؤخذ بها، فلماذا هذا التهريج من أحدهم علی الآخر، وإعطاء المبرر للأجنبی لاستغلال مقوله تحريف القرآن عند المسلمين.

فإن ما حکوه من وجود روايات فی تحريف القرآن عند الشيعه تری ما يشابهها عند الجمهور وهی ضعيفه وشاذه عند الفريقين حسبما أثبته التحقيق العلمی - وإن سميت عند بعضهم بنسخ التلاوه دون الحکم - وأشباه ذلک.

وأنّ مجیء روايات داله علی الزياده والنقيصه فی القرآن - علی لسان هذا الصحابی أو ذاک، وهذا التابعی أو ذاک - هی متروکه عندهم کما هی متروکه عندنا، ولا يجوز الاکتفاء بالقول بأنّها نسخ للتلاوته دون الحکم وما شابه ذلک، بل يجب إخراجها من دائره الآيات والسور القرآنيه إلی دائره الحديث النبوی والتفسير.

ومن هنا نعرف سرّ تخوّف الإمام علیّ عليه السلام ممّا سيؤول إليه أمر الأمه لو ترک جمع

القرآن مباشرةً بعد وفاه رسول الله صلى الله علیه و آله ، فقال: (رأیت کتاب الله یزاد فیه) أو (خشیت أن ینفلت القرآن)، و(لکی لاـ یزید الشیطان فیه)، بعکس منهجیه الخلفاء التی کادت أن توقع الأمه فی التحریف وتؤدّی بهم إلی (الزیاده والنقیصه) و(أن ینفلت القرآن)، وهذا هو سر ما کان یتخوف منه رسول الله علی أمّته، وقد أخبر صلی الله علیه و آله أصحابه بأنّهم سیتّبعون سنّه بنی إسرائیل حذو القذه بالقذه والنعل بالنعل، وهذا ما ألزمه صلی الله علیه و آله أن یوصی الإمام علیّاً بالاسراع فی الجمع بعد وفاته مباشره، وقد فعل.

ومن اللافت فی هذا المجال إصرار عمر - فی خلافته - علی کون آیه رجم الشیخ والشیخه وسورتی الحفد والخلع من القرآن خلافاً لجمیع المسلمین، وأنّه کان یرید إضافتها إلی القرآن مع خوفه من الناس أن یقولوا: زاد عمر فی القرآن!

فلاحظ قول أمیر المؤمنین: (کی لا یزید الشیطان فیه ولا ینقص منه شیئاً)، وقول عمر: (لو لا أن یقول الناس زاد عمر فی القرآن ...) ((۱)) وارتباط أحدهما بالآخر.

ومثله تجویزه - أو تجویز أتباعه - قراءه القرآن بالمعنی أو بالمترادف شریطه أن لا تتغیر آیه رحمه إلی آیه عذاب، بدعوی أنّ القرآن جاء من باب هلم وتعال وقصد وإلیّ، فإن طرح مثل هذه الأفکار تسیء إلی حجیه القرآن قطعاً، لذلک کان رسول الله والإمام علی یعرفان ذلک ویخشیان من وقوع أمته فی هذا المنزلق، ولأجله ألزمهم الحیطه والحذر.

فلو صحّت تلک الأخبار المنقوله علی لسان عمر عن رسول الله صلی الله علیه و آله : «بأنّ القرآن

۱- أنظر: سنن أبی داوود ۴: ۱۴۴ / ۴۴۱۸، مسند أحمد ۱: ۲۳ / ۱۵۶.

ألف ألف حرف وسبعه وعشريْنَ ألف حرف» ((۱)).

وقول عمر: «فقدنا فيما فقدنا من كتاب الله» ((۲)).

أو «أُسقط فيما أُسقط من القرآن» ((۳))، أو عندما تكلم عن آيه الرجم، فقال: «ذهبت فى قرآن كثير ذهب مع محمّد» ((۴)).

أو قوله: «لا يقولنّ أحدكم قد أخذت القرآن كلّه، وما يدريك ما كلّه، قد ذهب منه قرآن كثير» ((۵)).

أو قوله لحذيفه: «كم تعدّون سوره الأحزاب؟ قلت: [والكلام لحذَيفهِ]: اثنتين أوثلاثاً وسبعين ... ((۶)) وأمثالها.

فإنّ هـذه الأخبار لو صـحّت لكان معناها عند المستشـرق وجود التحريف فى القرآن على لسان بعض الصـحابه وفى كتب القوم، فلا مبرّر بعد هذا لاتّهام الشيعه بأنّهم نسبوا التحريف إلى الخلفاء. وهذا كلام الأستاذين الدكتورين يفهمه كلّ انسان

۱- المعجم الأوسط ۶: ۳۶۱/ ح ۶۶۱۶، الدرّ المنثور ۸/۶۹۹، ومجمع الزوائد ۷: ۱۶۳ عن الأوسط للطبرانى.

۲- انظر كنز العمّال ۶: ۸۶/ ح ۱۵۳۷۲، عن التمهيد لابن عبدالبرّ ۴: ۲۷۶.

۳- كنزل العمّال ۲: ۲۴۰/ ح ۴۷۴۱، عن أبى عبيد فى فضائله، وانظر معتصر المختصر ۲:۸۰.

۴- مصنّف عبدالرزّاق ۷: ۳۳۰/ ح ۱۳۳۶۴، وعنه فى الدرّ المنثور ۶:۵۵۸.

۵- فضائل القرآن لأبى عبيد: ۳۱۸، عن ابن عمر.

۶- كنز العمّال ۲: ۲۰۳/ ح ۴۵۵۰، وروى أيضـاً قريبـا منه، عن زر قال سألت أُبيّ بن كعب عن آيه الرجم... الـخ، انظر الأحاديث المختاره ۳: ۳۷۰/ ح ۱۱۶۴، وقال: إسناده صحيح.

وخصوصاً المحقق والعالم بالتراث والنصوص فلا يمكن إلقاء اللّوم فيه على الشيعه.

سقوط روايات التحريف عن الاعتبار عند الفريقين

وعليه فإنّ روايات التحريف غير مقبوله عند الفريقين وساقطه عن الاعتبار لا يؤخذ بها؛ «لأنّ الآيات والسور المدّعاه لا يشبه نظمها النظم القرآنى بوجه، ومع غضّ النظر عن جميع ذلك فإنّها مخالفه للكتاب العزيز» ((١))، وإنّها لو صحّت فمعنى أن حروف القرآن سبعه وعشرين ألف حرف - كما جاء على لسان عمر وغيره - هو مع تفسيرها وبيانها النازل فيها من قبل رب العالمين، فهو وإن كان وحياً نازلاً من عند الله لكنّه ليس بقرآن، ولو كان قرآناً لكان مقروناً به وموصولاً إليه غير مفصول عنه، فالإمام على لما جاءهم بالمصحف المجرد قال: هذا كتاب ربّكم كما أُنزل على نبيكم لم يزد فيه حرف ولا ينقص منه حرف وأنّ زيادات فى مصحفه فهى وحى منزل إلّا أنّه ليس بقرآن فهو من قبيل الأحاديث القدسيه وقد صرّح الصدوق بذلك فقال: انّه قد نزل الوحى الذى ليس بقرآن ما لو جمع إلى القرآن لكان مبلغه مقدار سبعه عشر ألف آيه وذلك مثل قول جبرئيل النبى إنّ الله يقول لك يا محمّد دار خلقى، إلى أن يقول: ومثل هذا كلّه وحى وليس بقرآن ولو كان قرآناً لكان مقروناً ((٢))... إلى آخر كلامه.

وعليه فهذا هو معنى إننا فقدنا من تفسير كتاب الله الكثير، وهو معنى: (ذهب من قرآن محمد كثير) وأمثال ذلك.

١- تفسير الميزان ١٢: ١١٢.

٢- الاعتقادات : ٨٥.

وقد أجاب العلّامه الطباطبائی فی (تفسیر المیزان) عن بعض شبهات التحریف فقال دفاعاً عن القرآن:

وخلاصه الحجّه أنّ القرآن أنزله الله علی نبیّه ووصفه فی آیاتٍ کثیره بأوصافٍ خاصّه لو کان تغیّر فی شیءٍ من هذه الأوصاف بزیاده أو نقیصه أو تغیّر فی اللفظ أو ترتیبٍ مؤثر، فقدَ آثارَ تلک الصفه قطعاً، لکنّا نجد القرآن الذی بأیدینا واجداً لآثار تلک الصفات المعدوده علی أتمّ ما یمکن وأحسن ما یکون، فلم یقع فیه تحریف یسلبه شیئاً من صفاته، فالذی بأیدینا منه هو القرآن المنزَل علی النبیّ بعینه، فلو فُرض سقوط شیءٍ منه أو تغیّرٍ فی إعرابٍ أو حرفٍ أو ترتیب، وجب أن یکون فی أمرٍ لا یؤثّر فی شیء من أوصافه، وذلک کآیه مکرّره ساقطه أو اختلاف فی نقطه أو إعراب ونحوها ((۱)).

إن أهل السنه فسّروا تلک الأخبار وأوّلوها بما یتطابق مع عقیدتهم فی القرآن، وهذا ما فعله الشیعیّ أیضاً مع الأخبار الموجوده فی کتبه عن تحریف القرآن، لکنّ العجب أنّ بعض المغرضین قبلوا ما علّله أهل السنه، ونفوا ما قالته الشیعه فی القرآن!

وبهذا فقد عرفت بأنّ روایات التحریف ساقطه عن الاعتبار عند الفریقین، فلماذا هذا التضخیم والتعظیم لها، وهجوم البعض علی البعض الآخر من خلالها، إنّ ذلک مما یفرح العدوّ ویحزن الصدیق.

۱- تفسیر المیزان ۱۲: ۱۰۷.

وعليه فإن وجود أمثال تلك الأخبار فى المعاجم الحديثيه لا يعنى شيئاً عند الطرفين؛ لأَنَّ وجودها فى المصنفات والمجاميع الحديثيه شيء، وصحتّها والإيمان بها وقبولها شيء آخر.

وإنّى لا أنكر بأنّ الشيعى قد يأتى بالأخبار المشعره بالزياده والنقصان فى كتب أهل السنّه دفاعاً عن نفسه وعمّا يُتّهم به من القول بالتحريف، لكنّه يقولها إلزاماً للآخرين لا اعتقاداً منه بصحّتها، يقولها رداً على الآخرين وأنّ الموجود فى كتبهم ليس بأقلّ ممّا فى كتب الشيعه؛ على أنّ تلك الأخبار قد خُرّجت عندهم فى الصحاح السته وأمّهات الكتب الحديثيه، فهى موجوده فى مثل صحيح البخارى، وصحيح مسلم، وموطّأ مالك، وسنن الترمذى، ومسند أحمد و...

بخلاف الأخبار المشعره بالتحريف فى كتب الشيعه، فإنّ غالبها جاءت فى كتب ضعيفه أمثال كتاب التنزيل والتحريف للسيّارى الزنديق، الزائغ عن المذهب والعقيده الصحيحه.

أو هى مرويه عن رجال ضعفاء لا يعتمد قولهم، أو عن رجال متهمين بالغلو ((۱)).

أو قد يتصور الإنسان – لأول وهله – بأنّ تلك الروايه داله على التحريف فى حين أنّها لا تدل على ذلك إذ ما تأمل فيها المتأمّل، فهى مما يمكن أن تُفسّر وتُأَوَل بصوره لا

۱- انظر أوائل المقالات: ۱۵۹، مجمع البيان ۱: ۱۰.

تخدش بحجيّه القرآن الكريم ((۱)).

ولا يخفى على الباحث بأنّ مكانه الكافى وتفسير القمى ليست كمكانه الكتب السته عند الجمهور؛ لأنّ الشيعه لا تعتقد بصحّه جميع ما فى الكافى أو تفسير القمّى وأمثالها، بعكس الآخرين الذين يعتقدون بصحّه جميع ما فى الصحاح الستّه، التى قالوا عن بعضها بأنّها قد انتقيت من بين ستمائه ألف ((۲)) أو ثلاثمائه ألف ((۳)) حديث صحيح عندهم، أو أنّ من روى له الشيخان فقد جاوز القنطره((۴)) وأمثال ذلک.

والأعجب من كلّ ذلک أنّهم قالوا بهذا الكلام فى مجاميعهم الحديثيه وهم لا يعتقدون بصحّه أحاديث العَرض؛ بل يرونها من وضع الزنادقه ((۵))، فى حين أنّ عرض الحديث على القرآن - وخصوصاً عند اختلاف النقل عن رسول الله - يأتى لإحراز نقاء الخبر وصفائه، وهذا ما يقول به الشرع فضلاً عن العقل.

۱- سنناقش تلک الروايات فى القسم الثانى من هذه الدراسه إن وفقنا فى الكتابه عنها إن شاء الله تعالى.

۲- تغليق التعليق ۵: ۴۲۱، قال البخارى: صنّفت الصحيح فى ستّ عشره سنه وخرّجته من ستمائه ألف وجعلته حجّه فيما بينى وبين الله.

۳- تاريخ بغداد ۱۳: ۱۰۱ / الترجمه ۷۰۸۹، عن مسلم بن الحجّاج، قال: صنّفت هذا المسند الصحيح من ثلاثمائه ألف حديث مسموعه.

۴- طبقات الحنفيه ۱ : ۴۲۸ .

۵- الفوائد المجموعه فى الأحاديث الموضوعه، للشوكانى: ۲۹۱/۷۰، قال الخطابى: وضعته الزنادقه، الموافقات للشاطبى ۴ : ۱۸، قال عبد الرحمن بن مهدى : الزنادقه والخوارج وضعوا ذلک الحديث.

فكثير من أهل السنه يعتقدون بصحه الأحاديث الموجوده فى الصحاح والسنن مع اعتقادهم بأنّ السنّه المدّعاه فى تلك الكتب قاضيهٌ على الكتاب العزيز، ومعنى كلامهم هو لزوم الأخذ بروايات التحريف الموجوده فى المعاجم بلا قيد وشرط؛ لورودها فى كتب الصحاح والسنن، مع علمهم القطعى بمنافاه بعض تلك الأخبار لقوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) وقوله تعالى: (لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ).

وهذا الكلام يفهمه من له أدنى بصيره وعلم بالتراث والقرآن، وقد مر عليك قبل قليل كلام جون جيلكرايست وكيفيه محاكمته لمن ردّه، فقال: (إنّ النصّ الحالى للقرآن ليس هو نفسه الذى صدر من محمد دون زياده أو نقصان، وعلى علماء المسلمين أن يعترفوا أنه فقد منه الكثير...).

إنّ جيلكرايست حصر النتيجه بأمرين: إمّا القول بتحريف القرآن، أو إنكار روايات الكتب المعتمده عند المسلمين السنه والتى يسمونها بالصحاح، وأخيراً نخلص الى أنّ جيلكرايست استند على أسس وضعتها بين يديه كتب المسلمين - ومبانيهم - التى حوت الغثّ والسمين من الروايات التى لا يمكنهم أن يطعنوا بصحتها لنسبتها للصحابه ولانتقاءها من ثلثمائه أو ستمائه ألف حديث صحيح كما يقولون، ومن جانب آخر ليس لديهم أدلّه تدحض ما يأتى به هذا المستشرق من أدلّه ومن نتائج تَوَصّل إليها ((۱)).

۱- مجله المصباح العدد الخامس الصفحه : ۱۳۷.

إذن، تلك المقدّمات والأسس الخاطئه هی التی ألزمتهم للأخذ بتلك الأخبار؛ لأنّها - حسب فرضهم - صارت سنّه ثابته صحیحه مرویه فی الصحاح الموثوقه، وهی قاضیه علی القرآن حسب مقدِّماتهم، وهو ما نشاهده فی كلام ابن حزم - وهو أوّل من اتّهم الشیعه بتحریف القرآن - وقوله عمّا روی عن أُبیّ بن كعب بأنّ إسناده صحیح كالشمس لا مغمز فیه ((۱)).

وقال فیما روی عن عائشه: وهذان الخبران فی غایه الصحّه وجلاله الرواه وثقتهم، ولا یسع أحد الخروج عنهما ((۲)).

كما قال فی مكان آخر عن الروایه السابقه: وهذا حدیثٌ صحیح، ولیس علی ما ظنّوا ... ((۳)).

وقد استحسنتُ كلاماً للسیّد مرتضی العسكری وهو بصدد تخطئه ما قاله أهل السنّه بأنّ الموجود فی كتبهم هو نسخ التلاوه، فقال:

... فإن لم یقبل العلماء ما قلناه وأصرّوا علی القول بنسخ التلاوه، فلیسمّوا إذاً كتاب المحدّث النوری: (فصل الخطاب فی بیان منسوخ التلاوه من كتاب ربّ الأرباب)، ولا مشاحّه فی التسمیه والاصطلاح.

ولست أُرید بقولی هذا أن أُصوّب عمل صاحب (فصل الخطاب) ولا قوله، ولكنّی أقول: قد أخطأ مِن قبله مَن قال: إنّ الله كان أنزل قرآناً

۱- المحلّی ۱۱: ۲۳۵.
۲- المحلّی ۱۰: ۱۵.
۳- المحلّی ۱۱: ۲۳۶.

علی نبیّه ثمّ نسخ تلاوته وحکمه أو تلاوته دون حکمه، ثمّ أصرّ علی قوله.

وأخطأ بعدهم من استدلّ علی مدّعاه بتلکم الاجتهادات وتلکم الروایات.

وأخطأ المحدّث النوری حین جمعها فی کتاب ولم یبیّن وجه الصواب فیها، وأخطأ ثانیاً حین سمّاها (تحریف کتاب ربّ الأرباب) - معاذ الله - ((۱)).

إذن فالاعتقاد بکون السنّه قاضیه علی الکتاب، مع الاعتقاد بصحه جمیع ما فی الصحاح وإن خالف القرآن الکریم، یسبّب إشکالیه کبری فی طریقه استدلالهم ((۲))، وهذا ما لا یلحظ فی کتب الشیعه وطریقه استدلالهم.

وعلیه فلو روی الکلینی حدیثاً یُشَمُّ منه رائحه التحریف فلا یجوز اتّهامه ونسبه التحریف إلیه - فضلًا عن نسبه التحریف من خلال تلک الروایه الی کل الشیعه - لأنّه محدِّث، وعلیه أن ینقل ما أخذه عن شیخه، ویترک أمر جرحه وتعدیله إلی الرجالیّین، فإنّ نقل المحدّث للحدیث لا یعنی صحّه ذلک الحدیث عنده أو إیمانه به، إلّا إذا صرّح هو بصحّته.

۱- القرآن الکریم وروایات المدرستین ۲: ۳۴۷.

۲- وهو المشاهد فی استدلالهم علی صحه غسل الأقدام فی الوضوء من خلال ما ادّعوه من السنه المدعاه، فقالوا : (بأن القرآن نزل بالمسح لکن السنه جرت بالغسل)، إنّها الازدواجیه حقّاً، إذ کیف یخالف رسول الله ما نزل به الوحی!!

وعليه فلا يجوز تكفير أىّ محدّث لأنّه خالف أمراً مجمعاً عليه عند الأمه، خصوصاً مع تصريح ذلك المحدِّث بأن ليس كلّ ما فى كتابه صحيحاً عنده، وهو ليس ممّا يعتقده ويؤمن به. بل فى كلمات علماء مدرسه الخلافه ما يدلّ على أنّ من أنكر سوره أو آيه من القرآن باجتهاد منه لا يكفر.

قال ابن نجيم الحنفى فى البحر الرائق عن البسمله وهل أنّها من الفاتحه ومن كل سوره أم لا، ونسب إلى الشافعى إجماعهم على كتابتها مع الأمر بتجريد المصحف، وقد تواترت فيه وهو دليل تواتر كونها قرآناً وبه اندفعت الشبهه للاختلاف وإنّما لم يحكم بكفر منكرها لأن إنكار القطعى لا يوجب الكفر إلا إذا لم يثبت فيه شبهه قويه، فإن ثبتت فلا كما فى البسمله ((۱)).

وقال أيضاً: ويكفّر إذا أنكر آيه من القرآن أو سخر بآيه منه إلّا المعوذتين ففى إنكارهما اختلاف والصحيح كفره وقيل لا ، وقيل إن كان عامياً يكفّر وإن كان عالماً لا((۲)).

وقال الباقلانى: فإن قيل: إذا قلتم إنّها - البسمله - ليست بقرآن هل تكفّرون من قال: إنّها قرآناً، كما تكفّرون من جعل: قفا نبك قرآناً؟ قيل: هذا يلزم على قول من يكفر من قال إنّها ليست منه، وهذا ليس بصحيح ولا مرضى، بل كلّ من أثبتها آيه من القرآن مخطئ ذاهب عن الحق ولم يجب تكفيره، لأنّ النبى صلى الله عليه [وآله] وسلم

۱- البحر الرائق ۱ : ۳۳۰ - ۳۳۱.

۲- البحر الرائق ۵ : ۱۳۱.

أمر بكتابتها فی فواتح السور، وجهر بها تاره، فوجب تخطئته لأجل ترکه تأمل حال عادته صلی الله علیه [وآله] وسلم فی إلقاء القرآن، وأنّه یلقیه إلقاء شائعاً ذائعاً فکان مخطئاً فی هذا الوجه متأولاً ضرباً من التأویل لا یصیّره بمثابه من ألحق بالقرآن ما علم ضروره من أنّ الرسول صلی الله علیه [وآله] وسلم قال قولاً ظاهراً إنّها لیست من القرآن وأشاع ذلک إشاعه تکفّر من ردّها((۱)).

وقال العلّامه محی الدین النووی فی المجموع: وأجمعت الأمه علی أنّه لا یکفر من أثبتها - البسمله - ولا من من نفاها؛ لاختلاف العلماء فیها، بخلاف ما لو نفی حرفاً مجمعاً علیه أو أثبت ما لم یقل به أحد، فإنّه یکفر بالإجماع((۲)).

وفی السنن الکبری للبیهقی: کما لم یخرج من أنکر إثبات المعوذتین فی المصاحف کسائر السور من المله لما ذهب إلیه من الشبهه، وإن کانت عند غیره خطأ ((۳)).

وأفصح من کلّ ذلک ما قاله ابن تیمیه: وأیضاً فإنّ السلف أخطأ کثیر منهم فی کثیر من هذه المسائل، واتفقوا علی عدم التکفیر بذلک، مثل ما أنکر بعض الصحابه أن یکون المیت یسمع نداء الحی، وأنکر بعضهم أن یکون المعراج یقظه، وأنکر بعضهم رؤیه محمد ربه ولبعضهم فی الخلافه والتفضیل کلام معروف، وکذلک لبعضهم فی قتال بعض ولعن بعض وإطلاق تکفیر بعض أقوال معروفه.

۱- نکت الانتصار لنقل القرآن: ۷۹.

۲- المجموع ۳ : ۲۸۱، إعانه الطالبین ۱ : ۱۳۹، عون المعبود ۲ : ۳۵۳، نیل الأوطار للشوکانی ۲ : ۲۰۸ ط الحلبی الثانیه.

۳- السنن الکبری للبیهقی ۱۰ : ۲۰۷ ح ۲۰۶۸۸.

وكان القاضى شريح يذكر قراءه من قرأ (بل عجبتَ) ويقول: إنّ الله لا يعجب، فبلغ ذلك إبراهيم النخعى فقال: إنّما شريح شاعر يعجبه علمه، وكان عبد الله أفقه منه، فكان يقول: (بل عجبتُ) فهذا قد أنكر قراءه ثابته، وأنكر صفه دلّ عليها الكتاب والسنّه، واتفقت الأمه على أنّه إمام من الأئمه.

وكذلك بعض السلف أنكر بعضهم حروف القرآن، من إنكار بعضهم قوله: (أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُواْ)(۱) . وقال: إنّما هى (أولم يتبيّن الذين آمنوا).

وأنكر الآخر قراءه قوله: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ)(۲) وقال: إنّما هى: (ووصى ربك) وبعضهم كان حذف المعوذتين، آخر يكتب سوره القنوت.

وهذا خطأ معلوم بالإجماع والنقل المتواتر، ومع هذا فلم يكن قد تواتر النقل عندهم بذلك لم يكفروا، وإن كان يكفر بذلك من قامت عليه الحجه بالنقل المتواتر(۳).

وعليه فتكفير المسلم ليس بالشىء الهين.

وأختم كلامى بما جاء فى منشور وحدوى نشر فى مجله (رساله الإسلام) المطبوعه فى القاهره عن دار التقريب، وفيه:

بأنّ أكبر دليل على اتّفاق المسلمين بشأن وحده النصّ القرآنى، هو وحده المصاحف الموجوده فى جميع أرجاء العالم الإسلامى، ولا يوجد

۱- الرعد: ۳۱.

۲- الإسراء : ۲۳.

۳- مجموع فتاوى ابن تيميه ۱۲ : ۴۹۲ مطابع الرياض ط الأولى ۱۳۸۲ ه-.

مصحف واحد فیه أدنی اختلاف عن المصحف الآخر حتّی فی الحروف. اللّهمّ إلّا ما کان من اختلاف القراءات، وهو اختلاف یرتبط غالبا باللّهجات، أو بطبیعه رسم المفرده العربیه آنذاک بلا نقط ولا شکل، فالقرآن شیء والقراءات شیء آخر.

الدکتور شاهین ومصحف الإمام علیّ علیه السلام :

تعرّض الدکتور شاهین - کالاستاذین الآنفین فی (معجم القراءات) - إلی موضوع مصحف الإمام علیّ علیه السلام مؤکّدا بأنّ أربع قراءات من القراءات السبعه تنتهی إلی الإمام علیه السلام ، هم:

۱- أبو عمرو بن العلاء (ت ۱۵۴ ه-) عن نصر بن عاصم ویحیی بن یعمر (ت ۹۰ ه-)، وهما قرءا علی أبی الأسود الدؤلی (ت ۶۹ ه-)، وهو قرأ علی أمیر المؤمنین علیّ بن أبی طالب.

۲ - عاصم بن أبی النجود (ت ۱۲۷ ه-)، عن أبی عبد الرحمان السلمی (اختلف فی وفاته بین ۷۲ - ۱۰۵ ه-) ((۱))، وهو قرأ مباشره علی علیّ، وقراءه عاصم من طریق حفص بن سلیمان بن المغیره هی الشائعه الآن فی أکثر بلاد المشرق.

۳ - حمزه الزیّات، عن جعفر الصادق، وهو قرأ علی محمّد الباقر، وهو

۱- أُنظر تهذیب الکمال ۱۴ : ۴۰۸ ح ۳۲۲۲، وطبقات الحفاظ : ۲۷ / ۴۱.

قرأ على علىّ بن الحسين زين العابدين، وهو قرأ على أبيه الحسين بن علىّ، الذى قرأ على أبيه علىّ بن أبى طالب.

۴ – الكسائى (ت ۱۸۹ ه–)، وقد قرأ على حمزه بسنده المتقدّم.

ثمّ قال: «وربّما كان سند قراءه حمزه هو أهمّ ما يَلْفِتُ النّظر فى هذه الأسانيد، وذلك أنّه ينتظم سلسله الرُّواه الأئمّه الطّاهرين من آل البيت، بحيث [نستطيع فى ضوء ذلك أيضا] أن نطمئنّ إلى أنّ هؤلاء الأبرار من آل البيت عليهم السلام لم يخرجوا على إجماع المسلمين على المُصْحَف الإمام ((۱)) وآيه رضاهم به إقراؤهم النّاس بمحتواه، دون زيادهٍ أو نقصٍ، أو ادّعاءٍ يمسّ كمال هذا الأثر الخالد من وحى السّماء».

وأضاف: «وقد وجدنا الإمام عليّا حريصا كلّ الحرص على سلامه النّصّ القرآنىّ على ما هو عليه فى رسم عُثمان، زاجرا كلّ من يريد المساس بهذا الرّسم، وذلك فيما ذكره ابن خالويه بصدد قراءته عليه السلام : (وطلع منضود) بالعين بدل الحاء الّتى جاءت بها القراءه العامّه (وَطَلْحٍ مَنضُودٍ). قال: قرأها علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه على المنبر، فقيل له: أفلا تغيّره فى المصحف؟ قال: ما ينبغى للقرآن أن يهاج، أى لا يغيّر.

فأىّ حرص أعظم من هذا الحرص على أن يظلّ رسم المصحف كما هو، دون أن يمسّه أدنى تغيير، ولو بقلب العين حاء، أو الحاء عينا، فليس المهمّ فى نظر علىّ عليه السلام أن يتمّ التغيير على حسب قراءته، ولكنَّ المهمّ إلّا يسنّ للنّاس هذه السنّه الّتى تعدّ سابقه خطيره، تشجّعهم فيما بعد على إحداث ما يرون ضرورته من تعديلات، قد تحكمها

۱– هذا اصطلاح خاص بمصحف عثمان الّذى كان يقرا فيه.

الأهواء وتوحی بها، فیتعرّض النصّ المُنَزّل بـذلک لأخطار التحریف والتزییف، ولیس علیّ بالذی تفوته هذه النقطه الخطیره، فإنّ من سنّ سنّه سیّئه تحمّل وزرها ووزر من عمل بها إلی یوم القیامه. ولقد أثابه الله علی هذه السنّه الحسنه، حین منعهم من إحداث التعدیل، فصان کتاب الله إلی یوم القیامه.

وقد کان أمر الحدیث عمّا نسب فی التّاریخ إلی علیّ - من أنّ له مُصْحَفا - أمرا هَیِّنا لا یکاد یبلغ بنا ما بلغه الحدیث عن مُصْحَف ابن مسعود أو أُبیّ، لولا أنّ اعتبارات سیاسیّه وتاریخیّه قد ارتبطت بالحدیث عنه، وزاد الغُلاه من الوضّاعین المشکله اشتعالاً بما ألصقوه بهذا المُصْحَف من روایات، وما حاکوا حوله من أقاصیص، افترق النّاس فی أمرها، ولیس الافتراق فی مثل هذه المواضع بالأمر الهیّن: إذ هو متّصل بمزالق عقدیّه خطره - إلی أن قال شاهین -:

من أجل هذا، نری لزاما علینا أن نتناول قضیّه مُصْحَف علیّ بشیءٍ من التّفصیل من وجهه نظر بعض طوائف الشّیعه، وذلک بعدما عرفنا موقفه من المصْحَف الإمام بأسانید ثابته ثبوتا قطعیّا... ((١))

إلی أن قال تحت عنوان (عوده إلی الحدیث عن مصحف علیّ):

فإذا علمنا أنّ علیّا لم ترد عنه أیّه روایه من هذا الّذی تقدّم، أدرکنا أنّ مُصْحَفه الّذی ارتضاه لم یکن سوی هذا المُصْحَف الإمام الّذی لو لم یقم به عُثمان لقام به

١- تاریخ القرآن: ١٩٠ - ١٩١.

هو (۱)، وليس بين أيدينا بعد ذلك مرويّا عن عليّ سوى مجموعه من القراءات الشاذه الّتى تُنْسب إلى الاختلاف اللّهجىّ أحيانا، وتعزى إلى الزّياده البيانيّه أحيانا أُخرى، وهو بهذا لا يختلف مطلقا عمّا روى عن عبد الله بن مسعود من هذا النوع، أو عن أبىّ بن كعب وابن عبّاس إلّا فى طابع المفرده المرويه أو بعباره أصحّ: فى طبيعه الحروف الخاصّه بعلىّ بن أبى طالب، من حيث هو متمثّل لبيئه معيّنه تضع بصماتها على مفرداتها، وقارئ ذو نظر ورأى فى البيان القرآنى، يُضمِّن قراءته وتفسيراته بعض آرائه (۲)، شأن بقيه صحابه رسول الله صلى الله عليه و آله ممّن أُثِرَتْ عنهم هذه المصاحف والقراءات» (۳).

ثمّ أخذ الدكتور شاهين يعدد بعض القراءات المنسوبه إلى أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب، فقال:

«قرأ عليّ: (فمن خاف من موص حيفا) بالحاء والياء، بدلاً من «جنفا» فى القراءه العامّه.

وقرأ: (يحرّفون الكلام)، والقراءه العامّه: «الكلم» دون ألف.

وقرأ: (أن يكون عُبَيدا للّه) على التصغير، والعامّه: «عَبْدَا لله».

۱- الصحيح أنّ أمير المؤمنين هو الذى كتب المصحف، وتواتر نقله، وأنّ عثمان لم يكن إلّا مخطئاً فى نهج الجمع أو توحيد المصاحف، وأنّ مصحف عثمان حسبما قاله كان فيه لحن بخلاف مصحف الإمام على الذى لا دلاله على وجود اللحن فيه.

۲- تقدّمت الإشاره إلى أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يدوّن آراءه الشخصيه وإنما دوّن العلوم التى أخدها عن رسول الله صلى الله عليه و آله .

۳- تاريخ القرآن: ۲۰۰.

وقرأ: (يوم حصده) بغير ألف، والعامّه: «يوم حصاده».

وقرأ: (ورياشا) بالألف، والعامّه: «وريشا».

وقرأ: (وإن يروا سبيل الرشاد) بألف، والعامّه: «الرشد».

وقرأ: (وعلى الثلاثه الذين خالفوا)، والعامّه: «خلّفوا».

وقرأ عليّ وجماعه كثيره: (قد شعفها) بالعين المهمله، والعامّه: «شغفها»بالمعجمه.

وقرأ: (أفلم يتبيّن الذين آمنوا)، والعامّه: «أفلم ييئس».

وقرأ: (لنثوينّهم) بالثاء، والعامّه هى: «لنبوّئنّهم».

وقرأ: (ثمّ ننحى الذين اتّقوا) بحاء مهمله، والعامّه: «ننجى» بالجيم.

وقرأ: (يا ويلنا مِنْ بَعْثنا)، والعامّه: «مَنْ بَعَثَنا» على الاستفهام.

وقرأ: (جِيلًا) بالياء، والعامّه: «جِبِلًّا» بالباء.

وهذه النماذج الّتى سقناها تعبّر تعبيراً صادقاً عن الطابع الّذى يَسِمُ كلّ ما روى عن عليّ تقريبا، فليس فى قراءاته زيادات فى النصوص، غير ما لاحظناه من أنّه قرأ كما قرأ ابن مسعود وابن عبّاس وأبيّ بن كعب: (وكان أمامهم ملك يأخذ كلّ سفينه صالحه غصبا)، والقراءه العامّه هى: «وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبا». فهذا الفرق تفسيريٌّ محض، ولا يعدّ طبقا لما أُثِرَ عن عليّ وسائر الصحابه من إقرائهم بالمصحف الإمام، سوى بيان للمراد من الآيه فحسب.

أمّا بقيه رواياته فهى من ذلك النوع الموافق للرسم دائما، مهما توهّم القارئ وجها للمخالفه، فالروايات الّتى تختلف عن القراءه العامّه بإشباع الألف أو قصرها هى قراءات موافقه للرسم تماما؛ لأنّ الإملاء العثمانى قد جرى على عدم رسم الألف فى أكثر المواضع، وبذلك تحتمل الكلمه كلا النطقين، ومن ذلك مثلًا: (ملك يوم الدين)

الّتى نقرؤها بالألـف الممـدوده على صوره (مالـك)، وهى فى قراءه أبى عمرو بـن العلاء الصـحيحه وفى قراءه غيره (ملـك) مقصوره، وهـذا هوشأن: (الكلام والكلم)، و(حصـاده وحَصـده)، (ورياشـا وريشا) و(الرشاد والرشـد) و(خالفوا وخلفوا)» ((۱)).

انتهى كلام الدكتور شاهين.

إذن الأمر لم يكن موافقه قراءه الإمام على مع مصحف عثمان أو حرف زيـد بن ثابت، بل هو أسمى من ذلك، فإنّ قراءته هى قراءه رسول الله، التى هى قراءه جبرئيل الأمين عن ربّ العالمين، وإنّ مصحفه هو مصحف رسول الله، لكنّهم نسبوا إليه قراءات لم يقل بها ولم ترد على لسان أبنائه المعصومين، وإنّ كلّ ما قالوه عن قراءه الإمام وأنّه كان يقرأ (والعصر ونوائب الدهر إنّ الإنسان لفى خسر) وأمثالها من القراءات المخالفه للمصحف الرائج هى باطله، وقد شـهد كثير من علماء أهل السنه ببطلانها أيضاً، لأنّها أخبار آحاد لا تقاوم المتواتر المشهور عند المسلمين؛ قال صاحب (المبانى): هذه الروايه باطله، بما روى عن يحيى بن آدم، عن أبى بكر بن عياش، قال: قال لى عاصم بن أبى النجود: ما أقرأنى أحد من الناس حرفاً إلّا أبو عبد الرحمان السلمى، وأبو عبد الرحمان قرأ على على رضى الله عنه ، وكنت أرجع من عند أبى عبد الرحمان وأعرض على زرّ بن حبيش، وزر قرأ على عبد الله بن مسعود، قال أبو بكر: فقلت لعاصم: لقد استوثقت، فإنمّا روى أبو عبد الرحمان عن علىّ رضى الله عنه : (وَالعَصْرِ * إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِى خُسْرٍ)، بشهاده عاصم على أبى عبد الرحمان، وروايه أبى عبد الرحمان عن

۱- تاريخ القرآن: ۲۰۴ - ۲۰۵.

على وضبطها عنه، فهذه جهه تدحض روايه من روى عن على، ثم قال صاحب (المبانى): إنّ من روى عنه (والعصر ونوائب الدهر) فقد كذب أو نسى ((١)).

القرّاء والإمام أمير المؤمنين علىّ عليه السلام :

ستقف بعد قليل على حال الصحابه القرّاء وحال نسخهم الّتى احتمى بها عثمان فى عمليه جمع القرآن وتوحيد المصاحف، وقد عرفت أيضا بأن القوم لم يطلبوا من الإمام على أن يأتيهم بنسخته، وهو عليه السلام لم يعطهم إيّاها تطوّعاً من عند نفسه، لكنّهم وعن طريق أبى عبد الرحمان السّلَمى وأبى الاسود الدؤلى وابن أبى ليلى اعتمدوا قراءته، وهو قد ارتضاها، فإنهم اعتمدوا قراءه أمير المؤمنين على وجعلوها أصلاً لأربع قراءات شائعه اليوم، كى يصحّحوا مصحفهم من خلالها ويعطوه الشرعيه.

وقد يكونون استعانوا بحذيفه بن اليمان للوصول إلى قراءه الإمام علىّ عليه السلام ، أو قد يكون الإمام على - عن طريق حذيفه بن اليمان - أوصل مصحفه المجرد إلى عثمان.

وبرأيى أنّ حجيه المصحف الموجود لا تحتاج إلى كثير من المؤونه، لأنّه المقروء اليوم وقد صُحّح من قبل الإمام المعصوم، وقد ذكر الأعلام أسماء الذين عرضوا قراءتهم على رسول الله، ولوجود قراءه رسول الله صلى الله عليه و آله ، والإمام علىّ عليه السلام ، وفاطمه الزهراء عليها السلام بين تلك القراءات الرائجه، فالمشكله لم تكن مع المصحف المجرد بل مع المصحف المفسر.

١- مقدّمتان فى علوم القرآن لابن عطيه: ١٠٣ تحقيق: أرثر جيفرى ط السنه المحمديه - القاهره.

وإنّک لو ألقیت نظره إجمالیه علی کتاب نهج البلاغه وخطب السیّده فاطمه الزهراء علیها السلام ضدّ الشیخین، وکلام الاثنی عشر من أصحاب رسول الله الذین احتجّوا علی أبی بکر فی جلوسه مجلس الخلافه بغیر حق، لما رأیت أحداً منهم قد استشهد بآیه تخالف القراءه المشهوره الیوم.

بل فی کلام السیّده فاطمه الزهراء علیها السلام والإمام علی والحسنین ما یدلّ علی احتجاجهم بآیات وسور هذا القرآن دون زیاده ونقصان فیه، لقول الزهراء علیها السلام : «وهذا کتاب الله بین أظهرکم» ((۱))، الدال علی وجود الکتاب کاملًا آنذاک بین أیدی المسلمین، وأنّه مقبول عندها علیها السلام لاستشهادها بآیاته، فلا یعقل أن تستدل الزهراء بقرآن محرف.

فأهل بیت رسول الله جمیعاً قد استشهدوا - وقرؤوا - بآیات هذا الکتاب الّذی نتلوه نحن کلّ یوم، أی أنّ الاشتهار هو الذی صحَّح المصحف لا ما ادَّعَوه من اتّخاذ شاهدین - الحفظ والکتابه - وما شابه ذلک من أقوال بعیده عن المنطق والعقل السلیم.

ونضیف هنا إلی کلامنا ما رواه الطحاوی، عن یحیی بن أَکْثَم أنّه قال:

«إن کانت القراءه تؤخذ بصحّه المخرج؛ فما نعلم لقراءهٍ من صحّه المخرج ما صحّ لقراءه عاصم؛ لأنّه یقول: قرأت القرآن علی أبی عبد الرحمان، وقرأ أبو عبد الرحمان علی علیّ، وقرأ علیٌّ علی النبیّ صلی الله علیه و آله ». ثمّ قال الطحاوی: «وصَدَق، وقد کنّا أخذنا قراءه عاصم حرفا حرفا عن روح بن الفرج، وحدّثنا: أنّه أخذها عن یحیی بن

۱- بلاغات النساء:۱۴.

سليمان الجعفى، وأنّه قال لهم: حـدّثنا أبو بكر بن عيّاش،قال: قرأت على عاصم، قال أبو بكر: فقلت لعاصم: على من قرأت؟ قال: على السّلَمِى، وقرأ [السّلمىُّ] على علىّ، وقرأ علىٌّ على النبىّ صلى الله عليه و آله ».

إلى أن يقول: «ولقـد حـدّثنى إبراهيم بن أحمـد بن مروان الواسـطى، حـدّثنا محمّد بن خالد ابن عبد الله الواسـطى، قال: سـمعت حفص بن سـليمان الكوفى، عن عـاصم، قـال: قال أبو عبـد الرحمان: قرأت على علىّ فأكثرتُ، وأمسكـتُ عليه فأكثرت، وأقرأتُ الحسن والحسين حتّى ختما القرآن» ((۱)).

والجمله الأخيره من الخبر ذات وجهين، فقـد تكون صـادره عن السـلمى وقـد تكون أضافه من الراوى ((۲)) لأنّه لا داعى لمثل الحسن والحسين عليهما السـلام أن يختما القرآن على أبى عبد الرحمان السـلمى، وأبوهما الإمام علىّ عليه السـلام هو الّذى أقرأ أبا عبـد الرحمان السـلمى، فلماذا لا يُقْرِئُهُما أبوهما كما أقرأ أبا عبـد الرحمان؟! وقـد حكى الجزرى وغيره بأنّ الحسن والحسـين أخذا القراءه من الإمام على، فلا داعى لأن يأخذ المعصوم من غير

۱- مشكل الآثار ۱: ۲۶۳- ۲۶۴، وراجع وفيات الأعيان ۶: ۳۹۰/الترجمه۸۲۵ ليعقوب الحضرمى.

۲- قد يكون أَمرُ الإمامين الحسن والحسين قد وصل فى زمن عثمان ومعاويه، إلى ما يشابه المحكى عن أهل المدينه وقولهم فى الإمام الباقر: ما رأينا أحـدا قطّ أكذب من هذا، يحدّث عمّن لم يره، فلمّا رأى الإمام الباقر ما يقولون حدّثهم عن جابر بن عبد الله الأنصارى فصـدّقوا، وكان جابر يأتيه يتعلّم منه «رجال الكشّـى ۱: ۲۲۲/ ح ۸۸، الكافى ۱: ۴۶۹/ ح ۲، باب مولـد أبى جعفر» فقد يكون السبطان قد أخذا عن أبى عبد الرحمان فى الظاهر ليقرِّرا للنّاس صحّه هذه القراءه عندهم.

المعصوم؟!

بل كيف لم يقرئهما جدّهما رسول الله صلى الله عليه و آله ، وهو الّذى دعا المسلمين إلى تعليم القرآن وتعلّمه، مؤكّدا فَضْلَ تِلاوتِه وختمه؟! بل لماذا لم تقرئهما أمُّهما الزهراء عليها السلام ؟!.

فالمحتمل قويّاً أنّ السلمى أقرأهما للتأكّد من صحّه أخذه عن أمير المؤمنين عليه السلام ، لأنّهما كانا قد أخذا عن أمير المؤمنين أيضاً ((۱))، فكان يريد التثبت من ذلك، ولذلك قال (قرأت فأكثرت) (أمسكت فأكثرت)، وهذا يعنى أنّه قرأ القرآن ثمّ أمسك على قراءه علىّ عليه السلام ليضبطها، ثمّ قرأها على الإمامين عليهما السلام ليتأكّد من صحّه ما أخذه. وهذا الوجه أليق بمقام المعصوم.

وقد أكد ابن شهرآشوب فى مناقب آل أبى طالب أنّ أصل قراءات القرّاء السبعه هو أمير المؤمنين على، لا أنّ كلّ قراءه للسبعه قرأ بها علىّ بن أبى طالب، إذ قال:

«... والقرّاء السبعه إلى قراءته يرجعون((۲)).

فأمّا حمزه والكسائى فيعوّلان على قراءه علىّ وابن مسعود، وليس مصحفهما مصحف ابن مسعود، فهما إنّما يرجعان إلى علىّ، ويوافقان ابن مسعود فيما يجرى مجرى الإعراب، وقد قال ابن مسعود: ما رأيت أحدا أَقْرَأ من علىّ بن أبى طالب للقرآن.

وأمّا نافع وابن كثير وأبو عمرو، فمعظم قراءاتهم ترجع إلى ابن عبّاس.

۱- السبعه فى القراءات: ۶۸، غايه النهايه فى طبقات القراء لابن الجزرى ۱: ۲۴۴/ ت ۱۱۱۴ للحسين بن على عليهما السلام.
۲- بعضهم بطريق مباشر وآخر غير مباشر.

وابن عبّاس قرأ على أُبىّ وعلىّ، والّذى قرأه هؤلاء القرّاء يخالف قراءه أُبى، فهو إذا مأخوذ من علىّ عليه السلام .

وأمّـا عـاصم، فقرأ على أبى عبـد الرحمـان السلمى، وقـال أبو عبـد الرحمـان: قرأت القرآن كلّه على علىّ بن أبى طالب، فقالوا: أفصح القراءات قراءه عاصم لأنّه أتى بالأصل، وذلك أنّه يظهر ما أدغمه غيره، ويحقّق من الهمز ما ليّنه غيره، ويفتح من الألفات ما أماله غيره.

والعدد الكوفى فى القرآن منسوب إلى علىّ، وليس فى الصحابه من ينسب إليه العدد غيره، وإنّما كتب عدد ذلك كُلُّ مِصْرٍ عن بعض التابعين» (۱).

أجل، إنّ السلمى أخذ القراءه عن أمير المؤمنين عليه السلام ، وعنه أخذ عاصم أصل هذه القراءه؛ قال حفص: «قال لى عاصم: ما كان من القراءه الّتى أقرأتك بها فهى القراءه الّتى قرأت بها على أبى عبد الرحمان السلمى عن علىّ عليه السلام ».

وقد ذكر عاصم أنّه لم يخالف أبا عبد الرحمان فى شىء من قراءته، فإنّ أبا عبد الرحمان لم يخالف عليّا عليه السلام فى شىء من قراءته (۲).

كما أخذ أبو الاسود الدؤلى عن على، وعنه أخذ نصر بن عاصم العربيّه والقرآن (۳)، وعن نصر أخذ أبو عمرو بن العلاء أحد القرّاء السبعه.

۱- مناقب آل أبى طالب ۱: ۳۲۱ وعنه فى بحار الأنوار ۴۰: ۱۵۷، ۸۹: ۵۳، وانظر: عمده القارى ۱۸: ۸۲.

۲- معرفه القرّاء الكبار للذهبى ۱: ۹۲، سير أعلام النبلاء ۵: ۲۵۹.

۳- غايه النهايه ۲: ۳۳۶ / ت ۳۷۲۸ لنصر بن عاصم الليثى.

كما أخذ عنه يحيى بن يعمر العربيّه والقراءه ((١))، روى عنه قتاده وقرأ عليه القرآن ابن أبى إسحاق الحضرمى.

كما أخذ عنه عبد الرحمان بن هرمز، ثمّ صار هو نفسه مقرئاً وقرأ عليه الناس، وأشهر مَن أخذ عنه وتتلمذ له نافع بن أبى نعيم أشهر مقرئى المدينه وأحد القرّاء السبعه.

كما أخذ عن أبى الأسود عنبسه الفيل، وميمون الأقرن، ومعاويه بن عمر الدؤلى، وعطاء بن أبى الأسود الدؤلى، وحمران بن أعين أبو حمزه الكوفى الشيبانى، وغيرهم.

وأخذ عبد الرحمان بن أبى ليلى الكوفى عن على القراءه عرضاً.

وإنّ قرّاء أمثال: حمزه الزيّات، والكسائى، وأبوعمرو بن العلاء قد أخذوا القراءه عن أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام بواسطه هؤلاء الأصحاب أيضاً.

فحمزه الزيّات أخذ عن جعفر الصادق، عن محمّد الباقر، عن علىّ بن الحسين زين العابدين، عن الحسين بن علىّ، عن أبيه علىّ بن أبى طالب عليهم السلام .

والكسائى قرأ على حمزه الزيّات بالإسناد المتقدّم.

وأبو عمرو بن العلاء، ونصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر قرؤوا على أبى الأسود الدؤلى، وهو قرأ على أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، وهكذا.

وقال العاصمى (ت ٣٧٨ ه-) فى المبانى فى نظم المعانى:

وروى عن العوام بن حوشب أنّ أباعبد الرحمن السلمى كان إذا ختم عليه الخاتم

١- غايه النهايه ٢: ٣٨١ / ت ٣٨٧٣ ليحيى بن يعمر.

القرآن أجلسه بين يديه ووضع يده على رأسه وقال: يا هذا! اتقّ الله فما أعرف أحداً خيراً منك، وإن عَمِلْتَ بالذى عَلِمتَ.

ففى هـذا الحـديث دليل عل انّ القرآن الـذى فى أيـدينا كامل تام، من ادعى نقضاً فيه أو زياده أو تغييراً، أو تبديلًا أو تقديماً أو تأخيراً، فقد كذب على الله تعالى وبهت رسول الله والمسلمين.

لأن أبا عبـد الرحمان كان خرّيـج علىّ بن أبى طالب ومن أخذ القراءه عنه وتعلّمها منه، فإذا أخبر بأنّ آخر القرآن هو الذى ليس بعده شـىء، كان الذى يقول: هو مذهب على رضى الله عنه، وقد كان على رضـى الله عنه يصـلى بالناس صـلاه المغرب والعشاء الآخره، وصـلاه الصـبح، ويقرأ والناس يستعمون قراءته ويفهمون قوله. فلو خالف عثمان وأبابكر وعمر رضى الله عنهم فى حرف واحد أو كثر، لَسارع الناس إلى السؤال عنه وتغييره فى المصاحف.

مع أنّ القرآن الذى حصّله عند أبى عبد الرحمان وفضّله فيه هو كالذى كان يؤم الناس به فى صلواته، فيجدونه موافقاً لرأى أبى بكر وعمر وعثمـان وسـائر المسـلمين، ولو وقعوا فيه على زيـاده حرف أو كلمه، أو نقصـان لفظه، لوافقوا عليّاً عليهـا فأثبتوهـا فى المصاحف على قوله، وما يأمر به من رسـمه، لعلوّ درجته، وارتفاع مرتبته، فقد حصّلوا فى كلامه المنثور ضمةً فى حرف، وياء فى كلمه، فتابعوا حكايتهما عنه ونسبتهما إليه، أحد الحرفين الدهقان، بضمّ الدال ((۱)).

۱- نصوص على علوم القرآن ۴ : ۶۳ عن المبانى فى نظم المعانى .

قال الشیخ محمّد هادی معرفه رحمه الله بعد أن نقل کلام الذهبی:

«وکانت القراءه الّتی أخذها حفص بن سلیمان عن عاصم بن أبی النَّجُوْدِ ترتفع إلی علیّ علیه السلام .

نستنتج أنّ قراءتنا الیوم هی قراءه علیّ بن أبی طالب ثابته منذ العهد الأوّل تتعاهدها الأمّه عن الأمّه وباقیه مع الخلود» ((۱)).

ثمّ قال الشیخ معرفه تحت عنوان (حفص وقراءتنا الحاضره):

«کان علیّ أمیر المؤمنین أوّل من أبدی فکره جمع القرآن بعد وفاه رسول الله مباشره، وإِن کان جمعه هو رُفض، لکنَّ فکره الجمع أَثَّرت أَثَرها فی نفس الوقت ولم یکن الاختلاف بین الجمعین فی ذات القرآن.

وکانت المصاحف الرئیسیه التی جمع فیها القرآن کله علی ذلک العهد - قبل توحیدها - هی: ما جمعه عبد الله بن مسعود، وأُبیّ بن کعب، وأبو الدرداء، والمقداد بن الأسود، ممّن عُرفوا بالولاء الخاص للبیت النبویّ الرفیع، ولم یکن سائر المصاحف بذلک الاعتبار، وکانت صحُف أبی بکر غیر منتظمه بین دفّتین.

وأوّل مَن جاء بفکره توحید المصاحف علی عهد عثمان هو حذیفه بن الیمان فی قصّه سلفت، وکان أُبیّ بن کعب هو الذی تصدّی لإملاء القرآن علی لجنه استنساخ المصاحف الموحّده، وکانوا یراجعونه فیما أُشکل علیهم من ثبت الکلمات.

وکان تشکیل المصحف وتنقیطه علی ید أبی الأسود الدؤلی وتلمیذَیه نصر بن

۱- التمهید فی علوم القرآن ۲ :۱۸۴، طبقات القرّاء فی علیّ بن أبی طالب.

عاصم ويحيى بن يعمر، وأول مَن تنوَّق فى كتابه المصحف وتجويد خطّه هو خالد بن أبى الهياج صاحب على عليه السلام ، ثمّ كان ضبط الحركات على الشكل الحاضر على يد الأستاذ الكبير خليل ابن أحمد الفراهيدى، وكان هو أوّل من وضع الهمز والتشديد والروم والإشمام.

أمّا القراءات، فإنّ الشيعه هم الذين درسوا أُصولها وأحكموا قواعدها وأبدعوا فى فنونها وأطوارها فى أمانهٍ وإخلاص.

كان أربعه – إن لم نقل ستّه – من القرّاء السبعه شيعه، فضلاً عن غيرهم من أئمّهٍ قرّاءٍ كبار، كابن مسعود، وأُبىّ بن كعب، وأبى الدرداء، والمقداد، وابن عباس، وأبى الأسود، وعلقمه، وابن السائب، والسلمى، وزرّ بن حبيش، وسعيد بن جبير، ونصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر، وعاصم بن أبى النجود، وحمران بن أعين، وأبان بن تغلب، والأعمش، وأبى عمرو بن العلاء، وحمزه، والكسائى، وابن عياش، وحفص بن سليمان، ونظرائهم من أئمّهٍ كبارٍ هم رؤوسٌ فى القراءه والإقراء فى الأمصار والأعصار.

أمّا القراءه الحاضره – قراءه حفص – فهى قراءه شيعيه خالصه، رواها حفص وهو من أصحاب الإمام الصادق، عن شيخه عاصم وهو من أعيان شيعه الكوفه الأعلام، عن شيخه السلمى وكان من خواصّ علىّ عليه السلام ((۱)) – على الرغم من انحرافه

۱– ذكره ابن قتيبه فى أصحاب علىّ وممّن حمل عنه الفقه. المعارف: ۵۲۸ وعدّه البرقى فى رجاله من خواصّ الإمام من مض–ر، رجال البرقى: ۳۶/الترجمه ۷۳.

عنه فی أواخر سنی عمره -، عن أمیر المؤمنین علیه السلام ، عن رسول الله صلی الله علیه و آله عن الله عزّ وجلّ» ((۱)).

وعلیه فهذا المصحف المتداول الیوم بین أیدینا مقبول عند الأئمه علیهم السلام ومُمْضی من قبلهم، ونحن نقرؤه تبعاً لهم، وقد فشلت جهود التحریف بفضل الأئمّه علیهم السلام ، رغم کلّ ما جری من أخطاء فی جمعه وترتیبه؛ وتشریع التعددیه فیه من خلال حدیث الأحرف السبعه بدعوی أنّها اختیارات للحدیث النبوی الشریف، فی حین أنّ الأمر لم یکن کذلک.

إذن مادّته القرآنیه وأصله الإلهی معترف بهما وبصحّتهما عندهم، ومعناه أنّ الإمام علیّا علیه السلام یقبل بهذا المصحف کما یقبل به آخرون من الصحابه کأبیّ بن کعب وأبی موسی الأشعری و...، لکن فی الوقت نفسه لا ننفی وجود اختلاف بین قراءه أهل البیت علیهم السلام وقراءات الصحابه، بل بین ترتیب مصاحف الصحابه وبین ترتیب مصحف أهل البیت علیهم السلام فی أماکن السور وغیرها، بل إنّ الاختلاف فی الرسم والقراءه قد شوهد بین مصاحف الصحابه أنفسها. وباعتقادی أنّ هذا الاختلاف لم یکن علی عهد رسول الله وقد حدث فی عهد الشیخین، ثم توسّع من بعدهما لانتهاجهما المنهج الخاطئ.

وإلیک أسماء بعض الکتب المؤلّفه عن اختلاف مصاحف الصحابه فیما بینها، وهی تؤکد وجود الاختلاف فی القرون الأُولی لا عدمه، وأنّ عثمان بن عفان لم یوفّق

۱- التمهید فی علوم القرآن ۲: ۲۴۹ و ۲۵۰.

فى توحيد الأمه على قراءه واحده، بل استمرّ الاختلاف بينهم فى أمر القرآن حتى العصور المتأخره، وإليك أسماء تلك الكتب:

١ - كتاب اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق، لابن عامر اليحصى (ت ١١٨ ه-).

٢ - كتاب اختلاف مصاحف أهل المدينه، وأهل الكوفه، وأهل البصره، للكسائى (ت ١٨٩ ه-).

٣ - كتاب اختلاف أهل الكوفه، والبصره، والشام فى المصاحف، للفرّاء (أبى زكريا الفراء يحيى بن زياد) (ت ٢٠٧ ه-).

٤ - كتاب اختلاف المصاحف، لخلف بن هشام (أبى محمّد الأسدى) البغدادى، وأحد القراء العشره (ت ٢٢٩ ه-).

٥ - كتاب اختلاف المصاحف، وجامع القراءات، للمدائنى (ت ٣٢١ ه-).

٦ - كتاب المصاحف والهجاء، لحَمَد بن عيسى الأصبهانى (ت ٢٥٣ ه-).

٧ - كتاب اختلاف المصاحف، لأبى حاتم (ت ٢٤٨ ه-).

٨ - كتاب المصاحف، لابن أبى داوود السجستانى (ت ٣١٦ ه-).

٩ - كتاب المصاحف، لابن أشته (ت ٣٦٠ ه-).

١٠ - كتاب المصاحف، لابن الأنبارى (ت ٣٢٨ ه-).

١١ - كتاب غريب المصاحف، للوراق.

لكنّ هذا الاختلاف لا يخدش فى حجيه القرآن المتداول، لأنّ الحجّيه مأخوذه عن الاشتهار والتواتر الذى عرفوه فى القرآن، كما أنّه مأخوذ عن مصحف الإمام علىّ عليه السلام الّذى سمعه من فى رسول الله وجمَعَه من خلف فراشه لكونه معصوماً وقد أخذه عن

معصوم، ولإقرار المعصوم به ولقبول الأمه له؛ وذلك لاتّفاق أربعه أو أكثر من القرّاء السبعه على القراءه به، ولكون تشكيل القرآن وتنقيطه جاء بواسطه تلامذه أبى الاسود الدؤلى الّذى أخذ القراءه عن أمير المؤمنين على.

أو قل بأن الإمام عليّا عليه السلام والصحابه الكبار - أمثال اُبَىّ وابن مسعود - بقراءتهم لهذا القرآن فى صلواتهم وغيرها قد صحّحوا القراءه الرائجه، أى أنّ قراءتهم وإقراءهم كانت الأصل لهذا المصحف، لأنّهم أعيان الصحابه المشهود بوثاقتهم وصحه قراءتهم من قبل رسول الله، لا لقراءه زيد بن ثابت. فالمعتمد بين المسلمين هو قراءه أولئك الصحابه لا قراءه زيد، لأنّ الروايات أَطبقت على أنّهم هم الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله ، وهم الذين جاء فيهم مدح لصحه قراءتهم، وهم الذين جعلهم صلى الله عليه و آله يُقرِئُون الناس، وأمر المسلمين بالأخذ عنهم، فإن قراءتهم وقراءه تلامذتهم هى التى صحّحت هذا القرآن، لا حرف زيد ومنهج عثمان.

وعلى كلّ حال، فالمهمّ أنّ الأئمّه عليهم السلام قد قبلوا بهذا المصحف، وهو يؤكّد عدم وقوع التحريف فيه، لأنّهم عليهم السلام لا يسمحون بالقراءه فى القرآن المحرّف، بل إنّ وحده نصّه وبقاءَه طرياً بليغاً عبر عدّه قرون بِرَغْم كُلّ الملابسات التى جرت عليه يؤكد إعجازه وعدم تأثّره بالمتغيّرات، كما أنّه برغم كثره طبعاته فى البلدان المختلفه والأزمنه المتفاوته، واختلاف خطوطه ورسم خطه وأشكاله، يؤكد سلامته من التحريف وعنايه البارى بكتابه، كل ذلك مع سعى أعداء الإسلام إلى تشويه صورته والمساس بنصه، فبقاؤه نقيّاً وبليغاً خير دليل على سلامه القرآن من أىّ تحريف وتصحيف.

وبهذا فقد اتضح لك بأن للشيعه سنداً صحيحاً إلى هذا القرآن، وقد مرّ عليك أيضاً كلام العلّامه الحلّىّ فى (تذكره الفقهاء) بلزوم القراءه بالمتواتر فى الصلاه:

ويجب أن يقرأ بـالمتواتر من الآيات، وهو ما تضـمّنه مصـحف عليٍّ عليه السـلام ، لأنّ أكثر الصـحابه اتّفقوا عليه وحرق عثمان ما عداه ((۱)).

وقـال السيّد عبـد الحسـين شـرف الـدين فی أجوبته لمسائل جار الله: نعوذ بالله من هـذا القول]أی تحريف القرآن[ونبرأ إلی الله تعالی من هـذا الجهل، وكلّ مَن نسب هـذا الرأی إلينا جاهلٌ بمـذهبنا أو مفترٍ علينا، فإنّ القرآن العظيم والذِّكرَ الحكيم متواترٌ من طرقنـا بجميع آيـاته وكلمـاته، وسـائر حروفه وحركـاته وسـكناته، تواتراً قطعيّاً عن أئمّه الهـدی من أهل البيت عليهم السـلام ، لا يرتاب فی ذلک إلّا معتوه، وأئمّه أهل البيت كلّهم أجمعون رفعوه إلی جـدّهم الرسول عن الله تعالی، وهـذا أيضاً ممّا لا ريب فيه ((۲)).

قال السـيد محمد جواد العاملی (ت ۱۱۲۶ ه-) فی مفتـاح الكرامه: فرع قال أكثر علمائنا يجب أن يقرأ بالمتواتر وهی السـبع، وفی جامع المقاصد الاجماع علی تواترها، وكذا العزيه، وفی الروض إجماع العلماء، وفی مجمع البرهان نفی الخلاف فی ذلک.

وقـد نعتت بـالتواتر فی الكتب الاـصوليه والفقهيه كـالمنتهی والتحرير والتـذكره والـذكری والمـوجز الحاوی وكشـف الالتبـاس والمقاصد العليه والمدارک وغيرها.

وقـد نقـل جماعه حكايه الاجماع علی تواترها من (ع خ ل) جماعه وفی الرسم المصاحف بها وتـدوين الكتب التی لها حتی أنها معدوده حرفا فحرفا وحركه فحركه مما يدل علی أن تواترها مقطوع به كما أشار إلی ذلک فی مجمع البرهان، والعاده تقتضی

۱- تذكره الفقهاء ۳: ۱۴۱ المسأله ۲۲۷ مبحث الوضوء.

۲- أجوبه مسائل جار الله: ۳۴.

بالتواتر فی تفاصیل القرآن من أجزاءه والفاظه وحرکاته وسکناته ووضعه فی محله لتوفر الدواعی علی نقله من المقر کونه أصلا لجمیع الاحکام والمنکر لابطال لکونه معجزا فلا یعبوا بخلاف من خالف أو شک فی المقام ... ((۱)).

ویُضاف إلیه بأنّ النسخه الرائجه الیوم بین المسلمین والمطبوعه فی المدینه المنوّره وغیرها، هی المرویّه عن حفص عن عاصم عن أبی عبد الرحمن السلمی عن أمیرالمؤمنین علیّ بن أبی طالب علیه السلام .

وهی القراءه التی یقرأ بها غالب علماء الشیعه فی النجف وکربلاء وقم وخراسان ولبنان، کما أن علماء الزیدیه یقراءون بقراءه نافع بروایه قالون.

فأهل البیت مع وجود قراءه لهم، ووجود کتاب (قراءه أمیرالمؤمنین) لزید بن علی بن الحسین بن علی، لا یقرؤون بقراءه تخالف المشهور عند المسلمین حفظاً علی وحده الکلمه فی القرآن، واستجابه لأمر أئمتهم: إقرؤُوْا بما یقرأ به الناس.

ولآتی بمثال علی ما أقول، فإن القراءه الثابته لأهل البیت فی قوله تعالی: (وَأمْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأرْجُلِكُمْ) ((۲)) هی کسر کل من (الرؤوس) و(الأرجل)، لأن حرف العطف یعطف الارجلَ إلی أقرب کلمه وهی الرؤوس المجروره بالباء، مع أنّ قراءه عاصم هی نصب (الأرجل)!!

فقراءه أهل البیت موافقه للعربیه بأحسن وجه متصوّر، وقد أثبتنا ذلک فی المجلد

۱- مفتاح الکرامه ۲ : ۳۹۰.

۲- سوره المائده : ۲.

الخامس من كتابنا وضوء النبی «آیه الوضوء وإشكاليه الدلاله بین القراءه والنحو والمأثور».

وبالرغم من ذلک أمروا شیعتهم بالقراءه بالمشهور ونهوهم عن مخالفه المشهور، كل ذلک لحفظ كلمه المسلمين فی القرآن الكريم.

وقد أشرنا سابقاً وسوف نوكد بأنّ ما قالوه عن عرض عثمان قراءته على رسول الله أو تلقی السلمی عنه فغير صحيح، وأنّ قراءه حفص عن عاصم من المصحف هی ليست قراءته وقراءه زيد بن ثابت كما يقولون، إذ المشهور عن السلمی أخذه عن علیّ لا عن غيره، مؤكدين بأنّ القرآن هو قرآن جميع المسلمين سنه وشيعه، روافض وخوارج، من اختلف مع عثمان أو وافقه.

قال ابن خالويه عن قراءه (زَوَّجْنَكَهَا) بلا ألف قراءه أهل بيت النبی: علی والحسين وجعفر بن محمد وابن الحنفيه، قال: فقيل لجعفر بن محمّد (فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرا زَوَّجْنَاكَهَا) أليس تقرأ على غير ذلک فقال: لا والله الّذی لا إله إلّا هو، ما قرأتها على أبی إلّا كذلک، ولا قرأ بها أبی على أبيه إلّا كذلک، ولا قرأ بها الحسين بن علی على أبيه إلّا كذلک، ولا قرأها علی بن أبی طالب على النبی صلی الله علیه و آله إلّا هكذا ((۱)).

وعليه، فكل ما قلته فی هذه الدراسه لم يكن عن أصل القرآن فهو ثابت مقطوع به، بل عن كيفيه وصوله من رسول الله الی أمّته، وأنّ الإمام عليّاً هو رأس أولئک الصحابه الذين أوصلوا القرآن إلينا.

۱- مختصر فی شواذ القرآن لابن خالويه: ۱۲۰ - ۱۲۱.

إذن المصحف الرائج اليوم هو مصحف رسول الله، ومصحف علىّ بن أبى طالب، ومصحف جميع الصحابه، لا انّه مصحف عثمان بن عفان فقط كما يقولون.

هذا، والقارئون على أميرالمؤمنين على جمع كثير أشهرهم:

۱ – الحسن بن على

۲ – الحسين بن على

۳ – محمد بن على بن ابى طالب المعروف بابن الحنفيه

۴ – عبدالله بن مسعود

۵ – عبدالله بن عباس

۶ – زر بن حبيش

۷ – أبو عبد الرحمن السلمى

۸ – أبو الاسود الدُؤَلى

۹ – عبد الرحمن بن أبى ليلى. وغيرهم

وباعتقادى أنّهم نسبوا قراءه حفص عن عاصم وغيرها لعثمان وزيد بن ثابت ما هى إلّا مغالاه فيهم وتحكيم للنهج الأموى، وفى هذا السياق نراهم يقولون: المصحف العثمانى، ولم يقولوا: المصحف النبوى، أو المصحف البكرى، أو المصحف العمرى، أو المصحف العلوى، فسعوا نسبه كل شىء إلى عثمان ثمّ من بعده إلى الشيخين، ساعين للرفع بضبع الخلفاء الثلاثه دون غيرهم، وإن كان ذلك على حساب المساس بالقرآن وتواتره.

بعد كل هذا لنتكلم أكثر عن القراء الذين أخذوا القراءه عن الإمام أمير المؤمنين، ثم نتبعه بالكتابه عن ترتيب مصحفه، وهل يوافق المصحف الرائج أم لا؟ وهل له

ترتیب آخر أم لا؟ لکن قبل ذلک لابدّ من دراسه ما قیل عن السلمی وأخذه عن جمله من الصحابه غیر أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السلام وهل أنّه صحیح أم لا؟

سماع السلمیّ من علیٍّ علیه السلام لا من غیره:

باعتقادی أنّ دراسه علاقه السلَمی بمن شُکّ فی الأخذ عنه - کعثمان وزید بن ثابت - یکون منعطفاً خطیراً فی تفنید القول المشهور عند العامه.

فالقراءه المشهوره الغالبه فی بلداننا حسبما وضحناه أکثر من مره هی: قراءه حفص بن سلیمان بن المغیره الأسدی الکوفی، عن عاصم بن أبی النجود الکوفی، عن أبی عبد الرحمان عبد الله بن حبیب السلمی، عن علیّ بن أبی طالب وعثمان وزید بن ثابت وأُبیّ بن کعب، عن النبیّ صلی الله علیه و آله ((۱)).

وإنّک لو راجعت إلی ما أُلّف فی القراءات من الکتب، لرأیتهم یقطعون بأخذ أبی عبد الرحمان السلمی عن علی، ویسکتون عن أخذه عن عثمان بن عفان وزید بن ثابت، أو تراهم فی بعض الأحیان یصرّحون بعدم أخذه عن غیر علیّ علیه السلام وهو تنویه الی ما نرید قوله!

قال ابن الجزری فی (غایه النهایه فی طبقات القرّاء) فی ترجمه حفص بن سلیمان، عن ابن المنادی قال:

قرأ [حفص] عن عاصم مراراً، وکان الأوّلون یعدُّونه فی الحفظ فوق

۱- أُنظر: آخر المصحف الشریف الّذی أمر بطبعه الملک فهد بن عبد العزیز آل سعود مثلاً.

أبی بکر بن عیاش، ویصفونه بضبط الحروف الّتی قرأ علی عاصم، وأقرأ الناس دهراً، وکانت القراءه الّتی أخذها عن عاصم ترتفع إلی علیّ رضی الله عنه .

قلت - والکلام لابن الجوزی -: یشیر إلی ما روینا عن حفص أنّه قال: قلت لعاصم: أبو بکر یخالفنی، فقال: أقرأتک بما أقرأنی أبو عبد الرحمان السلَمی عن علیّ بن أبی طالب، وأقرأته بما أقرأنی زید بن حبیش عن عبد الله بن مسعود ... ورویناه عن حمزه بن القاسم الأحول ذلک بمعناه ((۱)).

ومعنی کلامه واضح، فتراه یذکر اسم علیٍّ ولا یذکر اسم غیره.

قال الذهبی فی ترجمته للسلمی: قال عبد الواحد بن أبی هاشم، حدثنا محمد بن عبید الله المقرئ، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن، حدثنا أبی، حدثنا حفص أبو عمر، عن عاصم بن بهدله، وعطاء بن السائب، ومحمّد بن أبی أیّوب، وعبد الله بن عیسی، أنّهم قرؤوا علی أبی عبد الرحمان السلمی، وذکروا أنّه أخبرهم أنّه قرأ علی عثمان عامّه القرآن. وکان یسأله عن القرآن فیقول: إنّک تشغلنی عن أمر الناس، فعلیک بزید بن ثابت، فإنه یجلس للناس ویتفرّغ لهم، ولستُ أُخالفه فی شیءٍ من القرآن. وکنت ألقی علیّاً فأسأله فیخبرنی ویقول: علیک بزید. فأقبلتُ علی زید، فقرأت علیه القرآن ثلاث عشره مرّه.

۱- غایه النهایه ۱: ۲۵۴ / ترجمه ۱۱۵۸ حفص بن سلیمان.

قال الذهبی فی (السیَر): لیس إسنادها بقائم ((۱)).

ونقل عن أبی عبد الرحمن السلمی قوله: قرأتُ علی أمیر المؤمنین علی القرآن کثیراً، وأمسکتُ علیه المصحف فقرأ علَی ((۲)).

وقد ذکر أبو عمرو الدانی بأنّ السلمی أخذ القراءه أیضاً عرضاً علی عثمان وابن مسعود وأُبیّ بن کعب وزید بن ثابت ((۳)).

لکنّ شعبه شکّک فی سماعه من عثمان وعبد الله بن مسعود ((۴))، کما لم یتأکّد سماعه من زید وأُبیّ، وحتّی لو قلنا بأنّه أخذ القراءه عن أُبیّ وابن مسعود کما قال الذهبی وغیره (۵)، فلا ضیر لأنهما تلمیذا الإمام علیّ علیه السلام ، ولا تخالف بین قراءتیهما، وإنّ قراءتهما توافق قراءهَ أهل البیت علیهم السلام ((۶)) والذی قد مر علیک ما قلناه عنهما.

أمّا سماعه من عثمان وزید فلم یثبت فی الکتب حسبما وضّحناه من خلال کلام

۱- سیر أعلام النبلاء ۴: ۲۷۰ - ۲۷۱.

۲- السبعه: ۶۸.

۳- وهو ما قاله ابن مجاهد فی السبعه: ۶۸ کذلک.

۴- تحفه التحصیل: ۷۱، قال شعبه: لم یسمع من عمر ولا عثمان ولا عبد الله بن مسعود ولکنه قد سمع من علی.

۵-) ذکره الذهبی فی (معرفه القراء الکبار) فیمن أخذ القراءه عن أبی انظر ص۱۳ وعن إبن مسعود ص۱۵.

۶- المعجم الکبیر ۹ : ۷۶ / ۸۴۴۶ وفیه قول ابن مسعود : وختمت القرآن علی خیر الناس علی بن أبی طالب رضی الله عنه، ومما یشیر الی موافقه قراءه ابی بن کعب لقراءه أهل البیت ما روی عن الصادق قوله: أمّا نحن فنقرأ علی قراءه أُبیّ، انظر الکافی ۲ : ۶۳۴ / ح ۲۷ .

الذهبی قبل قلیل: لیس اسنادها بقائم بل کیف یدعی عرضه القراءه علی عثمان وعثمان یُرجِعُه إلی زید کما سیأتی بعد قلیل.

وروی القیسیّ قراءه علی علی النبی علی سبیل التمریض (وروی أن علیاً قرأ علی النبی)، فقال:

وأمّا عاصم فکان من الطبقه الثالثه، وکان أضبط الناس فی عصره لقراءه زید بن ثابت، وقد کان قد قرأ علی أبی عبدالرحمن السلمی، وقرأ أبو عبدالرحمن علی علی بن أبی طالب، وقرأ علی زید، وقرأ زید علی النبی وروی أنّ علیاً قرأ علی النبی، وقرأ عاصم أیضاً علی ابن مریم زر بن حبیش، قال: کنت أعرض علی زید بعد قراءتی علی أبی عبدالرحمن، وقرأ زید علی علی وعلی عثمان وعلی ابن مسعود رضی الله عنهم وقرأ هؤلاء علی النبی ... ((۱)).

وحکی ابن مجاهد، عن أبی عبد الرحمن السلمی دعوی أن علیاً قال له: علیک بزید فأقبلت علی زید فقرأت علیه القرآن ثلاث عشره مره!!!

والباقلانی (ت ۴۰۳ ه-) مع اعتقاده بمکانه زید وأن عثمان اختار حرف زید لأمرٍ علمه سعی فی (الانتصار لنقل القرآن) أن یجمع بین عبد الرحمن السلمی وابن مسعود وزید فقال: وقد استفاض أنّ أبا عبد الرحمن السلمی کان یُقرئ الناس بحرف زید، وأنّ زیداً کان یُقرئُهُم بحرف ابن مسعود.

لا أدری بأیهما یجب الأخذ؟ تاره یقال بأن زیداً کان یُقرؤهم بحرف ابن مسعود،

۱- التبصره : ۴۴ .

وأخرى يقال بأنه قرأ على أُبيّ بن كعب، وثالثه يقال بأن عثمان وحّدَهم على حرف واحد وهو حرف زيد بن ثابت!

أجل، إنّ الـذهبى وغيره اسـتدلّوا على لقياه عثمان وسـماعه منه بأدلّه، منها روايه البخارى - الّذى يشترط المعاصره والسـماع - له((۱))، وعنعنته عن عثمان كما فى مسند أحمد:

حدّثنا عبد الله، حدّثنى أبى، ثنا محمّد بن جعفر وبهز وحجّاج؛ قالوا: حدّثنا شعبه، قال:

سمعت علقمه بن مرثـد يحـدّث عن سـعد بن عبيـده، عن أبى عبد الرحمان السـلمى، عن عثمان بن عفّان، عن النبىّ أنّه قال: «إنّ خيركم من عَلَّمَ القرآن أو تعلَّمَه». قال محمّد بن جعفر وحجّاج، قال أبو عبد الرحمان: فذاك الّذى أقعدنى هذا المقعد.

قال حجّاج، قال شعبه: ولم يسمع أبو عبد الرحمان من عثمان ولا من عبد الله، ولكن قد سمع من علىّ رضى الله عنه ((۲)).

فَتَعَقُّبُ حجّاج عن شعبه، يثبت عدم سماع السلمى من عثمان.

وفى (الطبقات الكبرى) فى ترجمه السـلمى: واسـمه عبـد الله بن حبيب، روى عن علىّ وعبـد الله وعثمان، وقال حجّاج بن محمّد، قال شعبه: لم يسمع أبو عبد الرحمان

۱- صحيح البخارى ۴ : ۱۹۱۹ / ۴۷۳۹.

۲- مسند احمد ۱ : ۵۸ / ۴۱۲ .

السلمی من عثمان، ولکن سمع من علیّ ((۱)).

وفی الجرح والتعدیل: حدّثنا عبد الرحمان، نا علیّ بن الحسن الهسنجانی، ثنا أحمد [بن حنبل]، ثنا حجّاج - یعنی ابن محمّد الأعور - قال: قال شعبه: لم یسمع أبو عبد الرحمن من عثمان، ولکن سمع من علیّ ((۲)) .

وثانیاً: لو کان قد قرا علی عثمان لذکره الذهبی فی (معرفه القراء الکبار) مع المغیره بن شهاب المخزومی.

وفیه أیضاً: حدّثنا عبد الرحمان، حدّثنی أبی، نا معاویه بن صالح بن أبی عبد الله الأشعری، قال: حدّثنی یحیی بن معین، نا حجّاج بن محمّد، عن شعبه، قال: لم یسمع أبو عبد الرحمن السلمی من عثمان ولا من عبد الله بن مسعود، ولکنّه قد سمع من علیّ ((۳)). هذا أوّلاً.

وثالثاً: إنّ السلمی نصّ بأخذه القرآن من علیّ علیه السلام ((۴))، کما ثبت عنه قوله: «ما رأیتُ رجلًا أقرأ من علیّ» ((۵)).

والنصّ الأخیر یؤکد بوضوح اختصاص السلمی بعلیٍّ؛ لأنّه لا یعقل أن یقول: «ما رأیتُ أحداً أقرأ من علیٍّ» ثمّ یعتمد قراءه غیره، وخصوصاً لو کانت هناک قراءتان

۱- الطبقات الکبری ۶: ۱۷۲.

۲- الجرح والتعدیل ۱ : ۱۳۱، تحفه التحصیل فی ذکر رواه المراسیل : ۱۷۱.

۳- الجرح والتعدیل ۱ : ۱۳۱.

۴- الطبقات الکبری ۶: ۱۷۲.

۵- البیان فی عد آی القرآن : ۳۱، معرفه القراء الکبار ۱ : ۲۸.

مختلفتان.

ورابعاً: بما أنّ السلمی کوفیّ، فلا یستبعد أن یکون قد عرض ما سمعه من عثمان - علی فرض صحّه سماعه منه - علی أمیر المؤمنین علیّ بن أبی طالب أیّام خلافته فی الکوفه، فکانت القراءه النهائیّه موافقه لقراءه الإمام علیّ علیه السلام ، ویؤیّده نصّ (الثقات) للعجلی:

أبو عبد الرحمن السلمی المقرئ الأعمی، کوفیٌّ من أصحاب عبد الله، ثقه، وکان یُقرئ فی زمان عثمان إلی زمان الحجّاج، وقرأ علی عثمان بن عفّان، وعرض علی علیّ بن أبی طالب ((۱)).

أمّا أخذه عن ابن مسعود، فهو الآخر یرجع إلی الإمام علیّ علیه السلام أیضاً؛ لأنّ ابن مسعود صرّح بأنّه أخذ بضعاً وسبعین سوره مِن فِی رسول الله صلی الله علیه و آله ((۲))، والباقی أخذها من خیر النّاس علیّ بن أبی طالب علیه السلام ((۳)).

ومن الطبیعی أن یکون الذی أخذه من علی هو أکثر مما أخذه من النبی، لأنّ الباقی هو ما نزل فی المدینه وغالباً ما تکون من السور الطوال.

وفی (السبعه) لابن مجاهد عن عاصم قوله: ما أقرأَنی أحدٌ حرفاً إلّا أبو عبد

۱- معرفه الثقات للعجلی ۲: ۴۱۳ / الترجمه ۲۱۹۶.

۲- صحیح البخاری ۴: ۱۹۱۲ / ح ۴۷۱۴.

۳- المعجم الکبیر ۹: ۷۶ / ح ۸۴۴۶، المعجم الأوسط ۵: ۱۰۱ / ح ۴۷۹۲، تاریخ مدینه دمشق ۴۲: ۴۰۱، سبل الهدی والرشاد ۱۱: ۴۰۳ عن الطبرانی، شرح الأخبار ۱: ۱۴۴ / ح ۸۳، بحار الأنوار ۴۰: ۱۸۰.

الرحمان السلمى، وكان أبو عبد الرحمان قد قرأ على على ((۱)).

وقد قال الذهبى فى (معرفه القرّاء الكبار): وروى حفص بن سليمان قال: قال لى عاصم: ما كان من القراءه الّتى أقرأتُك بها فهى القراءه الّتى قرأتُ بها على أبى عبد الرحمان السلمى عن علىّ رضى الله عنه ، وما كان من القراءه الّتى أقرأت بها أبا بكر بن عيّاش فهى القراءه الّتى كنت أعرضها على زرّ بن حبيش عن ابن مسعود ((۲)).

وقال أبو بكر بن عيّاش: قال لى عاصم: ما أقرأنى أحدٌ حرفاً إلّا أبو عبد الرحمان السلمى، وكنت أرجع من عنده فأعرض على زر. وقال حفص: قال لى عاصم: ما كان من القراءه الّتى أقرأتك بها فهى ... ((۳))، إلى آخر الكلام آنف الذكر.

ومن المعلوم أنّ زر بن حبيش كان قد قرأ القرآن كلّه على علىّ بن أبى طالب ((۴))، كما أنّه قرأ على ابن مسعود أيضاً، وقد أشرنا إلى أنّ ابن مسعود كان قد قرأ على علىّ عليه السلام ، وبذلك تعود قراءته إلى الإمام أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام أيضاً.

نعم، يمكنك أن تقول: إنّ القراءه الرائجه اليوم هى قراءه عثمان بن عفّان وزيد بن ثابت وغيرهما من الصحابه أيضاً - إلى جانب قراءه علىّ بن أبى طالب -، لأنّهما من المسلمين ولا انحصار للقراءه بهما، وشرط صحه هذا القول أن يرفع الاختلاف بين قراءتيهما وقراءه أمير المؤمنين علىّ عليه السلام ، لأنّ القراءات السبعه أو العشره اليوم يقال

۱- السبعه: ۷۰.

۲- معرفه القرّاء الكبار ۱: ۹۲.

۳- غايه النهايه ۱: ۳۴۸.

۴- كنز العمال ۲: ۱۵۳ / ح ۴۲۲۱.

بأن بينها المشهور تلاوته أيام رسول الله صلى الله عليه و آله وبينها المشكوك، وأنّ قراءه رسول الله موجوده ضمن هذه القراءات المتداوله اليوم بين المسلمين على غير تعيين، وأنّ المسلمون كانوا يقرؤون بقراءته صلى الله عليه و آله ، وقد قُرئ بالشكل الّذى علّمهم به رسول الله، فيكون هذا القرآن هو قرآن الله وقرآن رسوله محمّد صلى الله عليه و آله ، وهو قرآن علىّ عليه السلام ، وقرآن جميع الصحابه، ومنهم عثمان بن عفّان، لا أنّه قرآن عثمان بن عفّان وزيد بن ثابت دون علىّ بن أبى طالب وابن مسعود ومعاذ بن جبل وأبى موسى الأشعرى وأبىّ بن كعب. نقول بذلك لإقرار الجميع بقرآنيه هذا القرآن.

وعليه، فالقرآن المروىّ عن حفص عن عاصم عن أبى عبد الرحمان السلمى عن أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام - المطبوع فى المدينه المنوره - أصله مأخوذ عن على لا عن غيره حسبما حكوه، وهو يتّفق مع المصحف المنسوب إلى الإمام على (نسخه صنعاء) فى ترتيب سوره وآياته.

وهذا لا يعنى توقيفيّه ترتيب هذا المصحف، بل عدم مخالفه الإمام على معه إن ثبت كون مصحف صنعاء هو بخطه عليه السلام .

هذا من جهه ومن جهه أخرى نوضّح بأنّ هناك آخرين أخذوا القراءه عن أمير المؤمنين علىّ - غير السلمى والحسنين ومحمد بن الحنفيه - مثل: أبى الأسود الدؤلى، وعبد الرحمان بن أبى ليلى ((۱)) ليكون القارى على ارتباط بما قلناه سابقاً. وإليك إجمال الكلام عنهما.

۱- غايه النهايه ۱: ۵۴۶.

أبو الأسود الدؤلی وعبد الرحمان بن أبی لیلی:

کان لأبی الاسود تلامذه کثر فی النحو والقراءه نذکر من عرف منهم بالإقراء والقراءه، ورویت عنه حروف من القرآن کانوا قد قرؤوها علی أبی الأسود ورووها بسند متصل إلی علی بن أبی طالب، وهم:

۱ - یحیی بن یعمر العدوانی، أخذ عن أبی الاسود النحو والقراءه ((۱)).

۲ - نصر بن عاصم اللیثی، قرأ القرآن علی أبی الاسود ((۲))، وأخذ عنه أبو عمرو بن العلاء، أحد القراء السبعه الّذی سند قراءته ینتهی لعلی بن أبی طالب، کما أخذ عنه القراءه عبد الله بن إسحاق الحضرمی (ت ۸۹ ه-).

۳ - عطاء بن أبی الاسود الدؤلی أبو حرب، قرأ علی أبیه أبی الأسود، وقرأ علیه حمران بن أعین((۳)).

۴ - حمران بن أعین الشیبانی، أبو حمزه الکوفی، قال عنه ابن الجزری: أبو حمزه الکوفی مقرئٌ کبیر القراءه عَرْضاً عن عبید بن نضیله وأبی حرب بن أبی الاسود وأبیه أبی الأسود ویحیی بن وثاب ومحمّد بن علی الباقر. روی القراءه عنه عرضاً حمزه الزیات وکان ثبتاً فی القراءه ((۴)) وهو من شیعه جعفر بن محمّد الصادق ((۵)).

۱- غایه النهایه ۲: ۳۸۱ / ت ۳۸۷۳، تاریخ الإسلام ۶ : ۵۰۲.

۲- غایه النهایه ۲: ۳۳۶ / ت ۳۷۲۸، الکاشف ۲ : ۳۱۸ / ت ۵۸۱۲.

۳- غایه النهایه ۱ : ۲۶۶ / ت ۱۲۰۶ .

۴- غایه النهایه ۱: ۲۶۱ / ت ۱۱۸۹، تاریخ الإسلام ۷ : ۳۴۹ / ت ۴.

۵- نور القبس المختصر عن المقتبس للمرزبانی: ۲۶۷ / ت ۶۷.

إذن هناك طرق كثيره لقراءه الدُؤَلى عن الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب، وهو يؤكد بأنّ القراءه الرائجه اليوم هى المتواتره والممضاه من قبل الإمام على، وحتى لو قيل بأنّ هذه القراءه هى قراءه عثمان أو ابن مسعود فهما قراءتان عُرِضَتا على الإمام على وأمضاها الإمام المعصوم.

وهكذا الحال بالنسبه إلى ما قالوه من نسبه هذه القراءه الى أبىّ بن كعب، فقراءته - إن صحّت نسبتها إليه - لم تختلف عن قراءه أهل البيت، فعن الإمام الصادق عليه السلام قوله: إنّا نقرأ بقراءه أبى بن كعب.

أمّا انتساب قراءه حفص عن عاصم إلى زيد بن ثابت، فغير صحيح، لعدم صحه ما قالوه عن أخذ السلمى عنه حسب التحقيق الذى توصلنا إليه وذكرناه آنفاً ولعدم ذكر الذهبى أخذ السلمى القراءه عن زيد بن ثابت.

وبهذا فقد عرفت بأن السلمى وأبا الأسود الدُؤَلى قد قرءا على أمير المؤمنين على أبى طالب.

وهناك شخص ثالث قد أخذ القراءه عَرضاً عن أمير المؤمنين، وهو عبد الرحمان بن أبى ليلى الكوفى، روى عنه القراءه ابنه عيسى((۱)).

قال ابن الجزرى: إنّ حمزه رواه عن محمّد بن عبد الرحمان بن أبى ليلى، ومحمّد عرض على أخيه عيسى، وعيسى روى عن أبيه عبد الرحمان ((۲)).

۱- الطبقات الكبرى ۶ : ۱۰۹، غايه النهايه ۱ : ۳۷۶ / ت ۱۶۰۲ .

۲- انظر غايه النهايه ۲ : ۲۶۵ / ت ۳۱۱۴ لمحمد بن عبد الرحمان بن ابى ليلى و۱ : ۲۶۱ ت ۱۱۹۰ لحمزه الزيات.

ولا يخفى عليك بأنّ حمزه الزيات استفتح القرآن من حمران، وحمران بن أعين الشيبانى الكوفى أخذ القراءه عن محمّد بن على الباقر وكان ثبتاً فى القراءه (۱)، وبذلك تكون قراءه حمزه ممضاه من قبل قراءه أمير المؤمنين على عليه السلام .

فهؤلاء هم من روى القراءه عن على من غير أهل بيته.

أمّا رواه القراءه من أهل بيته فهم: ولداه الحسنان (۲)، ومحمد بن الحنفيه وعنه أولاده (۳)، وزين العابدين علىّ بن الحسين بن على (۴)، وولداه الإمام محمّد بن على الباقر (۵)، وزيد بن على الشهيد (۶) وجعفر بن محمّد بن على الصادق الّذى قرأ عليه حمزه الزيات أحد القراء السبعه (۷) والّذى يُروى عنه قوله: قراءتنا قراءه جدّنا على بن أبى طالب (۸).

وزيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب (ت ۱۲۲ ه-) وجعفر بن محمد

۱- غايه النهايه ۱ : ۲۶۱ / ت ۱۱۹۰ لحمزه الزيات.

۲- السبعه فى القراءات: ۶۸، غايه النهايه فى طبقات القرّاء ۱: ۲۴۴ / ت ۱۱۱۴ للحسين بن على عليهما السلام .

۳- غايه النهايه ۲ : ۲۰۴ / ۳۲۶۲ .

۴- غايه النهايه ۱: ۵۳۴ / ت ۲۲۰۶ لعلى بن الحسين عليهما السلام .

۵- غايه النهايه ۲ : ۲۰۲ / ت ۳۲۵۴ لمحمد بن على الباقر عليهما السلام .

۶- تهذيب التهذيب ۳: ۴۲۰.

۷- غايه النهايه ۱: ۱۹۶ / ت ۹۰۴ للصادق).

۸- غايه النهايه ۱: ۱۶۹.

الصادق وحمران بن أعين الشيبانی، هم مِن أهمّ مَن أخذوا القراءه عن الإمام الباقر علیه السلام .

وقد کان زید بن علی عرض قراءته علی أبیه زین العابدین وأخیه الباقر، وکان فقیهاً ومفسراً، له کتاب «قراءه أمیر المؤمنین».

وقد روی هذا الکتاب عنه عمر بن موسی الوجیه الزیدی وقال: ما رأیت أعلم بکتاب الله وناسخه ومنسوخه ومشکله وإعرابه منه رضی الله عنه ((۱)).

وقال ابن الجزری عن الإمام الصادق: قرأ علی آبائه رضوان الله علیهم: محمّد الباقر، فزین العابدین، فالحسین، فعلی رضی الله عنهم أجمعین.

وقال الشهرزوری وغیره: إنّه قرأ علی أبی الاسود الدُؤَلی. وذلک وهم، فإنّ أبا الاسود توفی سنه تسع وستین، وذلک قبل ولاده جعفر الصادق بإحدی عشره سنه.

قرأ علیه حمزه، ولم یخالف حمزه فی شیء إلّا عشره أحرف ... قال جعفر الصادق: هکذا قراءه علی بن أبی طالب ((۲)).

وعلیه، فقد عرفت بأن قراءه أهل البیت وعلی رأسها قراءه الإمام أمیر المؤمنین هی قراءه محکمه ورائجه، وقد رویت بطرق مختلفه، وأنّ أهل البیت وشیعتهم قد ألفوا رسائل فی تلک القراءه، منها:

۱ - کتاب قراءه أمیر المؤمنین، لزید الشهید (ت ۱۲۲ ه-).

۱- فهرست الطوسی : ۳۲۷ / ت ۵۰۹، کشف الحجب والأستار : ۴۵۶ / ۲۵۶۳، الذریعه ۱۷ : ۵۴ / ۲۹۷، تاریخ الأدب العربی لفؤاد سزگین ۱: ۲۸۹.

۲- غایه النهایه ۱: ۱۹۶ / ت ۹۰۴ لجعفر الصادق (.

۲ - کتاب قراءه أمیر المؤمنین لأبی أحمد عبدالعزیز بن یحیی الجلودی (ت ۳۰۲ ه-) رواه بإسناده عن أمیر المؤمنین ((۱)).

۳ - کتاب قراءه أمیر المؤمنین لأبی الطاهر المقری عبد الواحد بن عمر بن محمّد بن أبی هاشم، وهو غلام ابن مجاهد صاحب کتاب السبع ((۲)).

۴ - کتاب قراءه أمیر المؤمنین لابن الجُحام أبی عبد الله محمّد بن العباس بن علی بن مروان بن الماهیار، وهو شیخ هارون بن موسی التلعکبری، وله إجازه منه، وقد سمع عنه فی سنه ۳۲۸ ه-.

ولابن الجُحام أیضاً کتاب قراءه أهل البیت ((۳)).

إذن المصحف السائد الیوم منسوب إلی الإمام علی، وهو مصحفه المجرد عن التفسیر لکن الاختلاف متصور بینهما بشیء فی القراءه.

نعم هناک للإمام نسخه أخری من المصحف کتبها لغرض آخر حسب تعبیر الآلوسی، وهو کتاب علم حسب تعبیر ابن سیرین وتعبیر غیره کمحمد بن جزی الکلبی((۴))، وقد أطلقنا علیه کلمه المصحف قاصدین معناها اللغوی، وهو کل مجموع ما بین الدفتین.

۱- الذریعه ۱۷ : ۵۴ / ۲۹۶ النجاشی ت ۶۴۹.

۲- الذریعه ۱۷ : ۵۴ / ۲۹۸.

۳- الذریعه ۱۷ : ۵۴ / ۲۹۹، ۳۰۰، خلاصه الأقوال : ۲۶۶ / ۹۴۹.

۴- التسهیل لعلوم التنزیل ۱ : ۴.

عودٌ على بدء

لنا أن نعاود ما تساءلناه مرّةً أُخرى: هل كان للإمام عليّ عليه السلام مصحف يختصّ به - كما يشيعه الآخرون عنّا - أو أنّ مصحفه نفس مصحف المسلمين اليوم؟

وبعباره أخرى: هَلْ يَخْتَلِف مُصْحَفُهُ عليه السلام عن المصحف المقروء اليوم عند النّاس، أو أنّه على وفاق معه؟

فلو قلنا بالقول الأوّل، فما الدليل على المخالفه؟ بل ما هو حجم المخالفه فيما بينهما؟

هل هو فى الترتيب؟ أو فى النصّ المكتوب زياده أو نقصاً؟ فالثانى باطل يقيناً، لأنّه يسوقنا إلى القول بوقوع التحريف فى القرآن، وهذا ما لا نقبله، والأوّل سنوضّحه إن شاء الله تعالى.

أمّا لو قلنا بالثانى، فهل ذلك المصحف هو نفسه مصحف رسول الله صلى الله عليه و آله الّذى أمر بجمعه وتدوينه، والّذى كان أودعه خلف فراشه؟

أو أنّه مصحف آخر ألّفه وكتبه بإملاء رسول الله؟ أم أنّ له نسختَين من المصحف مختلفتَى الترتيب، إحداهما طبقاً للمنزل دفعةً واحده، والأُخرى بترتيب الحوادث والوقائع وفيها التفسير والتأويل؟

ولا ـ يخفى عليك بأنّ عليّاً عليه السلام كان أوّل من جمع القرآن وحفظه ودوّنه، وهذا لا يعنى عدم وجود اختلاف فى ترتيب السور فى مصاحف الصحابه، فقد يكون ترتيب مصحف على المنزل يختلف عن ترتيب المصحف المنسوب إلى عثمان بن عفان وإن كان ماده كلا المصحفين واحده، فأحدهما قدّم السور المكيه على المدنيه والآخر قدّم الطوال

والمئين على القصار. قال ابن أبى الحديد:

«وأمّا قراءته القرآن واشتغاله به، فهو المنظور إليه فى هذا الباب، اتّفق الكلّ على أنّه كان يحفظ القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله ، ولم يكن غيره يحفظه، ثمّ هو أوّل من جمعه، نقلوا كلّهم أنّه تأخّر عن بيعه أبى بكر.

فأهل الحديث لا يقولون ماتقوله الشيعه من أنه تأخّر مخالفةً للبيعه، بل يقولون: تشاغل بجمع القرآن، فهذا يدلّ على أنّه أوّل من جمع القرآن، لأنّه لو كان مجموعاً فى حياه رسول الله صلى الله عليه و آله لما احتاج إلى أن يتشاغل بجمعه بعد وفاته صلى الله عليه و آله ، وإذا رجعت إلى كتب القراءات وجدت أئمّه القرّاء كلّهم يرجعون إليه، كأبى عمرو بن العلاء، وعاصم بن أبى النجود وغيرهما؛ لأنّهم يرجعون إلى أبى عبد الرحمان السلمى القارئ، وأبو عبد الرحمان كان تلميذه، وعنه أخذ القرآن، فقد صار هذا الفنّ من الفنون الّتى تنتهى إليه أيضا، مثل كثير ممّا سبق» ((۱)).

فما يعنى هذا الكلام من ابن أبى الحديد ومن غيره من الأعلام، وهل الإمام جمع القرآن المنزل فقط، أو أنّه جمعه مع تأويله وشأن نزوله أيضاً؟

الّذى أحتمله وأَميلُ إليه هو وجود نسختين من المصحف عند أمير المؤمنين علىّ عليه السلام :

فالمصحف الأول مجرّد عن التفسير والتأويل، وهو ما نسمّيه بمصحف التلاوه

۱- شرح نهج البلاغه ۱: ۲۷.

والذِّكْر (القرآن).

والآخر مفسَّر وَمُؤَوَّل - وكلاهما مأخوذان مباشره عن رسول الله -، وفيه شأن النزول، والمحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، وأسماء المؤمنين والمنافقين، وأسباب النزول التى نزلت كاشفه عن حالات بعض المهاجرين والأنصار وفضحت أفعالهم ضد الرساله آنذاک، إلى وجود غيرها من المعارف الإلهيّه. وهو الذى عبر عنه ابن سيرين بمصحف العلم والتفسير والتأويل.

وأن الإمام على بكلماته وكلمات أولاده المعصومين أكد بأنّه هو القرآن الناطق وبه يُفهم القرآن على وجه، إذ المصحف آنذاک غالبه مكتوب بالمداد والورق وليس بعسب ولخاف وأشباه ذلک.

كما يشير النص الآتى بأنّ أمير المؤمنين على كان قد أعاد كتابه القرآن مره أخرى لغرضٍ آخر، وقد كانت عنده نسخه أخرى من المصحف غير ما تركه رسول الله خلف فراشه.

ففى ترجمه الإمام علىّ عليه السلام من تاريخ ابن عساكر: «إنّ عليّا لمّا كاتب معاويه وحكّم الحكمين خرج عليه ثمانيه آلاف من قرّاء النّاس حتّى نزلوا بأرض يقال لها: حروراء، من جانب الكوفه، عتبوا عليه...

فلمّا أن بلغ عليّا ما عتبوا عليه وفارقوا أمره أذّن مؤذّن أن لا يدخل على أمير المؤمنين عليه السلام إلّا رجل قد قرأ القرآن ، فلمّا امتلأت الدار من قرّاء النّاس جاء بالمصحف إماماً عظيماً ، فوضعه علىّ عليه السلام بين يديه فطفق يحرّكه بيده ويقول: أيّها المصحف حدّث النّاس!

فناداه النّاس: ما تسأل عنه؟ إنّما هو مِدادٌ وورق، ونحن نتكلّم بما روينا منه فماذا تريد؟

فقال: أصحابكم الذين خرجوا بينى وبينهم كتاب الله ، يقول الله فى كتابه فى امرأه ورجل:

(وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَما مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَما مِنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحا يُوَفِّقِ الله بَيْنَهُمَا إِنَّ الله كَانَ عَلِيما خَبِيرا) ((۱)).

فأمّه محمّد صلى الله عليه و آله أعظم حقّا وحرمهً من امرأه ورجل ، ونقموا عليَّ أنّى كاتبت معاويه وكتبت «علىّ بن أبى طالب» ، وقد جاءنا سهيل بن عمرو...»((۲)). إلى آخر كلامه عليه السلام .

وفى نهج البلاغه قال الإمام عليه السلام :

«هذَا الْقُرآنُ إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْتُورٌ - أو مسطور - بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ ، لَا يَنْطِقُ بِلِسَانٍ ، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ تَرجمان» ((۳)).

وقال عليه السلام أيضا:

«ذلك الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ ، وَلَنْ يَنْطِقَ ، وَلكِنْ أُخْبِرُكُمْ عَنهُ ، أَلَا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِى ، وَالْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِى ، وَدَوَاءَ دَائِكُمْ ، وَنَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ»((۴)).

۱- سوره النساء: ۳۵.

۲- تاريخ دمشق ترجمه الإمام علىّ ۴۲ : ۴۶۵ - ۴۶۶.

۳- نهج البلاغه ۲ : ۵ / رقم الخطبه ۱۲۵ ، من كلام له عليه السلام فى التحكيم وذلك بعد سماعه لأمر الحكمين.

۴- نهج البلاغه ۲ : ۵۴ / رقم الخطبه ۱۵۸ ، يتبه فيها على فضل الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله ، وفضل القرآن ، ثمّ حال دوله بنى أميه.

فأمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام بهذه الكلمات أراد أن يُفهم الصحابه بأنّ القرآن لا يفهم إلّا به وبأهل بيته؛ لأنّهم هم المعنيّون فى قوله تعالى: (وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِى الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ).

وهو ما قصده عليه السلام حينما أتى الناس فى المسجد بمصحفه المفسر وطلب من الخلفاء أن يكون معهم وهو معه يفسّره لهم. وعدم قبول عمر ذلك وقوله: انصرف به لا تفارقه ولا يفارقك.

وقد يكون هو ذلك المصحف المجرد الذى رفعه عليه السلام فوق رأسه، إذ جاء فى المعرفه والتاريخ للفسوى: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله الأويسى، حدثنا ابراهيم بن سعد، عن شعبه عن أبى عول محمد بن عبيد الله الثقفى عن أبى صالح الحنفى، قال رأيت على بن أبى طالب أخذ المصحف فوضعه على رأسه حتى لأرى ورقه يتقعقع، ثمّ قال: اللهمّ إنّهم منعونى أن أقوم فى الأمه بما فيه فاعطنى ثواب ما فيه ... ((۱))

إذن المجموع الأوّل هو الّذى ألّفه فى ثلاثه أو سبعه أو تسعه أيام، وهو ما يوافق ترتيبه ترتيب المنزل دفعه واحده فى ليله القدر، والّذى ضُبط وأُقرّ ورُتّب من خلال الاجتماع الثنائى بين رسول الله وبين الأمين جبرئيل فى رمضان من كلّ عام، والّذى أُمرنا بتلاوته فى الصلاه وكتابته فى المصاحف بذلك الترتيب.

نعم، إنّ رسول الله رتّب ذلك الكتاب العزيز أيام حياته، لكنّه ترك توحيد شكله وجمعه بين الدفتين إلى وصيّه أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام .

۱- أُنظر الغارات ۳ : ۱۲۱، وهو فى البدايه والنهايه ۸ : ۱۲ ط: حيدر آباد الهند أيضاً.

أمّا المجموع الثانی للإمام، والّذی استمرّ تدوینه ستّه أشهر، فقد کان کتاب علم وتفسیر الفه الإمام مما تلقّاه وتعلّمه من علم الرسول، وهو لیس کتاب ذکر وتلاوه، ولا یجوز الخلط بینهما.

وقد احتملنا هذا الأمر جمعاً بین الأخبار الموجوده عند الفریقین بهذا الصدد، لأنّ جمع أمیر المؤمنین للقرآن فی مدّه ثلاثه أیّام ((۱)) لایتّفق مع جمعه فی ستّه أشهر ((۲))، وأنّ حمله فی إزار معه وهو ینط أو یئط من تحته ((۳)) لا یتفق مع حمله علی بعیر فلابدّ من الجمع بین الأقوال، غیر منکرین وجود مصاحف أخری للصحابه مدوّنه علی عهد رسول الله صلی الله علیه و آله ، وبإشرافه صلی الله علیه و آله لکنّها جمیعاً کانت ناقصه، إلّا ما کان عند رسول الله وأمیر المؤمنین علی.

وممّا اشتهر فی هذا الأمر أیضاً هو أنّ جبرئیل الأمین کان یعرض القرآن علی رسول الله صلی الله علیه و آله کلّ عام مرّه، ومعناه: أنّهما کانا یعیدان الآیات النازله علی النبیّ محمّد بن عبد الله نجوماً إلی النازله علیه دفعه واحده، أی أنهما کانا یُرجِعان الآیات المنجّمه إلی أماکنها فی السور من قرآن التلاوه، فیقول: ضعوا الآیه الفلانیه فی المکان الفلانی ((۴))، ویمکن فهم هذا المعنی من قوله تعالی: (وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ

۱- تفسیر فرات الکوفی : ۳۹۸ - ۵۳۰، بحار الأنوار ۲۳ : ۲۴۹ / ۲۳.

۲- مناقب آل ابی طالب ۱ : ۳۲۰ .

۳- اثبات الوصیه للمسعودی : ۱۲۳ .

۴- والتی مرّت نصوصها سابقا.

عَلَى مُكْثٍ) ((۱))، وقوله تعالى: (ولا تحرِّكْ بِهِ لسانَک لتعجَل به إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ)، أی أنّ علی الصادق الأمین وجبرئیل الأمین جمع القرآن المتفرّق ((۲)) فی رمضان کل عام، لأنّا مأمورون بالتلاوه طبق النازل دفعهً واحده، وأنّ ذلک لا یتحقّق إلّا بعد إقرار ربّ العالمین له بأن لا تغییر ولا تبدیل کما لا نسخ ولا بداء فیه بعد الیوم (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) فی صلاتک وفی مصحفک.

لکنّ رسول الله بعلمه بالقرآن کان یسترسل فی تلاوه الآیات المتبقّیه من السوره التی یراد إقرارها من رب العالمین ذلک العام، وبعضها لم تنزل بعد، وهی التی یجب أن تنزل فی العام القادم أو ما بعد القادم، فجاءه النهی فی قوله تعالی: (وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرآنِ قَبْلَ أنْ یُقضَی إلیکَ وَحْیُه وَقُل رَبِّ زِدْنِی عِلْماَ)، وقوله تعالی: (ولا تحرِّکْ بِهِ لسانَک لتعجَل به إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ)، وهذا العمل یفهم بأنّ هناک دقه فی الضبط من قبل المَعصُومَین ((۳))، وفوق کلّ ذلک ربّ العالمین، کما أنّه یؤکّد بانّ هذا القرآن لا یحتاج فی إثباته إلی شاهدَین، فإنّ القول بأمثال هذا من قبیح القول.

کما لا یستبعد أن یعود سبب تأکید الرسول صلی الله علیه و آله علی أفضلیه قراءه القرآن فی المصحف من قراءته عن ظهر القلب إلی ضروره حفظ ترتیب مصحف التلاوه عند

۱- سوره الإسراء : ۱۰۶.
۲- والذی قال عنه سبحانه: (وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ) سوره الحجر: ۲۱.
۳- جبریل الأمین والصادق الأمین.

المسلمین ((۱))، والاهتمام بالتدوین والکتابه عندهم، بجنب الحفاظ علی محفوظاتهم القرآنیه.

إنّ ما نرید قوله یؤکد بأنّ ترتیب التلاوه یختلف عن ترتیب النزول، وأنّ الإمام علی بن أبی طالب کان قد جمع القرآن علی الترتیبَین، وقد رجا فی کلّ واحدٍ منهما هدفاً خاصّاً، أحدهما الحفاظ علی قرآن التلاوه والذکر، والآخر حفظ تاریخ الإسلام وما جری فیه، کلّ ذلک وفقاً للتسلسل الزمنی للوقائع والأحداث.

نحن بهذا الجمع ((۲)) أمکننا أن نوفّق بین الأخبار الکثیره المتخیّل تعارضها. مؤکّدین بأن لا تعارض بین قولنا وبین وحده النصّ القرآنی عند المسلمین.

لأنّ الإمام علیه السلام - وکما قلنا - جمعها تارهً طبقا للمنزل من اللوح المحفوظ إلی سماء الدنیا أو علی قلب رسول الله صلی الله علیه و آله دفعه واحده.

وأُخری جمعها مع تفسیرها وشأن نزولها، وترتیبُ الأخیر یختلف عن ترتیب الأوّل، وکلّ واحد من المجموعین یهدف إلی شیء، فأحدهما کتاب علم، والآخر مصحف تلاوه وذکر.

قال السیّد الخوئی: إنّ وجود مصحف لأمیر المؤمنین یغایر القرآن الموجود فی ترتیب السور ممّا لا ینبغی الشک فیه ...

کما أنّ اشتمال قرآنه علی زیادات لیست من القرآن الموجود وإن کان صحیحاً إلّا

۱- کما جاء فی کلام الزرکشی والبغوی وأبی شامه ومحمّد بن عبد الکریم الشهرستانی.

۲- بین الأخبار الوارده عن مصحف الإمام علی.

أنّه لا دلاله فی ذلک علی أنّ هذه الزیادات کانت من القرآن ((۱)).

وقال العلّامه الطباطبائی فی (المیزان): وکذا الروایات الوارده عن أمیر المؤمنین وسائر الأئمّه من ذرّیته علیهم السلام فی أنّ ما بأیدی الناس قرآن نازل من عند الله سبحانه وإن کان غیر ما ألّفه علی علیه السلام من المصحف ولم یُشرِکوه علیه السلام فی التألیف فی زمن أبی بکر ولا فی زمن عثمان، ومن هذا الباب قولهم علیهم السلام لشیعتهم: «اقرؤوا کما قرأ الناس».

ومقتضی هذه الروایات أن لو کان القرآن الدائر بین الناس مخالفاً لما ألّفه علی علیه السلام فی شیء فإنّما یخالفه فی ترتیب السور أو فی ترتیب بعض الآیات التی لا یؤثر اختلال ترتیبها فی مدلولها شیئاً، ولا فی الأوصاف التی وصف الله سبحانه بها القرآن النازل من عنده ما یختلّ به آثارها ((۲)).

وقال الشیخ المفید: ومما لا خلاف فیه بین المسلمین المفسّرین هو حذف ما کان مثبتاً فی مصحف أمیر المؤمنین فی تأویل القرآن وتفسیر معانیه علی حقیقه تنزیله ((۳)).

وقال الباقلانی: لا یجوز أن یضاف إلی عبد الله بن مسعود أو إلی أُبیّ بن کعب أو زید أو عثمان أو علی أو واحد من ولده أو عترته جحد آیه أو حرف من کتاب الله وتغییره أو قراءته علی خلاف الوجه المرسوم فی مصحف الجماعه بأخبار الآحاد، إنّ ذلک لا یحلّ ولا یسمع بل لا یصلح إضافته إلی أدنی المؤمنین فی عصرنا فضلاً عن

۱- البیان فی تفسیر القرآن: ۲۲۳.

۲- المیزان فی تفسیر القرآن ۱۲: ۱۰۸.

۳- أوائل المقالات: ۹۴.

إضافته إلی رجلٍ من الصحابه ((۱)).

إنّ ظاهره وجود تفسیر للصحابی بجنب آیات القرآن کان شائعاً فی عصر الصحابه، وإنّه لیس بدعاً من القول، وإنّ عمر بن الخطّاب کان یسعی لأن یجرّد القرآن من ذلک، لأهدافٍ ذکرناها فی کتابنا (منع تدوین الحدیث).

وقد تلخّص ممّا سبق أنّ الإمام قد بیّن فی نسخته الثانیه من المصحف - أی المفسر - مرادین:

النص والدلاله، أی أنه جمع بین متن القرآن وتفسیره وتأویله، وذلک حینما رأی إعراض الأمّه عنه وتوجّهم إلی من لم یعیّنهم الله تعالی، فأراد أن یؤرّخ للنّاس ما سمعه من رسول الله صلی الله علیه و آله فی تلک الأحداث وما سیجری علیه وعلی الأُمّه من بعده، رافعاً بذلک الإجمال الموجود فی بعض الأمور، وإنّ ضروره عمله دعته أن یقدّم المنسوخ علی الناسخ، والمکّی علی المدنی، وجعل المحکم بجنب المتشابه، لأنه کتب نسخته طبقاً لتسلسل الأحداث التاریخیه وما وقع فی الأیام من أمور یوماً فیوماً، وبذلک یکون الإمام قد وضع کلّ شیء فی محلّه، والأمور فی نصابها، فجمع القرآن هنا بترتیب نزوله یوماً فیوماً، لا ترتیب ما أنزله الله من اللوح المحفوظ إلی سماء الدنیا، وهذا ما عناه بعضهم بأنّه علیه السلام قدّم المنسوخ علی الناسخ، والمکّی علی المدنی.

نعم، إنّ الإمام أکّد بأنّه جمع کلّ القرآن ناسخه ومنسوخه قائلاً: (جمعته بتنزیله وتأویله، محکمه ومتشابهه)، فهو بکلامه یرید تأکید جمعه للعلم الذی سمعه من رسول الله، وهو

۱- البرهان فی علوم القرآن للزرکشی ۲: ۱۲۷ عن الباقلانی.

الّذى عناه محمّد بن جزى الكلبى فى قوله: «لو وجد مصحفه لكان فيه علم كبير» ((۱)).

بلى، إنّ الإمام قدَّم هذه النسخه للخلفاء دون تقديم المصحف المجرّد، لأنّ القرآن المتلو كان مجموعاً فى صدورهم، ومقروءاً فى صلواتهم، ومدوَّناً فى مصاحفهم، ولا داعى لتقديم المتداول المعروف لهم.

بلى قدّم المفسَّر لهم، ليعرفهم تاريخهم ولإثبات حقّه وحقّ عترته، وإطلاع المسلمين على الآيات النازله فيه وفى أهل بيته، وبيان الحقائق الدينيه على وجهها الحق، كما أراد أن يتعرّف الآخرون على أسماء من نزلت فيهم الآيات قدحاً عند قراءتهم لها، أى أنه أراد أن يعرفهم بأنهم مَن هم؟ وإين كانوا؟ وما هى الآيات والسور التى نزلت فيهم ((۲)).

إذاً الحكام تركوا الأخذ بالمصحف المفسّر - لأنهم يخافون من تعرف الآخرين على أسماء المنافقين، والوقوف على أحقيه أهل البيت من خلال القرآن المجيد.

لذلك كانوا لا يريدون أن يستجيبوا لشرط الإمام بأن يكون هو عليه السلام مع القرآن يفسره لهم ويحكم على طبقه، لأنّ الكتاب والعتره لا يفترقان، فقال لهم لمّا جاء بالمصحف إليهم: «هذا كتاب الله قد ألّفته كما أمرنى وأوصانى رسول الله كما أُنزل.

فقال له بعضهم: اتركه وامض.

فقال لهم: إنّ رسول الله قال لكم: «إنّى مخلّف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض» فإن قبلتموه فاقبلونى معه، أحكم بينكم بمافيه من أحكام الله.

۱- التسهيل لعلوم التنزيل ۱: ۴.

۲- سنوضح هذا بعد قليل ان شاء الله.

فقالوا: لا حاجه لنا فیه ولا فیک...» ((۱)).

إذن المصحفُ المُفسَّرُ هو غیر المصحف المُجَرَّدِ فی ترتیبه وإضافاته، والإمامُ علیه السلام قدّم المصحف المفسَّر للخلفاء - دون المجرد - مع علمه بعدم استجابتهم للأَخذ به؛ وذلک لصعوبه ما جاء فیه من حقائق تؤذی الآخرین، ولوجود علوم خاصّه به لا یمکنهم أن یفهموها کما هی لأنها من ودائع النبوّه، قدّمها لهم إتماماً للحجّه علیهم لیس إلّا.

أمّا المصحف المجرّد عن التفسیر، فبقی عنده ثم عند ولده یخرجانه إن اقتضی الأمر، لعدم الضروره فی نشره، وذلک لأُنس الصحابه بالقرآن وقراءتهم له.

وإنّ اختلاف قراءه الإمام مع المصحف المتداول الیوم فی بعض الأحیان لا یدعو إلی التعریض به أو التشکیک بالقرآن الکریم، بل إنّ الإمام علیه السلام کان لا یرتضی الجهر بالمخالفه ولا یجیز تعمیق الاختلاف بینه وبین المصحف الرائج، أو تعمیق الاختلاف بین قراءات الصحابه وبین القراءه الرائجه، بل کان یؤکد هو وأولاده علی لزوم القراءه بما یقرأ به النّاس، لأنّ المخالفه والجهر بالمخالفه - فی أمور صغیره - یفتح باب التلاعب بالقرآن کلیا.

کما أنّ تدوین الإمام علیّ علیه السلام القرآن مع تفسیره وما جاء عن مصحف السیّده فاطمه الزهراء علیها السلام - والذی هو باعتقادنا کتاب مجموع بین الدفتین لا قرآن حسبما یشیعونه عنها - له دلالتهُ، مع لحاظ الفارق بین المصحفین.

فإنّ مصحف الإمام علیّ علیه السلام المفسَّر کان املاءً من قبل رسول الله صلی الله علیه و آله ، ممّا أوحاه الله إلیه فی تفسیر الآیات القرآنیه وتأویلها وبیان شأن نزولها، مع توضیح

۱- إثبات الوصیه: ۱۲۳.

للأحكام والأحداث الوارده فيها.

وأمّـا مصـحف فاطمه الزهراء عليها السـلام فهو إملاء مَلَكٍ على عليٍّ وفاطمه عليهما السـلام ، وأنّ ذلك ليس بقرآن ولا بتفسير لآيـاته حسب تعبير الأـئمّه عليهم السـلام ، بـل هو كتـاب كـان يمليه جبريل على الزهراء عليها السـلام - بعـد وفاه الرسول - كى يسلّيها ويؤنسها، وقد كان أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام يدوّن تلك الأمور، فجاء عن الصادق عليه السلام قوله:

«إنّكم لتبحثون عمّا تريدون وعمّا لا تريدون، إنّ فاطمه مكثت بعد رسول الله خمسه وسبعين يوماً، وكان دَخَلَها حزن شديد على أبيهـا، وكـان جبريـل عليه السـلام يأتيهـا فيحسن عزاءهـا على أبيها، ويطيّب نفسـها، ويخبرها عن أبيهاومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها فى ذريّتها، وكان علىّ يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمه» ((۱)).

وعن الصادق عليه السلام أيضا: «... وعندنا والله مصحف فاطمه ما فيه آيه من كتاب الله» ((۲)).

أو قوله عليه السلام : «وخلّفت فاطمه مصحفاً ما هو قرآن ولكنّه كلام من كلام الله» ((۳)).

وعنه عليه السلام : «وإنّ عندنا لمصحف فاطمه، وما يدريهم ما مصحف فاطمه؟

۱- انظر الكافى ۱: ۲۴۰ / ح ۲، بصائر الدرجات: ۱۷۲/ ح ۳، بحار الأنوار ۲۶: ۴۱ / ح ۷۲، و۴۳: ۷۹/ ح ۶۷.
۲- بصائر الدرجات: ۱۷۳ / ح ۵، وانظر بصائر الدرجات: ۱۷۸ / ح ۱۹، ۱۸۱ / ح ۳۳.
۳- بصائر الدرجات: ۱۷۵ / ح ۱۴.

قال: مصحف فیه مثل قرآنکم هذا ثلاث مرّات، والله ما فیه من قرآنکم حرف واحد.

قال، قلت: هذا والله العلم.

قال: إنّه لَعِلمٌ وما بذاک، ثمّ سکت ساعه ثمّ قال: إنّ عندنا علم ما کان وعلم ما هو کائن إلی أن تقوم الساعه» ((۱)).

ومن الطریف أن نری الآخرین ینسبون التحریف إلی الشیعه، مستغلّین وجود هکذا اصطلاحات فی کتبنا، رغم تأکید الأئمه – ومن ورائهم علماء المذهب – بأنّ المقصود من مصحف فاطمه هو المعنی اللغوی له (أی المجموع ما بین الدفّتین) لا الاصطلاحی المشهور علی الألسن بلفظ القرآن.

کلّ ذلک مع أنّ الأئمّه من أهل البیت یصرحون الواحد منهم بعد الآخر بأنّ مصحف فاطمه (ما هو بقرآن، ولکنّه من کلام الله)، أو قوله علیه السلام : (والله ما فیه آیه من کتاب الله)، أو (والله ما فیه من قرآنکم حرف واحد) وأمثال ذلک.. فهم یشیعون هذه الأقوال علی الشیعه الإمامیّه ظلماً وعدواناً وکذباً وزوراً.

فی حین وقفت علی دور الإمام علیّ علیه السلام والسیّده فاطمه الزهراء علیها السلام والأئمّه علیهم السلام من ولدهما أمام ما أحدثه الآخرون من منهج خطیر فی الدین، وإقرارهم علیهم السلام لهذا القرآن وعدم قبولهم الشک فیه، واستدلالهم بآیاته دون زیاده أو نقیصه فیه، ووقوف أمیر المؤمنین أمام المغرضین بقوله: «إنّ القرآن لا یهاج الیوم ولا یحوّل».

وقد کانت السیده الصدیقه فاطمه الزهراء تقرأ بهذا القرآن وتستدل بآیاته، وستقف

۱- الکافی ۱: ۲۳۸ / ح ۱ باب فیه ذکر الصحیفه والجفر والجامعه ومصحف فاطمه.

على خطبتها فى مسجد رسول الله حينما نتكلّم عن جمع القرآن على عهد أبى بكر.

إذن، كانت دعوى الخلفاء لجمع القرآن لصرف هذه الفضيله عن أمير المؤمنين على، كما أنّهم كانوا يهدفون من هذا العمل أموراً كثيره أخرى: منها سياسيه كما عرفت، ومنها أعلاميه لتحسين وتجميل مقام السلطه واهتمامها بالقرآن فقط، ومنها اجتماعيه لاختراق الصفوف الاجتماعيه والتداخل مع النّاس، ومنها دينيه لتشريع عقائدهم وآرائهم، إلى غيرها من الامور المهمّه الّتى رجوها فى عملهم.

ولأجل ارتباط الموضوع بالمصحف واشتباكه مع مصحف فاطمه، لابدّ من بيان جذور كلمه (المصحف) لنتعرف عليها، وهل هى كلمه عربيه أم حبشيه؟ ومن هو أوّل من أطلقها على القرآن؟ وهل فى إطلاقها على القرآن مدح للذى أطلقها أم لا؟ وفى المقابل هل يذم من استفاد هذه الكلمه وأطلقها على كتاب فاطمه الزهراء أو كتاب علىّ المفسِّر للقرآن، فقال: (مصحف فاطمه) أو المصحف المفسَّر للإمام على؟

المصحف كلمه عربيه أم حبشيه؟

إنّ أتباع مدرسه الخلافه - بعد أن وقفوا على أخبار مصحف الإمام علىّ عليه السلام فى المصادر الحديثيه والتاريخيه الأم، وأنّ الإمام أقسم أن لايضع رداءه على ظهره حتّى يجمع القرآن، وأنّه عليه السلام كان أوّل من جمع المصحف بين الدفّتين - جاؤوا يستبدلون بعض النصوص ويثيرون بعض التساؤلات ويشكّكون فى بعض الأمور المرتبطه به.

منها المروىّ عن ابن بريده إذ قال:

«أوّل من جمع القرآن فى مصحف سالم مولى أبى حذيفه، أقسم أن لا يرتدى برداء حتّى يجمعه، ثمّ ائتمروا ما يسمّونه، فقال بعضهم: سمّوه

السِّفْر، قال: ذلک اسم تسمّیه الیهود، فکرهوه، فقال: رأیت مثله بالحبشه یسمّی المصحف، فاجتمع رأیهم علی أن یسمّوه المصحف» ((۱)).

وجاء مثله عن ابن مسعود أنّه قال: «رأیت للحبشه کتاباً یدعونه المصحف، فسمّوه به» ((۲)).

کما حکی السیوطی عن أبی بکر، أنّه: «أوّل من جمع القرآن وأوّل من سمّاه مصحفا» ((۳)).

فإنّهم قالوا بهذه الاُمور کی یرفعوا بضبع الآخرین ولیقولوا بعلوّ مکانتهم، وأن فلانا وفلانا هما - کعلی بن أبی طالب - أقسما بالله أن لا یرتدیا برداء حتی یجمعاه، لأن إطلاق کلمه المصحف علی القرآن لیس بعسیر ومشکل.

وإنّ نسبه هکذا نصوص لهؤلاء بنظرنا لا تعطی لاُولئک منزله تفوق الآخرین، لأنّ کلمه (الصحف) التی هی أساس «المصحف» وردت فی القرآن الحکیم عدّه مرّات، إمّا حکایه عن الأقوام السابقه أو استعمالاً لکلمات العرب؛ لأنّ الکتب الأولی سمیّت بالصحف فی قوله تعالی: (أَوَ لَمْ تَأْتِهِم بَیِّنَهُ مَا فِی الصُّحُفِ الأُولَی) ((۴)).

وقوله تعالی: (إِنَّ هذَا لَفِی الصُّحُفِ الأُولَی * صُحُفِ إِبْرَاهِیمَ وَمُوسَی) ((۵))،

۱- الإتقان ۱: ۱۶۲ / ح ۷۵۴.

۲- البرهان للزرکشی ۱: ۲۸۲ عن المظفّری فی تاریخه، الإتقان ۱: ۱۴۶ / ح ۶۳۵.

۳- منح الجلیل ۳: ۶، تاریخ الخلفاء: ۷۷.

۴- سوره طه: ۱۳۳.

۵- سوره الأعلی: ۱۸ - ۱۹.

وقوله تعالى: (أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَى) ((۱))، وقوله تعالى: (فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ * فِى صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ) ((۲))، وقوله تعالى: (رَسُولٌ مِنَ اللهِ يَتْلُوا صُحُفاً مُّطَهَّرَةً) ((۳))، وقوله تعالى: (بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَى صُحُفا مُنَشَّرَةً) ((۴)).

فالصحف هى جمع (صحيفه) وهى ما يكتب فيها من ورق وجلد ونحوهما.

و(المُصحف) - مُثَلَّث الميم - إنما سمى المصحف مصحفاً لأنه أصحف، أى جعل جامعاً للصحف المكتوبه بين الدفتين ((۵)).

إذن أصل مادّه (ص، ح، ف) قد وردت فى القرآن، ولا يستبعد أن يكون مرجعها إلى ارتباط اللغات الساميه فى ما بينها، وهذا التلاقى بين العربيه والحبشيه فى دلاله المفردات ليس غريباً فى اللغات ذات الأصل الواحد، هذا أوّلاً.

وثانيا: أنّ ما قدّمناه من النصوص كافٍ فى إثبات استعمال الصحابه لهذه الكلمه على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله ، وقد حكينا ورودها على لسان رسول الله صلى الله عليه و آله سابقاً، وهو يشير إلى أُنْس العرب بهذه الكلمه وأنّها لم تكن بأجنبيه عنهم حتّى يذكّرهم ابن مسعود أو سالم: بأنّ للحبشه كتابا يسمّونه المصحف، أو يأتى أبو بكر ويسميه بالمصحف.

۱- سوره النجم: ۳۶، وفى سوره الأحقاف: ۱۲ (وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاما وَرَحْمَةً وَهذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانا عَرَبِيّا).

۲- سوره عبس: ۱۲ - ۱۳.

۳- سوره البينه: ۲.

۴- سوره المدثر: ۵۲.

۵- تهذيب اللغه ۴: ۱۴۹.

وثالثا: لماذا يتحيّر الصحابه فی انتخاب اسم لهذا المجموع من الذكر الحكيم، أليس الله قد سمّاه فی كتابه بالفرقان، والقرآن، والذكر، والكتاب، والهدی، والكلام، وأشباهها؟! وسواء كانت هذه هی أسماء أو صفات للكتاب العزيز فلا يشكّ أحد فی إطلاق اسم القرآن عليه.

إذن الإمام عليه السلام قد جمع الموجود فی بيت رسول الله من الألواح والعسب والرقّ واللخاف، ووحد شكلها فی مصحف واحد، فی ثلاثه أيّام، ثمّ احتفظ بها عنده كی تكون أصلاً يرجع إليه المسلمون لو اشتدّ الخلاف بينهم، أو لكی يحذر الآخرون من الزياده والنقيصه فی القرآن كما رأيت فی كلام زيد بن ثابت وقوله لعمر بعد اقتراحه جمع القرآن وحذف أشياء، فقال: فإن أنا فرغت من القرآن علی ما سألتم وأظهر علی القرآن الذی ألفه، أليس قد بطل كل ما عملتم؟ ... إلی آخر الخبر ((۱)).

وانّ الصحابه كانوا قد دوّنوا آيات الكتاب العزيز، وحفظوه وكانوا يَقْرَؤون به فی صلواتهم، وفی جوف الليل، وفی الصباح، ومنذ الأيّام الأولی لتاريخ الإسلام، وقد كان لهم دویّ كدویّ النحل؛ ففی بعض الأخبار: أنّ رسول الله صلی الله عليه و آله كان يمرّ علی بيوت الأنصار ويستمع إلی نداء أصواتهم بالقراءه فی بيوتهم ((۲))، فلو كان هذا حالهم - وهو كذلك - فهل يحتاج القرآن فی إثباته إلی شاهدين؟ إنّه من قبيح القول.

والزبده أنّ الإمام عليّاً عليه السلام لم يرَ ضرورةً فی تقديم مصحفه المجرّد عن التفسير

۱- الاحتجاج ۱ : ۲۲۸.

۲- اُنظر مثال ذلك فی صحيح البخاری ۴: ۱۵۴۷/ح۳۹۹۱، باب غزوه خيبر، وصحيح مسلم۴: ۱۹۴۴/ ح ۲۴۹۹، باب فضائل الأشعريّين.

والتأويل للنّاس، وذلك لأُنسهم به وتلاوتهم لآياته وسوره، أو قُلْ لاشتهار القرآن - بآياته وسوره - وتواتره بينهم، ولأنّهم كانوا يعرفونه كما يعرفون آباءَهم وأبناءهم وبلدانهم، لكنّه ومع كلّ ذلك احتفظ بنسخه من ذلك الكتاب لنفسه ولأهل بيته للاستفاده منه عند اشتداد النزاع والشك فى موضع ما، أو فى دلاله ما، أو فى آيه هل هى ثابته الحكم أو منسوخه بين المسلمين.

ولا أُريد بقولى أن أُصحّح ما نُسب إلى أمير المؤمنين من مصاحف فى متاحف العالم فغالبها مشكوك فيها. بل الّذى أريد تأكيده هو أنّ كلّ ما أثاروه من ضجّه حول جمع الخلفاء للقرآن كان مآله - شاؤوا أم أبوا - الاستنقاص من مكانه النبوّه والتعريض برسول الله صلى الله عليه و آله ، وفى المقابل الرفع بضبع الخلفاء الثلاثه - وزيد بن ثابت على وجه الخصوص - والارتفاع بمنزلتهم حتّى على رسول الله صلى الله عليه و آله ، مصوّرين أنفسهم بأنهم احرص على حفظ كتاب الله من رسوله المؤتمن من قبل ربّ العالمين، وأنهم يعرفون القراءه والكتابه ورسول الله لا يعرفهما - والعياذ بالله -.

لكنّ أئمّه أهل البيت وعموم رجالات الأُمّه بفعلهم - لا بقولهم - قد ردّوا كلّ ما نسجه الجناح الحاكم من إعلام مُشوَّه وباطل، وذلك من خلال التأكيد على اشتهار القرآن عند المسلمين، وأُنسهم به وتلاوتهم لآياته فى الليل والنهار.

كما أنّ وصيه رسول الله صلى الله عليه و آله لعلىّ بن أبى طالب عليه السلام بجمع القرآن، وإخبار رسول الله أمته بلزوم اليقظه والحذر من اليهود والنصارى، جعلت الأُمّه حقاً فى حيطه وحذر من إدخال أىّ شىء جديد فى القرآن، وإن كان ذلك الجديد من قبل الخليفه الثانى، فجدّوا أن لا يقبلوا إلّا بما عرفوه على عهد رسول الله.

ولَرُبَّ قائل يقول: إنّ مصحف الإمام علىّ عليه السلام المفسَّر هو عينه المجرّد، بفارق أنّ

الإمام أضاف إليه التفسير فى حواشيه، أو أنّه أضاف تعليقات خاصّه، مثل إشارته إلى كون هذه الآيه منسوخه، وتلك ناسخه، أو أنّ هذه الآيه هى الآيه المحكمه وتلك هى الآيه المتشابهه، وهذه الآيه مكّيه وتلك مدنيه، وأمثال هذه الأمور، وهذا يعنى بأنّ للإمام عليه السلام مصحفاً واحداً وبترتيب واحد لا مصحفين.

وهذا الكلام بكليته صحيح، فإنّ للإمام مصحفاً واحداً وهو مصحف رسول الله، وقد كان يقرأ به فى صلاته ويتلو فيه آناء الليل وأطراف النهار، لكنّ هذا لا يمانع من أن يكون للإمام مصحف آخر؛ وقد رتب بترتيب آخر لغرض آخر، فالنسختان هما واحده من حيث الماده، واثنتان من حيث الترتيب، فلا زياده ولا نقصان فى احداهما على الأخرى، وبذلك يصح القول بأن للإمام مصحفاً كما يصح القول بأنّ له مصحفين، فأحدهما مشتمل على الناسخ والمنسوخ (وهو القرآن)، والآخر بتقديم المنسوخ على الناسخ، والفرق بين التعبيرين واضح للمتأمّل.

إنّ تقديم المنسوخ على الناسخ يوجد فى مصحف الإمام علىّ عليه السلام المفسّر، لأنّه رُتِّب زمنياً، أمّا مصحف التلاوه فقد نرى فيه بعض الأحيان تقديم الناسخ على المنسوخ وهو ما أراده الله لحكمه، وكلاهما يجيز الاختلاف بين مصحف الإمام على مع المصحف الرائج فى الترتيب، فالاحتمال لو تصور فهو بين نسخه تفسير الإمام مع المصحف الرائج، لا بين نسخه الإمام للمصحف المجرّد مع المصحف الرائج، إذ أشرنا فى الصفحات السابقه إلى أنّ ترتيب سور وآيات نسخه صنعاء المنسوبه إلى الإمام علىّ بن أبى طالب توافق نسخه المصاحف الرائجه والمطبوعه فى العراق وإيران والسعوديه ومصر ولبنان.

والآن نستعيد بعض النصوص السابقه لنؤكد قولنا، ففى فى روايه سليم: «فلمّا

جمعه كلّه وكتبه بيده على تنزيله وتأويله والناسخ منه والمنسوخ».

وفى روايه الاحتجاج: «ولقد أحْضرتُ الكتاب كملاً مشتملاً على التأويل والتنزيل والمحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ».

ونقل السيوطى عن ابن اشته عن ابن سيرين قوله: «إنّه كتب فى مصحفه الناسخ والمنسوخ».

وهذه النصوص تختلف عن سابقتها، وحتّى إنّ ابن سيرين حكى عنه كلا الأمرين، ففى قول آخر عنه: «نبّئتُ أنّه كتب المنسوخ وكتب الناسخ فى أثره»، وهذه الجمله تختلف عن جملته السابقه التى نقلها عنه ابن اشته.

البسمله معياراً فى القرآن المتواتر:

وممّا يمكن قوله فى صحّه قراءتنا، وأنها منسوبه إلى رسول الله والإمام علىّ عليه السلام لا إلى عثمان بن عفان: هو بَدْءُ سُوَرِهِ بالبسمله، وهذا ما لا يأخذ به الآخرون، فالنهج الأموى وأتباع الخلفاء يصرّون على إسقاط البسمله من السور الّتى يقرؤونها فى صلواتهم، بدعوى أنّ أبا بكر وعمر كانا لا يقرآن بهما وخصوصا فى الصلوات الإخفاتيه.

فقد أخرج مسلم فى صحيحه، والنسائى فى سننه، وأحمد فى مسنده، عن قتاده، عن أنس بن مالك، قال: «صلّيت مع رسول الله وأبى بكر وعمر وعثمان فلم أسمع

أحداً منهم يقرأ «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ»» ((۱)).

وفی سنن الترمذی عن یزید بن عبد الله، قال: «سمعنی أبی وأنا أقول «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ»، قال أبی: بُنیَّ إیّاک، قال: ولم أر أحداً من أصحاب رسول الله کان أبغض إلیه حدثاً فی الإسلام منه.

فإنّی قد صلّیت مع رسول الله ومع أبی بکر وعمر ومع عثمان فلم أسمع أحداً منهم یقول، فلا تقلها، إذا أنت قرأت فقل: الحمد لله ربّ العالمین» ((۲)).

فهاتان الروایتان إن صحّتا فهما تناقضان روایات اُخری وردت عن أبی بکر وعمر فی الجهر بالبسمله.

ففی الدرّ المنثور: عن ابن عمر، قال: «صلّیت خلف النبیّ وأبی بکر وعمر فکانوا یجهرون ب- «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ»» ((۳)).

وفی المستدرک، عن أنس، قال: «صلّیت خلف النبیّ وخلف أبی بکر وعمر وخلف عثمان وخلف علیّ فکلّهم کانوا یجهرون بقراءه «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ»» ((۴)).

۱- صحیح مسلم کتاب الصلاه باب حجّه من قال لا یجهر بالبسمله/ح ۵۰ و۵۲، وسنن النسائی باب ترک الجهر بالبسمله من کتاب افتتاح الصلاه ۱/۱۴۴، مسند أحمد ۳: ۱۷۷، ۲۰۳،۲۰۵، ۲۲۳، ۲۵۵، ۲۷۳، ۲۷۸، ۲۸۶، ۲۸۹.

۲- سنن الترمذی ۲ :۴۳، مسند أحمد ۴: ۸۵، المصنّف لعبدالرزّاق ۲ :۸۸.

۳- الدرّ المنثور ۱ :۲۲، عن الدارقطنی ۱ : ۳۰۵ / ح ۱۲.

۴- مستدرک الحاکم ۱: ۳۵۹ / ح ۸۵۵ وله بیان فی ذیله راجعه.

وفی السنن الکبری: روی عبد الرحمان بن أَبْزَی، قال: «صلّیت خلف عمر بن الخطّاب فجهر ب- «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ»» ((۱)).

فقد یکون أبو بکر وعمر من المثبتین للبسمله، وقد یکونان من النافین لها، لکن الأمویّین رفعوا البسمله بدعوی أنّ أبابکر وعمر کانا لا یقرآن بها، بل الّذی أمیل إلیه هو أنّ البسمله حذفت من القراءه فی السنین الستّ الأواخر من عهد عثمان بن عفّان، وأن مثلها هو مثل الوضوء الّذی کان مسحاً فصار غسلاً فی عهد عثمان، وهما من إحداثاته فی آخر حیاته.

فالنهج الحاکم أدرج اسم رسول الله صلی الله علیه و آله مع الخلفاء - فی النهی عن البسمله - کی یحتموا باسمه صلی الله علیه و آله ویتستروا علی ما هم علیه.

وفی المقابل نری إصرار مدرسه أهل البیت علیهم السلام علی الإتیان بالبسمله والجهر بها، تأکیداً علی عظمتها والوقوف أمام إبداعات الآخرین فی الدین، حتّی صارت البسمله فی أخبار أهل البیت علیهم السلام من علائم المؤمن الخمسه ((۲)).

فعن علیّ علیه السلام أنّه کان إذا افتتح السوره فی الصلاه یقرأ «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ» وکان یقول: من ترک قراءتها فقد نقص، وکان یقول: هی تمام السبع المثانی والقرآن العظیم ((۳)).

کما ورد عنه علیه السلام تعریضاً بالآخرین قوله: «ما لهم قاتلهم الله عمدوا إلی أعظم آیه فی کتاب الله فزعموا أنّها بدعه إذا أظهروها» ((۴)).

۱- السنن الکبری ۲ :۴۸ / ح ۲۲۲۹.

۲- وللعلامه الحلی (ت ۷۲۶ ه-) فی نهایه الأصول بحث عن البسمله فلیراجع ج ۱ : ۴۰۴.

۳- تفسیر الثعلبی ۱: ۱۰۳، وعنه فی الدر المنثور ۱: ۲۱.

۴- تفسیر العیّاشی۱: ۲۲، وعنه فی بحار الأنوار ۸۲ :۲۱ /ح ۱۰، ۸۹ :۲۳۸/ح۳۹، فعن مالک والأوزاعی: أنّه لیس من القرآن إلّا فی سوره النمل، ولا یقرأ لا سرّا، ولاجهراً إلّا فی قیام شهر رمضان. وقال أبو حنیفه: تقرأُ ویسرُّ بها، ولم یقل إنّها آیه من السوره أم لا. قال یعلی: سألت محمّد بن الحسن عن (بسم الله) فقال: ما بین الدفّتین قرآن. قال: قلت: فلِمَ تسرُّه - أی تقرؤه سرّا - قال: فلم یجبنی. وعن أبی هریره قال: کان رسول الله یجهر ب-: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ» فی الصلاه، فترک النّاس ذلک.

فی حین تواتر عن معاویه أنّه حذف البسمله فی الصلاه فاعترض علیه الأنصار والمهاجرون بقولهم: «أَسَرَقتَ الصلاهَ أم نسیتَ؟!».. إلی آخر الخبر ((۱)).

فعدم قراءه الثلاثه ((۲)) ومعاویه بالبسمله یشیر إلی أنّ المصحف الموجود والّذی فیه البسمله لیس هو ما جمعوه، بل هو قرآن الله ورسوله صلی الله علیه و آله وهو الّذی جمعه الإمام علیّ علیه السلام بعد رسول الله، مع التأکید علی أنّ الصحابه کانوا یعرفون انتهاء سوره وابتداء سوره أخری بنزول (بسم الله الرحمن الرحیم)، وهذا یدل علی جزئیه البسمله عندهم.

نعم، انّ البسمله کانت معیاراً للتعرّف علی الطالبیّین فی المسائل الخلافیه، فجاء فی (الکامل) فی حوادث سنه ۴۴۷ ه-: وفی هذه السنه وقعت الفتنه بین الفقهاء الشافعیه والحنابله ببغداد، ومُقدَّم الحنابله أبو علی بن الفراء وابن التمیمی، وتبعهم من العامه الجمّ الغفیر، وأنکروا الجهر ببسم الله الرحمن الرحیم، ومنعوا من الترجیع فی الاذان،

۱- سنن الدارقطنی ۱: ۳۱۱/ح۳۳، مسند الشافعی : ۳۶، مستدرک الحاکم ۱ :۳۵۷/ح ۸۵۱، قال هذا حدیث صحیح علی شرط مسلم.

۲- إن أبابکر وعمر فی قول کانا یأتیان بالبسمله وفی آخر لا یأتیان بها، وما قلناه بناءً علی أحد القولین المنسوب الیهما.

والقنوت فی الفجر، ووصلوا إلی دیوان الخلیفه ولم ینفصل حال، وأتی الحنابله إلی مسجد بباب الشعیر فنهوا إمامه عن الجهر بالبسمله، فأخرج مصحفاً وقال: أزیلوها من المصحف حتّی لا أتلوها ((۱)).

وهذا النصّ وأمثاله تؤكّد بأنّ مفرده البسمله لم تكن هی المفرده الوحیده فی الخلاف الفقهی والعقائدی بعد رسول الله، بل كان للخلفاء وأتباعهم دور فی تشدید النزاع والسعی لهیمنه اتّجاه علی آخر أعنی منهج الشیخین علی غیره.

نعم، إنّ رسول الله كان قد أنس باسم الربّ الجلیل منذ أول البعثه؛ لخطاب الله إیاه بقوله تعالی (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِی خَلَقَ)، وقد كان صلی الله علیه و آله یقرأ «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ» منذ الأیام الأولی من دعوته، ومعنی كلامنا هو تصدّر البسمله صلاته صلی الله علیه و آله وما أراده من الكتابه فی المصحف، وبما أنّ سوره الفاتحه النازله فی مكّه قد بدأت بالبسمله، واشتهر عن رسول الله قوله: لا صلاه إلّا بفاتحه الكتاب، فتكون البسمله هی أول آیه فی قرآن الصلاه، ومن أوائل الآیات التی كان یقرأ بها رسول الله فی صلاته.

وعن أبی جعفر الباقر علیه السلام قوله: أول كلّ كتاب نزل من السماء «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ» ((۲)).

۱- الكامل فی التاریخ ۸: ۷۲ تاریخ أبی الفداء ۱: ۵۲۹، البدایه والنهایه ۱۲: ۶۶وانظر السیره الحلبیه ۲: ۳۰۵ والنجوم الزاهره ۵: ۵۹ وفیها اقیم الاذان فی مسجد موسی بن جعفر ومساجد الكرخ بالصلاه خیر من النوم علی رغم أنف الشیعه وأزیل ما كانوا یقولونه فی الاذان فی حی علی خیر العمل.

۲- الكافی ۳: ۳۱۳ /ح ۳، وسائل الشیعه ۶: ۵۹ / ح ۷۳۴۳.

وعن أبی عبد الله الصادق علیه السلام : ما نزل کتاب من السماء إلّا وأوله «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ» ((۱)).

وفی أمالی الصدوق عن أمیر المؤمنین علیه السلام قال: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ» آیه من فاتحه الکتاب، وهی سبع آیات تمامها ب- «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ»، سمعت رسول الله یقول: إن الله عزوجل قال لی: یا محمّد (وَلَقَدْ آتَیْنَاکَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِی وَالْقُرْآنَ الْعَظِیمَ) فأفرد الامتنان علیّ بفاتحه الکتاب وجعلها بازاء القرآن العظیم ((۲)).

وعن ابن عمر: أنّ رسول الله قال: کان جبرئیل إذا جاءنی بالوحی أول ما یلقی علی «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ» ((۳)).

وعن ابن عباس: أنّ النبی کان إذا جاءه جبرئیل فقرأ «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ» علم أنها سوره ((۴)).

ویشهد بکون البسمله آیه من القرآن وأنّها من فاتحته هو وجودها فی جمیع المصاحف المخطوطه والمطبوعه علی مرّ التاریخ والعصور، والتی یقولون بأنها موافقه لمصاحف الصحابه، وقد تبنّی بعض التابعین وتابعی التابعین جزئیّتها وقالوا بوجوب قراءتها فی الصلاه وکتبوا فیها، مثل:

۱ - کتاب البسمله، لابن خزیمه (ت ۳۱۱ ه-).

۱- المحاسن ۱: ۴۱ /ح ۴۹، وسائل الشیعه ۶: ۶۰ /ح ۷۳۴۷.

۲- أمالی الصدوق: ۲۴۱ /ح ۲۵۵.

۳- سنن الدار قطنی ۱: ۳۰۵ /ح ۱۳، الإتقان ۱: ۲۱۲ /ح ۱۰۷۳.

۴- الدر المنثور ۱: ۲۰، کنز العمال ۷: ۵۷ /ح ۱۸۴۶۸.

۲ - کتاب الجهر بالبسمله، للخطیب البغدادی (ت ۴۶۳ ه-).

۳ - کتاب الجهر بالبسمله، لأبی سعید البوشنجی (ت ۵۳۶ ه-).

۴ - کتاب الجهر بالبسمله، لجلال الدین المحلّی الشافعی (ت ۸۶۴ ه-).

۵ - کتاب بسم الله الرحمن الرحیم، لعلیّ بن عبد العزیز الدولابی، من أصحاب الطبریّ المؤرّخ.

۶ - کتاب الدارقطنی (ت ۳۸۵ ه-)، جزء فی البسمله ((۱)).

وقد شهد شفالی إلی عدم وجود دور لعثمان إذ قال ... نظر إلی أنّه لا یذکر فی ایه روایه أنّ عثمان کان أوّل من أضافها یفترض أنّها وجدت فی مصحف حفصه وسائر المصاحف التی سبقت مصحف عثمان، لا شک فی أنّ محمّد نفسه قد عرف هذه الصیغه ... ((۲)).

إذن البسمله لو کانت خارجه عن المصحف لمنعوا من کتابتها بخط المصحف کما منعوا کتابه ما لیس منه، بل إنّ تکرارها فی رأس کل سوره - عدا براءه - یکون زیاده فیه، وهذا ما لا یقوله أحد.

وکتابه البسمله فی المصحف لم تأتِ للفضل والتبرک کما یقولون، فلو جاءت للتبرک، لکتبت فی أول سوره البراءه أیضا.

۱- القرآن الکریم وروایات المدرستین ۲: ۵۴.

۲- تاریخ القرآن ۲ : ۳۰۵.

قریش وراء حذف البسمله

إذن هذه النصوص صریحه بأنّ رجال قریش کانوا وراء حذف البسمله بِرَغْمِ وجودها فی القرآن الیوم، لکنّهم - والحمد لله - لم یوفّقوا، فبقیت البسمله آیه أساسیه فی القرآن تُکرَّر فیه علی رغم عدم قبول قریش بها، وهذا ممّا یؤکد بأنّ القرآن اُخذ بالتواتر والاشتهار لا بشاهدین ولم یکن خاضعاً لرأی أبی بکر وعمر وعثمان ومعاویه و... .

وعلیه، فإنّ إنکارهم للبسمله یشابه ما ادّعوه من نسخ التلاوه دون الحکم، أو نسخ الحکم دون التلاوه، وما شابه ذلک من أفکار طرحوها لتصحیح الأخبار الداله علی الزیاده والنقیصه فی القرآن، لکنَّ الوعد الإلهی صان کتابه العزیز فی قوله تعالی: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّکْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)، وقد کان الإمام علیّ علیه السلام ، علی نهج الرسول الأعظم صلی الله علیه و آله یتخوّف من دخول هکذا أمور فی القرآن أو اخراج أمور أخری منه، ولأجله بدأ سریعاً بجمعه بعد رسول الله صلی الله علیه و آله .

وعلیه فالبسمله کانت من الآیات الکریمه الّتی تؤذی رجالات قریش منذ أوّل عصر الرساله إلی آخره، وقد مرّت علیک نصوص تدلّ علی تأثّر المشرکین ببلاغه القرآن الکریم، وإلیک ما جاء فی تفسیر فرات الکوفی:

«إنّ رسولَ الله کان من أحسن النّاس صوتا بالقرآن، فإذا قام من اللیل یصلّی جاء أبو جهل والمشرکون یستمعون قراءته، فإذا قال: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ» وضعوا أصابعهم فی آذانهم وهربوا، فإذا فرغ من ذلک جاءوا فاستمعوا، وکان أبو جهل یقول: إنّ ابن أبی کبشه لیردّد اسم ربّه

ليحبّه، فقال الإمام الصادق: صدَقَ وإن كان كَذُوباً» ((۱)).

ولعلّ أمير المؤمنين على عليه السلام بمقولته (أنـا النقطه تحت البـاء) - إن صحت النسبه إليه - أشار إلى أنّه هو أوّل من جمع القرآن، وهو الّـذى حافـظ على البسـمله التى أرادوا إسـقاطها، إذ إنّه عليه السـلام بـاء الإعجـام فى الكلمه، وبه يميز الكلام إعراباً وفهمـاً، لأنّ الكلمه بـدون التنقيـط لا معنى لهـا، والنقطه هى الّتى تعطى الكلمه معنىً وتصير تاءً وثاءً وباءً وياءً ونوناً، وقـد ذكر القندوزى فى الباب ۶۸ نقلا عن كتاب (الدر المنظم) لأبى سالم محمد بن طلحه الحلبى:

واعلـم أنّ جميع أسرار الله تعـالى فى الكتـب السـماويه، وجميـع مـا فى الكتب السماويه فى القرآن، وجميـع مـا فى القرآن فى الفـاتحه، وجميع ما فى الفاتحه فى البسـمله، وجميع ما فى البسـمله فى باء البسـمله، وجميع ما فى باء البسـمله فى النقطه التى هى تحت الباء. قال الإمام على رضى الله عنه: أنا النقطه التى هى تحت الباء ((۲)).

أى أنّه أصـل معرفه القرآن وبه يعرف، ولولاه فلا يعرف كنهه، لأنّه الوحيـد بين الصـحابه الّـذى جمع علوم رسول الله، وكان معه صحف إبراهيم وموسى، وكان أعلم الناس بتنزيل القرآن وتأويله.

كمـا يفهمنـا النص بـأنّ العرب كـانوا يعرفون التنقيط فى التمييز بين الحروف وإن كانوا لا يرسـمون النقط. ومن خلاله يمكننا أن نفهم ما قالوه تبريراً لعثمان من أنّه أمر

۱- تفسير فرات: ۲۴۲ /ح ۳۲۷، وقد مرّ عليك ما يشبه هذا القول عن ابن كثير قبل قليل.

۲- انظر ينابيع المودّه ۳: ۲۱۲، وانظروه أيضا فى الباب ۱۴ من المجلد الاول الصفحه ۲۱۳ /ح ۱۵.

لجنه المصاحف بتجريد القرآن من النقط حتى تحتمل كل الوجوه((۱)) شىء غير حقيقى.

إذن الجهر بالبسمله هو الهويه التى يعرف بها المسلم الحقيقى الذى لا يرتضى التحريف والتغيير فى القرآن، وإنّ السور كانت تُميَّز بالبسمله تعبيراً عن الرحمه والشفقه فى الدين.

بلى جاء عن ابن عبّاس قوله: كان المسلمون لا يعرفون انقضاء السوره حتّى تنزل «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ»، فإذا نزلت عرفوا أنّ السوره قد انقضت ((۲)).

وعن ابن مسعود قوله: كنّا لا نعلم فصل ما بين السورتين حتّى تنزل «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ» ((۳)).

وعن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «كان يُعرَف انقضاء السوره بنزول بسم الله الرحمن الرحيم ابتداءً للأخرى» ((۴))، وهذه النصوص تعنى الشىء الكثير عند الباحثين والمحققين.

وقد وضح السيوطى فى النوع السابع (معرفه أوّل ما نزل) أهميه البسمله من خلال ما أخرجه عن الواحدى بإسناده عن عكرمه والحسن قالا: أوّل ما نزل من القرآن بسم الله الرحمن الرحيم، وأوّل سوره (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ) ((۵)). لأنّ

۱- انظر مناهل العرفان ۱: ۱۸۰، دستور عثمان فى كتابه المصاحف.

۲- مستدرک الحاکم ۱ :۳۵۶ / ح ۸۴۶، السنن الکبرى ۲ :۴۳ / ح ۲۲۰۷، الدرّ المنثور ۱ :۲۰.

۳- الدرّ المنثور ۱ :۲۰.

۴- تفسير العيّاشى ۱ :۱۹ /ح ۴، مستدرک الوسائل ۴ :۶۵ /ح ۴۳۸۷.

۵- الإتقان ۱: ۷۷ /ح ۲۸۷.

من الضروره بدء كلّ سورهٍ بالبسمله، فهى أوّل آيه نزلت على الاطلاق.

ومعناه أنّ البسمله هى أوّل آيه فى القرآن، بل هى أوّل آيه فى كلّ كتاب نزل من السماء.

احتماء عثمان بالصحابه ومصاحفهم:

عرفت أنّ مدرسه أهل البيت تعتقد بأنّ مصحف الإمام عليّ هو عبارهٌ عمّا سمعه عليه السلام مِن فم رسول الله، والموجود خلف فراشه وورثه منه صلى الله عليه و آله .

وقد يمكننا أن ندعى بأن مصحف الإمام عليه السلام هو أصلٌ ل-: (المصحف الإمام)، المنسوب لعثمان، لأنّ المجموع من قبل الخلفاء لا يمكن الاعتماد عليه؛ وذلك لاحتمال سهوهم وخطئهم، وبما أنّ القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلا يمكن أن يؤخذ بالظن وأخبار الآحاد، بل يجب العلم به، والعلم لا ـ يتحقّق إلّا بالمعصوم وعن طريقه، ومن هنا نذهب إلى أنّ أصل هذا المصحف - إن أردنا أن يكون حجه - هو الذى جمعه الامام على فى ثلاثه أيام أو سبعه أيام والموجود فى نصوص الفريقين.

ويويده بأن أربعه أو خمسه من القراءات السبعه كان مرجعها إلى أميرالمؤمنين على، والقول بهذا لا يخالف الروايات القائله بأن مصحف الإمام على موجود عند ولده المعصومين، وأنّه سيأتى مع القائم من آل محمد، وهو الذى يُعتمَد فى تعليم الناس فى الكوفه، وأنّ ذلك المصحف يختلف ترتيبه عن ترتيب القرآن الرائج اليوم، وأنّ

الذی حفظ القرآن الیوم یواجه مشکله آنذاک، لأنه أُلّف لغرض آخر حسبما قاله الآلوسی ((۱))، فالقول بکلّ هذه الأقوال ((۲)) لا یخالف انتساب هذا القرآن إلیه علیه السلام أیضاً.

وبـذلک یکون المتواتر عن رسول الله موجوداً ما بین هـذه السـبعه ولا یجب بل لا یمکن البت بأنّ هذه القراءه أو تلک هی قراءه رسول الله، کما أنک عرفت بأن غالب المسـلمین یأخـذون بقراءه عاصم عن أبی عبـدالرحمن السـلمی، وأن اعتمادهم علی هـذه القراءه هو أکثر من اعتمادهم علی قراءات الآخرین من کَتَبه الوحی ومصاحفهم ((۳)).

۱- روح المعانی ۱ : ۲۲ .
۲- نأتی بها تنزلا لا تصحیحا لها ولأسانیدها.
۳- فقد کان لکثیر من الصـحابه مصاحف مثل: معاذ (صـحیح البخاری ۴: ۱۹۱۳ / ح ۴۷۱۷، عن أنس، الجمع بین الصحیحَین ۲: ۵۶۹ / ۱۹۳۱ فی المتّفَق علیه من مسـند أبی حمزه أنس بن مالک). وأبی الـدرداء (صـحیح البخاری ۴: ۱۹۱۳ / ح ۴۷۱۸). وأبی أیّوب الأنصاری وعباده بن الصامت (طبقات ابن سعد ۲: ۳۵۷، التاریخ الأوسط: ۴۱ / ح ۱۴۳). وسعد بن عبید (أبو زید) (الإصابه ۳: ۶۸ /الترجمه ۳۱۷۸ لسعد بن عبید، طبقات ابن سـعد ۴: ۳۷۴). وعبـد الله بن عمرو بن العـاص (الاستیعاب ۳: ۹۵۶ / الترجمه ۱۶۱۸). وعثمان (شـرح النووی علی صحیح مسلم ۱۶: ۱۹). وأبی بکر (فتـح الباری ۹: ۵۱ و۵۲، شـرح النووی علی صحیح مسلم ۱۶: ۱۹). وعمر (شـرح النووی علی صحیح مسلم ۱۶: ۱۹، وانظر عمده القاری ۲۰: ۲۷، قال: فالخلفاء الأربعه جمعوا القرآن علی عهد رسول الله، وذکره أبو عمرو وعثمان بن سـعید الدانی). ومجمع بن جاریه (فتح الباری ۹: ۱۹۴ / ح ۴۸۴۵، عمده القاری ۲۰: ۲۷)، وغیرهم.

وهذا هو أقرب إلى الإمام علی.

أی أنّهم اعتمدوا قراءه الإمام علیّ علیه السلام أکثر ممّا اعتمدوا علی قراءات الآخرین ممّن عُدُّوا فی ضِمن جامعی القرآن علی عهد رسول الله صلی الله علیه و آله .

نعم، إنّ عثمان بن عفان هو الذی وسّع دائره الاختلاف فی القراءه بعد الشیخین، فسمح أوّلاً للمعترضین علیه من أهل مصر بأن یقرؤوا القرآن کما شاؤوا، وکتب مصحفه بشکلٍ یحتمل جمیع الوجوه کی یرضی الآخرین، فمنهجه غیر صحیح وباطلٌ، فإذا کان یرید أن یوحّد المسلمین کان علیه الصمود والثبات علی حرف واحد لا کتابته بأشکال مختلفه.

وبهذا فقد عرفت بأنّ تصحیح مصحف عثمان عند المسلمین لا یرجع إلی طریقه جمعه وطریقه جمع الخلفاء من قبله، بل یرجع إلی کون أصل المجموع عندهم صحیح، وقد أقرّه أهل البیت وکبار الصحابه، وقد قال الوحید البهبهانی فی حاشیه المدارک رداً علی الشهید الثانی القائل بتواتر القراءات ما نصه:

لا یخفی أنّ القرآن عندنا نزل بحرف واحد من عند الواحد، والاختلاف جاء من قبل الروایه، فالمراد بالمتواتر ما تواتر صحه قراءته فی زمان الأئمّه علیهم السلام بحیث أنّهم کانوا یرضون به ویصححونه ویجوّزون ارتکابه فی الصلاه وغیرها، لأنهم علیهم السلام کانوا راضین بقراءه القرآن علی ما

هو عند الناس ((۱)).

ولا يُستبعَد أن يكون عثمان ومن تقدَّمه قد احتَمَوا بمصاحف جامعى القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله لتصحيح عملهم وكسب المشروعيه، فكتبوا القرآن بشكلٍ يحتمل كلّ الأوجه خروجاً من هذا المأزق ((۲))، وهذا لا يعنى بأنّ الموجود فى مصحفه هو عين الموجود فى مصحف أبى موسى الأشعرى، أو فى مصحف أُبىّ بن كعب، أو فى مصحف ابن مسعود، أو فى مصحف علىّ بن أبى طالب عليه السلام رسماً وقراءه.

هذا، وإنّ أصحاب هذه المصاحف كانوا لا يرتضون عمل عثمان؛ واعتماده حرف زيد بن ثابت دون غيره لأنّه يؤدّى للزياده والنقصان فى مصاحفهم.

ولأقرّب الموضوع بمثال من واقعنا المعاصر، فعمل عثمان يشبه عمل رجل غير مؤهل يتصدى لمهمه صعبه، وإنّ مثله مثل إنسان يسرق سياره والده ليسوقها مع أنّه غير مؤهل ولا يعرف قواعد السياقه، فإنّه بفعله هذا يعرّض نفسه ومن معه والسياره إلى الهلاك والفناء، لكن المخلصين من الصحابه وعلى رأسهم المعصوم هم الذين أنقذوه وأنقذوا السياره التى يقودها وذلك بجلوسهم بجنبه وتحديد سرعته والأخذ بالمِقوَد وهدايته إلى الطريق الصحيح عند المنعطفات حتّى وصلت السياره بأمان إلى المقصد مع جهد كبير واجهه الإمام على والمخلصون من الصحابه الذين عرفوا القرآن واشتهر عندهم، أى أنّ وجود المعصوم وقرآنه واشتهار القرآن عند الصحابه، وإقراء

۱- الحاشيه على مدارك الأحكام ۳ : ۲۰، وانظر الروايه فى الكافى ۲ : ۶۳۰ / ح ۱۲ و ۱۳.
۲- سيأتى توضيح ذلك بعد قليل.

الرسول لهم القرآن على مكث، هى التى أوصلت السياره إلى المقصد بأمان لا السائق الغير المؤهل.

وعليه، فقراءه الناس للقرآن واشتهار آياته وسوره بينهم وقبول المعصوم به هو الّذى صحّح المصحف الرائج، لا ما حكوه من منهجيّهٍ خاطئه لمصحف عثمان، إذ النّصوص تؤكد عدم رِضَى الصحابهِ التأكيدَ على قراءهٍ خاصّهٍ أو وجهٍ خاص وأمثال ذلك أمور كثيره وقفت عليها فى خلال البحث.

النسخ الخمس المعتمده عند عثمان!

ولنقم بتحقيقٍ بسيطٍ حول النسخ الخمس المعتمده فى لجنه المصاحف، لنرى هل حقّاً أنّها اعتُمِدَت، أم أنّها كانت غطاءً ومبرّراً لتصحيح عمل عثمان فقط؟

نسخه أبى موسى الأشعرى:

كان لأبى موسى الأشعرىّ نسخهٌ يقرأ بها أهلُ البصره وضواحيها، فطلبوا منه تسليمها، فسلّمها لهم، واقترح على اللّجنه بأن لا يَنقُصُوا منها شيئاً، إذ قال:

ما وجدتم فى مصحفى هذا من زيادهٍ فلا تَنقُصُوها، وما وجدتم من نقصانٍ فاكتبوه ((۱)).

ومعنى كلام الأشعرى أنّه يشكّ فى عمل الخليفه ولجنته، ويرى أنّ كلّ ما فى مصحفه هو قرآن قطعاً، لذلك لم يسمح بحذف شىءٍ منه، لكنّه فى الوقت نفسه احتمل

۱- تاريخ المدينه ۲: ۱۲۰ و۱۲۱ / ح ۱۷۲۴.

وجود نقصٍ عنده؛ لأنّه لم يدّعِ كمال مصحفه، فقد تكون سوره قد خفيت عليه، مع أنّها كانت نازله على رسول الله صلى الله عليه و آله ، لـذلك أجاز لهم أن يكتبوا ما لم يكن فيه، لكنّهم لم يأخـذوا بكلامه، بل أحرقوا نسـخته مع نسَخ الآخرين من الصـحابه، مكتفين بالاستفاده من اسمه ومن مصحفه سياسيّاً واعلامياً لا علميّاً ووثائقيّاً، مريدين اعتباره مشارِكاً فى عمل اللّجنه، وإن لم يكن من ضمنهم.

فالأشـعرىّ كان مخالفاً لعثمان، – حسب بعض النصوص، وقـد عزله عن البصـره واسـتعمل مكانه ابن خاله عبد الله بن عامر((۱)). ولمّا خرج يزيد بن قيس على عثمان فى سـنه أربع وثلاثين يوم الجرعه، سـبقه عثمان بتوليته أبا موسـى الأشعرى أميراً عليهم بدلاً من سعيد بن العاص.

كمـا يسـتفاد من نصوص أخرى أنّه كـان من المعتقـدين بوجود سـقط فى الكتـاب العزيز، فـاقرأ مـا أخرجه مسـلم فى صـحيحه، بإسناده عن أبى الأسود، قال:

بعث أبـو موسـى الأشـعرىّ إلى قرّاء أهـل البصـره، فـدخل عليه ثلاثمـائه رجلٍ قـد قرؤوا القرآن، فقـال: أنتم خيـار أهـل البصـره وقرّاؤهم، فاتلوه، ولا يطولَنّ عليكم الأمد فتقسو قلوبكم كما قست قلوبُ مَن كان قبلكم.

قال: وإنّا كنّا نقرأ سورهً كنّا نشبّهها فى الطول والشدّه ببراءه، فأنسـيتها، غير أنّى قد حفظت منها: لو كان لابن آدم واديان من مالٍ لابتغى وادياً ثالثاً، ولا

۱– انظر: الكامل فى التاريـخ ۲ : ۴۹۱ حوادث سنه ۲۹ ه–، وهو: عبـد الله بن كريز بن ربيعه بن حبيب بن عبـد شـمس، ابن خال عثمان بن عفان.

يملأ جوفَ ابن آدم إلّا التراب. وكنّا نقرأ سورةً كنّا نشبّهها بإحدى المسبّحات، فأنسيتها، غير أنّى حفظت منها: يا أيّها الّذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون؟ فتُكتَب شهادةً فى أعناقكم فتُسألون عنها يوم القيامه ((۱)).

أنا لا أريد أن أفصل الكلام عن أبى موسى الاشعرى، لكنّى أقول: المهم أنّ نهج الخلفاء وما أرادوه فى القرآن لم يطبَّق بحذافيره، فلا يمكنهم أن يُدخلوا آيه رجم الشيخ والشيخه، وسورتى الحفد والخلع وأمثالها فى القرآن، كما لا يمكنهم أن يخرجوا البسمله والمعوذتين منه.

إذن عمل عثمان ولجنته قد ذهب هباءً؛ ورجع القرآن سالماً إلى أهله بما حفظوه وتعلّموه من رسول الله، لأنّ منهج الشاهدين لا ترتضيه الأمه، فلو كان الشاهدان هما المعيار للزمهم الأخذ بآيه رجم الشيخ والشيخه لأنّها محكيّه عن صحابيين هما: أبى بن كعب ((۲)) وزيد بن ثابت ((۳))، مضافاً إلى ثبوت تبنّيها من قبل عمر بن الخطاب ((۴)).

ومثلها سورتا الحفد والخلع فإنّهما - كما زعموا - منسوبتان إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب وأُبىّ بن كعب، وأبى موسى الأشعرى، وابن مسعود، وابن عباس((۵))، وهؤلاء الصحابه هم أكثر من اثنين، فلو صح منهج الشاهدين عند الصحابه وصحّت

۱- صحيح مسلم۲ : ۷۲۶ / ۱۰۵۰.

۲- الدر المنثور ۶ : ۵۵۸، تفسير السمعانى ۳ : ۴۹۹، تفسير النسفى ۳ : ۲۹۴ .

۳- تفسير ابن كثير ۳ : ۲۶۲.

۴- تفسير الرازى ۳ : ۲۰۹.

۵- انظر الأقوال فى الدر المنثور ۶ : ۴۲۰ - ۴۲۲ .

نسبه هذه الأقوال إلى هؤلاء الصحابه، فلماذا لا يؤخذ بآيه الرجم وسورتى الحفد والخلع عندهم، مع استكمال العدد وصحّه الصدور عنهم. ولا خروج من هذا الإشكال إلّا أن نقول بأنّ الأصل عند الصحابه فى القرآن هو التواتر والاشتهار لاالشهود.

أو أن نقول بأن نسبه هذه الأقول الى هؤلاء الصحابه كذب وزور، وأن وراء القضيه النهج الحاكم فقط.

وعليه فالأمه وعلى رأسها الأئمه من أهل البيت عليهم السلام والأجلاء من الصحابه لم يأخذوا بماجاء فى مصحف عثمان على نحو الفرض والإلزام، بل جدّوا لتصحيحه، لأن عثمان اعترف بلسانه بوجود اللّحن فى المصحف وأنّ العرب ستقيمه بألسنتها((۱))، ومعناه جواز تصحيح نسخه عثمان؛ لأنّها ليست النسخه الأُمّ عند المسلمين.

نسخه أُبيّ بن كعب:

ومثلها حال نسخه أُبيّ وشخصه، فقد كان أبيّ بن كعب من المعارضين للخلفاء، ومن الاثنَى عَشَر الّذين أنكروا على أبى بكرٍ قعوده فى مَسنَد الخلافه ((۲))، فإنّ مخالفته

۱- وفيات الأعيان ۳ : ۴۶۶ ونقله ابن هشام النحوى صاحب المغنى فى باب إعراب المتن من شرح الشذور: ۸۰ تحقيق محيى الدين عبد الحميد.

۲- فى الاحتجاج ۱: ۱۰۲: عن أبان بن تغلب، عن الصادق جعفر بن محمّد: أنّ أُبيّ بن كعب قام فقال: يا أبا بكر، لا تجحد حقّاً جعله الله لغيرك، ولا تكن أوّلَ من عصى رسول الله فى وصيّه وصفيّه ... وفى الخصال: ۴۶۱ / ح ۴: بسنده عن زيد بن وهب، قال: كان الّذين أنكروا على أبى بكر جلوسه فى الخلافه وتقدّمه على عليّ بن أبى طالب اثنى عشر رجلاً من المهاجرين والأنصار، وكان من المهاجرين ... وأُبيّ بن كعب. وفى تاريخ اليعقوبى ۲: ۱۲۴: تخلّف عن بيعه أبى بكر قومٌ من المهاجرين والأنصار ومالوا مع عليّ، منهم: ... وأُبيّ بن كعب.

للخلفاء الثلاثه لا تتّفق مع ما نسبوا إليه من دعمه لهم وللمصحف الّذى دوّنوه، فإنّهم أرادوا أن يستغلّوا اسمه ومكانته فى مشروعهم الجديد ليس إلّا، مع أنّه كان قد توفّى قبل تدوين (المصحف الإمام) حسبما ستقف عليه لاحقاً.

وإليك الآن بعض النصوص الدالّه على مخالفته للشيخين، وأنّه قد مات قبل توحيد المصاحف فى عهد عثمان:

فقد أخرج النَّسائىّ، عن قيس بن عباد، قال: بينا أنا فى المسجد فى الصفّ المقدَّم، فجبذنى رجلٌ مِن خلفى جبذةً فنحّانى وقام مقامى، فوالله ما عقلت صلاتى، فلمّا انصرف إذا هو أُبىُّ بن كعب، فقال: يا فتى، لا يسوؤك الله، إنّ هذا عهدٌ من النبىّ صلى الله عليه و آله إلينا أن نليه. ثمّ استقبل القبله فقال: هلك أهل العقد وربِّ الكعبه، ثلاثاً، ثمّ قال: والله ما عليهم آسَى ولكن آسى على مَن أضلّوا، قلت: يا أبا يعقوب، ما يعنى بأهل العقد؟ قال: الأُمراء ((۱)).

۱- سنن النسائى المجتبى ۲: ۸۸ / ح ۸۰۸، وصحيح ابن حبّان ۵: ۵۵۵ / ح ۲۱۸۱، وفيه: فجذبنى رجلٌ جذبه فنحّانى ... قال: قلت: مَن يعنى بهذا؟ قال: الأُمراء. المستدرک للحاکم ۱: ۳۳۴ / ح ۷۷۸، قال: صحيحٌ على شرط البخارى ولم يخرجاه، وفيه: قال: قلت: مَن تعنى بهذا؟ قال: الأُمراء. وکذا فى صحيح ابن خزيمه ۳: ۳۳ / ح ۱۵۷۳.

وفی نصٍّ آخر: هلک أهل العقده وربّ الکعبه، ألا لا علیهم آسی، ولکن آسی علی مَن یُهلکون من المسلمین ((۱)).

وروی أبو بکر الجوهری، عن أبی سعید الخدری: أنّ البراء بن عازِبٍ کان فی جماعه، منهم المقداد بن الأسود، وعباده بن الصامت، وسلمان الفارسیّ، وأبو ذرّ، وحذیفه، وأبو الهیثم بن التیهان، وذلک بعد وفاه الرسول صلی الله علیه و آله ، وإذا حذیفه یقول لهم: والله لیکوننّ ما أخبرتُکم به، والله ما کَذَبتُ ولا کُذِبْت، وإذا القوم یریدون أن یعیدوا الأمر شوری بین المهاجرین.

ثمّ قال: ائتوا أُبیّ بن کعب، فقد علم کما علمت.

قال: فانطلقنا إلی أُبیّ، فضربنا علیه بابه حتّی صار خلف الباب، فقال: من أنتم؟ فکلّمه المقداد، فقال: ما حاجتکم؟ فقال له: افتَحْ علیک بابک، فإنّ الأمر أعظم من أن یجری من وراء حجاب. قال: ما أنا بفاتحٍ بابی، وقد عرفتُ ما جئتم له، کأنّکم أردتُم النظر فی هذا العقد.

فقلنا: نعم.

فقال: أفیکم حذیفه؟

فقلنا: نعم.

۱- مسند أحمد ۵: ۱۴۰ / ح ۲۱۳۰۱، مسند الطیالسی: ۷۵ / ح ۵۵۵، مسند ابن الجعد: ۱۹۷ / ح ۱۲۹۱، الأحادیث المختاره ۴: ۳۰ / ح ۱۲۵۸ و۳۱ / ح ۱۲۵۹، وفی بعض النصوص: هلک أصحاب العقبه. وهم الّذین أرادوا قتل النبیّ صلی الله علیه و آله فی عقبه هرشی، وهم نفسهم أصحاب العقد أو العقده، لأنّ رؤوس القائمین بمؤامره العقبه هم نفسهم أقطاب الخلافه.

قال: فالقول ما قال، وبالله ما أفتح عنّى بابى حتّى تجرى عَلَىّ ما هى جاريه، ولَما يكون بعدها شرّ منها، وإلى الله المشتكى ((۱)).

وعن عُتَى بن ضمره السعدى، قال: قلت لأُبىّ بن كعب: ما لكم أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله نأتيكم من البعد نرجو عندكم الخير أن تعلّمونا، فإذا أتيناكم استخففتم أمرَنا كأنّا نهون عليكم؟

فقال: والله لئن عشتُ إلى هذه الجمعه لأقولنّ فيها قولاً لا أُبالى استحيَيتُمونى عليه أو قتلتمونى. فلمّا كان يوم الجمعه من بين الأيام، أتيتُ المدينه فإذا أهلها يموجون بعضهم فى بعض فى سككهم، فقلت: ما شأن هؤلاء النّاس؟ فقال بعضهم: أما أنت من أهل هذا البلد؟ قلت: لا، قال: فإنّه قد مات سيّد المسلمين اليوم أُبىّ بن كعب! ((۲))

وعن جندب بن عبد الله البجلىّ، قال: أتيتُ منزله ... فسلّمت عليه فردّ علَىّ السلام، ثمّ سألنى: ممّن أنت؟ قلت: من أهل العراق. قال: أكثر منّى سؤالاً.

قال: لمّا قال ذلك غضبت، قال: فجثوتُ على ركبتى، ورفعت يدى - هكذا وصف - حيال وجهه، فاستقبلت القبله، قال: قلت: اللّهمّ نشكوهم إليك، إنّا ننفق نفقاتنا وننصب أبداننا، ونرحل مطايانا ابتغاء العلم، فإذا لقيناهم تجهّموا وقالوا لنا.

قال: فبكى أُبىّ، وجعل يترضّانى ويقول: ويحك! لم أذهب هناك، لم أذهب هناك!

قال: ثمّ قال: اللّهمّ أُعاهدك لئن أبقيتَنى إلى يوم الجمعه لأتكلّمنّ بما سمعتُ من

۱- السقيفه وفدك: ۴۹، وعنه فى شرح النهج ۲: ۵۱ - ۵۲ والنصّ منه.

۲- الطبقات الكبرى ۳: ۵۰۰، تاريخ دمشق ۷: ۳۴۰.

رسول الله، لا أخاف فيه لومه لائم ... ([(۱)](#)).

لا ـ أدری هل القدر کان أسبق منه، وقد عاجله الموت قبل أن یأتی ذلک الموعود الّذی عزم أن یتحدّث فیه بما علمه، أم أنّ الغدر والقتل حلّ به - کما حل بسعد بن عباده وأمثاله - قبل أن یتحدث؛ لمعرفتهم بأنّه القائل: (لا أبالی استحییتمونی علیه أو قتلتمونی) وفی آخر: (لأتکلّمنّ بما سمعت من رسول الله ولا أخاف فیه لومه لائم).

کان هذا کلامه عن أمر الخلافه والأُمراء (أهل العقده) فی زمانه، وهم الّذین یریدون أن یعیدوا الأمر شوری بین المهاجرین حسب کلام حذیفه.

وأمّا أمر القرآن، ففی (المصاحف) عن أبی إدریس الخولانی: أنّ أبا الدرداء رکب إلی المدینه فی نفر من أهل دمشق، ومعهم المصحف الّذی جاء به أهل دمشق ([(۲)](#)) لیعرضوه علی أُبیّ بن کعب وزید بن ثابت وعلیٍّ وأهل المدینه، فقُرِئ یوماً علی عمر بن الخطّاب، فلمّا قرؤوا هذه الآیه: (إِذْ جَعَلَ الَّذِینَ کَفَرُوا فِی قُلوبِهِمُ الْ-حَمِیَّهَ حَمِیَّهَ الْ-جَاهِلِیَّهِ)، وَلَوْ حَمَیْتُم کَمَا حَمَوا لَفَسَدَ المَسجِدُ الحَرَام ([(۳)](#)). فقال عمر: مَن أقرأکم؟ قالوا: أُبیّ بن کعب، فقال لرجلٍ من أهل المدینه: ادع لی أُبَیّ بن کعب، وقال للرجل الدمشقی: انطلق معه.

۱- الطبقات الکبری ۳: ۵۰۱.

۲- قبل خلافه عثمان وفی عهد عمر بن الخطّاب علی الأرجح.

۳- هذا من باب القراءه التفسیریّه الّتی یُراد منها بیان بعض المعانی والدلالات، والّتی سنوضّحها لاحقاً فی القسم الثانی من هذه الدراسه عند مناقشتنا لروایات التحریف عند الفریقین.

فذهبا فوجدا أُبَىّ بن كعب عند منزله يهىِّء ((۱)) بعيراً له هو بيده، فسلَّما عليه، ثم قال له المدنى: أجب – أمير المؤمنين – عمر، فقال أُبَىّ: ولِمَا دعانى أمير المؤمنين؟

فأخبره المدنىّ بالّذى كان، فقال أُبَىٌّ للدمشقى: ما كنتم تنتهون معشر الركيب، أو يشدفنى ((۲)) منكم شرّ.

ثـمّ جاء إلى عمر وهـو مشـمِّر والقطران على يـديه، فلمّـا أتى عمر، قـال لهم عمر: اقرؤوا، فقرؤوا (ولـو حميتم كما حموا لفسـد المسـجد الحرام)، فقال أُبَىّ: أنا أقرأتهم، فقال عمر لزيد: اقرأ، فقرأ زيد قراءه العامّه، فقال: اللّهُمَّ لا أعرف إلّا هذا، فقال أُبَىّ: والله – يا عمر – إنّك لتعلم أنّى كنت أحضـر ويغيبون، وأُدعى ويُحجبون، ويصـنع بى، والله لئن أحببت لألزمنّ بيتى فلا أحـدِّث أحداً بشىء ((۳)).

نعم إنّ أُبىّ بن كعب وعبـد الله بن مسـعود كـانت لهما قراءه ثابته، وهى القراءه الّتى أخـذاها مِن فِى رسول الله، وهى قـد تخالف قراءه الخلفـاء الثلاثه فى بعض الحروف أو فى الشـرح، وذلك لاختلاف منهجهما فى الجمع، فقراءتهما سواء أُخـذ بها أم تُركَت فهى تنبئُ عن وجود اختلاف فى القراءه بين هذين الصحابيّين وبين الخلفاء الثلاثه، مؤكّدين بأنّ كل ما جاء عن أُبىّ وابن مسعود ليس بالضروره أن يكون قرآناً، فقد

۱- هكذا فى المطبوع، لكن قد يكون (يَهْنَأ) أو (يَهْنِئُ) بمعنى يطليه بالقطران. اُنظر: تاريخ مدينه دمشق ۶۸: ۱۰۲.
۲- معناه: يرتفع إلىّ منكم شرّ، أى يصيبنى منكم شرّ.
۳- المصاحف ۲: ۵۶۰ / ح ۵۱۶.

يكون تفسيرا للقرآن، لأن الله سبحانه قال: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ ((۱))، ونحن سنوضّح بعد قليل ((۲)) بأنّ أُبَيّاً وابن مسعود كانا من الثابتين على ولاء أهلِ البيت عليهم السلام ، المختصّين بهم فى العهد الأوّل بعد وفاه الرسول صلى الله عليه و آله وأن عمر وأمثاله كانوا يتصوّرون بأن ما أتى به أبيّ وابن مسعود أنه من القرآن، فيعترض عليهما. هذا وأنت ترى فى النص السابق أنّ أُبيّاً وضّح لعمر بأن ما قاله هو تفسير، لقوله: يا عمر إنّك لتعلم أنّى كنت أحضر وتغيبون، وادعى ويحجبون، ويصنع بى، والله لئن أحببت لألزمنّ بيتى فلا أحدِّث أحداً بشىء ((۳)).

والمقطع الأخير: (فلا أحدِّث أحداً بشىء) صريح بأنّه كان حديثاً وتفسيراً لا قرآناً، وفيه تعريض بعمر وأمثاله الذين لا يسمعون هذه الكلمات من رسول الله إذ كان يلهيهم الصفق فى الأسواق ((۴)).

نعم، إنّ أهل البيت عليهم السلام كانوا يرجّحون قراءه ابن مسعود وأُبيٍّ على قراءه الخلفاء،

۱- سوره القيامه: ۱۹.

۲- فى صفحه ۴۵۱ من هذا الكتاب.

۳- كنز العمال ۲ : ۲۵۲ / ح ۴۸۱۶، ۱۳ : ۱۱۵ / ح ۳۶۷۷۴، عن ابن ابى داود فى المصاحف.

۴- أخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن راهويه وابن المنذر والبيهقى عن بجاله قال: مر عمر بن الخطاب رضى الله عنه بغلام وهو يقرأ فى المصحف (النبى أولى بالمؤمنين من انفسهم وأزواجه أمهاتم وهو أب لهم) فقال يا غلام حكها فقال هذا مصحف أبى، فذهب اليه فسأله فقال: أنّه كان يلهينى القرآن ويلهيك الصفق بالأسواق. الدر المنثور ۶ : ۵۷۶، سنن البيهقى ۷ : ۶۹ / ح ۱۳۱۹۷.

ويقرؤون بما يوافق قراءه أُبيّ بن كعب، حسبما جاء فى الكافى عن المعلى بن خنيس ((۱)) لأنهما كانا أقرب إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، فقد جاء فى الطبقات الكبرى : أخبرنا الحسن بن موسى الأشب ، أخبرنا زهير بن معاويه ، أخبرنا جابر عن عامر قال: كان علماء هذه الأمه بعد نبيها سته: عمر و عبدالله وزيد بن ثابت ، فاذا قال عمر قولا وقال هذان قولا كان قولهما لقوله تبعا، وعلى وأبى بن كعب وأبو موسى الاشعرى ، فاذا قال على قولا وقال هذان قولا كان قولهما لقوله تبعا. ((۲))

مع التأكيد على أنّ اختلاف القراءه بين الصحابه كان بسيطاً بحيث لا يخدش بأصل القرآن الكريم، إذ القراءه شىءٌ والقرآن شىءٌ آخر.

أجل، إنّ أُبيّاً حاول الإجهار بما يكنّه ضميره فى أُخْرَيات حياته لولا حلول الموت، وكذا الحال بالنسبه إلى قراءته، فقد كانوا يسعون لتركها، وقد اتّهمه عمر بأنّه أقرأ للمنسوخ مع اعترافه بأنّه كان قد عرض قراءته على رسول الله وأخذها من فيه صلى الله عليه و آله ، على أننى لا ـ أستبعد أن يكونوا قد نسبوا إليه هكذا قراءات وروايات فى تأييد الأحرف السبعه تصحيحاً لقراءات الآـخرين من الخلفاء وغيرهم؛ لأنّ أبيّاً من أعيان الصحابه المشهود لهم بالفضل والعلم والتلقى عن رسول الله، فما نُسب إليه من أنّه يعتقد بأنّ سوره الأحزاب كانت لَتضاهى سوره البقره أو هى أطول منها، أكبر الظنّ عندنا أنّه تدليس عليه لتأييد الرأى العُمَرى فى ذلك، ولو ثبت عنه ذلك فمأوَّلٌ

۱- انظر الكافى ۲ : ۶۳۴ / ح ۲۷.

۲- الطبقات الكبرى ۳۵۱:۲ باب اهل العلم والفتوى من أصحاب رسول الله.

بالتفسير وهو حال (ولو حميتم كما حموا).

فأُبيّ بن كعب كان جريئاً فى قول الحقّ ومصرّاً على رأيه وإن أدّى ذلك إلى مقتله، وقد مات بالفعل ميتةً تحمل فى طيّاتها معانى كثيره أتركها للقارئ كى ينتزعها بنفسه.

ومما يؤكّد تخالف أُبىّ مع الخلفاء شهاده عمر نفسه - كما فى روايه البخارى -، قول عمر: أقرؤنا أُبىّ، وأقضانا علىّ، وإنّا لندع من قول أُبىّ، وذاك أنّ أُبيّاً يقول: لا أدع شيئاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه و آله ، وقد قال الله تعالى: (مَا نَنسَخْ مِنْ آيَهٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا) ((۱)).

وفى نص آخر: أُبىّ أقرؤنا، وإنّا لندع من لحن أبىّ، وأبىّ يقول: أخذتُه مِن فِى رسول الله فلا أتركه لشىء، قال الله تعالى: (مَا نَنسَخْ مِنْ آيَهٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا) ((۲)).

أنظر إلى التخالف بين الصحابيّين، وأنّ اللّحن فى كلامه لا يعنى اللّهجه كما يريدون قوله، لأنّ أُبيّاً يصر على مشروعيّه قراءته وأنّه أخذها مِن فِى رسول الله العربى، فكيف يمكن لعمر أنْ يدّعى لحن أُبى مع أنّه قال: أخذتُه من فى رسول الله؟

وإذا كان أُبىّ بن كعب أقرأ الصحابه - حسب تعبير عمر وغيره -، فإنّه يكون أعلم من عمر بالناسخ والمنسوخ، فلا يصحّ اتّهامه بأنّه أقرأ للمنسوخ مع وقوفه على الناسخ، ولا ضير أنّ معرفه الناسخ دالّه على معرفه المنسوخ بالضروره.

۱- صحيح البخارى ۴: ۱۶۲۸ / ح ۴۲۱۱.

۲- صحيح البخارى ۴: ۱۹۱۳ / ح ۴۷۱۹.

كما لاـ يصحّ كلام عمر وتطرّفه بالقول: (وإنّا لندع من قول أُبى، وأُبىّ يقول: لا أدع شيئاً سمعته من رسول الله..) لأنّه بفعله قد ترك قراءه رسول الله أو تفسيره للآيات.

وبهذا فقد يمكننا أن نرجع سبب هذه الأقوال الى مخالفه أُبىّ مع الشيخَين فى أمر الخلافه وأمر القرآن.

وصرح محمد بن عبد الكريم الشهرستانى (ت ۵۴۸ ه-) فى تفسير مصابيح الأسرار بهذه المخالفه، فقال ما نصّه:

... وقد خالفه أُبىُّ بن كعب ومنعه من مصحفه ... ((۱)).

أجل، إنّ القوم تعاملوا مع أُبىّ بن كعب ومع مصحفه بعنف، فقد أخذ عثمان مصحفه من ابنه محمّد بعد وفاته قسراً، وقد أخبر ابنه – محمّد بن أُبىّ بن كعب – ناساً من أهل العراق كانوا قد قدموا عليه لمشاهده مصحف أبيه.

فقالوا له: إنّا تحمّلنا ((۲)) إليك من العراق، فَأَخْرِجْ لنا مصحف أُبىّ. فقال محمّد: قد قبضه عثمان. قالوا: سبحان الله، أخْرِجْه. قال: قد قبضه عثمان ((۳)).

ومعناه أنّ أهل العراق كانوا يبحثون عن نسخه أُبىّ ليتأكدوا من صحّه ما أرسله عثمان إليهم، وهل يتطابق مع مصحف سيّد القرّاء أُبىّ بن كعب أم لاـ؟ وهذا يدلّ على مكانه أُبىّ ابن كعب عند أهل العراق على وجه الخصوص والمسلمين عموماً، بحيث يرسلون وفداً إلى ابنه فى المدينه للوقوف على نسخه أُبىّ، لكنّ ابنه محمّداً قال لهم: إنّ

۱- تفسير مصابيح الأسرار ۱: ۳.

۲- تحمّلنا إليك: أى رحلنا.

۳- كنز العمّال ۲: ۲۴۸ / ح ۴۷۸۱، عن أبى عبيد فى الفضائل وابن أبى داوود.

الأمر قد خرج من يدى؛ إذ أباد عثمان ذلك المصحف ضمن ما أُبيد وأُحرق من المصاحف.

وبهذا فقد اتّضح لك أنّ عثمان وأنصاره لم يكونوا يريدون اعتماد مصحف أبىّ بن كعب، بل كانوا يريدون استغلال اسمه لإعطاء الشرعيّه لمصحفهم ليس إلّا، فهو وإن لم يكن ضمن لجنه كتابه المصاحف لكنّهم نسبوا له أموراً تدل على مشاركته معهم.

قال الذهبى فى ترجمه أُبىّ بن كعب من (سيَر أعلام النبلاء)، قال الواقدى: تدلّ أحاديث على وفاه أُبىّ بن كعب فى خلافه عمر، ورأيت أهله وغيرهم يقولون: مات فى سنه اثنين وعشرين فى المدينه ...

ثمّ قال الذهبى بعد نقله كلام ابن سعد:

قلت: هذا إسنادٌ قوى، لكنّه مرسَل، وما أحسب أنّ عثمان ندب للمصحف أُبيّاً، ولو كان كذلك لاشتُهر، ولكان الذكر لأُبىّ لا لزيد، والظاهر وفاه أُبىّ فى زمن عمر، حتّى أنّ الهيتم بن عدى ذكر موته سنه تسع عشره.

وقال محمّد بن عبد الله بن نُمير، وأبو عُبيد، وأبو عمر الضرير: مات سنه اثنين وعشرين، فالنفسُ إلى هذا أميَل، وأمّا خليفهُ بن خيّاط وأبو حفص الفلّاس فقالا: مات فى خلافه عثمان، وقال خليفه مرّه: مات سنه اثنتين وثلاثين ((۱)).

هذا بعض الشىء عن نسخه أبى موسى الأشعرى وأُبىّ بن كعب، وإليك الكلام عن نسخه حفصه.

۱- سيَر أعلام النبلاء ۱: ۴۰۰ ت ۸۲.

نسخه حفصه بنت عمر:

وأمّا نسخه حفصه ((۱)) فهی الأُخری اتّخذوها غطاءً لعملهم، ولم یکونوا یریدون اعتمادها أصلاً فی عملهم، أی أنّهم أخذوها من حفصه لکی یرفعوا التناقض - المحتمل تصوّره - بین نسختها وبین نسخه عثمان المکتوبه علی حرف زید فی الزمن اللّاحق؛ لأنّ النسخه الأولی الموجوده عند حفصه هی ممّا جمعه زید بن ثابت علی عهد الشیخین، فأراد عثمان أن لا یحصل التعارض بین النسختین - أی بین ما نسخه زید لعثمان أیام خلافته - وبین ما نسخه للشیخین من قبل، «فأرسل عثمان إلیها فأبت أن تدفعها، حتّی عاهدها لَیَرُدَّنَّها إلیها، فبعثت بها إلیه، فنسخ عثمان هذه المصاحف، ثمّ ردّها إلیها ولم تزل عندها» ((۲)).

قال الزهری: أخبرنی سالم بن عبد الله، أنّ مروان کان یرسل إلی حفصه یسألها الصحف الّتی کتبت بها القرآن، فتأبی حفصه أن تعطیه إیّاها، فلمّا توفّیت حفصه ورجعنا من دفنها أرسل مروان بالعزیمه إلی عبد الله بن عمر لیرسل إلیه بتلک الصحف، فأرسل بها إلیه عبد الله ابن عمر، فأمر بها مروان فشُقِّقت ((۳)).

۱- وهی نسخه أبی بکر الّتی کانت عند عمر.

۲- انظر حلیه الأولیاء ۲ : ۵۱ الترجمه ۳۵ .

۳- أُنظر: فتح الباری ۹: ۲۰، صحیح ابن حبّان ۱۰: ۳۶۵ / ح ۴۵۰۷ وفیه: أرسل ابن عمر [الصحف] إلی مروان فحرقها مخافه أن یکون فی شیء من ذلک اختلاف لما نسخ عثمان، مسند الشامیّین ۴: ۲۳۵ / ح ۳۱۶۸ وفیه: فأرسل بها عبد الله بن عمر فأمر مروان فشتت، وفی بعض المصادر : فشُقِّقت .

فإباء حفصه إعطاء نسختها إلى عثمان فى أول الأمر، وعزيمه مروان على تشقيقها وتمزيقها أو حرقها فى آخر الأمر، يشيران إلى وجود مغايرهٍ بين مصحفها وبين المصحف الّذى دوّنه عثمان، وإنّ مروان خاف وقوف الآخرين على ذلك الاختلاف، فأمر بشقّها بعد وفاتها.

وكلام حفصه قريب من كلام أبى موسى الأشعرى المذكور آنِفاً، إذ إنّها لا تريد التلاعب بنصّ مصحفها معتقده بأنه المصحف الصحيح.

ولا يخفى عليك بأنّ كثيراً من المخالفين استدلّوا على تحريف الكتاب العزيز، من هكذا نصوص مضطربه موجوده فى كتب أهل السنّه والجماعه، لا عندنا.

لكنّ كلامهم وما يريدون الاستدلال به غير واقعى ودقيق، لأنّ حجيه القرآن مستمدّه من إقراءِ الله رسوله بواسطه جبرئيل الأمين، ثم إقراء رسول الله أمته فرادى وجماعه، تلقيا وعرضاً وتلاوهً وتواتر الأُمّه - بعمل رسول الله وأهل بيته وأصحابه بهذا القرآن على مرّ العصور -، وقراءتهم به آناء اللّيل وأطراف النهار، وحفظهم لآياته وكتابتهم لسوره، حتّى صارت أناجيلهم صدورهم، فلا ترى أحداً من أهل بيت رسول الله - كأمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب، أو فاطمه الزهراء، أو الإمامين الحسن والحسين عليهم السلام - قد استشهدوا بآيهٍ تخالف هذا القرآن الرائج بيننا اليوم، ومعناه: أنّ هذا القرآن لم يقع فيه تحريف يخل بهيكله العام، بل إنّ النصّ القرآنى هو دليلٌ على إعجازه، وأنّه كان يُعرَف ببلاغته وقوّه تأثيره، حتّى قالوا عنه: (سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ) ((۱))، فلا يتصوَّر

۱- سوره القمر: ۲.

الزياده والنقصان فيه. وقد مر عليك ما حكى عن أمير المؤمنين بأن الشيطان لا يمكنه أن يزيد أو ينقص منه، ولم يزد فيه حرف (الف) ولم ينقص منه حرف (لام).

نسخه عائشه بنت أبى بكر:

وهناك دعوى أُخرى، وهى اعتماد عثمان على نسخه عائشه، فهذه الدعوى كغيرها من الدعاوى الفارغه الّتى اعتُمدت سياسيّاً لتصحيح عمل عثمان بن عفان وزيد بن ثابت، فقد جاء فى رساله عثمان إلى الأمصار الّتى أُرسلت إليها المصاحف قوله:

... فأرسلتُ إلى عائشه أُمّ المؤمنين أن ترسل إلىّ بالأَدَم الّذى فيه القرآن الّذى كُتب عن فم رسول الله حين أوحاه الله إلى جبريل وأوحاه جبريل إلى محمّد وأنزله عليه ... ((۱)).

فلو صحّ اختصاصها بمصحفٍ دون غيرها من نساء النبىّ صلى الله عليه و آله ، فلماذا لا نراها تنقل عن هذا المصحف شيئاً حينما كانت تُسأل عن بعض المسائل؟!

بل لماذا لا تستشهد بمصحفها وما فيه من الآيات فى المسائل الخلافيّه الواقعه بينها وبين نساء النبىّ الأُخْرَيات اللّاتى كنّ يخطِّئنَها فى مسأله رضاع الكبير ((۲)) وأمثاله؟!

۱- تاريخ المدينه لابن شبه ۲: ۱۲۰ / ح ۱۷۲۲.

۲- سنن ابن ماجه ۱ : ۶۲۶ / ۱۹۴۷، سنن البيهقى الكبرى ۷: ۴۵۹ / ح ۱۵۴۲۶، مسند الشاميّين ۴: ۱۹۱ / ح ۳۰۷۹.

على أنّها ادّعت بأنّه أُنزل من القرآن (عشر رضعات معلومات يُحَرِّمن)، ثمّ نُسخَت تلك بخمس معلومات، فتوفّى رسول الله صلى الله عليه و آله وهنّ فيما يُقرأ من القرآن ((۱)).

فلماذا لا تريهنّ تلك الآيه فى مصحفها لحلّ الاختلاف؟! بل تكتفى عائشه بدعواها أنّ شاهً أو داجناً أكلت تلك الآيه الّتى كانت تحت سريرها!!

أىّ قرآنٍ هذا الّذى تعنيه عائشه؟! هل هو القرآن الّذى أُخذ عن فم رسول الله صلى الله عليه و آله ، أوأنّه القرآن الّذى جمعه زيد بأمر عثمان وأشرك اسمها فيه مع اسم حفصه، أو أنّه قرآنٌ ثالث؟!

فلو كان القرآن المكتوب عندها هو الّذى أُخذ عن فم رسول الله صلى الله عليه و آله ، والّذى أوحاه الله إلى جبريل عليه السلام ، والذى كان يعرضه الرسول على جبرئيل كلّ عام، فهل هناك من مبرّر لكى تأمر مولاها أن يضيف جملهً جديده - لم تكن فى المصحف الرائج -، وهى جمله (وصلاه العصر)؟

فقد أخرج مسلم بسنده عن أبى يونس مولى عائشه أنّه قال: أمرَتنى عائشه أن أكتب لها مصحفاً، وقالت: إذا بلغتَ هذه الآيه فآذنّى: (حافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَهِ الْوُسْطَى) ((۲))، فلمّا بلغتُها آذنتُها، فأملت علَىّ: ((حافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَهِ الْوُسْطَى) وصلاه العصر(وَقُومُوا لِلهِ

۱- صحيح مسلم ۲: ۱۰۷۵ / ح ۱۴۵۲ باب التحريم بخمس رضعات، سنن الدارمى ۲: ۲۰۹ / ح ۲۲۵۳، المجتبى ۶: ۱۰۰ ح ۳۳۰۷.

۲- سوره البقره: ۱۲۸.

قَانِتِينَ)) ((۱)).

بل كيف يكون المصحف الرائج مأخوذاً من فم رسول الله وليس فيه جمله (وصلاه العصر)؟

بل هل من مبرر فى أن ياخذ عثمان المصحف من حفصه ، وهل أن مصحف حفصه والذى جمعه زيد يضاهى مصحف رسول الله؟

كلّ هذه القرائن تشير إلى أنّ أحد الشخصين (عائشه أو عثمان) يجب أن يكون كاذبا، فلو صح وجود هذا المصحف عند عائشه فلماذا لاـتعطيه أباها أو عمر حتى ياتى عثمان كى ياخذ مصحفها، إنّ عثمان كان يريد أن يعطى مشروعيّه لعمله من خلال مصاحف الآخرين، وللقول بأنّ مصحفه قد دُوّن وِفْق مصاحف كبار الصحابه وأُمّهات المؤمنين، وأنّه لم ينفرد بالرأى وقد وافقه على ذلك جميع الصحابه؛ قال بكل ذلك لرفع التشكيك فى طريقه توثيقه للنص القرآنى.

فالسؤال: إذا كان كذلك فلماذا لا يأتى بما جمعه الإمام على عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه و آله ، وبما كان عند ابن مسعود؟ ألم يكونا من كبار الصحابه؟

بل لماذا لا يذكر عليّاً ضمن الجامعين للقرآن والمساهمين فى تدوينه؟

ولماذا تُضعَّف الأخبار – عند القوم – الّتى تذكر أنّ عليّاً قد دوّن القرآن بعد رسول الله صلى الله عليه و آله ؟

وهل حقّاً هناك اختلاف بين مصحف الإمام على المتلو مع المصحف الموجود، أم

۱- صحيح مسلم ۱: ۴۳۷ / ح ۶۲۹.

أنّه ممّا طَبّلَت له وسائل الإعلام المضاد؟ وهل حقّاً أنّ للشيعه قرآناً هو غير قرآن المسلمين؟ أم أنه هو هذا القرآن بعينه دون زياده أو نقصان، يقرؤون به فی صلواتهم، ويستدلون به فی كتبهم، ويؤلّفون فی تفسيره وتجويده وعلوم القرآن ...

وصحيح أنّ الأُمّه قبلت بالمصحف الرائج وحبّذت توحيد المصاحف، لكنّ توحيدهم على قراءه زيد بن ثابت لم يكن فيه مزيد امتياز ولم يكن يرضى به الكثير من الصحابه، لأنّ فيه تجاوزاً على قدس رسول الله صلى الله عليه و آله وما تلقاه الصحابه عن رسول الله من القراءه الصحيحه.

وإنّ ما قيل من جمع عثمان هو إلغاء لدور كبار قرّاء الصحابه كأُبيّ وابن مسعود وأمير المؤمنين عليّ عليه السلام ، وحصر المهمّه بزيد اليهوديّ - ذی الذُّؤابتين - كما جزم بذلك ابن مسعود ((۱)).

إنّ كون زيد يهوديّاً، وتشبيه عثمان بنعثل اليهودی من قبل عائشه وقتله ودفنه فی مقابر اليهود ب- (حُشِّ كوكب)، كلّ ذلك مع خوف رسول الله من تشبه أُمّته باليهود، وان تضيّع القرآن كما ضيعت اليهود التوراه، وخشيه الإمام على من أن ينفلت القرآن أو يزاد فيه من قبل الشيطان، وقول عمر: لولا أن يقال بأن عمر زاد فی القرآن لزدت فيه آيه الرجم.

كلّ ذلك مع كون جمع الإمام على، وتخوف الرسول الأعظم، كان قبل مقوله عمر وقبل حصر مهمه جمع القرآن بالشيخين اللَّذين كانا على اتصال بمدارس اليهود،

۱- تاريخ المدينه ۲ : ۱۲۶ / ح ۱۷۴۸ .

وقبل عثمان ومروان ((۱)) وزيد المتهمَين باليهوديه، كلّ هذه الأُمور كانت تدعو الصحابه للحيطه والحذر من سَرَيان الاختلاف إلى جسد الأُمّه ولزوم اليقظه والتأهّب أمام الأحداث القادمه.

ولا يخفى عليك أنّ كبار الصحابه والتابعين كانوا يشكّكون فى صلاحيه اللّجنه المشرفه على هذا العمل، كما أنّهم كانوا يشكّكون في وجود اسم بعض كبار الصحابه ضمنها، أمثال أُبيّ بن كعب.

وحتى أن المستشرقين فى الأزمنه المتأخره تساءلوا عن سبب عدم دراسه علماء الإسلام لموضوع تقديم زيد على ابن مسعود فمما قاله: نادراً ما يتعجب علماء مسلمون، لماذا لم يأت مكان زيد ابن مسعود الذى اعتنق الإسلام قبل أن يولد زيد، هذا بالإضافه إلى ما عنده من فضائل أخرى، غير أنّهم فى النهايه يطمئنون لكون زيد يعرف القرآن كلّه غيباً، أما ابن مسعود فلا يعرف إلّا سبعين من سوره، غير أنّ هذا الادعاء ضعيف جداً فهو مبنى من جهه على سوء فهم لروايه تقول انّ النبى تلا أمام ابن مسعود سبعين سوره فى ما كان زيد لا يزال طفلاً، كما أنّه لا يأخذ فى الحسبان أنّ ابن مسعود يقف وراء نسخه قرآنيه خاصه به لها مكانه مرموقه فى التراث ... ((۲)).

فلو كان عثمان باحثاً عن الأفضل وجاداً لوحده الكلمه فى القرآن، كان عليه – تأكيداً على حسن نيّته – أن ينتدب إلى هذا العمل قرّاء الأُمّه وكبار الصحابه، أمثال ابن

۱- قال على فى مروان: انّها كف يهوديه لو بايعنى بكفه لغدر بسبته ... انظر نهج البلاغه : ۱۲۳.

۲- تاريخ القرآن لنولدكه ۲ : ۲۸۷.

مسعود، ذلک الغلام المُعَلَّم والّذی قال فیه رسول الله صلی الله علیه و آله : «مَن أحبّ أن یقرأ القرآن غضّاً کما أُنزل فلْیقرأه علی قراءه ابن أُمّ عبد» ((۱)).

وأن یأخذ بمصحف علیّ بن أبی طالب علیه السلام وصیّ رسول الله صلی الله علیه و آله وابن عمّه، والّذی یعرف تنزیل القرآن وتأویله.

کما کان علیه أن یأخذ بمصحف أُبیّ بن کعب کما هو لا أن یستغله ویستغل مصحفه، لأنّه سیّد القرّاء. وهؤلاء لا شک فی تلقیهم القراءه عن رسول الله وعرضهم قراءتهم علیه، وقد شهد الذهبی فی معرفه القراء الکبار بأنهم من السبعه الأوائل فی هذا الفن، حتّی إنّهم یسبقون أبا بکر وعمر فیه ((۲)).

لا أن ینتدب لهذا الأمر صغار الصحابه کزید بن ثابت، وعبد الرحمن بن الحارث، وعبد الله بن الزبیر، وسعید بن العاص، ثمّ یتّخذ مصاحف کبار الصحابه غطاءً لتصحیح عمل زید بن ثابت ذی الذؤابتین!

وحتّی إنّه لو أراد أن ینتدب صغار الصحابه بدعوی أنّهم أقلّ تعصّباً لرأیهم واعتزازاً بعلمهم - حسب قول الدکتور هیکل -، فقد کان علیه أن ینتدب أمثال عبد الله بن عبّاس حبر الأُمّه ((۳))، وغیرَه من صغار الصحابه أیضاً، ولا یکتفی بزید بن ثابت فقط.

۱- سنن ابن ماجه ۱: ۴۹ / ح ۱۳۸، وانظر: الأحادیث المختاره ۱: ۹۳ / ح ۱۳، ۱: ۳۸۵ / ح ۲۶۸.

۲- ینظر معرفه القراء الکبار ۱ : ۲۷، ۳۱.

۳- معرفه القراء الکبار ۱ : ۴۵ / الترجمه ۹.

نعم، إنّهم أدرجوا أسماء بعض هؤلاء الصحابه ضمن المُشرِفين على عمل اللّجنه - كإدراجهم اسم أُبيّ بن كعب - تصحيحاً لعملهم، لكنّ من الصعب علينا قبوله، وذلك لوفاته قبل ذلك التاريخ، بل لوجود تصريح بأنّه قد توفّى آخر عهد الشيخين وأوائل عهد عثمان بن عفّان.

قال الهيتم بن عدى: مات سنه تسع عشره ... وقال المدائنى: مات سنه عشرين ((۱)).

ويضاف إليه أنّ إتيان محمّد بن أُبيّ بن كعب بمصحف أبيه إلى عثمان ولجنه المصاحف يؤكّد عدم وجود أُبيّ بن كعب حيّاً فى ذلك التاريخ، إذ لو كان موجوداً لأتاهم هو بمصحفه، لا أن يأتى ابنه محمد بمصحفه إليهم، هذا مع ملاحظه موت أُبيّ بشكل مُريب قبل مجىء يوم الجمعه!!!

إنّ عمل عثمان وأتباعه - فى جمع القرآن وتوحيده - كان إساءه لهؤلاء الصحابه، وتجريحاً لهم، وإن أُطّر بإطار المصلحه، وجاء تحت غطاء التجليل والتبجيل والاحترام لكبار الصحابه وإشراكهم فى عمليه الجمع، وإنّ ابن مسعود كان قد عرف هدفهم فامتنع أن يسلّم نسخته إلى اللّجنه خوفاً من استغلال اسمه، مصرّحاً بأنّه أعلم من زيد، وأنّه عرف الإيمان وزيد فى صلب أبيه الكافر ((۲)).

كما أنّ ابن مسعود طلب من الّذين نسخوا عن مصحفه بأن لا يسلّموا ما

۱- تهذيب الكمال ۲: ۲۷۱.

۲- أُنظر: سنن الترمذىّ ۵: ۲۸۵ / ح ۳۱۰۴ وفيه: والله لقد أسلمتُ وإنّه لَفى صلب رجلٍ كافر. قال: حديثٌ حسن.

استنسخوه إلى عثمان، لعلمه باستغلال اسمه ليس إلّا، فقال: إنّى غالٌّ مصحفى، ومن استطاع أن يغلّ مصحفاً فليغلل، فإنّ الله يقول: (وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِما غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَهِ) ((۱)).

وفى روايهٍ أُخرى قال: أيّها النّاس، غلّوا المصاحف، فإنّه من غلَّ يأت بما غلَّ يوم القيامه، ونعم الغلُّ المصحف يأتى به أحدكم يوم القيامه ((۲)).

وطبق هذه التركيبه الأموية نراهم يغالون فى عثمان وفى رسم الخطّ العثمانى، حتّى إنّ بعضهم قال بتوقيفيّه ذلك الرسم عن البارى جلّ وعلا، فلا يجيزون كتابه المصحف بالخطّ العربىّ المتطوّر، وقد سُئل الإمام مالك (ت ۱۷۹ ه-) عن ذلك، فلم يجزه إلّا فى المصاحف التى تُكتب من أجل الأطفال، تيسيراً عليهم فى تعلّم القرآن ((۳)).

كما ذهب الإمام أحمد بن حنبل (ت ۲۴۱ ه-) إلى أنّ الخروج عن خطّ مصاحف عثمان فى ياءٍ أو واوٍ أو الفٍ أو فى الأُمور الأُخرى حرام((۴)).

وعلّل البيهقى (ت ۴۵۸ ه-) سبب اتّباع إملاء المصاحف الأُولى بعينه، بأنّ الكتّاب الصحابه كانوا أُناساً أكثر علماً منّا وأوفر حظّاً من الثقه((۵)).

وقال الزمخشرى فى (الكشّاف) عن مخالفه القرآن لقواعد الكتابه العربيه فى مثل

۱- المصاحف لابن أبى داوود :۱ ۱۸۴ / ح ۵۲.

۲- المصاحف لابن أبى داوود :۱ ۱۸۵ / ح ۵۳.

۳- المحكم فى نقط المصاحف للدانى: ۱۶ / ح ۱۵.

۴- أُنظر: البرهان للزركشى ۱ : ۳۷۹، مناهل العرفان ۱ : ۲۶۲.

۵- أُنظر: شعب الإيمان للبيهقى ۲ : ۵۴۸ / ح ۲۶۷۸.

قوله تعالی: (وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ) ((۱)) وکتابه اللّام فیها منفصلهً عن (هذا): سُنّهٌ لا تُغیّر((۲)).

قالوا بکلّ ذلک تعسّفاً ومغالاهً فی عمل عثمان، حتّی قیل بأنّ محمّد بن أحمد البغدادی المعروف ب- (ابن شنبوذ) کان یجوّز القراءه علی ما یخالف الرسم العثمانی، فأُلقی القبض علیه، واستُتیب فاعترف، وکُتب علیه بمحضر((۳)).

بهذا فقد عرفتَ بعض الشیء عن حال من ادُّعِی کونهم من اللّجنه، أو من الّذین اعتمد عثمان علی مصاحفهم، فإنّ الواقع یؤکّد انحصار عثمان والخلفاء من قبله فی الأخذ بحرف زید بن ثابت، رغم مخالفه قراءته لقراءه غیره من الصحابه.

۱- سوره الفرقان: ۷.

۲- الکشّاف ۳ : ۲۷۰.

۳- أُنظر: الفهرست لابن الندیم: ۳۵، معجم الادباء ۵ : ۱۱۶ و۱۱۷.

موقف ابن مسعود وأبی بن کعب من السلطه:

لا یسعنا بعد کلّ هذا إلّا أن نؤکّد بأنّ أتباع سلطه الخلافه قد نسبوا إلی ابن مسعود وأُبیّ ابن کعب وعلیّ بن أبی طالب علیه السلام وحتّی إلی ابن عبّاس قضایا لا تتّفق مع سیرتهم، فقالوا عن ابن مسعود بأنّه حکّ المعوّذتین من القرآن ((۱)).

وعن أُبیّ بن کعب أنّه أضاف سورتی الحفد والخلع إلی القرآن ((۲)).

وعن علیّ بن أبی طالب أنّه أتی بقرآنٍ جدید أو لم یصح عنه أنّه جمع القرآن.

وعن ابن عبّاس أنّه روی الإسرائیلیّات ((۳)).

وهکذا غیرها من الأقوال التعریضیّه بهؤلاء الصحابه المنافسین لعثمان فی أمر القرآن.

المعوذّتان وابن مسعود:

من المعلوم أنّ ابن مسعود کان یقرأ بالمعوّذتین فی صلاته، وقد کانتا موجودتین فی مصحفه أیضاً، لکنّ القوم نسبوا له بأنّه حکّهما، وقد دافع ابن حزم عن ابن مسعود فی (المحلّی) فقال:

وکلّ ما روی عن ابن مسعود من أنّ المعوّذتین وأُمّ القرآن (الفاتحه) لم تکن فی

۱- الدر المنثور ۸ : ۶۸۳ .

۲- الاتقان ۱ : ۱۷۸ / ح ۸۴۳ و۸۴۴ .

۳- أُنظر تفسیر ابن کثیر ۳ : ۴۴۷، تفسیر البحر المحیط ۴ : ۳۷۳، الاتقان ۲ : ۵۳۸ / ۶۶۷.

مصحفه فكذبٌ موضوع لا يصحّ، وإنّما صحّت عنه قراءه عاصم عن زرّ بن حبيش عن ابن مسعود، وفيها أُمّ القرآن والمعوّذتان ((۱)).

بل صحّح السيوطى إسناد ما مرّ بطرقهم ((۲)).

كما حكى السيوطى فى الاتقان عن الإمام فخر الدين، قوله: نُقِل فى بعض الكتب القديمه أنّ ابن مسعود كان ينكر كون سوره الفاتحه والمعوّذتين من القرآن، وهو فى غايه الصعوبه، لأنّا إن قلنا: إنّ النقل المتواتر كان حاصلاً فى عصر الصحابه بكون ذلك من القرآن، فإنكاره يوجب الكفر، وإن قلنا: لم يكن حاصلاً فى ذلك الزمان، فيلزم أنّ القرآن ليس بمتواتر فى الاصل. قال: والأغلب على الظنّ أن نقل هذا المذهب عن ابن مسعود نقل باطل، وبه يحصل الخلاص عن هذه العقده.

وكذا قال القاضى أبوبكر: لم يصح عنه أنها ليست من القرآن ولا حفظ عنه. إنما حكّها وأسقطها من مصحفه إنكاراً لكتابتها، لا جحداً لكونها قرآناً، لأنه كانت السنّه عنده أن لا يكتب فى المصحف إلّا ما أمر النبى صلى الله عليه و آله بإثباته فيه، ولم يَجِدْهُ كَتَبَ ذلك ولا سمعه أمر به ((۳)).

لكن ابن حجر فى (فتح البارى) خَطّأَ من دافع عن ابن مسعود، فقال: وأمّا قول النووى فى (شرح المهذّب): أجمع المسلمون على أنّ المعوذتين والفاتحه من القرآن وأنّ من جحد منهما شيئاً كفر، وما نُقل عن ابن مسعود باطل ليس بصحيح، ففيه نظر، وقد

۱- المحلّى ۱: ۱۳.

۲- الدرّ المنثور ۸: ۶۸۴.

۳- الاتقان فى علوم القرآن ۱: ۲۷۰ - ۲۷۱.

سبقه لنحو ذلک أبو محمّد بن حزم، فقال فی أوائل (المحلّی): ما نُقل عن ابن مسعود فی إنکار قرآنیّه المعوذتین فهو کذبٌ باطل، وکذا قال الفخر الرازی فی أوائل تفسیره: الأغلب علی الظنّ أنّ هذا النقل عن ابن مسعود کذب باطل. والطعن فی الروایات الصحیحه بغیر مستند لا یُقبل، بل الروایه صحیحه والتأویل محتمل ((۱)).

وذکر صاحب مناهل العرفان عن (صحیح مسلم)، عن عقبه بن عامر أنّه صلی الله علیه و آله قرأهما فی الصلاه ((۲))، وزاد ابن حبّان من وجهٍ آخر عن عقبه بن عامر أیضاً: فإن استطعت أن لا تفوتک [قراءتهما] فی صلاهٍ فافعل ((۳)).

وأخرج أحمد من طریق أبی العلاء [ابن الشخیر]، عن رجلٍ من الصحابه: أنّ النبیّ أقرأنا المعوّذتین وقال: «إذا أنت صلّیت فاقرأ بهما» ((۴))، ورجاله رجال الصحیح ((۵)).

۱- فتح الباری ۸: ۷۴۳، المجموع شرح المهذب ۳: ۳۵۰، وجاء عن الرازی فی تفسیره الکبیر ۱: ۱۷۵ فقد نقل عن ابن مسعود حذف المعوّذتین وحذف الفاتحه عن القرآن، ویجب علینا إحسان الظنّ به وأن نقول: إنّه رجع عن هذه المذاهب. وقال فی ۱: ۱۷۸: واعلم أنّ هذا فی غایه الصعوبه، لأنّا إذا قلنا أنّ النقل المتواتر کان حاصلاً فی عصر الصحابه بکون سوره الفاتحه من القرآن، فحینئذ کان ابن مسعود عالماً بذلک...

۲- مناهل العرفان: ۱۹۱ عن: صحیح مسلم ۱: ۵۵۸ /۸۱۴ باب فضل قراءه المعوّذتین، ولیس فیها أنّه صلی الله علیه و آله قرأهما فی الصلاه، فراجع.

۳- صحیح ابن حبّان ۵: ۱۵۰ / ح ۱۸۴۲، المعجم الکبیر ۱۷: ۳۱۱ / ح ۸۶۱.

۴- مسند أحمد بن حنبل ۵: ۲۴ / ح ۲۰۲۹۹.

۵- مجمع الزوائد ۷: ۱۴۸ باب ما جاء فی المعوّذتین.

إذن، هـذه الروايات تؤكّد تواتر وجود المعوّذتين فى القرآن، وأنّ انعقاد الإجماع القطعىّ على قرآنيّتهما اليوم كاشفٌ عن إجماع الصحابه على ذلك أيّام رسول الله صلى الله عليه و آله ثمّ من بعده. فكيف ينسَب إلى ابن مسعود دون غيره من الصحابه أنّه أنكر المتواتر من القرآن؟ ومَن هو وراء نسبه هكذا أقوال إلى كبار أعيان الصحابه المخالفين لعثمان؟

نعم، حكى الزرقانى عن بعضهم أنّه قال: يحتمل أنّ ابن مسعود لم يسمع المعوّذتين من النبىّ صلى الله عليه و آله ولم تتواتر عنده، فتوقّف فى أمرهما، وإنّما لم يُنكَر ذلك عليه لأنّه كان بصدد البحث والنظر، والواجب عليه التثبّت فى هذا الأمر.

قال الزرقانى: ولعلّ هذا الجواب هو الّذى تستريح إليه النفس؛ لأنّ قراءه عاصم عن ابن مسعود ثبتت فيها المعوّذتان والفاتحه وهى صحيحه، ونقلها عن ابن مسعود صحيح، وكذلك إنكار ابن مسعود للمعوّذتين جاء من طريقٍ صحّحه ابن حجر، إذن فليحمل هذا الإنكار على أولى حالات ابن مسعود، جمعاً بين الروايتين.

وما يقال فى نقل إنكاره قرآنيّه المعوّذتين يقال فى نقل إنكاره قرآنيه الفاتحه، بل نقل إنكاره قرآنيه الفاتحه أَدْخَلُ فى البطلان وأغرق فى الضلال، باعتبار أنّ الفاتحه أُمّ القرآن وأنّها السبع المثانى الّتى تُثَنَّى وتكرّر فى كلّ ركعهٍ من ركعات الصلاه على لسان كلّ مسلمٍ ومسلمه، فحاشى لابن مسعود أن يكون قد خفى عليه قرآنيّتها فضلاً عن إنكاره قرآنيّتها، وقصارى ما نقل عنه أنّه لم يكتبها فى مصحفه، وهذا لا يدلُّ على الإنكار.

قال ابن قتيبه ما نصّه: وأمّا إسقاطه الفاتحه من مصحفه فليس لظنّه أنّها ليست من القرآن - معاذ الله -، ولكنّه ذهب إلى أنّ القرآن إنّما كتب وجمع بين اللّوحين مخافه الشكّ والنسيان والزياده والنقصان.

ومعنی هـذا أنّ عـدم کتـابه ابن مسـعود للفاتحه فی مصـحفه کان سـببه وضوح أنّها من القرآن، وعـدم الخوف علیها من الشـکّ والنسیان والزیاده والنقصان ((۱)).

ثمّ أضاف: إنّنا إن سـلّمنا أنّ ابن مسـعود أنکر المعوّذتین وأنکر الفاتحه بل أنکر القرآن کلّه، فإنّ إنکاره هذا لا یضـرُّنا فی شیء؛ لأنّ هـذا الإنکـار لا ینقض تواتر القرآن، ولا یرفع العلم القاطع بثبوته القائم علی التواتر، ولم یقل أحـدٌ فی الـدنیا: إنّ من شـرط التواتر والعلم الیقینیِّ المبنیِّ علیه أن لا یخـالف فیه مخـالف، وإلّا لأمکن من هـدم کلّ تواتر وإبطال کلّ علمٍ قام علیه بمجرّد أن یخالف فیه مخالف، ولو لم یکن فی العیر ولا فی النفیر.

قال ابن قتیبه فی (مشـکل القرآن): ظنّ ابن مسـعود أنّ المعوّذتین لیسـتا من القرآن، لأنّه رأی النبیّ صلی الله علیه و آله یعوّذ بهما الحسن والحسین، فأقام علی ظنّه، ولا نقول: إنّه أصاب فی ذلک وأخطأ المهاجرون والأنصار ((۲)).

وعن زراره أنّ رجلاً سأل الإمام صادق علیه السلام عن المعوّذتین: أهما من القرآن؟

فقال الصادق علیه السلام : «هما من القرآن».

فقال الرجل: إنّهما لیستا من القرآن فی قراءه ابن مسعود ولا فی مصحفه.

فقال أبو عبد الله علیه السلام : «أخطأ ابن مسعود - أو قال: کذب ابن مسعود - هما من القرآن ...» ((۳)).

۱- مناهل العرفان: ۱۹۱ - ۱۹۲، وانظر: تأویل مشکل القرآن: ۴۷ - ۴۹.

۲- مناهل العرفان: ۱۹۲، وانظر: تأویل مشکل القرآن: ۴۳.

۳- وسائل الشیعه ۶: ۱۱۵ / ح ۷۴۸۹باب جواز القراءه بالمعوّذتین - عن: طبّ الأئمّه للزیّات: ۱۱۴.

وروى الكلينيّ بسنده عن عبد الله بن فرقد والمعلّى بن خنيس، قالا: كنّا عند أبى عبد الله عليه السلام ومعنا ربيعه الرأى، فذكرنا فضل القرآن، فقال أبو عبد الله [الصادق]: «إن كان ابن مسعود لا يقرأ على قراءتنا فهو ضالّ».

قال ربيعه: ضالٌّ؟!

فقال: «نعم، ضالّ»، ثمّ قال أبو عبد الله: «أمّا نحن فنقرأ على قراءه أُبيّ» ((۱)).

وليس فى هذا الكلام وفيما جاء قبله عن الإمام الصادق تجريح بابن مسعود الّذى قيل عنه بأنّه من آل محمّد لكثره دخوله وخروجه عليهم ((۲))، وأنّه أحد الستّه الّذين خلقت الأرض لهم وبهم يمطرون حسب بعض الأخبار عندنا ((۳))، كما هو أيضاً من جمله تلك العصابه المؤمنه ((۴)) والصالحه ((۵)) الّتى شهدت جنازه أبى ذر الغفارى حسب

۱- الكافى ۲: ۶۳۴ / ح ۲۷ باب النوادر.

۲- المعرفه والتاريخ ۲: ۳۱۵ وفيه: وما أراه إلّا عبداً لآل محمّد، تاريخ مدينه دمشق ۳۳: ۸۴ و۸۵ و۱۵۱ وفيه: وما أراه إلّا عبد آل محمّد، سيَر أعلام النبلاء ۱: ۴۶۸.

۳- الخصال : ۳۶۱ / ۵۰، الكنى والألقاب ۱: ۲۱۶.

۴- مسند أحمد ۵: ۱۵۵ / ح ۲۱۴۱۰، و۵: ۱۶۶ / ح ۲۱۵۰۵، عن أبى ذر قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: «لَيموتنّ رجلٌ منكم بفلاهٍ من الأرض، يشهده عصابه من المؤمنين ...»، وانظر: مجمع الزوائد ۹ /۳۳۱، قال: رواه أحمد من طريقَين، ورجال الطريق الأوّل رجال الصحيح.

۵- كتاب الفتوح لابن أعثم ۲ /۳۷۷، تاريخ الطبرى ۲ /۶۳۰، الكامل فى التاريخ ۳ /۲۷، وفيه عن أبى ذر قال: سيشهدنى قوم صالحون يلون دفنى. وكان ابن مسعود قد شهد جنازه أبى ذرّ. اُنظر: المستدرك للحاكم ۳: ۵۲ / ح ۴۳۷۳، قال: حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرّجاه، تاريخ دمشق ۶۶ /۲۱۷، الإصابه ۷ /۱۲۹ ترجمه أبى ذرّ الغفارى.

تعبیر الرسول صلی الله علیه و آله .

وإنّ تعلیل الإمام علیه السلام : «إن کان ابن مسعود لا یقرأ ...»، یُفهَم منه بأنّ السجیّه العامّه لابن مسعود کانت هی موافقه قراءته لقراءه أهل البیت، لکن إن کان ابن مسعود لا یقرأ بتلک القراءه فهو ضالّ، وهو مثل کلام الباری جلّ وعلا: (لَوْ کَانَ فِیهِمَا آلِهَهٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا) ((۱)).

قراءه أُبیّ بن کعب:

أمّا موضوع اختیار الإمام علیه السلام قراءه أُبیّ، فهو أیضاً لا یعنی وجود إشکال فی قراءه ابن مسعود، فقد یکون الإمام علیه السلام قد قرأ بقراءه أُبیٍّ لکونه النموذج الصحیح لقراءه رسول الله صلی الله علیه و آله ((۲))، ولتقلیل الحدّه الموجوده بین أهل البیت علیهم السلام وبین مسلک أتباع الخُلفاء، لأنّ السلطه کانت ترید الاحتماء بقراءه أُبیّ بن کعب فی الظاهر، وفی المقابل کانوا علی صِدامٍ واضحٍ مع ابن مسعود ومصحفه، فقد یکون الإمام علیه السلام أراد بقوله الإشاره إلی أنّه یقرأ بقراءه مَن یرتضونه ویقبلونه من الصحابه، ولیس فی کلامه تعریض بابن مسعود وقراءته.

فالإمام علیه السلام حینما یقول: «أمّا نحن فنقرأ علی قراءه أُبیّ»، لا یعنی بکلامه أنّ

۱- سوره الأنبیاء: ۲۲.

۲- قال الفیض الکاشانی فی الوافی ۹ : ۱۷۷۶، والمستفاد من هذا الخبر [أما نحن فنقرأ علی قراءه أبی] انّ القراءه الصحیحه هی قراءه أبی، وأنّها الموافقه لقراءه أهل البیت علیهم السلام إلّا انّها الیوم غیر مضبوطه عندنا إذ لم تصل إلینا قراءته فی جمیع ألفاظ القرآن .

مصحف الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام غير موجودٍ عنده، أو أنّه محتاجٌ إلى قراءه غيره من الصحابه (فإنهم لا يتبعون أحداً وإنّما هم مُتّبَعون لا تابعون) ((۱))، بل إنّهم قالوا بذلك لإثبات أنّ قراءه أُبيّ نموذج لقراءه النبيّ وأهل بيته، وإنّهم قالوا بذلك تصحيحاً لقراءات النّاس من خلال حجّيه قراءه أُبيّ عندهم، لأنّه أخذها تلقيّاً وعرضاً عن رسول الله المعصوم ((۲))، وقد أوصى رسول الله بقراءته كما هو المشهور فى كتب الفريقين.

ومن هذا الباب نسب أصحاب القراءات إلى الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام بأنّهما قرءا على أبى عبد الرحمان السلمى القرآن، وهذا الكلام غير صحيح، لأنّ ابن الجزرى ذكر فى كتابه (غايه النهايه فى طبقات القراء) اسماء: من قرأ على عليّ بن أبى طالب من غير أهل بيته هم:

أبو عبد الرحمان السلمى ((۳))، وأبو الأسود الدؤلى ((۴))، وعبد الرحمان بن أبى ليلى ((۵)).

۱- الحدائق الناضره ۸ : ۹۹ . وقد يكون مراد أهل البيت (فنحن نقرأ على قراءه أبيّ) من حيث كون الفاتحه والمعوذتين من القرآن، أى أن ترتيب مصحف أبيّ من حيث عدد السور والآيات هو الممضى عدهم عليهم السلام .

۲- وقد صرح بذلك فى قوله : أخذتها من فى رسول الله .

۳- غايه النهايه ۱ : ۴۱۳ / ت ۱۷۵۵ .

۴- غايه النهايه ۱ : ۳۴۵ / ت ۱۴۹۳ .

۵- غايه النهايه ۱ : ۳۷۶ / ت ۱۶۰۲ .

وأمّا من أهل بيته: فقد قرأ الحسنان على أبيهما علىّ بن أبى طالب، وقرأ علىّ بن الحسين زين العابدين على أبيه الحسين، وقرأ محمّد بن علىّ الباقر على أبيه زين العابدين، وقرأ أخوه زيد بن على الشهيد على أبيه زين العابدين وأخيه الباقر، وقرأ جعفر بن محمّد الصادق أبو عبد الله المدنىّ على أبيه محمّد بن على الباقر ((۱)). وقراءه حمزه الزيات وغيره أُخذت من الإمام الصادق.

فلو صحّ بأنّهما قرءا على السلمى - ولم يصح - فهو لإلزام الآخرين بقراءتهما، لأنّ النّاس كانوا لا يعرفون فى القراءه إلّا القرّاء المعينين من قبل مدرسه الخلافه، فقد يكون الإمام الحسن والإمام الحسين قد فعلا ذلك لإمضاء عمل الأُمّه وإقرارهم على ما هم عليه، فقرءا فى الظاهر على السلمى - وإن كانا سبطى رسول الله صلى الله عليه و آله ولا يحتاجان فى تصحيح قراءتهما إلى قراءه أمثال أبى عبد الرحمان السلمى -، لكن لمّا كان السياق العامّ عند الحكومه وعامّه الناس هو الأخذ عن هؤلاء القرّاء لا عن غيرهم، كان من الحكمه إرشاد النّاس عَمَلًا إلى صحّه الأخذ عن السلمى، لأنّه أخذ القراءه عن علىّ لا عن غيره.

وهذا يشبه ما نقله الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه الإمام الباقر عليه السلام من أنّه كان يحدّث النّاس عن رسول الله صلى الله عليه و آله ، فكانوا يكذّبونه لعدم إدراك الإمام الباقر لعصر النبىّ صلى الله عليه و آله ، فلمّا رأى الإمامُ الباقر عليه السلام ذلك أخذ يحدّثهم عن جابر بن عبد الله

۱- غايه النهايه ۱ : ۱۹۶ / ت ۹۰۴ و۱ : ۲۴۴ / ت ۱۱۱۴ و۱ : ۴۵۳ / ت ۲۲۰۶ و۲ : ۲۰۲ / ت ۳۲۵۴.

الأنصاری، وکان جابر یأتیه یتعلّم منه((۱)).

نعم إنّهم نسبوا إلی أُبیّ بن کعبٍ أنّه أدخل سورتی الحفد والخلع فی القرآن، أو قوله: إنّ سوره الأحزاب کانت لَتعادل سوره البقره، وفیها آیه الرجم. فهو لم یقلها بل إنّها مقوله عمر بن الخطّاب نسبت إلی أمثال أُبیّ بن کعب، فقد یکون أبیّ توهّم أنها آیه من القرآن مثل عمر لسماعهما ذلک عن رسول الله، فظنا أنّهما قرآناً، مع أنّه صلی الله علیه و آله کان یقرأ بها دعاءاً لا قرآناً فی قنوت صلاته، لکنّ هذا التوهّم لا یدعو إلی التعریض به وبقراءته ومصحفه؛ لأنّه - حسبما یقولون - اجتهد، والمجتهد إن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجرٌ واحد!!!

وباعتقادی أن کلّ ما قیل عن ابن مسعود وأُبیّ بن کعب فی القرآن زیادهً ونقیصه فهو کذب وتزویر وبهتان، وأنهما قد حُورِبا لأجل ارتباطهما بأهل البیت وحبّهما لعلیٍّ وفاطمه والحسن والحسین علیهم السلام ، ومخالفتهما للسلطه الحاکمه.

وأنّ ما جاء فی بعض الأخبارمن سقوط آیاتٍ أو سور من مصحف هذا أو مصحف ذاک لا یُعدّ سبباً للوهن فی الکتاب العزیز الموجود بین الدفّتین؛ لأنّها أخبار آحاد منکره لا یؤخَذ بها، وهی مردوده لا یعتمدها أحدٌ من الفریقین.

کان هذا بعض الشیء عن ابن مسعود وأُبیّ ابن کعب، وأترک الکلام عن التُّهم الموجّهه إلی الإمام علیّ علیه السلام وابن عبّاس وکیفیّه الدفاع عنهما، فلذلک مجال آخر، وإن

۱- ولا یخفی علیک بأنّ هذا النص کان قبل إمامه الإمام الباقر، أی فی زمان أبیه السجّاد، لأنّ جابر بن عبدالله قد توفّی سنه ۷۸ والسجّاد ۹۵ ه-. أنظر: رجال الکشی ۱: ۲۱۷ ح ۸۸.

كنّا قد أجبنا عن بعض التهم الموجّهه إلى أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب فى هـذه الدراسه، أمّا الدفاع عن ابن عبّاس فسنبحثه فى موضوعٍ تفسيرىّ قادم إن شاء الله.

وبهـذا فقـد اتضـح لك بأنّ وراء التعريض بعلىٍّ أمير المؤمنين وابن عباس هم بنو أُميّه، وهؤلاء هم الّذين كانوا يلعنونهما دبر كلّ صلاهٍ ومن على المنابر، وكانوا يأمرون النّاس بلعنهما وعـدم الأخـذ عنهما، لأن أمير المؤمنين على بن أبى طالب وابن عباس كانا من المدافعين عن السنه النبويه المطهره، ويقفان بكلّ جرأهٍ أمام تيار السلطه وانحرافاته، وقد اشتهر عن ابن عبّاس قوله فى التلبيه يوم عرفه: لبّيك اللّهمّ لبيك وإن رغم أنف معاويه ((۱))، وأمثال ذلك كثير فى كتب الحديث والتاريخ.

وعليه فإنّ النصوص المنقوله عن أمير المؤمنين علىٍّ عليه السلام من جلوسه فى بيته لجمع القرآن، ما يُخطّئُ جمْعَ زيدٍ أو يشكّك فى الأهداف المرجوّه للخلفاء وأتباعهم من ذلك الجمع.

فلقد جاء عنه عليه السلام أنّه نادى بأعلى صوته: «يا أيّها الناس، إنّى لم أزل منذ قبض رسول الله مشغولاً بغسله، ثم بالقرآن، حتّى جمعتُه كلّه فى هذا الثوب ...» ((۲)).

وفى نصٍّ آخر: فلمّـا قُبض نبىّ الله ... وعمـد عمر فبـايع أبـا بكر، ولم يُـدفَن رسول الله بعـد، فلمّا رأى ذلك علىٌّ ورأى الناس قد بايعوا أبا بكر، خشى

۱- سنن البيهقى الكبرى ۵ : ۱۱۳ / ۹۲۳۰ .

۲- كتاب سليم بن قيس: ۱۴۸ باب قضايا السقيفه على لسان سلمان رضى الله عنه.

أن يفتتن الناس، ففزع إلى كتاب الله وأخذ يجمعه فى مصحف، فأرسل أبو بكرٍ إليه أن تعال فبايع، فقال على: «لا أخرج حتّى أجمع القرآن».. ((۱)).

وهذه النصوص تؤكد أسبقيه جمع الإمام على قبل جمع زيد، ويؤيّد ما حكته أخبار الإماميّه - مِن سبق الإمام علىٍّ عليه السلام لجمع القرآن - الرواياتُ الكثيره الموجوده عند أهل السنّه والجماعه، مثل: روايه الصنعانى (ت ۲۱۱ ه-) فى (مصنّفه) ((۲))، وابن سعد (ت ۲۳۰ ه-) فى (الطبقات الكبرى) ((۳))، وابن أبى شيبه (ت ۲۳۵ ه-) فى (مصنّفه) ((۴))، والبلاذرىّ (ت ۲۷۹ ه-) فى (أنساب الأشراف) ((۵))، وابن الضريس (ت ۲۹۴ ه-) فى (فضائل القرآن) ((۶))، والسجستانى (ت ۳۱۶ ه-) فى (المصاحف) ((۷))، والتى ستقف عليها بالتفصيل لاحقاً.

كان هذا هو ملخص حال مصاحف الصحابه ونبذه عن أصحابها، وبعض الشيء عن مصحف زيد بن ثابت وشخصه بالخصوص! والآن مع موضوع مهم آخر

۱- تفسير العيّاشى ۲: ۳۰۷، وبحار الأنوار ۲۸: ۲۳۱.

۲- مصنّف عبد الرزاق ۵: ۴۵۰ / ح ۹۷۶۵ باب بيعه أبى بكر.

۳- الطبقات الكبرى ۲: ۳۳۸ ترجمه الإمام على.

۴- مصنف ابن أبى شيبه ۶: ۱۴۸ / ح ۳۰۲۳۰ باب ۳۵ أوّل مَن جمع القرآن.

۵- أنساب الأشراف ۲: ۲۶۸ و۲۶۹ / ح ۱۱۸۴ و۱۱۸۷.

۶- فضائل القرآن لابن ضريس: ۳۶ / ح ۲۲.

۷- المصاحف ۱: ۱۶۹ / ح ۳۱ جمع علىّ بن أبى طالب القرآن فى المصحف.

یرتبط بالقرآن وبصاحبیین جلیلین یقترن اسمهما دائماً مع القرآن هما ابی بن کعب والآخر عبدالله بن مسعود، وهل یصح حقاً أن ما نسب الیهما من انّ احدهما أسقط سورتین من القرآن والآخر اضاف الیهما سورتان، أم ان هذه الأقوال هی من وضع الخلفاء واتباعهم للمساس بشخصیتهما العلمیه ومکانتهما الاجتماعیه عند المسلمین.

الإصرار علی زید.. لماذا؟

والسؤال الذی یطرح هنا هو: لماذا هذا التهویل فی عدد قتلی واقعه الیمامه، وعلی دور زید بن ثابت فی مراحل جمع القرآن الأربع؟ ((۱)) ولماذا لا نری اسم غیره؟

فمن هو زید بن ثابت؟ وما دوره فی بدء الدعوه وبعدها؟ وهل هو معصوم حتی یؤخذ عنه؟

وما یعنی قول عبد الله بن مسعود: کیف یأمرونی أن أقرأ علی قراءه زید بن ثابت وقد قرأت مِن فِی رسول الله بضعاً وسبعین سوره، وإنّ زید بن ثابت لَیأتی مع الغلمان له ذؤابتان ((۲)).

أو قوله: والله لقد أسلمتُ وإنّه لَفی صُلب أبیه کافر ((۳)).

ولماذا هذا الإصرار من قبل الشیخین وعثمان علی الأخذ بقراءته وترک قراءه کبار الصحابه.

۱- أعنی: عهد رسول الله، وزمان حکومه أبی بکر، وعمر، وعثمان.

۲- المصاحف ۱: ۱۸۶ / ۵۵.

۳- المصاحف ۱: ۱۹۱ / ۶۳.

فما یعنی هذا الإجحاف والإهمال لقراءه أمثال هؤلاء الصحابه؟ وفی المقابل الاهتمام بآخَرین لیس لهم ثقل هؤلاء فی الإسلام کزید بن ثابت.

فقد یکون فی تأکید ابن مسعود علی یهودیّه زید ((۱))، إشارهٌ إلی وجود اتّجاهٍ یحمیه.

ودعوی تعلّم زید العبریّه بأمر رسول الله شیءٌ باطل، لأنّه کان من الیهود وقد کانت له ذوابتان مثلهم، وکان یجلس مع صبیانهم فی کتاتیبهم متعلّماً لغتهم ((۲))، فلا حاجه لأمر رسول الله أن یتعلم زید العبریه لأنّه هو عبری أصلاً.

وعلیه، فإنّ للیهودیّه دوراً قبل الإسلام وبعده، ولقد کنّ بعض نساء النبی علی اتّصالٍ بالیهود أیضاً، فقد روی عن عمره بنت عبد الرحمان: أنّ أبا بکر الصدّیق دخل علی عائشه وهی تشتکی ویهودیّه ترقّیها، فقال أبو بکر: أَرْقِیها بکتاب الله ((۳)).

نعم، إن زید بن ثابت کان علی ارتباط بالیهود، وإنّه بلسانه العذب کان یستمیل الخلفاء، ویتزلّف إلیهم، ففی (مسند أحمد)، بسنده عن أبی سعید الخدری، قال:

لمّا توفّی رسول الله صلی الله علیه و آله ، قام خطباء الأنصار، فجعل منهم مَن یقول: یا

۱- جاء فی تاریخ المدینه لابن شبه ۲: ۱۲۶ / ح ۱۷۴۸ عن أبی الأسود أو غیره قال: قیل لعبد الله: ألا تقرأ علی قراءه زید؟ قال: ما لی ولزید ولقراءه زید؟ لقد أخذتُ من فِی رسول الله سبعین سوره، وإنّ زید بن ثابت لَیهودی له ذؤابتان.

۲- تاریخ المدینه ۳: ۱۰۰۶، الإیضاح: ۵۱۹.

۳- مصنّف ابن أبی شیبه ۵: ۴۷ / ح ۲۳۵۸۱، و۶: ۶۴ / ح ۲۹۵۰۴، موطّأ مالک ۲: ۹۴۳ / ح ۱۶۸۸ والمتن منه، الأمّ للشافعی ۷: ۲۲۸ لعلها کانت یهودیه وأسلمت وجاءت ترقی عائشه بما کانت تعرفه أیام یهودیتها، إذ کیف یأمر بترقیتها بالقرآن وهی یهودیه.

معشر المهاجرین، إنّ رسول الله صلی الله علیه و آله کان إذا استعمل رجلاً ـ منکم قرن معه رجلاً ـ منّا، فنری أن یلی هذا الأمر رجلان: أحدهما منکم، والآخر منّا.

قال: فتتابعت خطباء الأنصار علی ذلک. قال: فقام زید بن ثابت فقال: إنّ رسول الله صلی الله علیه و آله کان من المهاجرین، وإنّما الإمام یکون من المهاجرین، ونحن أنصاره کما کنّا أنصار رسول الله صلی الله علیه و آله !

فقام أبو بکر فقال: جزاکم الله خیراً من حیٍّ یا معشر الأنصار وثبت قائلکم. ثمّ قال: والله لو فعلتم غیر ذلک لما صالحناکم ((۱)).

وفی (السیره النبویّه) لابن کثیر: ... إنّ زید بن ثابت أخذ بید أبی بکر، فقال: هذا صاحبکم فبایعوه ((۲)).

فما یعنی ورود النصّ الآنف عن أبی سعید الخدری فی زید؟ هل لکونه ساعیاً للتقرب إلی الولاه رغبهً فی الحکم، أم لشیءٍ آخر؟!

ولعلّ خطبه زید هذه فی مدح أبی بکر وأمثالها هی الّتی جلبت ودّه فجعله کاتباً لدار الخلافه ((۳))، والقاضی عنده، ومقسّمَ مواریث المسلمین ((۴)).

۱- مسند أحمد ۵: ۱۸۵ / ح ۲۱۶۵۷.

۲- السیره النبویّه ۴: ۴۹۴ - ۴۹۵، المستدرک علی الصحیحین ۳: ۸۰ / ح ۴۴۵۷ صحیح علی شرط الشیخین ولم یخرجاه.

۳- أُسد الغابه ۲: ۲۲۲ من ترجمه زید بن ثابت.

۴- المجموع للنووی ۱۶: ۶۸.

كما أنّها وأمثالها قد تكون هى الّتى دعت عمر بن الخطّاب لأَنْ يستخلفه على المدينه، وأن يستعمله على القضاء، وأن يقدم اسم زيد على اسمه تعظيماً له.

ففى (سير أعلام النبلاء)، عن يعقوب بن عتبه: أنّ عمر استخلف زيداً، وكتب إليه من الشام: إلى زيد بن ثابت، من عمر ... ((۱)).

وفى (تاريخ المدينه)، عن نافع: أنّ عمر استعمل زيداً على القضاء، وفرض له رزقاً ... ((۲)).

وعن خارجه بن زيد، قال: كان عمر كثيراً ما يستخلف زيد بن ثابت إذا خرج إلى شىءٍ من الأسفار، وقلّما رجع من سفرٍ إلّا أقطع زيداً حديقه من نخل! ((۳))

وفى (الطبقات) عن عبد الرحمان بن القاسم، عن أبيه، قال: كان عمر يستخلف زيد بن ثابت فى كلّ سفر، أو قال: فى كلّ سفرٍ يسافره، وكان يُفرِّقُ الناسَ فى البلدان ويوجّهه فى الأُمور المهمّه ويطلب إليه الرجال المسمون، فيقال له زيد، فيقول: لم يسقط على مكان زيد، ولكنّ أهل البلد يحتاجون إلى زيدٍ فيما يجدون عنده فيما يحدث لهم مما لا يجدون عند غيره ((۴)).

وفى بعض المصادر: وما كان عمر وعثمان يقدّمان على زيد أحداً فى القضاء

۱- سيَر أعلام النبلاء ۲: ۴۳۴.

۲- تاريخ المدينه ۱: ۳۶۷ / ح ۱۱۳۷.

۳- تاريخ المدينه ۱: ۳۶۸ / ح ۱۱۳۸، تاريخ مدينه دمشق ۱۹: ۳۱۸ و ۳۲۰، سيَر أعلام النبلاء ۲: ۲۳۴، الإصابه ۱: ۵۹۴.

۴- الطبقات ۲: ۳۵۹، تاريخ دمشق ۱۹: ۳۱۶، كنز العمّال ۱۳: ۱۷۰ / ح ۳۷۰۵۱.

والفتوی والفرائض والقراءه ([(۱)](#)).

فإذا أراد أبو بکر أن لا یأخذ بمصحف أمیر المؤمنین علیّ بن أبی طالب وابن مسعود وأُبیّ بن کعب لأیّ علّهٍ کانت، فلماذا یقدِّم زید بن ثابت علی الصحابی مُعاذ بن جبل؟

ألم یکن معاذ بن جبل حیّاً أیّام جمع أبی بکر، ومن السّته الجامعین للقرآن علی عهد رسول الله صلی الله علیه و آله ؟

أوَ لیس معاذ بن جبل أکبر سنّاً وأقدم إسلاماً وأعلم فقهاً من زید بن ثابت؟ وقد شارک مع رسول الله فی حروبه کلّها: بدر، أُحد، الخندق، و...

ألم یکن هو أعلم الأُمّه بالحلال والحرام کما یدّعون؟

ألم یرسله رسول الله صلی الله علیه و آله إلی الیمن لیعلّمهم أحکام الدین، ثمّ جعله فی مکّه معلِّما للأحکام؟

ألم یَقُلْ رسول الله صلی الله علیه و آله لأهل الیمن فی رسالته إلیهم - کما نقلوا -: «إنّی بعثتُ لکم خیر أهلی» ([(۲)](#)).

وعلیه نکرر ونقول: لماذا یُقدَّم زید بن ثابت علی کبار قرّاء الأُمّه، أمثال: مُعاذ بن جبل، وابن مسعود، وعلیّ بن أبی طالب، وأُبیّ بن کعب؟ وما السرّ فی ذلک؟!

وإذا کان الحفظ معیاراً فی الجمع فلماذا لا نری زیداً یعتمد علی حافظته وذاکرته

۱- تاریخ مدینه دمشق ۱۹: ۳۱۷، طبقات ابن سعد ۲: ۳۵۹، کنز العمّال ۱۳: ۱۷۰ / ح ۳۷۰۵۰.

۲- الإصابه ۶: ۱۳۷ /الترجمه ۸۰۴۳.

فی الجمع، بل یجدّ لجمعه من هنا وهناک، فیقول: تتبعت القرآن أجمعه من صدور الرجال ومن العسب واللخاف، ثم ینساها ویجدها عند خزیمه أو أبی خزیمه فی آخر سوره التوبه؟!

وکیف یُعرِّفُ الناسُ: سعیدَ بن العاص، علی أنّه فصیح – أو أفصح قریش((۱)) –، وعمره آنذاک فی حدود العاشره؟ أوَ لیس فی الصحابه مَن هو أفصح وأبلغ منه حتّی یولّی کتابه المصحف؟ ((۲))

ولماذا تُناط المسؤولیّه بزید بن ثابت وحده لجمع القرآن فی عصر الخلفاء الثلاثه وعصر الرسول ((۳))، وفی الوقت نفسه یشکِّک فی جمع أمثال الإمام علی علیه السلام للمصحف، کما یُشَکّک فی صحّه قراءه ابن مسعود؟ بل یُرفَع بضبع زید بن ثابت، إلی اعلی المستویات حتّی یقال عنه بأنه کتب خمسه مصاحف، کان خامسها لنفسه.

وکیف له أن یعرف الفارسیّه، والرومیّه، والقبطیّه، والحبشیّه، والسریانیّه، والعبریّه.. ویکون صاحب العرضه الأخیره، وکاتب الوحی، وأفرض الصحابه، دون غیره من الصحابه؟!

۱- المعجم الکبیر ۶: ۶۰ / ۵۵۱۴، عن مصعب بن سعد قال: قال عثمان: أیّ الناس أفصح؟ قالوا: سعید بن العاص. وعنه فی مجمع الزوائد ۹: ۴۱۴، قال: رواه الطبرانی، ورجاله رجال الصحیح.

۲- فتح الباری ۹: ۱۹، کنز العمال ۲: ۲۴۸ / ۴۷۸۰.

۳- عُرف عن زیدٍ قوله: «کنّا عند رسول الله نؤلف القرآن من الرقاع». وهذا لا یتّفق مع ما جاء عنه فی الإتقان ۱: ۱۹۲ / ح ۷۴۵، أوّل النوع: ۱۸، بأنّ رسول الله مات ولم یکن القرآن جمع فی شیء. إلّا أن نقول بأنه یعنی بالجمع: الجمع بین الدفتین!

فی حین أنّ الإمام الباقر علیه السلام عرّض بزید وبأحکامه، فقال: «الحُکْم حُکْمان: حُکْمُ الله وحُکْمُ أهل الجاهلیّه، وقد قال الله عزّ وجلّ: (وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُکْماً لِقَوْمٍ یُوقِنُونَ) ((۱))، وأشهدُ علی زید بن ثابت لقد حکم فی الفرائض بحکم الجاهلیّه» ((۲)).

ألم یشاهد الباحث وجود تهویلٍ لدور زید بن ثابت وسعید بن العاص فی جمع القرآن؟ کما أنّ فیه تهویلًا أیضاً لقتلی واقعه الیمامه، وإضفاء مزید دورٍ للخلفاء الثلاثه - وخصوصاً عثمان منهم - فی جمع القرآن؟!

ألیس رسول الله صلی الله علیه و آله هو الأحرص علی جمع القرآن من غیره؟!

بل کیف یترک صلی الله علیه و آله أُمّته هَمَلًا بلا راعٍ ولا کتابٍ ودستور، حتّی یأتی عثمان بعد عقدَین من الزمن لیجمعه؟!

بل کیف به صلی الله علیه و آله یترکهم بلا کتابٍ وهو یری یهود خیبر لدیهم کتابٌ مجموع؟!

ألا تحتمل معی أن تکون هذه المقوله قد جاءت لإبعاد رسول الله صلی الله علیه و آله عن المشهد، کی یرسموا مکانَه البدیل؟ لأنّهم لو أذعنوا بجمع القرآن علی عهد رسول الله صلی الله علیه و آله لما أمکنهم القول بجمع الخلفاء الثلاثه للقرآن من بعده، فإنّهم ضعفوا نصوص جمع القرآن علی عهد رسول الله کی یثبتوا هذا.

وإذا کان زید قد سعی حقّاً فی تألیف القرآن علی عهد رسول الله صلی الله علیه و آله - حسبما مرّ

۱- سوره المائده: ۵۰.

۲- الکافی ۷: ۴۰۷ / ح ۲، التهذیب ۶: ۲۱۷ / ح ۵۱۲.

علیک قبل قلیل -، فلماذا یخاف من تألیفه تارهً أُخری علی عهد أبی بکر، ویقول لأبی بکر وعمر - کما فی روایه البخاری -: قلت: کیف تفعلان شیئاً لم یفعله رسول الله؟ ((۱))

بل ما هی الضروره فی جمعه للقرآن مرّهً أُخری؟ ألم یکن المجموع علی عهد رسول الله کافیاً أو مما یجب إتمام جمعه؟!

بل أیّ القولَین أصح؛ هل ما قیل من أنّ زیداً استنسخ المصحف - فی عهد أبی بکر - مِن علی نسخه رسول الله صلی الله علیه و آله ، أو أنه بدأ بجمع القرآن من جدیدٍ بشاهدَین؟

وعلی أی شیء یدل تطابق مواقف زید فی أحداث السقیفه مع الخلفاء ومدح أبی بکرٍ له، واستخلاف عمر له علی المدینه.

ولماذا هذا التأکید والاحترام الزائد لزید بن ثابت دون غیره من الصحابه؟ هل لکونه کان عثمانیّاً ومن المخالفین لعلیّ بن أبی طالب؟ کما جاء فی (أُسد الغابه) و(الاستیعاب) ((۲)).

وهل القضیه هی قضیه علی وعثمان، أم أنه شیء آخر.

وما یعنی ما جاء فی (الکامل) لابن الأثیر وغیره بأنّه کان أحد الأربعه الّذین دافعوا عن عثمان حین لم ینصره من الصحابه غیرهم ((۳)).

۱- صحیح البخاری ۴: ۱۹۰۷ / ح ۴۷۰۱ باب ۳ جمع القرآن.
۲- أُسد الغابه ۲: ۲۲۲، والاستیعاب ۲: ۵۴۰ وفیهما: کان زید عثمانیاً، ولم یشهد مع علیٍّ شیئاً من حروبه.
۳- أنساب الأشراف ۶: ۱۷۵، تاریخ الطبری ۲: ۶۴۴.

أجل، إنّ زيداً كان على قضاء عثمان ((۱))، وعلى بيت المال والديوان له ((۲))، وكان عثمان يستخلفه على المدينه حينما يخرج منها، وكان زيد من الذابّين عن عثمان دائماً وقد رجع أُناسٌ من الأنصار لقوله حينما أيد عثمان ((۳)).

وهو القائل للأنصار: إنّكم نصرتم رسول الله فكنتم أنصار الله، فانصروا خليفته تكونوا أنصار الله مرّتين. فقال الحجّاج بن غُزَيَّه: والله إنْ تدرى هذه البقره الصيحاء ما تقول ... ((۴)).

وفى نصٍّ آخر: أنّ سهل بن حنيف أجابه فقال: يا زيد، أشبعك عثمان من عُضْدان المدينه ((۵)).

يُضاف إلى كلّ ذلك أنّ بنى عمرو بن عوف أجلبوا على عثمان، وكان زيد يذبّ عنه، فقال له قائلٌ منهم: وما يمنعك؟ ما أقلّ والله مِن الخزرج من له عُضْدان العجوه ما لك.

فقال زيد: اشتريت بمالى، وقطع لى إمامى عمر، فقطع لى إمامى عثمان.

فقال له ذلك رجل: أعطاك عمر بن الخطاب عشرين ألف دينار.

فقال: لا، ولكن كان عمر يستخلفنى على المدينه، فوالله ما رجع من مغيبٍ قطّ

۱- الكامل لابن الأثير ۳: ۷۶.

۲- الكامل ۳: ۸۲، أُسد الغابه ۲: ۲۲۲، أنساب الأشراف ۶: ۱۷۳، الاستيعاب ۲: ۵۳۹.

۳- تاريخ مدينه دمشق ۱۹: ۳۲۰.

۴- أنساب الأشراف ۶ : ۲۱۰ - ۲۱۱.

۵- العضيده: نخله قصيره ينال حملها، والخبر موجود فى أنساب الأشراف ۶: ۱۹۷/ ۱۴۵۶.

إلّا قطع لی حدیقه من نخل ((۱)).

وفی خبر البلاذری ما یظهر أنّ زیـداً کان أحـد الّـذین هجموا علی بیت فاطمه الزهراء علیها السـلام بعد وفاه رسول الله صـلی الله علیه و آله ((۲)).

والکلام عن زیـد بن ثابت طویلٌ ومتشـعب لیس محلّه هنا، ولا أُریـد الخوض فیه أکثر من هـذا، ومن أراد المزیـد فلیراجع کتب التراجم والرجال.

۱- تاریخ مدینه دمشق ۱۹: ۳۱۹ و ۳۲۰.

۲- أنساب الأشراف ۲: ۲۶۶ / ۱۱۸۳.

سرّ ترکهم لکبار الصحابه وأخذهم بزید

وبعد کلّ هذا نعود لنسلط الضوء علی سرّ ترکهم الإمام علی وابن عباس وابن مسعود والتمسّک بزید بن ثابت فی مسأله القرآن، مع أنّ زیداً مرجوحٌ علماً وقراءهً.

فإنّ رجحان علم علیّ بن أبی طالب وابن مسعود وابن عبّاس وأُبیّ علی زید بن ثابت وأبی موسی الأشعری وعبد الله بن الزبیر وغیرهم، شیء یعرفه کلّ مَن کتب عنهم، وإلیک کلام الزرقانی فی (مناهل العرفان) عن المفسّرین من الصحابه، إذ قال:

أمّا الإمام علی رضی الله عنه ، فقد عاش بعدهم حتّی کثرت حاجه الناس فی زمانه إلی مَن یفسّر لهم القرآن ...، فلا جرم کان ما نقل عن علیٍّ أکثر ممّا نقل عن غیره، أضف إلی ذلک ما امتاز به الإمام من خصوبه الفکر وغزاره العلم وإشراق القلب ...

وقد کثرت الروایات أیضاً عن ابن مسعود، وحسبک فی معرفه خطره وجلاله قدره ما رواه أبو نعیم عن أبی البحتری، قال: قالوا لعلیّ: أخبرنا عن ابن مسعود. قال: علمَ القرآن والسنّه. ثمّ انتهی، وکفی بذلک علماً!

وأمّیا ابن عبّیاس فهو ترجمان القرآن بشهاده رسول الله صلی الله علیه و آله ، فعن مجاهد قال: قال ابن عباس: قال لی رسول الله صلی الله علیه و آله : نعْمَ ترجُمان القرآن أنت!

وأخرج البیهقیّ فی (الدلائل) عن ابن مسعود رضی الله عنه قال: نعْمَ ترجُمان القرآن عبد الله بن عباس.

وقد دعا له النبیّ صلی الله علیه و آله بقوله: اللّهمّ فَقِّهْهُ فی الدِّین وعلِّمْه التأویل.

... وکذلک أُبیّ بن کعب بن قیس الأنصاریّ - أحد کتّاب الوحی -،

فقد كان من المكثرين فى التفسير المبرَّزين فيه، كما اشتهر فى القراءه وبرز فيها. روى له فى التفسير أبو جعفر الرازى، عن ربيع بن أنس، عن أبى العاليه، عن أُبىّ بن كعب، وإسناده صحيح.

وأمّا الباقى من العشره، وهم: زيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعرى، وعبد الله بن الزبير، فمع شهرتهم فى التفسير كانوا أقلّ من الأربعه الّذين قبلهم ((۱)).

فلا أدرى هل يقبل الباحث الموضوعىّ بما قالوه عن زيد وأنّه اختير لهذا العمل دون غيره من الصحابه؛ «لأنّه شابٌّ، فهو أقدر على العمل منهم، وهو لشبابه أقلّ تعصّباً لرأيه واعتزازاً بعلمه، وذلك يدعوه إلى الاستماع لكبار الصحابه من القرّاء والحفّاظ والتدقيق فى الجمع دون إيثارٍ لما حفظه هو» ((۲)).

أترك القارئ لكى يحكم بنفسه على صحّه هذا الكلام وسقمه، وعمّن يجب أن يأخذ الإنسان قراءته للقرآن.

هل يأخذ عمّن هو أكثر اعتزازاً بعلمه وثقةً برأيه كابن مسعود والإمام على وابن عباس وأُبىّ؟! أم يأخذ ممّن يتأثّر برأى غيره ويستسلم لمن يملى عليه؟

إنهم بهذه الأقوال يريدون أن يقووا مكانه زيد ويضعفوا فى المقابل مكانه أمثال ابن مسعود والقول بأن هؤلاء كانوا يُفرطون برأيهم ولا يقبلون التأثر بالآخرين،

۱- مناهل العرفان ۲: ۱۳ – ۱۴.

۲- هذا ما نقله الدكتور شاهين فى تاريخ القرآن: ۱۴۴ عن الدكتور هيكل، وهو منقولٌ عن غيره أيضاً.

ولأجل هذا اعتمد عثمان هؤلاء الأصاغر للجمع والتدوين.

وعليه فالقرآن كان مجموعاً على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله ، لكن على اشكال مختلفه ورسول الله عهد إلى الإمام أن يوحد شكل تلك الصحف فجمع الإمام «المنزل» فى ثلاثه أيام، ومع تفسيره وتأويله فى ستّه أشهر، وبذلك حظى الإمام بجمع القرآن المنزل مع تفسيره وهذا ما سيتضح لك بالأرقام فى الصفحات الآتيه.

المصحف المتداول هو مصحف رسول الله لا مصحف الخلفاء

إذن هذا المصحف المتداول اليوم بين أيدى المسلمين هو ليس مصحف أبى بكر ولا مصحف عمر ولامصحف عثمان، بل هو مصحف رسول الله ومصحف أمير المؤمنين على ومصحف جميع الصحابه، وهو الكتاب الّذى نزل من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا أو على صدر النبى محمّد، لأنَّ القراءات المنسوبه إلى الخلفاء فى كتب التفسير والقراءات - وكذا المنسوبه إلى حفصه وعائشه - لا توجد فى هذا المصحف الّذى اشتهر بالمصحف العثمانى والمدوّن تحت إشراف الخلفاء الثلاثه وحفصه وعائشه، وهى تؤكّد بأنّها قراءات شاذّه لا تعتمد لمخالفتها للمشهور عن رسول الله.

فقولهم بأنّ عثمان أخذ مصحفه على ضوء مصحف أبى بكر - الموجود عند حفصه -، أو أنّ عثمان اعتمد مصحف عائشه وأمثال ذلك، يدعونا للقول بأنّ تلك القراءات المحكيه عنهم غير ثابته النسبه إليهم، أو أنّ تلك المصاحف لا تصح نسبتها.

إذن اختلافات القراءات المحكيّه عن هؤلاء الثلاثه وحفصه وعائشه مع المصحف الرائج اليوم تشير إلى كون هذا القرآن المتداول بين أيدينا ليس مطابقاً

لقراءاتهم أو مكتوباً بحرفهم كما يزعمون، بل هو القرآن الّذى كان يقرأ به المسلمون جميعاً على عهد رسول الله، والّذى دوّن على عهده، وهو القرآن الذى كان يقرأ به رسول الله فى صلاته ويعلمهم به على مكث وهدوء، بمعنى أنّ هذا القرآن - والذى كان ينزل منجماً - قد قُسّمَت آياته وسوره على طول ٢٣ عاماً، فكانت حصه المسلمين منه فى كل عام بنسبه واحد الى ٢٣.

وعليه فانّه لم يكن ما جمعه الخلفاء الثلاثه كما يدعون.

وقد يقال بأنّ هذا الاختلاف يمكن أن يلحظ بين المحكى عن أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب وهذا المصحف أيضاً، فما الجواب؟

قلنا: إنّ القراءات المحكيّه عن أمير المؤمنين على عليه السلام لا يصحّ شىء منها إلّا المروىّ بسندٍ معتبر وصحيح عن أهل بيته، هذا أولاً.

وثانياً: لا يدّعى أحد منّا بأن هذا المصحف هو مصحف على بعينه دون تبديل فى القراءه، بل نقول بأنّ مصحف الإمام هو أصل للقرآن الرائج اليوم، بقراءه حفص عن عاصم.

نعم، إنّ مصحف الإمام وقراءه الإمام موجودان بين هذه القراءات المشهوره وهى الراجحه فى الشرق والمطابقه لقرآن صنعاء كما مرّ، ولا ترجيح لواحده على غيرها، كما أنا لا نقول بأنّ رسول الله أو الإمام عليّاً قد قرءا بجميع تلك القراءات، فقراءته عليه السلام واحده، والاختلاف يجىء من قبل الرواه حسب قول المعصوم.

ثالثاً: هناك فرق بين الأمرين، فالقول المشهور عند أهل السنه والجماعه هو أنّ هذا المصحف هو مصحف عثمان وزيد بن ثابت - والذى دوّن وفقاً لمصحف أبى بكر الذى كان عند حفصه بنت عمر - لا غير، أى أنه هو باعتقادهم ليس بمصحف علىّ

بن أبى طالب وابن مسعود وغيرهما؛ لأن ابن مسعود لم يشارك عثمان فى جمعه، وأنّ الامام علياً لم يُدعَ إليه.

فالسؤال: لو كان كذلك، فلماذا لا نقف على قراءه لأبى بكر وعمر وحفصه فيه، أو كيف نرى فيه ما لم يقرأ به هؤلاء فى الصلاه، كالبسمله.

وهذا الكلام يختلف عما قلناه فى مصحف الإمام على، لأنّ الإمام كان قد أجاز القراءه بالمقروء عند الناس بياناً منه على المنجّزيّه والمعذّريه، وأنّ لا ضروره بقراءه الفاتحه أو السور الأخرى بجميع القراءات حتى يعلم بقراءه ما نزل على النبى على الوجه الدقيق، فيكرر قراءه: (كُفواً أَحَـد) بالوجوه الأربعه لا لتطابق كلّ تلك القراءات مع المقروء عنـدهم مع قراءه رسول الله وقراءه الإمام مائه بالمائه، وهذا يشبه ما قالته مدرسه أهل البيت فى شرعيّه تعدّد القراءات وأنّ الأخذ بأىّ منها جائز - لوجود قراءه رسول الله بينها - لا أنّ رسول الله قرأ بجميعها أو أجاز القراءه بالجميع بما هو جميع وأنّ القرآن نزل بالأحرف السـبعه حسبما يدّعون، لأنّ ذلك لا يتّفق مع كون القرآن منزلاً من عند الواحد على رجل واحد وبلسان واحد.

أجل، إنّ المسلمين قرؤوا القرآن كما تعلّموه من رسول الله، وإنّهم أخذوا مصاحفهم عن مصاحف الصحابه الـذين كتبوه على عهـد رسول الله صلى الله عليه و آله ، لا أنّ زيـداً وحـده جمعه لهم فى عهد الخلفاء الثلاثه واحداً بعد الآخر، وبذلك لا يصحّ ما قالوه بأنّ الحرف القرآنى اليوم هو حرفه، إذ لو كان كذلك فلماذا لا نرى فى هذا المصحف قراءته

أو قراءه غيره كقراءه حفصه وأمثالها ((۱)).

وعليه، فالمنقول عن الشيخين وعن عثمان وحفصه وزيد، وعن غيرهم من قراءات مخالفه للمصحف الرائج هی قراءات شاذّه لا يأخذ بها المسلمون.

كما مرّ عليك أنّ الإمام عليّاً عليه السلام كان لا يرتضی التغيير والتبديل فی (المصحف الرائج) وخصوصا بعد إقرار الصحابه وتصويبهم له؛ لأنّ الإصلاح والتغيير سيكون ذريعه بيد أهل البدع والأهواء للتلاعب فی القرآن، والإمام لم يرتضِ الاعتراض على القارئ، ولا دعوته إلى تغيير الكلمه كی لا ينال القرآن بسوء، بل أراد عليه السلام الإشاره إلى أنّ (طلح) و(طلع) جاءتا على نحو الإبدال، فإنّ العرب تبدل العين من الحاء وبالعكس، فكأنّه شرح معنى الطلح بالطلع، فی قوله تعالى: (وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ) ((۲)) والشاهد على ما نقول أنّهم اختلفوا اختلافا فاحشاً فی معنى «الطلح»، فقالوا: إنّه الموز، وقالوا أشياء أُخرى، مع أنّ الطلع معروف عند العرب، ولذلك بيّن الإمام أنّ (الطلح) معناه (الطلع). فلا يجوز تغييره، وقال كلمته الخالده: «إنّ القرآن لا يهاج اليوم ولا يحوّل» ((۳)).

إذن الإمام عليه السلام كان لا يرتضی الزياده فی متن القرآن، ولأجله دوّن المصحف (المجرّد) بعيداً عن (المفسَّر) كی يصون النص المقدس أعنی النص القرآنی المجيد عن

۱- فی قوله: (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصّلاه الْوُسْطَى) وهی العصر. أنظر: كنز العمال ۲: ۲۴۴ / ۴۷۶۲.

۲- سوره ق: ۱۰.

۳- تفسير الطبری ۲۷ :۱۸۱، مجمع البيان ۹ :۳۶۴، وفيه: إنّ القرآن لا يهاج اليوم، ولا يحرّك.

الزیاده والنقصان فیه، وقد دوّن الأخیر بترتیب غیر ترتیب الأول دقةً فی التمییز بینه وبین کتاب الله المتلوّ، موکّداً بأنّه کتاب علم، لا قرآن تلاوه وذکر.

نعم، إنّ عمر بن الخطّاب استغلّ فکره تجرید القرآن لأغراض سیاسیه وضّحناها فی کتابنا (منع تدوین الحدیث)، مؤکّدین بأنّ عملیه إضافه التفسیر والبیان إلی أصل القرآن کانت موجودةً فی عمل الصحابه ولیست مختصّةً بالإمام أمیر المؤمنین علیّ وحده، غیر أن تفسیر الإمام علی کان مأخوذاً من لسان رسول الله مباشره، بخلاف أخذ غیره فقد یکون بالمباشره أو بالواسطه، أما إضافه عائشه ((۱)) وحفصه جمله (وصلاه العصر) فی مصحفیهما، فلا ندری هل هی من متن الآیه أم أنّها أخذت تفسیرها من رسول الله؟

فی المصاحف عن حمیده، قالت: «أوصت لنا عائشه بمتاعها، فکان فی مصحفها (إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِکَتَهُ یُصَلُّونَ عَلَی النَّبِیِّ) والَّذینَ یصلّون الصفَّ الأوّل» ((۲)).

فالإمام علیه السلام کان لا یرتضی جعل تلک الزیاده فی متن المصحف المجرّد، لأنّ زیاده جمله (وصلاه العصر)، وجمله (والذین یصلون الصفّ الأوّل) وأمثالها لم تکن من القرآن یقیناً، بل هی جمل تفسیریّه وتوضیحیه، فکان الإمام لا یرتضی جعلها فی متن القرآن، وهذه الزیادات وأمثالها موجوده فی کتب التفسیر الأثریّ بوفره عند

۱- المصاحف ۱ :۳۷۱ رقم ۲۳۹ إلی ۲۴۷.

۲- المصاحف ۱ :۳۷۰، باب وصف صحف عائشه/ح۲۳۸.

الفريقين.

نعم، انّ هـذه الروايـات حملهـا البعض على التحريف، وآخرون على نسـخ التلاوه، وقـد اعترف الآلوسـى بأن وجودها فى كتبهم أكثر من أن تحصى، فقال:

«والروايات فى هذا الباب أكثر من أن تحصى إلّا أنّها محموله على ما ذكرناه» ((۱)).

وقد ردّ الزرقانى فى مناهل العرفان تلك الروايات بقوله:

«فليُلاحظ دائما فى الردّ على أمثال تلك الشبهات أمران:

الأوّل: تلـك القاعـده الـذهبيه الّتى وضـعها العلمـاء، وهى أنّ خبر الآحاد إذا عارض القاطع سـقط عن درجه الاعتبار وضُرِبَ به عرض الحائط مهما تكن درجه إسناده من الصحّه.

ثانيهما: خطّ الدفاع الّذى أقمناه فى المبحث الثامن (حصـناً حصـيناً) دون النيل من الصحابه واتّهامهم بسوء الحفظ أو عدم التثبت والتحرّى خصوصاً فى كتاب الله وسنّه رسوله صلى الله عليه و آله » ((۲)).

وإنّى خوفا من الإطاله والخروج عن البحث أكتفى بهـذا القـدر، لأعود إلى صـلب الموضوع لأوكـد ارتباط موضوع جمع القرآن بالإمام علىّ، وأن القوم يريدون طمس مكانته العلميه والتراثيه فى ذلك، وكلامنا هذا لا يعنى إنكارنا وجود مصاحف

۱- تفسير روح المعانى ۱ : ۲۵.

۲- مناهل العرفان ۱ :۲۷۴.

للصحابه وأن رسول الله قد أقرّ بعضها على عهده وأمر أن لا توخذ المصاحف إلى أرض العدو وأمثالها، لكنّه فى الوقت نفسه كان يريد أن يكون جمع كتاب ربّه بين الدفّتين كاملاً بعد وفاته صلى الله عليه و آله بيد وصيه علىّ أمير المؤمنين.

إنّ وصف النبى صلى الله عليه و آله علياً بأنّه مع القرآن والقرآن مع علىّ، تأكيد على أنّه الأولى بهذا الجمع، وذلك لمعرفته بجميع القرآن ظاهره وباطنه، بتنزيله وتأويله، صغيره وكبيره، وبذلك يكون هو (القرآن الناطق) يفسّره ويوضحه، فنحن لو أضفنا إلى ما سبق إرشاد رسول الله صلى الله عليه و آله أُمّته إلى لزوم اتّباع العتره عليهم السلام بجنب القرآن فى حديث الثقلين، لوقفنا على أنّ الابتعادَ عن أهل البيت ابتعادٌ عن النبىّ صلى الله عليه و آله والإسلام، وهذا هو عين الضلاله والهلكه؛ لأنّه لا هدى إلّا بالقرآن والنبىّ والعتره، «فعلىّ مع القرآن والقرآن مع علىّ لا يفترقان حتّى يردا علىّ الحوض» ((۱)).

ولو تدبّرت فى القول النبوىّ هذا لعرفت مكانه الإمام علىّ عليه السلام فى رتبه المعيّه مع القرآن، وهذا ما وضحه المرجع الكبير آيه الله الشيخ الوحيد الخراسانى دام ظلّه فى كلام له، فقال عن جمله «على مع القرآن والقرآن مع على»:

«... وهى نسبه تقوم بطرفين؛ ويستحيل أن تقوم بطرف واحد، وعندما قال النبىّ: (علىّ مع القرآن)، فقد أثبتها؛ فلماذا أعاد إثباتها بصيغه أخرى، فقال: (والقرآن مع علىّ)؟

۱- المستدرک ۳: ۱۳۴ /ح ۴۶۲۸، المعجم الاوسط ۵: ۱۳۵ /ح ۴۸۸۰، قال صحيح ولم يخرجاه، كنز العمّال ۱۱: ۲۷۷ /ح ۳۲۹۱۲.

حاشا أفصح مَن نطق بالضاد مِن اللغو فی کلامه، وحاشا أفصح من نطق بالضاد من التکرار فی کلامه، [دون معنی متوخّی، فإنّه صلی الله علیه و آله] أراد أن یُفهمنا أنّ مسأله معیّتهما [هی] معیّه من نوعٍ خاصّ، ویشیر إلی أبعادها العمیقه، ذلک أنّ المعیّه بین شیئین أو أکثر عندما تطلق فیقال: زید مع عمرو، فهی أعمّ من أن یکونَ هذا الطرف فی الإضافه متقدّما رتبه علی ذاک أو متأخّراً عنه، بل تدلّ علی أنّهما معاً بقطع النظر عن رتبه کلّ منهما.

وربّما کان فیها إشاره إلی أنّ المَقْرون أقلّ رتبهً من المقرون به، لهذا أعاد النبیّ صلی الله علیه و آله صیاغه هذه المعیّه، لیقول للمفکّرین: لا- ینبغی أن تفهموا من قولی: «علیّ مع القرآن» أنّ علیّاً أقلّ رتبه من القرآن، بل القرآن مع علیّ أیضا، فهما وجودان متعادلان» ((۱)).

أمیر المؤمنین أعلم النّاس بما بین اللوحین:

ولأتی بموضوع آخر یرتبط بموضوعنا أیضاً، وهو: أنّ أحداً من المسلمین لم یجرؤ علی ادّعاء حیازه علم الکتاب کلِّه سوی أمیر المؤمنین علیه السلام ، ولکی لا یکون کلام الامام علیه السلام مجرّد ادّعاء کان علیه أن یدعو النّاس لسؤاله عن کتاب الله، فکان علیه السلام یکرّر قوله – من أوّل استلامه للخلافه الظاهریه إلی أوان استشهاده – بأنّه مستعدّ

۱- الحقّ المبین: ۱۰۵ للمرجع الدینی الکبیر الشیخ الوحید الخراسانی.

للإجابه عَن جميع الأـمور من القرآن الكريم على وجه الخصوص، وذلـك لاحتمـاء الخلفـاء بالقرآن الكريم وتضـعيفهم لمكانه السنه النبويه.

فقد جاء فی تاریخ دمشق عن أبی الطفیل، قال: «سمعت عليّا وهو يخطب النّاس فقال: يا أيّها النّاس سلونی فإنّكم لا تجدون أحداً بعدی هو أعلم بماتسألونی منّی، ولا تجدون أحداً أعلم بما بین اللوحین منّی، فسلونی» ((۱)).

وعن محمّد بن فضـیل یقول: «سمعت ابن شبرمه یقول: ما كان أحد یقول على المنبر: سلونی عن ما بین اللوحین، إلّا علیّ بن أبی طالب» ((۲)).

وعن سـلیمان الأحمسـی، عن أبیه، قـال: «قـال علیّ: والله ما نزلت آیه إلّا وقـد علمت فیما نزلت، وأین أنزلت، وعلى من نزلت...» ((۳)).

وعن جعفر بن محمّد الصادق، عن أبیه، عن آبائه، عن علیّ صلوات الله علیهم، قال: «سلونی عن كتاب الله، فوالله ما نزلت آیه من كتاب الله فی لیل أو نهار ولامسیر ولا مقام إلّا وقد أَقرَأَنِیها رسولُ الله وعلّمنی تأویلها.

۱- تاریـخ دمشق ۴۲: ۳۹۸، وانظر طبقـات ابن سـعد ۲: ۳۳۸، وانظر شـرح الأخبار للقاضـی النعمان ۱: ۹۱، ۱۹۶، عن الأعمش، والخبر موجود أیضاً فی أمالی الصدوق: ۴۲۳ /ح ۵۶۰، وعیون أخبار الرضا ۱: ۷۳ / ح ۳۱۰، أمالی الطوسی: ۵۲۳ / ح ۶۵.

۲- تاریخ دمشق ۴۲: ۳۹۹، وعنه فی شرح الأخبار ۲: ۳۱۱ /ح ۶۳۸، و۵۶۲ /ح ۶۳۸ عن ابن عساكر، شواهد التنزیل ۱: ۵۰ /ح ۴۶، ۴۷.

۳- طبقات ابن سعد ۲: ۳۳۸، وعنه فی كنز العمـال ۱۳: ۵۶ /ح ۳۶۴۰۴، تاریخ دمشق ۴۲: ۳۹۸ ورواه أیضـا بطریق آخر عن ثویر عن أبیه عنه علیه السلام فی ۴۲: ۳۹۷.

فقـام ابن الكوّاء، فقال: يا أمير المؤمنين فما كان ينزل عليه وأنت غائب عنه؟ قال:كان يحفظ عَلَيّ رسول الله ما كان ينزل عليه من القرآن وأنا عنه غائب حتّى أقـدم عليه فيُقْرِئُنيه ويقول لى: يا علىّ أنزل الله بعـدك كـذا وكذا، وتأويله كذا وكذا، فيعلّمنى تأويله وتنزيله» ((۱)).

لقد علّم رسول الله صـلى الله عليه و آله الإمام عليه السـلام شأن نزول الآيات، فِيمَ نزلت؟ وأين نزلت؟ وما تفسيرها وتأويلها؟ لأنه خليفته، وعليه أن يعرف خفايا الأمور وروح الأحكام، وهـذا ما أعطاه الله إياه، وهو يعلن اسـتعداده أن يعطيها للنّاس متى احتاجوا إليها.

كما أنّه صلى الله عليه و آله أمر النّاس بالرجوع إليه دلاله على لياقته وأفضليته على الآخرين، وأنّ القرآن على ارتباط بالعتره حتى يوم القيامه، وإنّ كون الإمام على أبا العتره يؤكّـد بأنّه عليه السـلام الأَوْلى بجمع القرآن من غيره، ولهـذا جعل المصـحف مُدَّخَرا عنده – مع ما ورثه من علوم وصحف أخرى من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام قبله – لأنه عليه السلام وصىّ رسول الله صلى الله عليه و آله ، ونجيّه، وحبيبه، بـل نفسه حسب دلاله آيه المباهله، وإذا أردت أن تعرف منزله أمير المؤمنين عليه السـلام فى القرآن وعند رسول الله، فاقرأْ هذا النصّ:

قـال عبـد الله بن مسـعود: «تمارينـا فى سوره من القرآن، فقلنـا: خَمْسٌ وثلاـثون أوستّ وثلاثون آيه، قال: فانطلقنا إلى رسول الله فوجدنا عليّا

۱– أمالى الطوسـى: ۵۲۳/۱۱۵۸، وانظر كتاب سـليم: ۳۳۱ /ح ۳۱ عن سـليم بن قيس عن أميرالمؤمنين وفيه: يحفـظ على مـا غبت عنه...

يناجيه، قال: فقلنا:إنّا اختلفنا فى القراءه، قال: فاحمرّ وجه رسول الله، قال: إنّما هلك من كان قبلكم باختلافهم بينهم، قال: ثمّ أَسَرَّ إلى علىّ شيئاً، فقال لنا علىّ: إنّ رسول الله

يأمركم أن تقرأوا كما عُلِّمْتُمْ» ((۱)).

إنّ من الطبيعى أن يتغيّر وجه رسول الله صلى الله عليه و آله وأن يستنكر الاختلاف الواقع بين الصحابه فى القرآن، لأنه هو الذى علّمهم إيّاه على مكث، لكن هل فكّرت فى سبب مناجاته لعلىّ عليه السلام وإسراره بالجواب له عليه السلام دون غيره من الصحابه، وعدم إجابه الرسول صلى الله عليه و آله بنفسه للمتنازعين، بل جعل الإمام عليه السلام هو الرابط بينه وبين ابن مسعود وخصمه، أو قل: لماذا أراد صلى الله عليه و آله أن يوصل الجواب إلى المتنازعين عن طريق خليفته وصهره؟ فما يعنى هذا؟

إن هذا الإِسْرار من النبى إلى وصيه - فى روايه الطبرى - (ثمّ أَسَرَّ إلى علىّ شيئاً) يشبه مناجاته صلى الله عليه و آله لفاطمه الزهراء عليها السلام قبيل وفاته وقوله لها: «يا بنيه لاتجزعى، فإنّى سألت ربّى أن يجعلك أوّل أهل بيتى لحاقاً بى، فأخبرنى أنّه قد استجاب لى» ((۲)).

ففى هذا معانٍ ساميه، كما أنّ إصرار الرسول صلى الله عليه و آله على اتّباع الآل عليهم السلام والأخذ عنهم يحمل فى طيّاتَهِ أكبر المعانِىَ المُهِمَّةً التى أدعو القارئ أن ينتزعها بنفسه ولا أحمّله

۱- تفسير الطبرى ۱ :۲۶ وانظر مسند أحمد ۱: ۱۰۵/ح ۸۳۲، والاحاديث المختاره ۲: ۲۳۷/ح ۶۱۷، قال: إسناده صحيح.
۲- بحار الأنوار ۲۲: ۵۳۳، وانظر صحيح البخارى ۳: ۱۳۲۶ / ح ۳۴۲۶، صحيح مسلم۴: ۱۹۰۴ / ح ۲۴۵۰.

رأياً خاصّاً من عندی.

ولنجيب الآن علی سؤال آخر قد يراود الباحث حينما يدرس تاريخ جمع القرآن، وهو:

سؤال وجواب:

لمـاذا لا ـ يُظْهِر أميرُ المؤمنين علی عليه السـلام والأـئمّه عليهم السـلام من ولـده ذلک المصـحف ((۱)) بعـد انتهاء حکم الخلفاء الثلاثه؟ أی بعد رفع المانع.

وما الفائده من خزنه عند المعصوم وإخفائه عن أعين النّاس، وهو الّذی جمع القرآن مع تفسيره لحاجه النّاس إليه؟

بل أیّ فائـده من إخفاء الإمام علی والأئمّه عليهم السـلام من ولـده ذلک المصـحف وتلک العلومَ المـدَّخره عنـدهم، مثل کتاب علیّ والجفر والجامعه عن النّاس؟

الجواب:

أوّلًا: إنّ الأئمّه عليهم السلام لم يخفوا ذلک المصحف وتلک الصحف، کما أنّهم لم يخفوا الکتب الموجوده عندهم عن أنظار النّاس، بل کانوا ينقلون منها لهم، ويروون عنها عند الضروره.

بل إنّ الله سبحانه وبمقتضی وعده جَمَعَ قرآنه فقال: (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) ((۲))،

۱- المکتوب بعد رسول الله مباشره.

۲- القيامه: ۱۷.

وألزم رسوله بیانه من خلال ما أوحی إلیه (ثُمَّ إِنَّ عَلَیْنَا بَیَانَهُ) ((۱))، وقال تعالی: (لِتُبَیِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَیْهِمْ) ((۲))، وقد بَیَّن صلی الله علیه و آله بالفعل ما کُلّف فی قوله تعالی: (وَیُعَلِّمُهُمُ الْکِتَابَ وَالْحِکْمَهَ) ((۳))، وقد أکمل الله دینه وأَتمّ نعمته علی المسلمین فی وصیّته المقدّسه لعلی یوم الغدیر، فقال تعالی: (الْیَوْمَ أَکْمَلْتُ لَکُمْ دِینَکُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَیْکُمْ نِعْمَتِی وَرَضِیتُ لَکُمُ الإِسْلاَمَ دِینا) ((۴)).

إذن النبیّ صلی الله علیه و آله بلّغ رسالته کامله، وقد أمر کتّاب الوحی الموجودین عنده بتدوین ما نزل علیه صلی الله علیه و آله ، لکنّه مع ذلک أوصی وصیّه بجمع تلک الآیات ربّه مع تفسیرها وتأویلها فی کتاب آخر أیضاً.

وقد دوّن الإمام ما سمعه من رسول الله صلی الله علیه و آله فی القرآن وفی الأحکام وفی الأخلاق وفی الحوادث، فی الجفر، والجامعه، وکتاب علی، وقد أطنبنا الکلام عن ذلک فی کتابنا (منع تدوین الحدیث)، ومَن أراد فلیراجع.

فالأئمّه علیهم السلام لم یخفوا تلک الصحف عن أعین النّاس، بل کانت عندهم وینقلون عنها لهم عند الضروره.

کما أنّهم لم یخفوا ذلک المصحف عن النّاس، بل کانوا یحکون عنه قراءاتهم

۱- القیامه: ۱۹.

۲- النحل: ۴۴.

۳- سوره البقره: ۱۲۹، سوره آل عمران: ۱۶۴، سوره الجمعه: ۲.

۴- المائده: ۳.

الخاصّه، ویقسمون بأنّها نزلت کذا وکذا ((۱)).

ثانیاً: أنّ الإمام علیه السلام لو أخرج المصحف المفسَّر تاره أخری بعد انتهاء عهد الخلفاء لکُذِّب فیما أتی به من تفسیر عن رسول الله صلی الله علیه و آله ، واتُّهم بإثاره الفُرقه بین المسلمین، ولا یستبعد أن یحرَّف من أجله المصحف المجرّد أیضاً ویزاد فیه أو ینقص منه ویقع اللّوم علی الإمام علیّ علیه السلام .

فإنّ الإمام علیه السلام جعل نسخه ذلک المصحف عند أولاده المعصومین علیهم السلام یخرجونه للناس عند الضروره، کما هو ملاحظ فی کثیر من النصوص فقد قال الفیض الکاشانی عند شرحه لروایه البزنطی قال: دفع إلی أبو الحسن مصحفاً وقال: لا تنظر فیه، ففتحته وقرأت فیه: (لم یَکُنِ الذینَ کَفَروا) فوجدت فیه سبعین رجلاً من قریش بأسماءهم وأسماء آبائهم فبعث إلی: إبعث إلی بالمصحف.

فهذه الأسماء المکتوبه کانت تفسیراً للذین کفروا مأخوذه من الوحی لا أنّها کانت من القرآن.

إذن الإمام علیه السلام بهذا العمل قد وقف أمام استغلال الآخرین لمصحفه المفسَّر، وفی الوقت نفسه أوقف الآخرین علی قراءات الأئمّه لآی القرآن، وتفسیرها وتأویلها.

وعلیه المحفوظ عند الأئمّه هو المفسَّر، وقد کان السیّد الخوئی قد قال عن المصحف المجرّد:

«أمّا حفظه عند الإمام فهو نظیر حفظه فی اللوح المحفوظ أو عند ملک

۱- ومعناه أنها جاءت مفسره عن رب العالمین بواسطه جبرئیل الأمین بکذا وکذا.

من الملائكه، وهو معنى تافه يشبه قول القائل: إنّى أرسلت إليك بهديّه وأنا حافظٌ لها عندى أو عند بعض خاصّتى» ((۱)).

أى أنّ اشتهار القرآن عند المسلمين أغناه عن إخراجه لهم، وأن لا خلاف جوهرى بينهما. بل يتأكّد للجميع بأنّ المحفوظ عند الأئمّه هو المفسَّر لا غير.

ثالثاً: أنّ الأئمّه عليهم السلام كانوا يخافون أن يحدّثوا النّاس بكلّ شیء، لعدم درك الأمه أبعاد القضايا وخفايا الأمور، وقد اشتهر عن الإمام علىّ عليه السلام قوله: «إنّ ههنا لعلما جمّا - ويشير إلى صدره - لو أصبت له حَمَلَةً...».

وجاء عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «لو وجدت ثلاثه رهط أستودعهم العلم وهم أهل لذلك لحدّثت بما لا يحتاج فيه إلى نظر فى حلال ولاحرام وما يكون إلى يوم القيامه» ((۲)).

ونقل ابن أبى الحديد عن أبى جعفر النقيب مجىء أخٍ للإمامَين الحسن والحسين عليهما السلام ، وسؤاله ميراث أبيه علىّ عليه السلام منهما، إلى أن يقول: «قال أبوجعفر النقيب: فروى أبان بن عثمان عمّن يروى له ذلك، عن جعفر بن محمّد عليه السلام ، قال: فدفعا إليه صحيفه لو أَطْلَعاه على أكثر منها لهلك، فيها ذكر دوله بنى العبّاس» ((۳)).

وقد اشتهر عن الأئمّه عليهم السلام توبيخهم لبعض أصحابهم، لإفشائهم بعض علوم آل

۱- البيان: ۲۰۹.

۲- بصائر الدرجات: ۴۹۸/ح۱، باب فى الأئمّه عليهم السلام ، ومختصر البصائر: ۷۳/ح۲۰، وبحارالأنوار ۲ : ۲۱۲/ح۱، عن البصائر.

۳- شرح نهج البلاغه ۷: ۱۴۹.

محمّد علیهم السلام ، کما أنّهم علیهم السلام کانوا یخافون من إباده الخلفاء لتلک العلوم وتحریفهم لها إن أخرجوها لهم.

رابعاً: إنَّ أئمّه أهل البیت علیهم السلام هم أئمّه الدین والمدافعون عنه، وقد وضّحوا للنّاس مسائل الحلال والحرام وما یحتاجون إلیه من التفسیر والتأویل، ولم یبخلوا علیهم بنشر العلم إلّا أن تحدّهم ظروف التقیه فی بعض الأحیان فیکتمونها، لذلک لم یجعلوا تلک الکتب فی متناول أیدی مَن هبّ ودبّ خوفاً من إبادتها وتحریفها، فقد روی عنبسه بن مصعب عن أبی عبد الله علیه السلام قوله:

«لولا أن یقع عند غیرکم کما قد وقع غیره لأعطیتکم کتاباً لا تحتاجون إلی أحد حتّی یقوم القائم» ((۱)).

لهذه الأمور - ولغیرها معها - أخفی الأئمّه علیهم السلام الکتب الموجوده عندهم، ولهذا بحث طویل ینظر فی مظانّه، وقد نشرحه فی بحوثنا اللاحقه إن رأینا ضروره لذکره.

لماذا الجمع فی ثلاثه أیّام؟

وثمّه سؤال آخر یطرح نفسه هو: هل یحتاج جمع الموجود خلف فراش رسول الله من القرآن والمکتوب علی العسب والکتف والقرطاس والحریر والرقّ والخزف إلی ثلاثه أیّام أو سبعه؟ أوَ ما کان بإمکان الإمام علیه السلام إعداده فی یوم واحد؟

الجواب: نعم کان بإمکانه إِعداده فی یوم واحد أو أقلّ من ذلک، إذا أُرید جمعها

۱- بصائر الدرجات: ۴۹۸ / ح ۲.

ولفّها فی حریر فقط دون رعایه التنسیق والترتیب والتوحید بین أجزائها، وموادّها، وأشکالها.

أمّا لو أُرْیدَ توحید شکلها وجنسها من القرطاس والرقّ والعسب والکتف والشظاظ والخزف إلی شکل واحد، فإنّ ذلک یدعوه علیه السلام لأن یعید کتابه بعض الأجزاء وتنسیقها بحیث یمکن أن تُجْمَع بین الدفّتین؛ لأنّ اختلاف أجناس المکتوب من الکتف والعسب والرقّ والورق یعکّر شکل الجمع، فلابدّ من توحید شکلها وجنسها. وهذا یأخذ بعض الوقت، وخصوصا لو اعتبرنا أنَّ القرطاس والجلد هما أفضل الوسائل فی الکتابه آنذاک، وأن الجلود کانت تصدّر من الجزیره العربیه والقرطاس موجود عندهم، وقد جاء صریحا فی وصیه رسول الله صلی الله علیه و آله بأنّ المجموع خلف فراشه غالبه من الصحف والحریر والقرطاس ((۱))، وعلیه فکانت الأیّام الثلاثه أو السبعه أو التسعه کافیةً لهذا العمل.

وإنّی أستبعد ما قاله الاستاذان فی معجم القراءات القرآنیه أنه:

«لا یمکن أن یکون فی طاقه البشر من یکتب القرآن الذی بین أیدینا فی ثلاثه أیام، وهذا أمر لا یطمئن إلیه العقل، وحتّی لو کان الکاتب أمیر المؤمنین علیاً» ((۲)).

لأنّ غالب الموجود کان من الوسائل اللینه کالقرطاس والحریر والجلد والقلیل

۱- أنظر الروایه التی مرت فی أول هذا القسم فی صفحه ۲۹۹ (الجمع بعد وفاه رسول الله مباشرةً بواسطه الإمام علیّ).

۲- معجم القراءات القرآنیه ۱: ۳۰.

منها كان من العسب واللخاف وأمثالها فلا استبعاد حينئذ.

وقد شهد نولدكه بأنّ الماده التى استعملت للكتابه كانت واحده فى النوع والشكل. والأرجح أنّ الجلد هو الماده التى استعملت لحفظ نتاج النبى الأدبى((۱)).

وبهذا فقد عرفت بأنّ ما قالوه عن الصحابه وأنّهم كانوا يُدَوِّنُونَ القرآن على أكتاف العظم ورقاق الحجاره والخشب وأضلاع النخيل وما شابهها، لم تكن هى الحاله السائده والرائجه عندهم آنذاك، بل إنّهم كانوا يَلجَؤُوْنَ إليها عند الضروره وفقدان وسائل الكتابه المعروفه فى البلدان المجاوره للجزيره كالقرطاس والرقّ والورق والحرير والقماش؛ إذ بمراجعه الكتاب العزيز تَقِفُ على وجود اسم القرطاس كوسيله مألوفه للتدوين والكتابه، فقد قال سبحانه: (وَلَوْ نَزَّلْنا عَلَيْكَ كِتَابا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ) ((۲))، وقال تعالى: (قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِى جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورا وَهُدىً لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرا) ((۳))، وقال تعالى: (فِى رَقٍّ مَنْشُورٍ) ((۴))، وعليه فالمجموع خلف فراش رسول الله صلى الله عليه و آله أكثره من الوسائل اللّينه كالحرير والقرطاس، فيمكن كتابه المدوَّن على أكتاف العظام وأضلاع النخل واللخاف فى ثلاثه أيام أو أقل.

وقد مرّ عليك أنّ كلمه (صحيفه) و(صحف) و(سجلّ) وأمثالها كانت من

۱- تاريخ القرآن لنولدكه ۲ : ۲۵۷.

۲- سوره الأنعام: ۷.

۳- سوره الأنعام: ۹۱.

۴- سوره الطور: ۳.

أدوات الكتابه والتدوين آنذاك والّتى يلحظ فيها اللين والمطّاطيه، وكان البارى جلّ وعلا ـ يذكّرهم بتلك الوسائل تشبيها وتمثيلاً، قال تعالى: (يَوْمَ نَطْوِى السَّماءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ) ((۱)). وهذا ما قاله الأستاذ عِزَّه دَرْوَزه أيضا حيث قال:

«... وهذا يجعلنا نعتقد أنّ ما روى من أنّ القرآن كان يدوّن على قطع عظيمه الحجم، ثقيله الوزن، صعبه الحمل والحفظ والتّرتيب، كأضلاع النّخيل وأكتاف العظام ورقاق الحِجاره والخَشَب، لا يمكن أن يكون هو الواقع على إطلاقه، كما أنَّ هذا القول يطَّرد فى ما يمكن أن يستتبع ذلك من فقدان أو نقص وسائل الكتابه اللّيّنه المعروفه فى ذلك العصر فى البلاد المجاوره، كالقِرطاس والورق والحرير والقماش والرُّقوق النّاعمه المسوّاه» ((۲)) إلى أن يقول:

«... لا ـ يعقل فى حال أن لا يكون فيها وسائل مدنيّه للكتابه وأن لا يوجد ما يدوّن عليه القرآن إلّا ألواح العظام ورقائق الحِجاره وأضلاع النّخيل وقطع الخشب، هذا بالإضافه إلى أنّ القرآن قد احتوى على كلمه القرطاس أكثر من مرّه ممّا يصحّ أن يكون دليلاً على أنّه كان معروفا ومألوفا كوسيله للتّدوين والكتابه» ((۳))، ثمّ يقول.

«.... فإنّ القرآن احتوى كلمه «الصُّحُف» أكثر من مرّهٍ فى معرض الإشاره إلى القرآن والكتب السّماويّه... ((۴)) على أنّ الصُّحُف كانت تنشّر وتطوى، وهو ما لا

۱- سوره الأنبياء: ۱۰۴.

۲- نصوص فى علوم القرآن ۳ :۴۴۱ عنه.

۳- نصوص فى علوم القرآن ۳: ۴۴۳ عنه.

۴- نصوص فى علوم القرآن ۳: ۴۴۳ عنه.

يمكن أن يتّصف به إلّا وسائل الكتابه اللّينه كالقماش وورق القماش وورق الحرير والرُّقوق النّاعمه المسوّاه إلخ...» ((۱))، ثم يقول.

«... وجُلّ الكتابيّين الّذين كانوا فى الحجاز جاليات نازحه من البلاد المجاوره الّتى كانت وسائل الكتابه اللّينه فيها معروفه ميسوره، فلا يعقل أن تكون كتبهم هذه مكتوبه على تلك الوسائل البدائيّه الثّقيله الضّخمه، ولا يعقل إلّا أن يكون النّبىّ قد اهتمّ لتدوين القرآن معجزته الكبرى على نسق ما دوّنت عليه كتب الكتابيّين»، إلى أن يقول:

... على أنّنا لا نريد أن ننفى بالمرّه ما ورد فى الأحاديث العديده عن كتابه القرآن على الألواح والأكتاف والرّقائق والأديم، فإنّ من الممكن أن يكون لها أصل صحيح أيضا، ولكن على غير الصّوره أو المقصد الّذى عبّرت عنه الرّوايات أو تركته غامضاً.

فمن المحتمل أن يكون النّبىّ إذ يستدعى أحد كُتّابه لإملاء ما يكون نزل عليه من وحى فوراً أن لا يكون متيسّراً إلّا شىء من هذه الوسائل البدائيّه، فيكتب الكاتب عليها ما يمليه النّبىّ موقّتاً رَيثما ينقله إلى مكانه من سِجِلّات القرآن» ((۲)). انتهى كلام دروزه.

وعليه فالذى أحتمله فى هكذا أمر أن يكون الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قد وحّد شكل الصحف الموجود خلف فراش رسول الله صلى الله عليه و آله إلى شكل واحد، وبما أنّ

۱- نصوص فى علوم القرآن ۳: ۴۴۴ عنه.

۲- نصوص فى علوم القرآن ۳: ۴۴۴ - ۴۴۵ عنه.

القرطاس أو الرّق هما الأجود والأشهر بين تلك الصحف، لأنّهما من الأدوات الرائجه آنذاک، وهی أکثر استخداماً فی الکتابه من العظم وأضلاع النخل واللخاف وأمثالها، فلا يستبعد أن يکون قد جمع القرآن المجرّد فی ثلاثه أو سبعه أو تسعه أيام.

وأمّا جمعه مع تفسيره فکان فی وقت أکثر من ذلک، فالإمام أمير المؤمنين علیّ عليه السلام بعد إقدامه علی جمع المصحف المجرّد فی أقصر وقت ممکن، جمعه مع تفسيره وتأويله وبيان شأن نزوله فی ستّه أشهر لکی يحافظ علی يوميّات الدعوه يوماً فيوماً مع بيانه لدقائق ما سمعه من رسول الله فی التفسير والتأويل فيها، وقد کان الرسول صلی الله عليه و آله قد خصّه بذکر أمور لم يعرفها غيره من الصحابه.

فالمصحف المجرّد الموجود عند الإمام علیّ عليه السلام هو القرآن نفسه الموجود عند النّاس، لکن بفارق الترتيب فی السور، فعثمان بدأ مصحفه بالطوال ثمّ ثنّاه بالمثانی وختمه بالقصار، وقد يکون ترتيب مصحف صحابیّ آخر يأتی بترتيب آخر، وهذا لا يخدش فی وحده القرآن، کما أنّ الاختلافات البسيطه فی القراءه لا تشکّک فی قرآنيه القرآن ولا تدعو إلی ترکه؛ لأنّ المعروف عند أهل الإسلام جواز القراءه بإحدی القراءات السبع والتمسّک بها، سواء کانت تلک القراءات متواتره أم لا، بشرط أن توافق قواعد اللغه العربيه ولو بوجهٍ لوجود قراءه رسول الله بينها.

ونحن قد وضّحنا بأنّ قراءه الإمام علی وقراءه خيار الصحابه - الذين عرضوا قراءتهم علی رسول الله - والأئمّه عليهم السلام من ولده هی أصحّ القراءات بلا شکّ، لکونهم من قريش، وقد ألزم الخلفاء الثلاثه لجنتهم فی الأخذ بقراءه قريش تأکيداً لهذه الحقيقه! کما أنّ أربعه من القراءات الرائجه تعود إلی الإمام علی، کلّ ذلک يعنی ارتباط المصحف بعلیّ بن أبی طالب.

ولا أنسى ما استدل به بعض العلماء فى لزوم الأخذ بالقراءات السبع بما مَثّله فى البسمله، فقال:

«مع أنّ البسمله ليست موجوده فى قراءه حمزه وقراءه أهل الشام وأهل البصره والمدينه إلّا قالون ((۱)) ولم يُجَوِّزْ أحدٌ من الأصحاب تركها، مع تجويزهم القراءه بقراءه من أسقطها، ولم يظهر منهم الطعن عليه، لعدم اشتمال قراءته على البسمله».

وعليه فعدم موافقه ترتيب مصحف الإمام عليّ عليه السلام المفسّر لمصحف الآخرين، أو اختلاف قراءته مع قراءات الآخرين، غير مضرّ بالأخذ بالمصحف الرائج؛ لأنّ المصحف المفسر كتب لغرض آخر، وهذا الاختلاف يشابه ما قالوه فى الاختلاف الموجود بين المصحف المتداول ومصحف أُبيِّ بْنِ كَعْبٍ ومصحف ابن مسعود ومصاحف غيرهما من الأصحاب، كما أنه هو نفس ما قالوه فى اختلاف مصاحف عثمان المرسله إلى الأمصار فيما بينها.

بعد كلّ هذا لابدّ من استعاده ما كتبناه وتذكير القارئ بما ادّعيناه سابقاً من وجود ترتيبَين للإمام، أحدهما طبق المنزل من اللوح المحفوظ، والآخر طبقاً للأحداث والوقائع.

فما يدلّ على تأليفه للمفسر مارواه ابن ضريس (ت ۲۹۴ ه-) فى فضائله عن عكرمه، حيث سأله ابن سيرين: «ألّفوه كما أنزل الأوّل فالأوّل؟ قال: لو اجتمعت

۱- انظر مشرق الشمسين للشيخ البهائى: ۳۹۱ / باب فى جزئيه البسمله.

الإنس والجنّ على أن يؤلّفوه ذلك التأليف ما استطاعوا. قال محمّد بن سيرين: أراه صادقا» ((۱)).

انظر إلى عباره (ألّفوه) وعباره (أن يؤلّفوه ذلك التأليف) الواضحتين فی عدم كون المقصود منه هو المنزل من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، لأنّ المصحف المجرّد كان مؤلفاً تحت نظر جبرئيل الأمين ورسول الله ومدوّناً على شكل صحف أيام رسول الله بواسطه كتبه الوحی، أو موجوداً على شكل مصاحف ناقصه عند الصحابه، كما انّه كان مقروءاً عند المسلمين، ولا يحتاج الى تأليفه مره أُخرى، أو قل: إنّه كان مؤلّفاً، ومُسوَّراً كل سوره بسورها وإطارها الخاصّ بها فی رمضان من كل عام طبقاً للمنزل من اللوح المحفوظ، أمّا ما تمنّاه ابن سيرين فهو شیء آخر وهو ترتيبه كما أنزل الأوّل فالأوّل ويوماً بعد يوم.

ومثله جاء فی روايه سُلَيم: «فلمّا جمعه كلّه وكتبه بيده على تنزيله وتأويله والناسخ والمنسوخ» ((۲)). وهذا يعنی ترتيبه طبقاً للتنجيم مع بيان الناسخ والمنسوخ فيه، وطبقاً لتنزيله وتأويله.

وفی الاحتجاج قول أمير المؤمنين: «ولقد أحضرتُ الكتاب كُمُلًا مشتملاً على التأويل والتنزيل» ((۳)) أی كاملاً بمتنه وشرحه لم ينقصه شیء من العلوم.

كما يلحظ هذا المعنى فيما رواه الشريف الرضی أيضاً فی خصائص الأئمّه: «فإذا

۱- فضائل القرآن: ۳۶ /ح ۲۱، مناهل العرفان ۱: ۱۷۷.

۲- كتاب سليم: ۱۴۶، وعنه فی بحارالانوار ۲۸: ۲۶۱ / ح ۴۵.

۳- الاحتجاج ۱: ۳۸۳.

قُبِضْتُ وفرغتَ من جميع ما أوصيتك به وغيّبتنی فی قبری فالزم بيتك واجمع القرآن على تأليفه، والفرائض والأحكام على تنزيله» ((۱)).

فإذن الجمل السابقه: (على تنزيله وتأويله والناسخ والمنسوخ) و(مشتملاً على التأويل والتنزيل) و(اجمع القرآن على تأليفه) وأمثالها، كلّها واضحه فی كون هذا المجموع هو المصحف المفسَّر لا المصحف المجرّد ((۲)).

وقد رتّب الإمامُ القرآنَ حسب النزول اليومی للآيات، كی يوثّق شأن نزول الآيات وتسلسل الأحداث الواقعه فيها، ولم يلحظ بعمله ما وافق ترتيب النازل من اللوح المحفوظ دفعةً، أی أنّه أراد بجمعه هنا أن يوضّح للنّاس خلفيّات الاُمور وكيف وصل الأمر بهم إلى ما وصلوا إليه.

أمّا ترتيب المصحف المجرّد فلم يكن من وظائف الوصیّ بل إنّه من وظائف النبی الأكرم، وقد كان يتم فی رمضان من كلّ عام بالتنسيق مع جبرئيل الأمين.

۱- خصائص الأئمّه: ۷۳، وعنه بحار الأنوار ۲۲: ۴۸۳/ح ۳۰.

۲- قد يكون فی قوله تعالى: (الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ)، إشاره إلى الانزالين الدفعی والتدريجی، وأنه هو هو، إذ أنّ فی لفظه (الكتاب) إشاره إلى نزول الكتاب من اللوح المحفوظ محكماً لا شبهه فيه، لكن بما أن سبحانه أراد أن يثبت فؤاد النبی محمّد أنزله تاره أخرى منجماً ليعرفه معانيها وليفصل الأمور طبقاً للحاجه من أول البعثه إلى آخرها أو قل إلى قيام يوم الدين. كما أنّ مجیء لفظه (ثمّ) المفيده للتراخی تعنی مجيئها على التعاقب، ومعناه أنّ الكتاب المنزل هو محكمه متقن لا خلل فيه وإن نزل منجماً، لأنه منزل من لدن حكيم خبير.

والإمام لمّا عرف بأنّ الخلفاء يريدون محو ما دوّنه من علوم والسعی لإبادته أخفاه عنهم وجعله عند ولده الأوصياء علیهم السلام ینقلون عنه للنّاس عند الحاجه، فیقولون: کذا فی مصحف علیّ، أو: کذا فی قراءه علیّ، أو: والله إنّ قراءه علیّ هکذا جاءت، أو نزل جبرئیل علی صدر محمّد بکذا ((۱))، وأمثالها.

نعم، إنّ الإمام أمیر المؤمنین علیّا علیه السلام کان یثیر نَوازِعَ الفطره ومکنون النفس حین استدلالاته، مخبراً عن مکامِن علومه، طالباً من الناس أن یسألوه کی یوضّح لهم ما أبهم، وأنّ النّاس لو قرَؤوا القرآن کما أُنزل، وعرفوا فی مَن أنزل، لما اختلف اثنان!

وهذا الأمر تراه واضحاً أیضاً فی نصوصه الأُخری، کقوله علیه السلام : «لکنّی حلفت أن لا أرتدی بعد وفاه النبیّ برداءٍ حتّی أجمع القرآن کما أنزل» ((۲)).

وفی نصّ المناقب: «فلمّا قبض النبیّ جلس علیٌّ فألّفه کما أنزله الله، وکان به عالما» ((۳)).

فهذه النصوص تؤکد ما قلناه وأنّ الإمام علیه السلام کان یرید بمصحفه المفسّر أن یوضّح للنّاس ما أُبهِمَ علیهم من أمور، وکیف ارتفع بذی الضعه من الناس أن یکونوا قاده وکیف صار المفضول عندهم فاضلًا وإماما، حتَّی وصل الأمر بالطلقاء أن یکونوا أُمَراءَ علی النّاس، مبدّلین القیم والموازین باسم الدین، جاعلین المُحاصِر بجنب

۱- لا ـ إشکال فی صحه هذا الکلام وغیره، لأنّ النازل علی النبیّ بواسطه جبرئیل لم یکن جمیعه بالضروره قرآناً، فقد یکون حدیثاً قدسیا وقد یکون تفسیراً وبیاناً لآیه.

۲- الاحتجاج ۱: ۱۰۵، وانظر مناقب آل أبی طالب لابن شهرآشوب ۱: ۳۲۰.

۳- مناقب آل أبی طالب لابن شهرآشوب ۱: ۳۱۹.

المُحاصَر، والطليق بجنب المهاجر.

وهـذا الجمع والترتيب التفسيرىّ والتاريخى من قبل الإمام للقرآن هو الّذى عناه الآلوسى فى مقدّمه تفسيره: «وقيل: كان جمعاً بصوره أخرى لغرض آخر» ((١)).

وعليه، فلا تنافى بين القول بالتقسيم الثنائى، الذى قلناه فى مصحف الإمام على، وبين القول بأنّ أصل هذا المصحف يرجع إليه عليه السلام ، مؤكّدين بأنّ النصوص التى أتت عن مصحف الإمام تعنى - غالباً - المفسَّر على وجه الخصوص؛ لأنّ الإمام لم يقدّم المصحف المجرد لهم، فى حين أنّ أعداء أهل البيت عليهم السلام جاؤوا يحملون تلك النصوص على المصحف المجرّد مستغلينها للدلاله على تحريف الكتاب العزيز عند مدرسه أهل البيت، وهذا خلط واضح فى طريقه فهمهم واستنتاجهم للأخبار.

وبعد كلّ هـذا لنا أن نجيب عما يثيره الآخرون: هل يصحّ ما يقال من أنّ المصحف المفسّر كان يشتمل على فضائح قريش وأسماء المنافقين، أو أنّ ما قالوه كان إعلاميّا وتشهيراً بمدرسه أهل البيت، بل هل حقا أنّ الصحابه كانوا يخافون مما نزل فيهم تصريحاً أو تلويحاً، أو أن هذه الأقوال هى من إتهامات الشيعه لهم؟

الصحابه وتخوفهم من أسماء بعض السور:

لا خلاف بأنّ بعض كبار الصحابه كانوا يخافون من بعض السور، لما فيها وفى أسمائها من التنديد ببعضهم.

١- روح المعانى ١: ٢٢.

فعن سعید بن جبیر، قال: «قلت لابن عبّاس: سوره التوبه، قال: التوبه؟! بل هی الفاضحه، ما زالت تنزل [فیهم] ومنهم حتّی ظننّا أن لن یبقی منّا أحد إلّا ذکر فیها» ((۱)).

وفی آخر: «إنّها الفاضحه، ما زالت تنزل فیهم ومنهم حتّی خشینا أن لاتدع أحدا» ((۲)).

وعن حذیفه: «إنّکم تسمّونها سوره التوبه وإنما هی سوره العذاب، والله ما ترکت أحدا إلّا نالت منه» ((۳)).

وفی آخر: الّتی تسمّون سوره التوبه هی سوره العذاب، وما تقرؤون منها ممّا کنّا نقرأ رُبْعَها» ((۴)).

وعن ابن عبّاس: «إنّ عمر قیل له: سوره التوبه، قال: هی إلی العذاب أقرب، ما أقلعت عن النّاس حتّی ما کادت تدع منهم أحدا» ((۵)).

۱- الدرّ المنثور ۴: ۱۲۰، والخبر فی صحیح البخاری ۴: ۱۸۵۲/ ح ۴۶۰۰، وصحیح مسلم ۴: ۳۲۲۲ / ح ۳۰۳۱، باب تفسیر سوره الحش-ر، وفیها: «ما زالت تنزل ومنهم، ومنهم حتّی ظنّوا أنها لن تبقی أحدا منهم إلّاذکر فیها».

۲- تفسیر الرازی۱۵: ۱۷۲، البیان فی عد آی القرآن: ۱۶۰.

۳- تفسیر الرازی ۱۵: ۱۷۲، الناسخ والمنسوخ للکرمی: ۱۱۵.

۴- المعجم الاوسط ۲: ۸۵ / ح ۱۳۳۰، وعنه السیوطی فی الدر المنثور ۴: ۱۲۰، والمستدرک للحاکم وتلخیصه للذهبی ۲: ۳۶۱ / ح ۳۲۷۴ وصحّحا اسناده.

۵- الدرّ المنثور ۴: ۱۲۱، الإتقان ۱: ۱۵۲ / ح ۶۸۰ وفیه: حتّی ما کادت تبقی منهم أحدا.

وعن عکرمه، قال: «قال عمر: ما فرغ من تنزیل براءه حتّی ظننّا أنّه لم یبق منّا أحد إلّا سینزل فیه» ((۱)).

وفی مصابیح الأسرار للشهرستانی (ت ۵۴۸) «عن عطاء، عن ابن عبّاس فی قوله تعالی (یَحْذَرُ الْ-مُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَیْهِمْ سُورَهٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِی قُلُوبِهِمْ): إنّه کان فی هذه السوره أسماء سبعین نفراً من المنافقین بأعیانهم وأسمائهم وأسماء آبائهم...]ثم[نسخ تعطفاً علی أولادهم ((۲)).

وعن أبی بصیر، قال: «أخبرنی المنهال بن عمرو، عن زاذان، قال: سمعت علیّا أمیر المؤمنین علیه السلام وهو یقول: ما من رجل من قریش جرت علیه المواسی إلّا وقد نزلت فیه آیه أو آیتان تقوده إلی الجنّه أو تسوقه إلی النّار، وما من آیه نزلت فی برّ أوبحرأو سهل أو جبل إلّا وقد عرفت کیف نزلت وفیما نزلت» ((۳)).

وروی عن علیّ علیه السلام أنه قال: ما من رجل من قریش إلا نزلت فیه الآیه والآیتان، فقال له رجل: أی شیء نزل فیک؟ فقال علیه السلام : (وَیَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ) ((۴)).

فإنّ وجود تفسیر وتأویل لهکذا أُمور فی هوامش وحواشی بعض الآیات والسور

۱- الدرّ المنثور ۴: ۱۲۱، عن أبی الشیخ، کنز العمّال ۲: ۱۷۹ / ح ۴۳۹۶، زاد المسیر ۳ : ۳۰۶.

۲- مصابیح الاسرار ۱: ۱۱.

۳- بصائر الدرجات: ۱۵۹/ ح ۱.

۴- تفسیر الطبری ۱۲: ۱۵، تفسیر القرطبی ۹: ۱۶.

من مصاحف الصحابه، وخصوصا فی المصحف المفسّر والمدوّن من قِبَلِ أمیر المؤمنین علیّ بن أبی طالب علیه السلام کان یقلق نهج الخلافه ویوجب إلقاء اللوم علی الناشرین والمذیعین له.

سؤال وجواب

وهنا سؤال یطرح نفسه: کیف یشتمل مصحف الإمام علی أو مصاحف الصحابه علی أسماء المنافقین ورسول الله کان من دأبه تألیف قلوب المنافقین والإسرار بما یعلمه من نفاقهم، فکیف یمکن أن یذکرهم بأسمائهم صراحه فی القرآن ویأمرهم بلعن أنفسهم؟

الجواب: إنّ الله لم یصرّح بأسمائهم، نعم لا یبعد أن یکون النبی قد ذکر أسماء المنافقین لبعض خواصّه، کأمیر المؤمنین علی وحذیفه بن الیمان فی مجالسه الخاصه، وهذا مما کان یقلقهم، فکانوا یتحاشون من شیوعه وانتشاره بین باقی الصحابه.

علی أنّ الستر علی المنافقین لم یکن علی إطلاقه وفی کلّ الأزمنه، فقد نزلت کثیر من الآیات فی أشخاص بعینهم، فإمّا أن یُفضَح نفاقه وإما أن یتوب إلی الله تعالی.

وبهذا فقد اتضح لک صحه ما قلناه من وجود ترتیبین للمصحف، أحدهما للتلاوه والآخر للتفسیر والتأویل، وأنّ ذلک لیس بِدْعا من القول، وقد قال بهذا القول قبلنا علمان من أعلام أهل السنّه والجماعه:

أحدهما أبو شامه فی کتابه المرشد الوجیز إلی علوم القرآن - مبحث جمع القرآن فی زمن رسول الله نقله عن البغوی فی شرح السنه - إذ قال:

«... فإنّ القرآن مكتوب فى اللوح المحفوظ على الترتيب الّذى هو فى مصاحفنا أنزله الله جمله واحده فى شهر رمضان ليله القدر إلى السماء الدنيا، ثمّ كان ينزله مفرّقا على رسول الله مدّه حياته عند الحاجه وحدوث ما يحدث على ما يشاء الله عز وجل وترتيب النزول غير ترتيب التلاوه» ((۱)).

وثانيهما محمّد بن عبدالكريم الشهرستانى (ت ۵۴۸ ه-) فى التفسير المنسوب إليه، قال:

«بلى والله إِنّ القرآن محفوظ، لقوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) ((۲)) ...

ولا يستبعد أن يكون لكتابه المُنزل نُسختان لا تختلفان اختلاف التّضادّ، وكلاهما كلام الله عزَّ وجلَّ...

فالقرآن الّذى بين أظهرنا كلام الله بين الدّفّتين، محفوظ بحفظ الله عن التغيير والتبديل واللحن والخطأ، فلا كاتبه ناعس ولا تاليه لاحن وله قوم يتلونه حق تلاوته، يعرفونه بتأويله وتنزيله، وينفون عنه زيغ

۱- المرشد الوجيز: ۷۰ - ۷۱، نقله عن البغوى شرح السنه ۴: ۵۲۳ وانظر الاتقان ۱: ۱۷۰ عن البغوى أيضاً، وفى البرهان للزركشى: ۳۸ قال: ثم كان ينزل مفرقاً على رسول الله مده حياته كما قال تعالى: (وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا) (الإسراء: ۱۰۶) فترتيب النزول غير ترتيب التلاوه.

۲- الحجر: ۹.

الزائغين وانتحال المُبطلين «وَالرَّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ یَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ کُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا یَذَّکَّرُ إلّا أُولُوا الأَلْبابِ» ((۱)).

نعم، قد لا یرتضی أتباع أهل السنه - وخصوصاً منکری توقیفیه السور - نسبه ما قلناه إلی هذین العلمین، لأنّ قولهم لا یشبه قولی، إلّا فی مفرده واحده، وهی التفریق بین ترتیب النزول وترتیب التلاوه، وأن هناک نُسختین من المصحف عند الصحابه لا تختلفان اختلاف التّضادّ وکلاهما قرآنٌ لا شیء آخر.

أجل، إنّ اختلاف أهل البیت علیهم السلام والخلفاء الثلاثه فی القراءه والترتیب مما لا یمکن إنکاره، لکنّ هذا لا یعنی تشکیک أهل البیت فی القرآن المتداول الیوم بین أیدی النّاس، فهم یقرؤون به فی صلواتهم ویستشهدون بآیاته فی خطبهم ورسائلهم، وقد أمروا شیعتهم بالاهتمام به وقراءته وعدم مخالفه القراءه الرائجه، وقد شهد بهذا بعض الکتّاب المعاصرین من أهل السنه والشیعه، وباعتقادی أن (المصحف الإمام) ((۲)) ما هو إلّا صوره لمصحف الإمام علی بتبدیل یسیر فی بعض القراءات، وأنّ المصحف الرائج لیس بمصحف أبی بکر وعمر وعثمان الذین دوّنوا القرآن بشاهدین - کما یقولون -، لأنّ الشاهدین قد یعارض نقلهما بشاهدین آخرین وهلمّ جرّا، حتّی تتعدد الوجوه إلی سبعه أحرف ثمّ إلی أکثر من ذلک وأکثر، إذن لا یمکن الوقوف عند حرف زید الذی أراده عثمان، فیکونون قد ابتعدوا عن فکره توحید المصاحف إلی التعددیه،

۱- تفسیر مصابیح الأسرار ۱: ۱۴ - ۱۵، والآیه الأخیره من سوره آل عمران: ۷.

۲- لا نرضی أن تکون هذه الجمله حکراً علی عثمان بل قد تکون إشاره إلی المصحف الأم عند المسلمین، والذی هو باعتقادنا أنه مصحف الإمام علی.

فصحّحوا كلّ القراءات على أنها اختيارات للأحرف السبعه.

إذن، الخلفاء الثلاثه لا يقرؤون بالبسمله أو يجهرون بها، فى حين أنّ البسمله موجوده فى (المصحف الإمام) المدّعى تأليفه وجمعه لعثمان، ولو لم يكن فيها هذه الآيه لكان ناقصاً عند كثير من علماء الإسلام.

كما أنها موجوده فى مصاحف الآخرين من الصحابه، كابن مسعود وأُبى ومعاذ، وهو يؤكد اشتهارها وتواترها بينهم.

فكيف تكون البسمله موجوده فى (المصحف الإمام) المؤلّف من قبل الخلفاء، وهم لا يقرؤون بها؟!

فلو قيل: بأنّ البسمله ذكرت تيمّناً وتبرّكاً ودفعاً للشيطان من باب (كلّ أمر ذى بال لم يبتدئ ببسم الله فهو أبتر) ((۱))، وهى ليست بآيه من القرآن عندهم.

فنقول لهم: ألم ترد هذه البسمله فى القرآن الموجود بين أيدينا؟ وألم تقولوا بأنّ القرآن الموجود بين أيدينا هو النازل من عند الله بدون زياده ونقصان؟ فلو صحّ كلامكم الأوّل فينقضه كلامكم الثانى، وتكونون قد زدتم فى القرآن ما ليس منه ۱۱۳ مرّه. فلا يمكن ادخال شىء تحت دعوه تيمن والتبرّك والدعاء، ولو كان كذلك فلماذا لا تدخلون آمين بعد ولا الضالين فى سوره الحمد من القرآن الكريم أيضا.

كلّ هذه الأُمور تشير إلى عدم تطابق الوثائق مع الحقائق، وأن مدرسه الخلافه بمنهجها المغلوط كاد أن يزيد فى القرآن أو ينقص منه، لكنّ مدرسه أهل البيت

۱- كنز العمال ۱: ۲۷۷.

والمخلصين من كبار الصحابه وقفوا أمام التحريف، وإنّ إقرار أئمّه أهل البيت عليهم السلام لهذا القرآن على ما فيه من اختلاف القراءات وعدم إجازتهم مخالفه القراءه السائده والمشهوره عند الناس يؤكد إمضاءهم له وأنّه قرآن المسلمين لا قرآن الخلفاء.

ففى كتاب بصائر الدرجات بإسناده عن سالم بن أبى سلمه، قال: «قَرَأَ رجل على أبى عبد الله عليه السلام وأنا أسمع حروفا من القرآن ليس على ما يَقْرَؤُها النّاس، فقال أبو عبد الله: مه مه كُفَّ عن هذه القراءه اقرأ كما يقرأ النّاس حتّى يقوم القائم فإذا قام فَقَرَأَ كتابَ الله على حَدِّهِ، وأخرج المصحف الّذى كتبه علىّ، وقال: أخرجه علىّ إلى النّاس ...» ((۱)).

وفى كلام الإمام الصادق عليه السلام إشاره إلى وجود الاختلاف فى القراءه بين المسلمين وأن ذلك الاختلاف بينهم ليس فى أصل القرآن بل فى القراءه، وأنّ الاختلاف فى القراءه لا يعنى الاختلاف فى أصل القرآن، قال العلّامه الطباطبائى فى الميزان:

«وبالجمله، الّذى تدلّ عليه هذه الرّوايات هى:

أوّلاً - أنّ الموجود فيما بين الدَّفّتين من القرآن هو كلام الله تعالى، فلم يزد فيه شىء ولم يتغيّر منه شىء، وأمّا النّقص فإنّها لا تفى بنفيه نفيا قطعيّا((۲))، كما روى بعدّه طرق أنّ عمر كان يذكر كثيرا آيه الرجم ولم

۱- بصائر الدرجات: ۲۱۳ / ح ۳ من باب أنّ الأئمّه عندهم جميع القرآن.

۲- قال بذلك العلامه الطباطبائى مجاراه مع كلام الجمهور.

تكتب عنه.

وأمّا حملهم الرّوايه وسائر ما ورد فی التحريف - وقد ذكر الآلوسیّ فی تفسيره أنّها فوق حدّ الإحصاء - علی منسوخ التّلاوه فقد عرفت فساده، وتحقّقت أنّ إثبات منسوخ التّلاوه أشنع من إثبات أصل التحريف.

علی أنّ من كان له مُصْحف غير ما جمعه زيد - أوّلاً بأمر من أبی بكر، وثانيا بأمر من عُثمان، كعلیّ عليه السلام وأبیّ بن كعب وعبد الله بن مسعود - لم ينكر شيئاً ممّاحواه المصحف الدائر غير ما نقل عن ابن مسعود أنّه لم يكتب فی مصحفه المعوّذتين، وكان يقول: إنّهما عَوْذتان نزل بهما جبريل علی رسول الله صلی الله عليه و آله ليعوّذ بهما الحسنين عليهما السلام ، وقد ردّه سائر الصَّحابه وتواترت النّصوص من أئمّه أهل البيت علی أنّهما سورتان من القرآن...» ((۱)).

وعلی ذلك قد يكون البغوی عنی بكلامه فی (شرح السنّه): «بأنّ ترتيب النزول غير ترتيب التلاوه»((۲))، أنّ مصحف التلاوه، هو: المصحف المجرّد عن التفسير النبوی، والمرتّب طبق ما أنزله الله فی الإنزال الدفعی الأوّلی له.

وأمّا ترتيب النزول، فهو: ما يراعی فيه الترتيب الزمانی والتاريخی وتسلسل الوقائع والأحداث فيه؛ وهو ما نراه فی المجموع الثانی للإمام علیّ عليه السلام ، والذی أكّد

۱- الميزان ۱۲: ۱۲۵، وإنّا ناقشنا هذه الأكذوبه علی ابن مسعود سابقا.

۲- شرح السنه ۴: ۵۲۳.

علیه السلام بأنّه سیخرج مصحفه لو ثُنّیت له الوساده وعرف له حقّه (۱). ومعناه: إحاطته علیه السلام بجمیع العلوم بحیث یمکن أن یحکم لأهل التوراه بتوارتهم، وأهل الانجیل بانجیلهم وأهل الفرقان بفرقانهم.

لکنّ القوم سعوا إلی تحریف کل الحقائق مستنقصین رسول الله والإمام علیّاً بل الرساله بأجمعها، حیث وقفت فیما سبق علی المقدّمات العشر الخاطئه التی أقرُّوها فی جمع القرآن، وأنّهم أقرّوها مع کون القرآن کان مدوّناً فی السطور ومحفوظاً فی الصدور علی عهده صلی الله علیه و آله ، فلو ثبت ذلک فلا داعی لإعاده جمعه تاره أُخری، لکنّهم سعوا أن یجمعو القرآن تاره أخری لمصادره عمل الآخرین ونسبته إلیهم، وهذا قد یکون ما قصده الإمام الباقر علیه السلام حینما صرّح بکذب من ادّعی جمع القرآن غیر أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السلام .

کما وقفت علی تعریضه علیه السلام بالقائلین بمشروعیه تعدّد القراءات من خلال حدیث الأحرف السبعه ولعنه إیاهم، لأنّ کلام الله هو واحد، نزل من عند الواحد، علی رجل واحد، وبلسان واحد.

هذا مع توضیح الإمام علیه السلام فی موضع آخر بأنّ التحریف یأتی غالباً من قبل الرواه، وأن أهل العربیه یحرّفون الکلم، فکلّ هذه الأُمور توضّح دور الأئمّه فی الحفاظ علی القرآن وصونه من التحریف رغم جمیع الملابسات وإجحاف الآخرین به.

۱- انظر إثبات الوصیه للمسعودی: ۱۲۳.

ارتباط جمع القرآن بموضوع الخلافه:

بعد كل هذا البحث المضنى اتّضح لك ارتباط موضوع جمع القرآن بموضوع الخلافه والإمامه وإن كان الآخرون تغافلوا عنها، وسعوا فى إماتتها، وهى مسأله استوقفتنا وتستوقف كلّ باحث ودارس فى تاريخ جمع القرآن للبحث فى جوانبها.

وممّا يجب بحثه أيضاً هو سرعه مبادره أمير المؤمنين لجمع القرآن وحفظه، وفوريّه تنفيذ هذه المهمّه الربانيه والنبويه، مع أنّه كان يمرّ بمرحله صعبه، ووجود منافسين له بين القوم لا يريدون أن يكون هو الأوّل، وإنّ حوادث ومجريات السقيفه تغنينا عن البيان والتفسير فى كلّ ذلك.

فما يعنى إصرار الإمام لتطبيق هذه المهمه فى تلك المرحله الحساسه والحرجه من تاريخ الاسلام، وعلى أى شيء يدل؟ وهل أن مبادرته جاءت لتحقيق أمرالله لقوله عليه السلام «فخصّنى الله عزّوجلّ بذلك من دون الصحابه» (۱)؟

أو كانت بوصيه من رسوله الأمين صلى الله عليه و آله له كما مرّ عليك فى خبر تفسير القمّى.

أو أنّ ذلك كان تبريراً تمسّك به الإمام عليه السلام لعدم مبايعه أبى بكر، كما أشارت إليه نصوص أخرى مذكوره فى كتب الفريقين؟

فلو تأمّلت فى مطلع تلك الأخبار لرأيته عليه السلام يُقدِم على هذا الأمر حينما يرى خذلان النّاس له، وقلّه وفائهم معه، وميلهم للسلطه، وتركهم للعتره؛ وأنّ عملهم هذا يؤدى مآلاً إلى الابتعاد عن المنهج السوى والصراط المستقيم، وهذا ما لا يريده الله

۱- الخصال: ۵۷۹/ابواب السبعين/المنقبه ۵۵.

ورسوله وهو مـا أخبر رسول الله علياً به، وأنّ عليه الصبر والاستقامه؛ لانقلاب الأُمّه على أعقابهم من بعـده، وهو ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾.

ولا تقف محنه الإمام عند هذا الحدّ، بل تراه عليه السلام يشير إلى تخوّفه من الزياده فى القرآن والتلاعب به - وقد مرّت عليك نصوصه - مما يلزمه سرعه المبادره فى ذلک والوقوف أمام المستجدات والحوادث الطارئه ((۱)).

۱- منها: نصّ العيّاشى (ت ۳۲۰ ه-): «فلمّا رأى ذلک علىّ عليه السلام ورأى النّاس قد بايعوا أبابكر خشى أن يفتتن النّاس ففزع إلى كتاب الله وأخذ يجمعه فى مصحف ...» تفسير العياشى ۲ : ۳۰۷. وفى خبرى الفهرست لابن النديم وشواهد التنزيل للحسكانى (القرن الخامس الهجرى): «إنّ عليًا رأى من النّاس طيره عند وفاه النبىّ فأقسم أن لا يضع ...» الفهرست: ۴۱، شواهد التنزيل ۱: ۳۶. وفى المصنّف لعبد الرزّاق الصنعانى (ت۲۱۱ ه-): «فإنّى خشيت أن يتفلّت القرآن»، وفى آخر: «خشيت أن ينقلب القرآن» المصنف ۵: ۴۵۰/ح ۹۷۶۵. وفى خبر ابن أبى شيبه (ت ۲۳۵ ه-): «ولكن كان القرآن يزاد فيه فلمّا قبض رسول الله صلى الله عليه و آله ...» مصنف ابن أبى شيبه ۶: ۱۴۸ /ح ۳۰۲۳۰. وفى خبر الجوهرى (ت۳۲۳ ه-): «ولكن القرآن خشيت أن يزاد فيه فحلفت أن لا أرتدى ...» السقيفه وفدک: ۶۶. وفى خبر آخر عند الحسكانى: «فكرهت أن يزاد فيه». وفى آخر: «ما كرهت أمارتک ولكنّى أرى القرآن يزاد فيه فحلفت أن لا- أرتدى...» شواهد التنزيل ۱: ۳۶، ۳۸. وفى خبر ابن ضريس (ت۲۹۴ ه-): «...ما أقعدک عنّى؟ قال: رأيت كتاب الله يزاد فيه فحدّثت نفسى أن لا ألبس ...» فضائل القرآن لإبن الضريس: ۳۶ /ح ۲۲. وفى روايه المستغفرى (ت۴۳۲ ه-): «ولكن كان النبىّ حيًا والوحى ينزل والقرآن يزاد فيه، فلمّا قبض جعلت ...». فضائل القرآن للمستغفرى ۱: ۳۵۸ /ح ۴۲۰.

والنصوص السابقه هی نصوص جدیره بالوقوف عندها والتأمّل فی معانیها ودلالاتها؛ لأنّها تشیر إلی واقع حال الأمّه بعد رسول الله صلی الله علیه و آله ، وأنّهم کانوا یریدون - بقصدٍ أو بدون قصد - الزیاده فی القرآن، وهو ما لا یرتضیه الله ولا رسوله ولا الإمام علی علیه السلام ، أو قل: إنّ عملهم ومنهجم کان یؤدی إلی الزیاده ونقصان لکنّ الله صان کتابه من خلال إقراء الرسول أمته القرآن علی مکث، ولوجود أمیر المؤمنین بینهم، ولو تأملت فی النصوص لرأیت زیادتهم لم تکن تفسیریّه وتوضیحیّه، أو فی شأن النزول - کما کانت فی مصاحف الصحابه -، بل هی زیادات حقیقیه مثل إدخال آیه رجم الشیخ والشیخه، وإدخال سورتی الحفد والخلع، وأمثال ذلک فی القرآن علی أنه من القرآن، - وإن أولوه متأخراً بأنه منسوخ التلاوه دون الحکم وأشباه ذلک - فإنّ جمله: (خشیت أن ینقلب القرآن) أو: (ولکن القرآن خشیت أن یزاد فیه) أو: (أنّ علیّا رأی فی النّاس طیره عند وفاه النبیّ) کانت تعنی هذا الأمر وأنّ لها دلالاتها وإیحاءاتها، وخصوصاً أنها جاءت سابقه أو مزامنه لمقوله عمر بن الخطاب الدالّه علی أنّه کان یرید أن یضیف آیه الرجم فی القرآن لولا خوفه من الناس أن یقولوا: زاد عمر فی القرآن.

إذن معترک الصراع السیاسی فی تلک الفتره الحرجه من تاریخ الإسلام کان یُلزِم الإمام، ویلزم الأمّه من بعده بالوقوف أمام التبدیل والتغییر، الداعی إلیه بعض الخلفاء والذاهب إلی القول بذهاب قرآن کثیر مع النبیّ محمّد صلی الله علیه و آله .

فلا أدری کیف یمکنهم القول بهذا؟ وهل اختلط الأمر علیهم؟

ألا یعلمون بأن لیس کلّ ما قاله رسول الله هو قرآن، فقد یکون ما قاله هو حدیثاً قدسیّاً، وقد یکون توضیحاً لآیه، أو بیاناً لسنّهٍ نزل بها جبرئیل علی صدر النبیّ محمّد صلی الله علیه و آله .

بل کیف یمکن ادّعاء ذهاب قرآن کثیر مع النبیّ محمّد صلی الله علیه و آله وسبحانه أنزل القرآن علی الناس علی مکث فی مدّه ۲۳ عاماً، کی یعرفوه ویتدبروا فی معانیه وآیاته (وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلَی مُکْثٍ) ((۱)).

نعم إنّ ربّ العالمین فعل ذلک کی لا یشتبه علیهم أمر القرآن بغیره، کما لا یستبعد أن یکون تأکید رسول الله علی فضیله تلاوه کلام الله فی المصحف نظراً؛ وأمثال ذلک جاء للحدّ من إمکان إدخال آیاتٍ جدیده فی القرآن لم یعرفوها!!

ونحن لو جمعنا هذه الفقرات من کلام الإمام علیّ علیه السلام - مع ما مرّ من تخوّف رسول الله صلی الله علیه و آله من أن تُضیّع أمّته القرآن کما ضیّعت الیهود والنصاری کتبهم، مع وقوفه علی أن أمته ستتّبع أمه بنی إسرائیل حذو النعل بالنعل، مع تخوّفه من انقلابها علی أعقابها من بعده، وقوله صلی الله علیه و آله : «یا علیّ ألّفه فی ثلاثه أیّام کی لا یزید الشیطان ولا ینقص منه ... فلم یزد الشیطان منه شیئاً ولم ینقص منه شیئاً»، وخشیه الإمام علیه السلام من أن یفتتن النّاس من بعد رسول الله صلی الله علیه و آله ، وأمثالها -.

لو جمعنا کل هذه النصوص معاً لعرفنا وجود منهجیّهٍ خاطئه عند مدرسه الخلافه

۱- سوره الإسراء: ۱۰۶.

قد يكون الإمام أو الرسول عناها فی كلامه لأنّ هذه المنهجيه ربما كادوا أن يقعوا بسببها فی الزياده والنقصان فی القرآن بقصدٍ أو بغير قصد.

أو قل: وجود أناس من المسلمين يعتقدون بأنّ القرآن الحقيقی هو أكثر من هذا الموجود، فی حين لا يعلمون بأنّ تلك الزياده إن وجدت فهی تفسير وبيان لا قرآن مُنزَل.

هذا، ويمكننا القول بأنّ فی قوله تعالی: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) ((۱)) إشاره إلی أنّ الناس غير قادرين على تحريف القرآن ونقصانه كما حرّفوا التوراه والإنجيل، لأنّ الرسول - وبأمر من الله - قد صان أمته من التحريف وذلك من خلال إقراءهم القرآن على مكث ((۲))، وحفظ كتابه من الزياده والنقيصه، وقد مرّ عليك كلام الإمام علی: «فلم يزد الشيطان ولم ينقص منه».

إذن كلام الله العزيز حُفِظ بالمعصومين من أهل بيت الرسول، وبكبار الصحابه المخلصين، الذين عرضوا قراءتهم على رسول الله، والذين أجحف حقهم لاحقاً.

وبالتواتر والاشتهار الذی عرفوه من كتابه والذی تلقوه من رسول الله - على مكث - وبالعلماء الربّانيّين الذين صنّفوا فی تفسير القرآن وشرح ألفاظه ومعانيه، لأن القول بالتحريف يقتضی سقوط الكتاب عن الحجّيه، ولا يقول بهذا أحد من المسلمين فضلاً عن الصحابه وأهل البيت، وقد مرّ عليك دفاعاً السيّد الخوئی عن دعوی وقوع

۱- سوره الحجر: ۹.

۲- انظر روح البيان للبروسوی ۴: ۴۴۳.

التحریف من قبل الخلفاء الثلاثه سابقاً ((۱)).

لکن نصوص صون الکتاب وعدم الزیاده والنقصان فیه لا تخالف أن یکون فهم الصحابه ومنهجهم الخاطئ کاد أن یؤدی إلی التحریف بقصدٍ أو بدون قصد، لکنّ الله صان وحفظ کتابه من التحریف، من خلال إقرائهم (علی مکث)، ووجود المعصوم بینهم.

نعم إنّ رسول الله والإمام علیّاً کانا یخافان من وقوع الأُمّه فی الفتن جرّاء السیاسه ومنزلق المصالح والأهواء، ورسول الله کان قد طلب من أمته أن لا یضیعوا القرآن کما ضیّعت الیهود والنصاری کتبها، وقد مرّ علیک قول الإمام علی علیه السلام : «خشیت أن ینفلت»، أو: «أن یزاد فیه»، وأمثالها.

إنّ هذه النصوص من قبل الرسول والإمام کانت احترازیه من الوقوع فی الفخ، لأنّ السیاسه قد تلزم الخلفاء أن ینتهجوا منهجاً لا یرتضیه الرسول، فیترکوا الأخذ بالمصحف الموجود عند رسول الله، ویبدؤوا بتدوین القرآن من جدید، أو تراهم یحرقون المصاحف مصلحهً!! وقد فعلوا کلّ ذلک.

کُلُّ هذه الأمور دعت الإمام علیه السلام أن یقف أمام دعاه المنهج الجدید فی القرآن، فهو وکبار قُرّاء الأمّه، أمثال: ابن مسعود وأُبیّ بن کعب دعوا أولاً إلی حجّیه القرآن من خلال ما عرفوه من القراءه علی عهد رسول الله وأخذوه من فیه صلی الله علیه و آله ، فکانوا یؤکدون علی أصاله منهجهم وأنّهم أخذوا قراءتهم من فی رسول الله لا اجتهاداً من

۱- مرّ کلامه فی صفحه ۱۳۸ - ۱۴۳ من هذا الکتاب.

عند أنفسهم فی القرآن، کما فعله الآخرون بذریعه أنّهم خافوا أن یضیع القرآن بعد مقتل القرّاء یوم الیمامه وأمثال ذلک.

وإنّی بأطروحتی هذه أردت أن ألفت نظر الباحثین إلی أمثال هذه الأمور الخافیه الجدیده التی لم یبحثوها من قبل فی تاریخ جمع القرآن، وهی بنظری ضروریه، فإنّ دراستها تفتح آفاقاً جدیده فی العمل العقائدی، وتوضّح للباحثین أموراً کثیره لم تبحث من ذی قبل، إذ بهذه البحوث تتبیّن خلفیّات الأمور فی الصدر الأول علی حقیقتها دون إعطاء هاله تقدیس لهذا الشخص أو ذاک.

فالإمام أمیر المؤمنین علیّ علیه السلام - کما قلنا - أراد: أن یدوّن أوّلاً «مصحف التلاوه»، لسدّ باب التلاعب بالقرآن، ولیبقی القرآن صمّام الأمان بیده وبید الأئمه من أهل بیته؛ حتی لا یمکن للجامعین الجدد للقرآن الإقدام علی تغییره وتبدیله والزیاده والنقصان فیه ما دام هناک نسخه جامعه موجوده بید أمیر المؤمنین علی علیه السلام . فإنّهم لو أرادوا التغییر والتبدیل لأخرج الإمام مصحفه، وحیث لم نرَ إخراج الإمام مصحفه فی العصور المتأخّره عرفنا بأن لا تغییر حقیقیّاً وأساسیّاً قد وقع فی القرآن.

بل قد یمکن أن یقال بأن الإمام وبعد أن رأی اختلاف القراءات سرّب مصحفه إلی عثمان عن طریق حذیفه کی یعتمده دون التصریح باسمه، وهذا ما ذهب إلیه السیّد ابن طاووس فی (سعد السعود)، وهو احتمال وجیه بنظرنا.

لقد رتّب الإمام تلک النسخه من المصحف ووحّد شکلها، ثمّ جاء بعد ذلک لیدوّن تفسیره معه وفق ترتیب خاص یختلف عن الأول، وقد کان علیه السلام قد أعد أوّلیات الکتاب الثانی، أو قل: کلّیّاته منذ زمن رسول الله صلی الله علیه و آله ، وقد کتبه ودوّنه بعد وفاته، لإیقاف الأمّه علی تاریخه وتشریعه.

وعليه فالجمع المبكّر للمصحف المجرد - أعنى القرآن الكريم - وبعلم الصحابه قد سدّ الباب أمام المغرضين إن حاولوا التلاعب بآيات الكتاب العزيز وسُوَرِهِ.

فكان ذلك المصحف بمثابه المُؤَمِّن من التلاعب، إذ لو تلاعب شخص أو قوم لفضحهم أمير المؤمنين عليه السلام ، من خلال المكتوب عنده والموجود أصله خلف فراش رسول الله، إذ لا يستطيع غير على بن أبى طالب ادعاء وجود تمام المصحف عنده، وغايه ما يدّعون هو وجود متفرقاته عند الصحابه، إذ قالوا بأن جميعه عند جميعهم، ولأجل ذلك نرى الخلفاء الثلاثه يحتاطون - أو قل يخافون - من التسرّع فى الأخذ بآيات الكتاب وسوره، فيرسمون منهج البيّنه والشهود فى جمعهم الجديد، وهذا الاحتياط من قِبل الخلفاء قُرِّر كى لا يواجهوا تخطئه من قبل الإمام علىّ عليه السلام أو من قبل كبار القرّاء أمثال ابن مسعود ومعاذ وأبى وغيرهم من الذين عرضوا قراءتهم على رسول الله، ولكى يعذروا أنفسهم، لأنّ المصحف الأُمّ والمدوّن على عهد رسول الله كان موجوداً عند أمير المؤمنين على عليه السلام ، وهذا ما يعرفه غالب الصحابه، كما أشارت إليه الأخبار الكثيره التى مرّت عليك.

إذن المصحف الموجود عند الامام يمتاز على مصاحف الصحابه الأخرى المكتوبه آنذاك على عهده صلى الله عليه و آله ، بأنّه مجموع بيد وصىّ النبى وابن عمّه طبقاً للصحف الموجوده فى بيت رسول الله المكتوبه بأيدى كتّاب الوحى.

كما أنّ دعوى وجود التقديم والتأخير بين الآيات والسور القرآنيه والاختلاف بين القراء فى القراءات - إن وجدت - هو الآخر ممّا لايضرّ بأصل الكتاب العزيز.

ولأجل هذا ترى النهج الحاكم لا يجرؤ على تقديم ما جمعه زيد فى زمن أبى بكر وعمر بن الخطّاب إلى النّاس، وجعله دستوراً للدوله، لوجود من يُخَطِّئُهُم من

الصحابه فی جمعه، فانتظروا حتی زمان عثمان بن عفان لتقدیم ما دوَّنُوه، فعلوا ذلک لامتداد الزمن وبعده عن رسول الله ولاضطراب الأمور فی عهد عثمان.

ومن هنا جاء دور الإمام فسرّب مصحفه عن طریق أحد أصحابه وهو حذیفه بن الیمان إلی عثمان، کی یعتمده لأنّ حذیفه کان قبل ذلک قد أکّد لعثمان ضروره توحید المصاحف، وذلک لاختلاف الناس فیه تبعاً لاختلاف الصحابه فی القرآن.

نعم، إنّ الإمام علیه السلام کان یخاف أن یزاد فی القرآن أو ینقلب القرآن أو أن یزید بعض الصحابه فی القرآن ما لیس منه، بمعنی أن یدرجوا من کلمات الرسول صلی الله علیه و آله - الّتی سمعوها فی تفسیر الآیات وتأویلها - فی أصل القرآن، أو أن ینقُصُوا بعض التفسیرات والتأویلات النبویه الموجوده فی هامش مصاحفهم والذی کان رائجاً عندهم.

فهذا التفسیر الموجود فی هامش المصحف وإن لم یکن قرآناً لکن زیادته ونقصانه بحد ذاته خیانه وتجاوز علی المقدس وهو قول رسول الله، لأنّهم بهذا العمل سیخفون عن الناس کثیراً مما جاء عن رسول الله من معانی فی أسرار القرآن أو تراهم یدخلون أشیاء علی أنها من القرآن.

وعلیه فهذان الأمران - الزیاده والنقصان - کانا ممّا یتخوَّفُ منه الإمام علیّ علیه السلام .

ولأجله فصّل الإمام بین مجموعتیه فی الترتیب والمهمه، فبدأ أولاً بجمع المنزل ثمّ بدأ مشروعه الثانی - وهو الأهمّ - المفسر، والذی دوّن أولیّاته منذ أیّام رسول الله صلی الله علیه و آله ، إذ کان یکتب یومیّات الدعوه الإسلامیه بما فیها یوماً فیوماً، فکان یخلو برسول الله صلی الله علیه و آله لیلاً ونهاراً، یسأله عن شأن نزول الآیات والأحکام النازله فیها، فیجیبه صلی الله علیه و آله ، فیدوّنها، وإن سکت إبتدأه الرسول بتعلیمه وإخباره بما جری، تارکاً الإمام علیه السلام

تـدوين تفاصـيل تلك الأمور وتطبيقاتها إلى ما بعـد وفاته صـلى الله عليه و آله ؛ لأنّ الرسول صـلى الله عليه و آله كان قد أوصاه بفعل ذلك بعد وفاته مباشره بعد الجمع الأوليّ.

ولمّـا قُبض صـلى الله عليـه و آلـه ورأى طيره من النّاس، وعـدم وفـاء الأـمّه له عليه السـلام ، وانقلاـبهم على أعقـابهم، وتغييرهم وتبديلهم للأمور، جلس فى بيته يدوّن تلك الجزئيّات وتفاصـيلها لتبقى وثيقه عند أولاده عليهم السلام الذين اصطفاهم الله بقوله تعالى: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْـطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا)، هذه الآيه التى جاء فى تفسيرها عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام قولهما: هى لنا خاصّه وإيّانا عنى ((۱)).

ثمّ إنّ السـتّه أشـهر – الّتى دوّن فيها الإمام المصـحف مع تفسيره – كان من ضـمنها المدّه الّتى عاشت فيها السـيّده فاطمه الزهراء عليها السلام بعد أبيها رسول الله صلى الله عليه و آله ، وهى مظلومه تقارع الظالمين باستدلالاتها وحججها القرآنيه ((۲)).

ففى صـحيح البخارى بإسـناده عن عروه، عن عائشه: «أنّ فاطمه عليها السـلام بنت النبىّ صلى الله عليه و آله أرسلت إلى أبى بكر تسأله ميراثهـا من رسول الله صـلى الله عليه و آله – إلى أن يقول –: ... فهجرته فلم تكلّمه حتّى توفّيت، وعـاشت بعـد النبىّ سته أشهر، فلمّا توفّيت دفنها زوجها علىّ ليلاً ولم يؤذن بها أبابكر ...» ((۳)).

هذا، وقد كانت السلطه الحاكمه ساعيه لاستغلال القرآن فى نزاعها مع أهل

۱- وسائل الشيعه ۲۷: ۲۰۰ / ح ۳۳۵۹۰.
۲- والتى سنذكر بعضها عند جمع أبى بكر للقرآن.
۳- صحيح البخارى ۴: ۱۵۴۹ / ح ۳۹۹۸.

البیت، مقتصره علی التمسّک به دون العتره، وهو معنی قول عمر فی رزیّه یوم الخمیس: «حسبنا کتاب الله»، ویؤیّده قوله الآنف: «أغنانا ما معنا من القرآن عمّا تدعونا إلیه». وقول أبی بکر لما جلس علی أریکه الحکم: (بیننا وبینکم کتاب الله).

نعم قد غیرت مدرسه الخلافه - بالفعل - بعض مفاهیم القرآن وفسّرته علی غیر حقیقته وحملته علی غیر معناه، وإنّ الصدیقه فاطمه الزهراء أشارت إلی خطأ ما ادّعوه من عدم توریثها من أبیها، فاستدلّت علیهم بقوله تعالی: (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ) ((۱)). وأمثال ذلک من الآیات القرآنیه.

وهذا یعنی بأن القرآن قد استُغلّ - جمعه وتفسیره - لأغراض سیاسیه من قِبل الحکّام، لأنّ غیر المعصوم لو تصدّی لأمر خطیر، فإنّ هواه یتحکم به لا محاله فیرجّح هواه علی ما یملیه علیه الدین والعقل.

وقد أکّد النصّان الآنفان علی أنّ عمر بن الخطّاب کان لا یقبل الرضوخ إلی حدیث الثقلین ((۲))، کما أنّه کان لا یرضی باستدلال الإمام علیّ علیه السلام حینما قدّم المصحف إلیهم؛ وقال: «فإن قبلتموه فاقبلونی معه أحکم بینکم بما فیه من أحکام الله» ((۳)).

وفی المقابل کان عمر یرید أن یقول للنّاس أنّ مشکلتنا لم تکن مع نفس القرآن فها نحن قد جمعناه من جدید، بل مشکلتنا هی مع خلافه العتره بعد رسول الله صلی الله علیه و آله ،

۱- سوره النمل: ۱۶.

۲- لقوله لعلی: انصرف به معک لا تفارقه ولا یفارقک.

۳- إثبات الوصیه: ۱۲۳.

فنحن لا نريدها ولا نرتضيها.

لكن سؤالنا: هل يصح هذا المبرّر بحيث نفعل كل شىء وإن كان يؤدّى إلى الاستنقاص من حجيه القرآن؟

نعم، إنّ القوم كان لا يعجبهم أن يعطوا فضيله جمع القرآن للإمام على، لأنّ الإمام بحيازته هذه الفضيله قد حاز شرفين عظيمين، أحدهما كونه أبا العتره، والآخر كونه جامعاً للقرآن، وهو ما يكبر فى صدورهم، ولا يمكنهم تحمّله، فسلبوا منه فضيله جمع القرآن بعد أن لم يمكنهم أن يسلبوا عنه كونه أب السبطين الحسن والحسين عليهما السلام .

وهذا الكلام منهم يشابه ما قالوه بالأمس بعدم اجتماع النبوه والخلافه فى بيت واحد، إنّها السياسه واتّباع الأهواء قاتلها الله.

ومن المؤسف أنّنا نرى تغافل أعلامنا عن دراسه ترابط مسائل الإمامه والخلافه مع مسائل جمع القرآن فى مباحث الإمامه، كما أنّهم لم يبحثوا هذا الأمر فى تاريخ جمع القرآن، لأنهم يرونها أموراً خارجه عن إطار البحث، عادّيها أموراً طائفيهً لا ترتبط بتاريخ جمع القرآن، وقد بان من خلال دراستنا خطأ نظرهم، وأنّها أمور جديره بالبحث.

فإننا ما لم نفهم تلك الملابسات لم نفهم ملابسات أصول التشريع بعدها، لأنّ مسائل الحديث والقرآن مترابطه ارتباطاً وثيقاً فيما بينها، فلا يمكن إغفال أحدهما على حساب الآخر، لأنّ القرآن يدعو إلى الأخذ بالسنه، وسنه رسول الله تقول: «إنّى تارك فيكم خليفتين؛ كتاب الله حبل ممدود ... وعترتى أهل بيتى»، على ما رواه زيد بن ثابت

عن النبی بإسناد صحیح ((۱)).

کما أنّ رسول الله یقول عن نفسه: ألا وإنّی قد أوتیت القرآن ومثله معه ((۲))، کلّ ذلک یؤکّد تساوی القرآن مع النبوه والعتره ووجوب اتّباعهما معاً وأنهما لا یفترقان حتی یردا الحوض.

علی أنّ رسول الله صلی الله علیه و آله کان قد أخبر بأنّ رجلاً سیجلس علی أریکته صلی الله علیه و آله من بعد وفاته یدعو المسلمین إلی ترک الأخذ بحدیثه وسنّته قائلاً: «بیننا وبینکم کتاب الله فما وجدناه فیه من حلال استحللناه ومن حرام حرّمناه» ((۳)).

وفی آخر: یأتیه الأمر مما أمرتُ به أو نهیتُ عنه فیقول: لا أدری، ما وجدناه فی کتاب الله اتبعناه ((۴)).

وهذا الکلام جاء صریحاً علی لسان أبی بکر بعد وفاه رسول الله صلی الله علیه و آله مباشره

۱- مسند أحمد ۵: ۱۸۱ / ح ۲۱۶۱۸، مجمع الزوائد ۹: ۱۶۳، قال: إسناده جیّد، وانظر: المعجم الکبیر ۵: ۱۵۳ / ح ۴۹۲۱، وفیه: وأهل بیتی بدل وعترتی أهل بیتی، رجاله ثقات، عن الهیثمی فی مجمع الزوائد ۱: ۱۷۰.
۲- مسند أحمد ۴: ۱۳۰ ح ۱۷۲۱۳، سنن أبی داوود ۴: ۲۰۰ / ح ۴۶۰۴، مسند الشامیین ۲: ۱۳۷ / ح ۱۰۶۱.
۳- انظر مسند أحمد ۴: ۱۳۲ / ح ۱۷۲۳۳، سنن الترمذی ۵: ۳۸ / ح ۲۶۶۴، سنن ابن ماجه ۱: ۶ / ح ۱۲.
۴- سنن ابن ماجه ۱: ۶ / ح ۱۳، سنن أبی داود ۴: ۲۰۰ / ح ۴۶۰۵، المستدرک ۱: ۱۹۰ ح ۳۶۸.

وجلوسه مكانه صلى الله عليه و آله .

ففى تـذكره الحفّاظ: «إنّ الصـدّيق جمع النّاس بعـد وفاه نبيّهم، فقال: إنّكم تحـدّثون عن رسول الله صـلى الله عليه و آله أحاديث تختلفون فيها، والنّاس بعـدكم أشدّ اختلافا، فلا تحدّثوا عن رسول الله شـيئاً، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله، فاسـتحلّوا حلاله وحرّموا حرامه» ((۱)).

إنّ قول الرسول صـلى الله عليه و آله فى حـديث الثقلين، ثمّ قول أبى بكر وعمر: «قولوا بيننـا وبينكم كتاب الله» أو: «حسـبنا كتاب الله» أو: «أغنانـا مـا معنا من القرآن» من بعـده، يرشـدنا إلى وجود كتاب الله بين أيـدى المسـلمين وهو معروف عنـدهم، فإذا كان كذلك، فلا داعى لإعاده كتابته من جديد، أو التثبّت من آياته بشاهدين حسبما يقولون! لأنّه قد جمع بشاهدين معصومين.

أجل، إنّ هذه الفتره من تاريخ الاسلام تحمل فى طيّاتها بعض الأمور التاريخيه المهمّه وهى جديره بالدراسه، كما أنّ مسأله جمع الإمـام أمير المؤمنين علىّ عليه السـلام للقرآن ترتبط بشـكل وآخر بمسأله الخلافه والبيعه لأبى بكر وعـدمها، ولا يمكن تفكيك إحداهما عن الأُخرى، ولذلك يكون جلوس الإمام فى بيته بعد وفاه رسول الله لكتابه المصحف له معناه الخاص.

وعليه نقول: بأنّ الجمع الأوّلىّ للقرآن كان على عهد رسول الله صـلى الله عليه و آله من خلال كَتَبه الوحى، وأنّه صـلى الله عليه و آله أشرف على ترتيب آياته وكتابته، وبتنسيق مع جبرئيل الأمين،

۱- تذكره الحفاظ ۱: ۲ - ۳، توجيه النظر ۱: ۶۰.

وأن رسول الله لم يرتض تبعثر آيات كتاب ربّه النازله عليه نجوماً، وذهاب جهود دعوته هباء، فأراد الحفاظ على كتاب ربّه بالحفظ فى الصدور والتدوين والكتابه فى السطور، فقرأ بتلك السور والآيات فى صلاته (وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ)، وأقرأهم آياته وسوره، وعيَّن رجالاً منهم يُقرِئون النّاس القرآن، ثمّ سمح بعد ذلك للصحابه بتدوين المقرّر فى اللقاء الثنائى فى مصاحف، فكان سهمهم من كل عام عده سور، لأن الله سبحانه قد قسم نزول كتابه خلال ۲۳ عاماً، وقد كان جَمعٌ من الصحابه يكتبونه، وكان الإمام أميرالمؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام رئيسهم وعميدهم فى ذلك، إذ شهد له بذلك ابن مسعود ([(۱)]) وابن عباس وغيرهما، فدوّنت المصاحف على عهد رسول الله وإن لم تكن كامله.

فبعض أصحاب رسول الله جمع سوره: الحجر والأعراف ويونس والأنبياء وغافر، والآخر: الكهف ومريم والأنعام والذاريات وطه والصافّات وص، وثالث: سوراً أخرى، كلّ ذلك بعد التأكّد من ضبطها من قبل الله تعالى بواسطه جبرئيل الأمين عليه السلام فى العرضات المختلفه من كلّ عام.

وهذه المصاحف الناقصه أو قل ما قسمه الله - إنزالاً على رسوله - للمؤمنين فى كل عام كانت موجوده عند أصحابها يقرؤون فيها، فى حين أن المجموع عند الإمام علىّ عليه السلام كان هو الأكمل، لأنه المقروء والمكتوب تحت إشراف رسول الله صلى الله عليه و آله مباشره، وبذلك يكون مصحف الإمام هو الأولى بالاتّباع، ويجب أن يكون مصحفه

۱- انظر المعجم الكبير ۹: ۷۶ / ح ۸۴۴۶، حليه الأولياء ۱: ۶۵، تاريخ دمشق ۴۲: ۴۰۱.

إماماً للمصاحف، فأناط رسول الله صلى الله عليه و آله مهمّه جمعه وتوحيد شكله إليه عليه السلام ، لأنّه وصيّه ووارث علمه وعلوم الأنبياء عليهم السلام من قبله.

وقد أشرنا سابقاً إلى أنّ وُلْدَه الحسنين ومحمّد بن الحنفيه، وأبا عبد الرحمن السلمى وأبا الاسود الدؤلى، وعبد الرحمان بن أبى ليلى، وغيرهم، قد أخذوا القراءه عنه، وقد ضبطت تلك القراءه رسماً من خلال تنقيط القرآن وتشكيله الّذى تمّ على يد أبى الاسود الدؤلى وتلامذته، أى أنّ أبا الأسود كان الجسر الرابط بين المحفوظ فى الصدور والمكتوب على القرطاس والورق، لأنّه برسمه قواعد تنقيط الإعراب قد ربط المتلوّ شفهاً بالمكتوب يداً.

إذن، يرجع أصل هذا القرآن الرائج اليوم قراءه ورسماً إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب لا إلى غيره، ومنه يرتفع إلى رسول الله، ثمّ إلى جبرئيل الأمين، ثمّ إلى ربّ العزّه والجلاله.

فتحصّل من كلّ ما قدّمناه لحد الآن وجود ترتيبن للمصحف عند الإمام عليه السلام ، وإن كانت غالبيه الأخبار الّتى نقلناها إنّما تحدّثت عن المصحف المفسّر لا المجرّد.

لأنّ المصحف المجرّد كان يعرفه الجميع ويتدارسونه ويعلّمونه، وأنّ «الرجل كان إذا هاجر دفعه النبىّ إلى رجل منّا يعلّمه القرآن، وكان يسمع لمسجد رسول الله ضجّه بتلاوه القرآن حتّى أمرهم رسول الله أنّ يخفضوا أصواتهم لئلاّ يتغالطوا» ((۱)).

فإذا كان هذا هو حال المسلمين، فلا داعى لأن يقدّم لهم ما عرفوه وأنسوا به فى

۱- مناهل العرفان ۱: ۱۶۹ عن عباده بن الصامت.

الزمن الأول، كما لا داعى لأن يجمع مثل هذا القرآن بشاهدين!

أمّا المصحف المفسِّر والمأوَّل فهو الّذى كان فيه العلوم التى اختص بها الوصى فى الأخذ من فى رسول الله، فكان عليه السلام يريد إيصاله إليهم، وإنّ إخراج ذلك المصحف للناس كان يُحرجهم ويجرحهم، ولأجله جاؤوا يثيرون التهم حوله ويتهجّمون على الشيعه بأنّ لهم مصحفاً غير القرآن، فى حين عرفت أنّ ذلك المصحف ما هو إلّا تفسير للقرآن حسب النزول، وبيان للمحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ من الآيات، فهو قرآن علم وتاريخ وشأن نزول لا قرآن تلاوه وذكر وصلاه.

وإنّ وجود هذا المصحف عند أهل البيت عليهم السلام فيه إشاره إلى مكانتهم العلميه وإختصاصهم برسول الله، وأنهم أهل الذكر والأولى بأمور الرساله من غيرهم، فأهل البيت أدرى بما فى البيت، كما هو المَعْنِيّ من قول الباقر عليه السلام : «ما يستطيع أحد أن يدّعى أنّ عنده [علم] جميع القرآن كلّه ظاهره وباطنه غير الأوصياء» ((۱)).

فكلام الإمام الباقر عليه السلام واضح لا غبار عليه بأنّ الذى عندهم ما هو إلّا مصحف علم وتفسير، وفيه جميع علوم القرآن، ظاهره وباطنه، تنزيله وتأويله.

وقد أكّد العلّامه الطباطبائى هذا المعنى أيضاً عند شرحه للحديث السابق بقوله:

«...لكن تقييدها بقوله (ظاهره وباطنه) يفيد بأنّ المراد هو العلم بجميع القرآن من حيث معانيه الظاهره على الفهم العادى ومعانيه المستبطنه على

۱- الكافى ۱: ۲۲۸ / ح ۲، بصائر الدرجات: ۲۱۳ الباب ۶ / ح۱ وفيه:ما يستطيع أحد أن يدعى أنه جمع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الاوصياء.

الفهم العادى» ((۱)).

والأصرَح من كلّ ذلك قول الإمام على عليه السلام حينما أشار إلى علاقته برسول الله صلى الله عليه و آله :

۱ - «فما نزلت على رسول الله آيه من القرآن إلّا اقرأنيها وأملاها علىّ، فكتبتها بخطّى.

۲ - وعلّمنى تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصّها وعامّها، ودعا الله أن يعطينى فهمها وحفظها، فما نسيت آيه من كتاب الله ولا علماً أملاه على وكتبته منذ دعا الله لى بما دعا» ((۲)).

ففى هذا النص مقطعان أساسيان: أحدهما يشير إلى المصحف المجرد، والآخر إلى المصحف المفسر، كما يؤكّده ما جاء فى صدر الخبر من أنّ سُلَيماً يسأل الإمام أولاً عن القرآن ثم عن الحديث.

فالعلماء يأتون بهذا الخبر ويشيرون إلى ارتباطه باختلاف الحديث عن رسول الله متناسين ارتباطه بموضوع القرآن قبل ذلك، لأنّ سليم بن قيس الهلالى كان قد سأل أميرالمؤمنين أولاً عن القرآن ثمّ عن الحديث بقوله:

إنى سمعت من سلمان والمقداد وأبى ذر شيئاً من تفسير القرآن وأحاديث

۱- انظر هامش الكافى ۱: ۲۲۸.

۲- تفسير العياشى ۱: ۲۵۳، الخصال: ۲۵۷.

عن رسول الله، فأقبل علی فقال: وقد کنت أدخل علی رسول الله کلّ یوم دخله وکل لیله دخله، فیخلینی أدور معه حیث دار، وقد علم أصحاب رسول الله أنه لم یصنع ذلک بأحد من الناس غیری، ومما کان یأتی رسول الله أکثر ذلک فی بیتی، وکنت إذا دخلت علیه بعض منازله أخلانی وأقام عنی نساءه، فلا یبقی عنده غیری، وإذا أتانی للخلوه معی فی منزلی لم تقم عنی فاطمه ولا أحد من بنیَّ، وکنت إذا سألته أجابنی، وإذا سکتّ عنه وفنیت مسائلی ابتدأنی ((۱)).

إذن الروایه تؤکد الرابطه العلمیه بین الإمام علی ورسول الله عموماً، وفی القرآن خصوصاً.

إلی هنا تبیّن أنّ ما ادّعوه من جمع الخلفاء للقرآن بعد رسول الله باطل، لأنّ رسول الله صلی الله علیه و آله کان قد جمعه ورتّبه فی حیاته، ثمّ أناط بالإمام علیه السلام توحیدَ شکله، وإضافهَ الآیات الأخیره النازله علیه إلیه، وجمعه بین اللوحین، کی یؤکّد بأنّ الإمام علیّاً هو وصیّه وخلیفته من بعده، والعالم بالقرآن تنزیلاً وتأویلاً، وهو أولی من غیره للتصدّی لقیاده الشریعه والمجتمع من بعد رسول الله صلی الله علیه و آله وإمامه المسلمین.

إنّ ما یؤکّد بطلان منهجهم فی الجمع هو ما قالوه من تصدّر غیر المعصوم لجمعه وتدوینه، فإذا کانوا یریدون أن یکون هذا القرآن حجه علی جمیع المسلمین، فإنّه کان علیهم رعایه مقیاس ومعیار صحیح فیه حتی یُلزم الجمیع به.

۱- الکافی ۱: ۶۴ / ح ۱، شرح أصول الکافی ۲: ۳۰۶، الخصال: ۲۵۷.

وحيث لم يشرف المعصوم ؛ أعنى رسول الله ووصيه على جمعه وترتيبه – حسب دعواهم – فلا حجّه لهذا القرآن على كثير من المسلمين، فالخطأ آتٍ فيما طرحوه من منهج لا فى حجيه نفس القرآن.

وبمعنى أوضح: لابدّ من لحاظ مرجعيه تشرف على ترتيب الصحف عند الجمع؛ وحيث لم يشرف رسول الله صلى الله عليه و آله على ذلك الجمع – حسب زعمهم – فيكون جمعهم باطلاً لا يعتمد عليه، لأنّ قضيه إثبات القرآن بشاهدين أو الاكتفاء بشاهد واحد – كما رأيناه فى خزيمه – لا يمكن الركون إليه، خصوصاً بعد علمنا بوجود نسخه من ذلك المصحف الكامل عند وصيّ محمّد صلى الله عليه و آله ، علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، تلك النسخه الّتى كتبت على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله وأخذت من فمه صلى الله عليه و آله ، وقد شهد بوجودها عند الإمام على أعلام الصحابه والتابعين وتابعى التابعين وأصحاب المعاجم الحديثيه حسبما مرّ عليك من النصوص، وإنّ أبا بكر وأتباعه كانوا يعلمون بجمع الإمام على للقرآن، فسكتوا عنه.

إنّ منهجم الباطل هو الذى سمح لأمثال الدكتور رشاد خليفه أن يَنقُصَ من ترجمته الانجليزيه ([۱]) للقرآن الآياتِ التى ادُّعى أنها كانت عند أبى خزيمه أو خزيمه، بدعوى أنها لم تثبت فى القرآن المتواتر.

إذن، فعلى مدرسه الخلافه – وتحاشياً من كلّ هذه الإرهاصات والملابسات، ومع اعتقادهم بعدم عصمه أميرالمؤمنين على بن أبى طالب –، أن يقولوا بعصمته فى أمر جمع

۱- المطبوع فى كاليفورنيا / امريكا submission.org .

القرآن، وخصوصاً أنه كان قد جمع ما رتبه المعصوم رسول الله صلى الله عليه و آله .

وممّا يؤكّد خطأ منهجيّتهم فی جمع القرآن تكذيبُ الإمام الباقر لمدّعی الجمع بعد رسول الله بقوله: «ما ادّعی أحد من النّاس أنّه جمع القرآن كلّه كما أنزل إلّا كذّاب، وما جمعه وحفظه كما نزّله الله تعالی إلّا علی بن أبی طالب والأئمّه من بعده» ((۱)) أو قوله: «ما أحد من هذه الأمه جمع القرآن إلّا وصیّ محمّد صلی الله عليه و آله » ((۲)).

فمؤرّخوا القرآن من أهل السنه والجماعه إمّا أن يقولوا بوجود مرجعيه واحده معصومه لتصحيح القرآن المتداول بين أيدينا اليوم، وإمّا أن لا يقولوا بوجود تلك المرجعيه.

فلو قالوا بالأوّل فلابدّ لهم أن يعتقدوا بأن أصل هذا المصحف هو ما جمعه الإمام علیّ عليه السلام بعد وفاه رسول الله صلی الله عليه و آله لأنهم لا يعتقدون بعصمه الخلفاء، وحتی إنّهم لا يعتقدون بعصمه رسول الله إلّا بما أراه الله تعالی، فعليهم أن يعتمدو مصحف الإمام كأصل لتصحيح المصاحف الاُخری، لأنّه مأخوذ من نسخه رسول الله صلی الله عليه و آله التی ورثتها الزهراء عليها السلام منه صلی الله عليه و آله ، ثمّ أورثته لأولادها المعصومين، وأنّ المشرف علی ذلك الجمع والتدوين هو شخصٌ رسالی مهم لا خلاف بأنّه صهر الرسول، وزوج البتول، وأوّل القوم إسلاما، وأعلم الصحابه بالقرآن وبغيره، وقد كان مع رسول الله صلی الله عليه و آله فی حِلّه وترحاله - عدا غزوه تبوك حيث استخلف علی المدينه - وهو القائل: «إنّی لأعرف ناسخه من منسوخه ومحكمه من متشابهه، وفصله من فصاله، وحروفه من معانيه

۱- الكافی ۱: ۲۲۸/ ح ۱ باب أنه لم يجمع القرآن كلّه إلّا الائمه.

۲- تفسير القمی ۲: ۴۵۱ وعنه فی بحارالانوار ۸۹: ۴۸/ ح ۵.

والله مـا من حرف نزل على محمّـد إلّـا أنّى أعرف فيمن أنزل، وفى أىّ يوم، وأىّ موضع»((۱))، كمـا أنّه القائل: «أنا النقطه تحت باء بسم الله الرحمن الرحيم» ((۲))، وقوله: لو تكلّمت فى الفاتحه لحمل الناس منها سبعين وقرا ((۳))، وغيرها.

وعليه يجب أن يكـون الجـامعُ للقرآن أعلمَ النّاس بـالقرآن، وهـو الإمـام علىّ بن أبى طـالب عليه السـلام ، كمـا يجب أن يكون مصـحفه عليه السـلام هو المعتمـد عنـد المسـلمين وعنـد الخلفـاء أيضـاً لا ـ مـا انتهجوه من منهـج خـاطئ فى جمع القرآن كالبيّنه والشهود وخبر الآحاد، أو جمعه من قبل صغار الصحابه أمثال: زيد بن ثابت.

وأمّـا لو قـالوا بالثـانى، فهـذا مخـلّ بوحـده كتـاب الله العزيز وحجيته؛ لأـنّ الرجوع إلى أشـخاص غير معصومين ومتعـدّدين، وقد يكونـون مختلفى الرأى والقراءه - وهـو كـذلك - فهـذا يشـكّك فى حجيه الكتـاب العزيز، ويـدعو إلى تعـدّديه أحرف القرآن والقراءات فيها، فى حين أنّ الأئمّه من أهل البيت عليهم السـلام أَكَّدوا بأنّ القرآن واحـد، نزل من عنـد الواحد على حرف واحد ((۴))، وهو يُخَطِّئُ القول بالأحرف السبعه.

۱- تفسير العيّاشى ۱: ۱۴/۱ من باب علم الأئمّه بالتأويل فيه.

۲- ينابيع المودّه للقنـدوزى ۱: ۲۱۳ / ۱۵ من الباب ۱۴ فى غزاره علمه عن كتاب الـدرّالمنظّم فى الاسم الأعظم، للسـيوطى: و۳: ۲۱۲، من الباب ۶۸ أيضا.

۳- فيض القـدير ۱: ۵۲، ۳: ۱۰۰، الفتوحات المكيه ۱: ۲۸۰، ينابيع المودّه ۱: ۲۰۵ / الباب ۱۴/ ح ۱، ۳: ۲۰۹ /الباب ۶۸، وفيهما بعيرابدل وقرا.

۴- أنظر الكافى ۲: ۶۳۱، باب النوادر / ح ۱۳. شرح أصول الكافى ۱۱/۷۶، باب النوادر / ح ۱۳.

فالـذی أذهب إلیه أنّ الخلفاء رغم جهودهم لجمع الأُمّه علی مصحف واحد فإنهم لم یفلحوا لما أرادوا جمع الناس علیه، بل إنّ فلاح الأُمّه ونجاحها جاء من خلال إقرار الصحابه لهذا المصحف واتفاقهم علیه والقراءه به فی صلواتهم، وعدم مخالفه أحدٍ منهم معه رغم کل الملابسات، بل قل: عدم مخالفه أحد المسلمین مع هذا المصحف باختلاف مذاهبهم وتوجهاتهم ولم یتبعوا فی ذلک لا عثمان ولا غیره من الحکّام.

فالشیعی یقرأ بهذا القرآن کما یقرأ به السنی، ویقرأ به الرافضی کما یقرأ به الخارجی، ویقرأ به الوهابی کما یقرأ به الأباضی علی مرّ العصور والأزمان.

فالصحابه عموماً والإمام علیّ علیه السلام علی وجه الخصوص قبلوا بهذا المصحف، ولم یجاهروا بالمخالفه معه، بل استشهد الإمام علیّ علیه السلام بآیاته علی ما هو علیه، کما استشهدت الصدیقه الکبری فاطمه الزهراء علیها السلام والإمامان الحسن والحسین علیهما السلام به، رغم خلافهم مع الخلفاء واعتراضهم علی منهجیّتهم الخاطئه فی جمعه، وما طرحوه من آراء فی تفسیره وتأویله، فهم باعتقاد الأئمه قد أقاموا حروفه وحرّفوا حدوده.

إذن الإمام أمیر المؤمنین علیه السلام برغم کلّ هذا الإجحاف بحقّه، وانتهاجهم منهجاً خاطئا فی جمع القرآن والقراءات، تراه یؤکّد علی لزوم التعبد بالمصحف، ولا یسمح بالخروج عمّا یقرأ به النّاس، ولا یرتضی به بدیلاً، بل یقف أمام الداعین إلی التغییر والتبدیل فیه، الذین یریدون استغلال الخلاف بینه وبین الخلفاء، فیقول لهم علیه السلام : «إنّ القرآن لا یهاج الیوم ولایحوّل».

وقد أکد الجزری بأنّ الإمام علیّاً التزم فی قراءته بما وافق رسم المصحف ولم یخالف سواده، مع أنّ قراءته لا تنکرها اللغه ولا تأباها لهجات العرب، أمّا ما خالف

سواد المصحف فينبغى أن يجعل تفسيراً.

كما جاء هذا المنهج فى سيره أولاده المعصومين عليهم السلام واضحاً، إذ مرّ عليك بأنّ رجلًا قرأ على الإمام الصادق عليه السلام حروفاً من القرآن ليس على ما يقرؤوها النّاس، فقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام : «مه مه كفّ عن هذه القراءه، اقرأ كما يقرأ النّاس».

ولا يستبعد أن يكون هذا هو سِرّ إسْرار رسول الله صلى الله عليه و آله إلى الإمام علىّ عليه السلام دون غيره من الصحابه، حينما اختلف ابن مسعود مع غيره وسؤالهم رسول الله صلى الله عليه و آله عن ذلك، وإرجاعه إيّاهم صلى الله عليه و آله إلى الإمام علىّ عليه السلام لأخذ الجواب منه، وقول الإمام عليه السلام لهم: يأمركم أن تقرؤوا كما علّمتم.

فالإمام عليه السلام كان لا يسمح لأحد بالتشكيك فى هذا القرآن، بل يدعوهم إلى التعبّد به والقراءه بما علّموا، ومعناه هو سعيه للحفاظ على وحده الصفّ وعدم السماح للأجنبى للدخول فى الصفّ الإسلامى.

إذ لو كان الإمام عليه السلام يريد التشكيك فى القرآن - كما يتّهمه بعض الناصبه وأعداء الدين - لقال للذين رفعوا المصاحف يوم التحكيم: كيف تُحكّمون قرآناً أشكّ فيه وهو ناقص ومحرّف.

لكنّه لم يقل هذا، بل قال عكسه للذين يريدون الفتنه: «لا يهاج القرآن اليوم ولا يحوّل»، ومعنى كلامه أنّه قبل بهذا المصحف - لأنّه مصحفه الذى سرّبه حذيفه إلى عثمان كى يعتمده حسب كلام السيّد ابن طاووس -، فكان عليه السلام يتلو فيه، ويصلّى هو - وأولاده المعصومون - بسوره وآياته، ولا يرتضى الصلاه بما يخالفه من القراءات الشاذّه المنكره، وهذا هو رأى جميع فقهاء الإماميه اليوم تبعاً لأئمّتهم.

فكيف يشيع أعداء أهل البيت بأنّ الشيعه يقولون بتحريف القرآن، أو أنْ لا سند

لهم لهـذا القرآن، مع أنّـك قـد وقفت على الطرق الكثيره المرويه عن أهـل بيته وغيرهم عن على بن أبى طالب فى القرآن، كما رأيت أن أُصول أربعه من القرّاء السبعه مرجعهـا إلى الإمام على، بل إنّ أبا الأسود الـدؤلى هو الوحيـد بين التابعين الـذى ضبط القرآن المتلو بالقرآن المكتوب، وبذلك يكون هذا المدوّن المكتوب هو من بركات أميرالمؤمنين على بن أبى طالب.

بل كيف يقولون بأنّ قرآن الإمام على هو غير قرآن المسلمين، أو أنّ الشيعه يقولون بتحريف القرآن الكريم وأنت رأيت موقفهم الصُّلْب من المحرّفين ووقوفهم أمام المنهج الخاطئ للخلفاء الموصل إلى التحريف شاءوا أم أبوا.

كما أنّك عرفت أيضاً خطأ ما قاله نولدكه من أن جمع القرآن بواسطه الإمام على هو من وضع الشيعه ((۱)).

نعم، لقد استفاضت أخبار مصحف الإمام علىّ عليه السلام فى كتب الفريقين الحديثيه والتفسيريه والتاريخيه والرجاليّه - إن لم نقل بتواترها - وقد وقفت عليها بنصوصها.

فقـد استشـهد به ابن شاذان (ت ۲۶۰ ه-) فى إفصاحه، والصـفّار (ت ۲۹۰ ه-) فى بصـائره، واليعقـوبى (ت ۲۹۲ ه-) فى تـاريخه، وابن جرير الطبرى الشيعى (من علماء القرن الرابع) فى مسترشـده، والعيّاشـى (ت ۳۱۳ ه-) والقمّى (ت ۳۲۰ ه-) فى تفسيريهما، والكلينى (ت ۳۲۹ ه-) فى الكافى، والمسعودى (ت ۳۴۶ ه-) فى إثبات

۱- ان-ظر : خاورشناسان وجمع وتدوين قرآن كريم : ۲۵۷ (كتاب فارسى)، تاريخ القرآن لنولدكه ۲ : ۲۴۳.

الوصيه، وفرات الكوفى (ت ۳۵۲ ه-) فى تفسيره، وابن النديم (ت ۳۸۰ ه-) فى الفهرست، والصدوق (ت ۳۸۱ ه-) فى الخصال وفى الاعتقادات، وأحمد بن فارس اللغوى (ت ۳۹۵ ه-) فى الصاحبى، والشريف الرضى (ت ۴۰۶ ه-) فى خصائص الأئمّه، والمفيد (ت ۴۱۳ ه-) فى أوائل المقالات وفى المسائل السرويه، والطبرسى (ت ۵۴۸ ه-) فى الاحتجاج، وابن شهرآشوب (ت ۵۸۸ ه-) فى مناقب آل أبى طالب وفى معالم العلماء، وابن جبر (من علماء القرن السابع) فى نهج الإيمان، والسيّد أحمد بن طاووس (ت ۶۷۲ ه-) فى بناء المقاله الفاطميه، وأخوه رضى الدين (ت ۶۶۴ ه-) فى سعد السعود، والإربلى (ت ۶۹۲ ه-) فى كشف الغمّه، والعلاّمه الحلّى (ت ۷۲۶ ه-) فى كشف اليقين وفى التذكره، والعاملى (ت ۸۷۷ ه-) فى الصراط المستقيم، والمازندرانى (ت ۱۰۸۱ ه-) فى شرح أصول الكافى، والطريحى (ت ۱۰۸۵ ه-) فى مجمع البحرين، والفيض الكاشانى (ت ۱۰۹۱ ه-) فى كتبه الثلاثه المحجّه البيضاء وتفسير الصافى والوافى، والحرّ العاملى (ت ۱۱۰۴ ه-) فى وسائل الشيعه، وغيرهم.

ومن أهل السنّه: الصنعانى (ت ۲۱۱ ه-) فى مصنّفه، وابن سعد (ت ۲۳۰ ه-) فى طبقاته، وابن أبى شيبه (ت ۲۳۵ ه-) فى مصنّفه، والجاحظ (ت ۲۵۵ ه-) فى عثمانيّته، والبلاذرى (ت ۲۷۱ ه-) فى أنسابه، وابن ضريس (ت ۲۹۴ ه-) فى فضائل القرآن، والسجستانى (ت ۳۱۶ ه-) فى المصاحف، والجوهرى (ت ۳۲۳ ه-) فى السقيفه وفدك، والعسكرى (ت ۳۹۵ ه-) فى الأوائل، والحسكانى (من علماء القرن الخامس) فى شواهد التنزيل، وأبو نعيم الأصفهانى (ت ۴۳۰ ه-) فى حليه الأولياء، والمستغفرى (ت ۴۳۲ ه-) فى فضائل القرآن، وابن عبد البرّ (ت ۴۶۳ ه-) فى الاستذكار، ومحمّد بن عبدالكريم الشهرستانى (ت ۵۴۸ ه-) فى تفسيره، والخوارزمى (ت ۵۶۸ ه-) فى

المناقب، وابن عساكر (ت ۵۷۱ ه-) فی تاریخ دمشق، وسبط ابن الجوزی (ت ۶۵۴ ه-) فی تذكره الخواص، والمعتزلی (ت ۶۵۶ ه-) فی شرح النهج، والقرطبی (ت ۶۷۱ ه-) فی تفسیره، والغرناطی الكلبی (ت ۷۴۱ ه-) فی التسهیل، والذهبی (ت ۷۴۸ ه-) فی كتبه الثلاث السیر، وتاریخ الإسلام، وتذكره الحفّاظ، والصفدی (ت ۷۶۴ ه-) فی الوافی بالوفیات، وابن كثیر (ت ۷۷۴ ه-) فی تفسیره، والزركشی (ت ۷۹۴ ه-) فی البرهان، وابن الخطیب فی الفرقان، وابن حجر العسقلانی (ت ۸۵۲ ه-) فی فتح الباری، والعینی (ت ۸۵۵ ه-) فی عمده القاری، والسیوطی (ت ۹۱۱ ه-) فیالإتقان وفی تاریخ الخلفاء، والقسطلانی (ت ۹۲۳ ه-) فی إرشاد الساری، والصالحی (ت ۹۴۲ ه-) فی سبل الهدی والرشاد، والمتقی الهندی (ت ۹۷۵ ه-) فی كنز العمّال، وغیرهم.

فإنّ كثره الناقلین والمخبرین والراوین لخبر مصحف الإمام علیّ علیه السلام فی الصحاح والسنن والمسانید والكتب ومن جمیع أطیاف الفریقین - محدِّثین كانوا أم مؤرّخین، لغویّین أم مفسِّرین، فقهاء أم متكلّمین - وفی القرون الأولی، لَتُوجِدُ فی النفس اطمئناناً فی صحّه ماقیل عن وجود مصحف للإمام علیه السلام بعد رسول الله صلی الله علیه و آله ، بصرف النظر عمّا علّله الإمام علیه السلام من علل، وهل هو لوجود وصیه من النبیّ صلی الله علیه و آله له بذلك حسبما جاء فی روایات القمّی ((۱))، والمسعودی ((۲))، وفرات الكوفی ((۳))، والصدوق ((۴)).

۱- تفسیر القمّی ۲: ۴۵۱ سوره النّاس.

۲- إثبات الوصیه: ۱۲۳.

۳- فی تفسیره: ۳۹۸ سوره حم عسق / ح ۵۳۰.

۴- الخصال: ۵۷۹ أبواب السبعین وما فوقه / ح ۵۵.

والطبرسى ((۱))؟

أو لأنّه أقسم أن لا يرتدى رداءه إلّا للصلاه حتّى يؤلّف المصحف، كما جاء فى روايه سُلَيْم بن قيس ((۲))، والاحتجاج ((۳))، والّذى يؤيّده ما جاء فى المصنّف لعبد الرزّاق ((۴))، والأنساب للبلاذرى ((۵))، وحليه الأولياء لأبى نعيم ((۶))، وكنز العمّال للمتّقى الهندى ((۷)).

أو لخوفه من تحريف القرآن حسبما جاء فى روايه عبدالرزّاق بن همّام ((۸))، وروايه العيّاشى ((۹))، وفى الفهرست لابن النديم ((۱۰)).

أو لأنّه عليه السلام أراد أن يقيم الحجّه على الحكّام كما جاء فى كتاب سليم ((۱۱))،

۱- الاحتجاج ۱: ۲۲۵.

۲- كتاب سُلَيْم بن قيس: ۱۴۶.

۳- الاحتجاج ۱: ۱۰۵، ومناقب آل أبى طالب ۱: ۳۲۰.

۴- المصنّف لعبد الرزّاق ۵: ۴۵۰ / ح ۹۷۶۵.

۵- أنساب الأشراف ۲: ۲۶۹ / ح ۱۱۸۷.

۶- حليه الأولياء ۱: ۶۷ ترجمه الإمام علىّ.

۷- كنز العمّال ۱۳: ۶۶ / ح ۳۶۴۷۳.

۸- المصنّف لعبد الرزّاق ۵: ۴۵۰ / ح ۹۷۶۵.

۹- تفسير العيّاشى ۲: ۳۰۷ سوره الإسراء.

۱۰- الفهرست لابن النديم: ۴۱.

۱۱- كتاب سليم: ۱۴۸.

والاحتجاج ((۱)).

أو أنّه علیه السلام عمد إلی ذلک بعد أن رأی خذلان النّاس له کما فی خبر سلیم ((۲))، والاحتجاج ((۳))، أو غیرها.

فإنّ کلّ هذه الأخبار تجعلنا نطمئنّ إلی صحه مشروع الإمام علی علیه السلام فی القرآن، وأنه قد أقدم علی جمع القرآن وفق ما سمعه عن رسول الله صلی الله علیه و آله قبل أن یشرع أبو بکر فی جمع القرآن، أو أن یکلّف زید بن ثابت بالجمع، أو أن یجمع سالم - مولی أبی حذیفه - القرآن.

فالسؤال الّذی طرحناه وبقی إلی الآن یتراوح فی مکانه ولم نقف علی جوابه: إذا کان القرآن قد کتب وجمع ورتّب علی عهد رسول الله صلی الله علیه و آله فی مصحفٍ واحد حسبما ما جاء فی بعض النصوص، فما الداعی لإعاده جمعه من جدید علی عهد أبی بکر؟

ألم یقولوا بأنّ معاذاً، وأُبیّاً، وابن مسعود، وعباده، وأبا موسی، وأبا الدرداء، وزیداً، وأبا زید، قد جمعوا القرآن علی عهد رسول الله صلی الله علیه و آله ؟ وقد أثبتنا بأنّ جمعهم کان جمع تدوین وکتابه لا جمع حفظ فی الصدور، فإن صحّ هذا الخبر وهذا المعنی، فلماذا یجمعه أبو بکر مرّه أخری؟

باعتقادی أنّ ما علّلوه فی الجواب ((۴)) علیل، لأنّ غالب الصحابه کانوا قد حفظوا

۱- الاحتجاج ۱: ۲۲۸.

۲- کتاب سلیم: ۱۴۷.

۳- الاحتجاج ۱: ۱۰۷.

۴- بأنّ جمعهم کان حفظاً فی الصدور والذاکره.

القرآن أو جزءاً منه، وكانوا يرتّلون القرآن آناء الليل وأطراف النهار، وأنّ التسميه بالقرآن جاءت لكثره قراءتهم إيّاه.

بل كان لبعضهم مصاحف تامّه كالإمام علىّ عليه السلام ، أو ناقصه كما هى فى مصاحف الصحابه، بدءاً بحمزه سيّد الشهداء، وتلك المرأه الشهيده، ومروراً بعبد الله بن عمرو بن العاص، وابن مسعود، وأبى بن كعب، وختماً بغيرهم من الصحابه.

فإذا لم تكن تلك المصاحف موجوده فأىّ شىء أحرقه عثمان؟ أم أىّ شىء طلبه أبو بكر وعمر من الصحابه حينما أرادا توحيد المصاحف بزعمهم؟!

إذن مع صحّه وجود مصاحف عند الصحابه، فلا مبرّرَ لجمع أبى بكر، وهذا ما وضحناه فيما سبق وستقف على المزيد بعد قليل.

فتلخّص من كلّ ما سبق:

۱- ثبوت كتابه القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله .

۲ - وجود صحف بل مصاحف ناقصه على عهده صلى الله عليه و آله ، والتى دوّنت بعد اللقاء الثنائى بين رسول الله والأمين جبرئيل، أى وجود تلك السور التى أُقرَّت وأُحكِمَتْ آياتها - وعُرفت حدودها وثبتت قراءتها من قبل ربّ العالمين - إلى ذلك الحين.

۳ - إنّ الناس كانوا يقرؤون بقراءه رسول الله فى صلواتهم وفى تلك الصحف، ولا مشاحه فى ذلك لأن رسول الله كان قد أقرأهم بها على مكث.

۴ - أمر الرسول صلى الله عليه و آله عليّاً عليه السلام بجمع الصحف من خلف فراشه وجعلها مصحفاً بين الدفّتين.

۵ - بدأ الإمام عليه السلام جمع القرآن متناً وتفسيراً بعد وفاه رسول الله صلى الله عليه و آله ،

فأكمل علیه السلام المصحف المجرّد فی ثلاثه أیّام حسبما رواه «عبد خیر» عنه ([(۱)])، وجمع الثانی منه فی ستّه أشهر حسبما جاء فی قول ابن عبّاس ([(۲)]).

۶ - إنّ الإمام علیه السلام قدّم المصحف المفسَّر إلی الخلفاء کی یقیم الحجّه علیهم، ویبیّن للنّاس بأنّ الاتجاه العام ماضٍ فی التفکیک بین القرآن وعِدْله - أعنی العتره الطاهره علیهم السلام - خلافاً لقوله صلی الله علیه و آله الآمر بالتمسّک بهما: «وأنّهما لن یفترقا حتّی یردا علیّ الحوض» وذلک لقول عمر: (انصرف به لا تفارقه ولا یفارقک).

ومن الواضح أیضاً أنّ کثیراً ممّا هو موجود فی المصحف المفسِّر لن یروق للآخرین، وخصوصا الخلفاء منهم؛ لأنّ الحقّ مرٌّ؛ إذ فیه القضایا والبلایا، وإنّ وجود کل هذه الأمور فی مصحف واحد جعلهم یفکّرون جدّیا بتطویق الإمام علیه السلام وسلبه کلّ ما خصّه به الله ورسوله صلی الله علیه و آله من فضائل، ثم منحِها لآخرین.

صارفین بذلک النّاس عن الإمام علیه السلام وأهل بیته علیهم السلام ، إنّهم فعلوا کل ذلک علی حساب القرآن، وهذا من أقبح القبیح، فالدعوه إلی إعاده کتابه المصحف من جدید، وحرق المصاحف والذی فیه إسم الجلاله وتعالیم السماء هو خدش بالقیم، فإنّهم فعلوا ذلک کی لا یبقی بأیدی النّاس ما یوافق مصحف الإمام علیّ علیه السلام ، لکنّهم وإن جدّوا لتحقیق أمانیهم، لم یوفقوا لذلک؛ لإصرار الناس علی القراءه بما عُلّموا والأخذ عن ابن مسعود وأبی بن کعب وعلی بن أبی طالب وأمثالهم.

۱- الفهرست لابن الندیم: ۴۱، حلیه الأولیاء ۱: ۶۷ . أو سبعه أیّام حسب حکایه جابر الجعفی عن الإمام الباقر علیه السلام ، توحید الصدوق: ۷۳، أو تسعه أیام کما فی بحارالانوار ۷۴: ۳۸۱ / ح ۵.

۲- مناقب بن شهرآشوب ۱: ۳۱۹، عنه فی بحار الأنوار ۴۰: ۱۵۵ و۸۹: ۵۱.

أجل، إنّ جمع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لهذا المصحف فى المدّه الزمنيه الّتى جلس فيها الإمام عليه السلام فى بيته، مضافاً إلى كونه امتثالاً ـ لأمر رسول الله، كان اعتراضاً على الحاكمين، وحفظاً للقرآن الكريم أيضاً، وإنّ جلوس الإمام فى بيته وعدم خروجه إلّا لفرض عبادى مهم له دلالاته وإيحاءاته، وقدوضّحنا بعضها وسنكمل الباقى فى البحوث القادمه إن شاء الله تعالى.

إذن خلصنا إلى أنّ أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام كان أوّل من جمع متن القرآن بين اللوحين لا غيره وكذب ما نسب إليه من الترحم على أبى بكر بكونه أول من جمع القرآن بين الدفتين!!

كما أنّه هو الوحيد الذى جمعه مع تفسيره وتأويله فى ستّه أشهر، وهو الذى ربط القرآن المتلوّ بالمكتوب، وبذلك يصحّ أن نقول وبلسان قاطع: أنّه القرآن الناطق والعالم بالقرآن، وهو معه يدور حيثما دار.

۸- وأنّ (المصحف الإمام) هو لأمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام لا لغيره، واستغلال ذلك لصالح عثمان مكيده ممن خالف علياً ولاسيما من بنى أميه.

انتهى المجلد الأوّل وسيليه الثانى إن شاء الله، وما توفيقى إلّا بالله، عليه توكّلتُ وإليه أُنيب.

الفهرس

مقدّمه المؤلّف۵

تمهید۱۹

مدرسه الخلافه ومقدّماتها العشر فی جمع القرآن، والرؤیه التصحیحیه من قبل مدرسه أهل البیت لها۲۳

* المقدّمه الأُولی:۲۳

النبیّ یعرف القراءه والکتابه، لکنّه لا یکتب:۲۳

* المقدّمه الثانیه:۳۸

وجود مصاحف کتبها الصحابه علی عهد رسول الله:۳۹

* المقدّمه الثالثه:۴۴

قتلی الیمامه مقدِّمهٌ لجمع أبی بکر للقرآن:۴۵

* المقدّمه الرابعه:۵۲

الغلوّ فی عثمان وإقصاء منافسیه:۵۳

* المقدّمه الخامسه:۶۸

تعدّد القراءات تخالف الوحده فیه، وهو المبرّر لتشریع القراءات الجدیده:۷۰

* المقدّمه السادسه:۹۰

مصادره الخلفاء لِجُهْد الأمه فی حفظ القرآن:۹۱

* المقدّمه السابعه:۱۰۸

جمع القرآن بید غیر المعصوم، کذبٌ وخیانه للدین والأُمّه:۱۰۹

* المقدّمه الثامنه:۱۱۴

القول بجمع القرآن فی زمن الفتنه!! یخدش فی حجیّته:۱۱۵

* المقدّمه التاسعه:۱۲۵

التّقلیل من شأن القرآن من جهه، والاهتمام بتواتر القراءات من جهه أُخری!!۱۲۵

* المقدّمه العاشره:۱۳۰

مصحفنا هو مصحف رسول الله ومصحف جمیع الصحابه، ولیس بمصحف عثمان وزید فقط:۱۳۱

تاریخ القرآن الحکیم فی مراحله الأربع۱۴۵

۱ - التنزیل:۱۴۹

ما الفائده فی النزول التدریجی للقرآن؟۱۵۶

۲ - الترتیب:۱۵۹

معنی القرآن لغه۱۶۹

اختلاف ترتیب التلاوه عن ترتیب النزول۱۷۲

دور رسول الله وجبرئیل فی ترتیب الآیات۱۸۶

مصاحف الصحابه۱۹۲

عائشه تجیز التقدیم والتأخیر فی السور وآیها۱۹۴

الإنزال الدفعی والتدریجی ومواضع الآیات۲۰۵

حصیله البحث۲۱۱

۳ - الجمع والتألیف:۲۱۳

۱ - الجمع فی عهد رسول الله:۲۱۷

ص:۵۵۹

الأخبار الدالّه على وجود مصحفٍ أو مصاحف على عهد رسول الله:۲۲۱

مدى صحّه دعوى النسخ۲۳۶

هل حفظ القرآن شرف خارِق للجامعين أم لا؟۲۳۹

على الجامع الحقيقى للقرآن۲۴۷

أخبارٌ كاذبه:۲۷۳

من فضائل عثمان: حرق المصاحف!!۲۷۷

۲ - الجمع بعد وفاه رسول الله مباشرةً بواسطه الإمام علىّ:۲۹۷

ما استدلت به الإماميه۲۹۷

مصحف الإمام على فى مصادر الشيعه وكتب علمائهم:۳۰۹

النتيجه:۳۴۲

أخبار التحريف فى كتب الفريقين۳۵۸

عودٌ على بدء۴۰۷

المصحف كلمه عربيه أم حبشيه؟۴۲۱

موقف ابن مسعود وأبى بن كعب من السلطه:۴۶۶

المصحف المتداول هو مصحف رسول الله لا مصحف الخلفاء۴۹۰

سؤال وجواب:۵۰۱

الصحابه وتخوفهم من أسماء بعض السور:۵۱۵

سؤال وجواب۵۱۸

ارتباط جمع القرآن بموضوع الخلافه:۵۲۵

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامى عام ۱۴۲۶ الهجرى فى المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فى الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فى العلوم الإسلامية وتبعثرها فى أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين فى العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهى منظمة فى برامج إلكترونية وجاهزة فى مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبىّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ فى المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة فى الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين فى الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها فى ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمى البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

٤.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فى تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.
عنوان المكتب المركزی
أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir
البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir
هاتف المكتب المركزی ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥
هاتف المكتب فی طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١
قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
القائمیه
اصبهان
للبحوث والتحریات الکمبیوتریة
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءً من فضلكم
٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩